السيد جمال الدين الافغانی

و

خدماته الدينية والادبية

اعداد :

فضل معبود

بسم الله الرحمن الرحيم

ان الدين عند الله الاسلام

آل عمران : ١٩



السيد جمال الدين الافغاني

و

خدماته الدينية والادبية

رسالة

مقدمة الى جامعة بشاور

لنيل درجة الدكتوراه

في

الدراسات العربية

اعداد :

فضل معبود فضل عليم محمد وسيم

قسم اللغة العربية

اشراف :

الاستاذ الدكتور ميرولي خان

١٤٠٠هـ — ١٩٨٠م

الاهـــداء

اهداء الى من يبتغون الحق لوجه الحق ، ويبحثون عنه ويعملون لاجله ، ويضحون فى سبيله بأموالهم وانفسهم، ويكرسون حياتهم لاعلاء كلمته، لا يخافون فى ذلك لومة لائم، ولا سطوة جابـــر ، والى من يحبون الحريـــة، ويكافحون لأجلها ، ويدافعون عنها ، و يفضلونها على كل غال ورخيص، والى من يخدمون العلم بمعناه الاوسع لخيـــر الاسلام والمسلمين وخيرالانسانيـــة جمعاء .

بسم الله الرحمن الرحيم

التمهيد :

الحمد لله الذي خلق الانسان، وعلمه البيان، وجعله خليفة فى الارض ليتزينها بالعمران، والصلاة والسلام على خير خلقه محمد خاتم الانبياء والمرسلين الذي انزل عليه القران الذي فيه هدي للناس، وعلى اله وصحبه ومن تبعه الى يوم الدين باحسان .

وبعد : كنت اريد ان اقوم ببحث علمي يكون من صفته أن يكون عظيم الفائدة جليل المغزي لافى الحال فقط، وانما فى المستقبل ايضا، كما يكون من صفته ان يكون فى صميم الدين الاسلامى بمفهومه الاوسع ويكون ايضا بحثا ادبيا رائعا يثيركوا من النفوس العالية، ويوقظ النفوس الخاملة من سبات الغفلة ، وينير الطريق امام الذين وقعوا فى دياجير الجهل المطبق، وينفخ نفخة الامل فيمن يئسوا ، ويحدث القوة فيمن ضعفوا و استكانوا بعد ما كانوا اقوياء ، ويدعو المسلمين الى العودة الى تعاليم القران بعد ما بعدوا عنها، وكنت افكر حينا فى موضوع اختاره لذلك، وحينا اخر اقرأ بعض الكتب لعلى افوز بما اريد ، وطورا اخر اتناقش فى الموضوع مع اخوانى و اصحابى وغيرهم ، وأخيرا جاء ذكر السيد جمال الدين الافغانى الذي قام بهذه الدعوة خير قيام، وكرس حياته لخدمة الاسلام والمسلمين خاصة، والشرقين عامة ، وداوم على منهاجه المضيء حتى لقى ربه راضيا مرضيا .

والسيد جمال الدين كان حقيقة كلية مشتملة على جميع الجزئيات اللازمة، وادلى بدلوه فى جميع المواضيع ، وكان فيها كأن كل موضوع صنعة يده ، وبذ فيها من تكلموا فيها اوكتبوا .

وقد كتب الناس كتبا كثيرة في لغات عدة عن السيد جمال الدين : حياته وسيرته علمه وادبه ، فلسفته وآرائه ، وسياسته وتدبره ، الا انني ابتعدت عن ان اكتب عن السيد في جميع ميادينه ، واقتصرت على ان اقوم بالبحث في الناحيتين فقط ، وهما : خدمات السيد جمال الدين الافغاني الدينية والادبية فحسب ، وذلك انني لو اردت ان اكتب عن جميع ما خاضه السيد لم اتمكن من ذلك تمكنا تاما ، وذلك لظروف خاصة لاتساعدني على ذلك ، كما ان الموضوع كلما تشعب اكثر كان المحقق قاصرا من اعطاء الحق لكل ما يتعلق بموضوع البحث والتحقيق ، ويكون البحث لذلك سطحيا غير دقيق كما ينبغي ان يكون ، و بالاضافة الى ذلك فان السيد جمال الدين لم يكن يقصد من وراء اعماله وخدماته وآرائه و فلسفته وجولاته ~~الاخدمة~~ الاخدمة الاسلام في اي شكل كان واية صورة كانت ، وكان ~~لعوب~~ ادي هذه الخدمة في اسلوب ادبي رائع اخاذ بقلوب ، لذا اخترت هاتين الناحيتين : الدينية والادبية .

والبحث عن هاتين الناحيتين لا يمكن البدء فيه بادئ ذي بدء وانما يحتاج في ذلك الى عدة امور اخري ، يحتاج فيه الى معرفة السيد جمال الدين، ونبذة عن حياته وبيئته التي نشأ فيها، وعصره الذي كان فيه ، والظروف التي دعته الى ما قام به من خدمات جليلة نحو الاسلام والمسلمين ، كل ذلك ليكون القارئ على بينة ، ولذا سأبدأ البحث اولا في ذلك ، ثم في الخدمات .

والرموز والاشارات التي استخدمت في هذا البحث ليست بكثيرة وانما هي :

١ــ الاسماء والالقاب من : السيد جمال الدين الافغاني الحسيني ، السيد جمال الدين الحسيني ، السيد جمال الدين الافغاني ، جمال الدين الافغاني ، جمال الدين

السيد جمال ، السيد ، المراد من الكل هو الشخص الواحد .

٢ــ ذكرت فى تخريج الايات القرانية : اسم السورة ، ثم رقم السورة بين القوسين ( ) ثم رقم الاية .

٣ــ وضعت الاقتباسات بين علامتى التنصيص .

وقبل البدء اشكر جميع من مدوا الى يد المساعدة بالطرق المختلفة فى اعداد هذا البحث ، وبالاخص اشكر سيادة الدكتور ميرولى خان على اقتراحه القيم فى اختيار هذا الموضوع ، وعلى حسن الاشراف ، وفضيلة الشيخ الحافظ عبد القدوس على ارشاداته وتوجيهاته السديدة ، والدكتور القاضى مجيب الرحمن على تشجيعه ومساعدة المراجع والآراء ، والدكتور عبد القادر سليمان على المراجعة والتوجيهات الفنية من الترتيب والتبويب ، والاخ محمد انورخان على بذل المجهود الجبار فى حسن الطباعة بالآلة الكاتبة ، سائلا من الله العلى القدير ان يجزي الجميع احسن الجزاء ، آمين .

فضل معبود فضل عليم .

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
البصل هدية نادرة .	٤١
الاعتقاد في الاولياء .	٤١
عدة عادات .	٤١
تحصيل العلم .	٤٢
المشائخ .	٤٢
برات اخوندون .	٤٣
تحريم التنباك .	٤٣
طلبة الافغان .	٤٤
اللسان .	٤٤
تاجك .	٤٥
هزاره .	٤٥
ازبك و تركمان .	٤٧
السادات (الاشراف)	٤٨
قزلباش .	٤٩
بلوخى .	٤٩
نظام الحكومة .	٥٠
مجلس الامير .	٥١
اللاقانونية .	٥١
الخزانة .	٥١
حفاظ الطرق .	٥١
الخدمة العسكرية .	٥٢
الامارة بالوراثة .	٥٢
دخل الدولة .	٥٣
موكب العيدين .	٥٣
خاتمة الكتاب .	٥٣

الموضوع :	الصفحة

الموضوع :	الصفحة

الموضوع :	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

المقدمة

العالم الاسلامى فى القرن التاسع عشر سياسيا و اجتماعيا و اقتصاديا

القرن التاسع عشر كان مشحونا باضطرابات كثيرة . وحالة المسلمين فى هذا القرن كانت قد وصلت غاية من السوء فى جميع ميادين الحياة قد، تأخروا عن الغرب تأخرا لا مثيل له فى جميع ادوار حياة المسلمين، عمهم الجهل فما كانوا من العلم النافع بقسط يأخذ بايديهم الى التقدم والعمران والازدهار ماعدا بعض العلوم الاسلامية من الفقه، والتفسير والحديث، ومثل الفلسفة القديمة والمنطق والتوحيد، والادب وغير ذلك من العلوم على الطرق القديمة وهى ايضا قد دخل اليها ما ليس فى الواقع من الدين .

ومن الناحية الدينية كانت بلبلة الافكار منتشرة بينهم لأن الافكار الاوروبية الحديثة كانت قد انتشرت فى البلاد الشرقيه والاسلامية، وكانت قد احدثت بلبلة فى الافكار وبذلك انقسم الناس الى قسمين ،قسم يناصر هذه الافكار ويدعوا اليها، وقسم يناوؤه ويقاومه اشد المقاومة، ويعتبره مخالفا للدين الاسلامى ؛ ولذلك كنت ترى القسم الاول يدعوالى التجديد، ويعتبره طريقا لكل تقدم، ويتهم المخالفين بالجامدين المتزمتين المتعصبين ويراهم موجبا لتخلف المسلمين بينما ترى القسم الاخر يدعو للاصلاح فى الفكر الدينى بتجديد المفاهيم الدينية ؛ ويتهم المخالفين بالمارقين والخارجين من الاسلام ، وبالملحدين والدهريين والموالين للاجانب . ويعتبر آراءهم هذه موجبا لبعد المسلمين عن اسلامهم وموجبا لاشاعة الافكار الاوروبية الهدامة بين المسلمين وموجبا لتشتت عرى الاتحاد بين المسلمين فى جميع اقطار العالم الاسلامى ، وذريعة لنشر الشبهات حول عقائد الدين الاسلامى ، وذريعة لدعوة

النشاء الى الاباحة والرذائل وتبعيدهم عن التخلق بالاخلاق الفاضلة التى تفضى بالانسانية الى السعادة التامة .

ومن الناحية الاجتماعية فكانت الصفات الزميمة من الكسل، والقنوط، واليأس و الرشوة، والسلب والنهب، والظلم، والاثرة، والانانية، والاستبداد قد اخذت فى الانتشار فى جميع الطبقات من المجتمع الاسلامى، وبذلك تبددت اواصرا لمحبة، والاخوة، والاخلاص، والعدل والامل، والمواساة، والتعاون بين افراد هذا المجتمع، وعم الفساد فى جميع مرافق الحياة الانسانية .

ومن الناحية الاقتصادية فلا تسأل عنها، فان هذه الحالة كانت قد تدهورت اسوأ تدهور وصار العالم الاسلامى الى فقر مدقع يكاد يصل الى القحط فى بعض البلاد منه، و ذلك بسبب سوء تصرف الامراء والملوك وبذخهم، واسرافهم من جانب، وعدم استقرار [illegible] الاهالى من جانب اخر بسبب كثرة الضرائب والرسوم التى كانت تؤخذ منهم بالقوة، و بسبب اولئك الاوربيين الاجانب الذين كانوا قد استولوا على موارد خيرات البلاد من جانب اخر .

ومن الناحية السياسية فكان العالم الاسلامى فى حالة سياسية متدهورة تماما، لان التفرقة كانت قد تمكنت من نفوس الامراء والملوك المسلمين، وكل واحد كان يريد الخير لنفسه فقط، وما كان يفكر فى حال جاره من بلد اسلامى اخر، بل فى حال رعيته، كان يؤثر غرضه الشخصى التافه على غرض عظيم عام، ولذلك كنت ترى بلدا اسلاميا يحارب عدوه الاوربى الغاشم والبلد المجاور له كان ينظر فقط، وما كان يتحرك ادنى حركة، وبذلك كانت الدائرة تدور على جاره ثم تدور عليه هو ايضا . ويصير لقمة سائغة لذلك الاجنبى الذى ليس من جنسه ولا من دينه .

وهاك بعض الامثلة التارخيه :

كان الاستعمار البريطانى قد تمكن من السيطرة على الهند، وبدأ يسوم الاهالى سوء العذاب بادنى تهمة، ويجلى من يجلى وينفيه من الهند الى جزيرة مالطة، وينزل الراجاوات من كراسيهم ويحرمهم من اموالهم واملاكهم ، ويفرق بين الهند يين، ويوسع الخرق بين المسلمين والهنادكة على اساس من العقيدة كى لا يتحدوا ضد الاستعمار، ويأخذ خيرات ارض الهند الى بريطانيا ، ويعتبر هذا حقا شرعيا له على اساس قانون القوة والغلبة اما الهنود فتراهم عراة حفاة جياعا فى اسوأ حال من العيش .

وفى افغانستان فكانت الحروب الداخليه قد اندلعت نيرانها وكان الامراء ورؤساء القبائل يتحاربون فيما بينهم للوصول الى زمام الحكم، وكان الانجليز يلعبون دورا ما فى هذا المضمار، لأنهم هم الذين كانوا يدبرون لهذه الحروب، ويشجعون بعض الامراء ضد البعض ، كما ان الانجليز انفسهم دخلوا حروبا طاحنة كثيرة ضد الافغانيين، وفى بعضها باءوا بالفشل العظيم والهزيمة المنكرة حتى قتل جميع الجنود ولم يبق منهم الا واحد فقط .

وفى مصر فكانت الاطماع الاوربية قد امتدت الى خيراتها ، وبعد محمد على باشا ساءت حالة مصر فى جميع الميادين . وفى عصر اسماعيل تحسنت نوعا ما فى ميدان التعليم، وبعض المشاريع الاخري الا ان بزخ اسماعيل واسرافة قد سبب نكبته شنيعة لمصر حيث استولى الفرنسيون والانجليز على الموارد المالية لمصر بسبب الجنة الثنائية الفرنسية الانجليزية للمراقبة المالية، والتى انتبحت اخيرا احتلال مصر احتلالا تاما بايدي الانجليز عام ١٨٨٢م .

اما الخلافة العثمانية فكانت فى هذا العصر تسمى بالرجل المريض، لان الاطماع الاوربيه من كل جانب قد امتدت اليها ؛ فمن جانب كانت الحروب تشن على اطراف منها من قبل الروس، واخرى المؤامرات كانت تدبر ضدها من قبل الانجليز، وتحاول النيل منها باي طريقة كانت، وفرنسا كانت تمد ايديها الى شمال افريقيا من جانب اخر، وكانت هذه البلاد تحت السيطرة العثمانية اذ ذاك .

هذا بالاضافة الى الثورات اليونانية والبلقانية ضد السلطة العثمانية التركية، وبالاضافة الى الحركات والاضطرابات الداخلية فى البلاد العربية التابعة للخلافة العثمانية .

فهذه روسيا كانت تنهش الخلافة العثمانية من جانب، وبريطانيا تنشها من جانب اخر، وفرنسا كذلك، والثورات والاضطرابات الداخلية من جانب .

هكذا كانت حالة البلاد الاسلامية فى القرن التاسع عشر، وهذه الظروف كلها كانت تدعو المسلمين الى اليقظة، ففى اول هذا القرن رأينا حركة سنوسية الا انها كانت حركة دينية فحسب، كانت تدعو الى الاصلاح الدينى والتربية الروحية، كما كانت حركات وطنية فى دائرة ضيقة فى كل بلد اسلامى ؛ الا أن الامر كان قد تفاقم، ووصل السيل الزبى، وكان يحتاج الى حركة شاملة يوقظ المسلمين من سبات الغفلة ويدعوهم الى الاتحاد والعمل لعـ... واسترداد مجدهم السابق .

ففى هذا القرن فى ١٢٥٤هـ (١٨٣٩م) ولد السيد جمال الدين الافغانى فى بلاد الافغان، ودرس الاسلام درسا عميقا، ورأى بعينيه ما كان يجري فى بلاده من حروب طاحنة، واثناء ذهابه الى الحج تعرف بأحوال المسلمين من الضعف والتفرقة، وبما انه كان

موهوبا من الله تعالى بالعلم الراسخ، فوازن بين الاسلام و بين المسلمين ، فرأى ان الاسلام يدعو الى القوة والغلبة والعلم والمعرفة، والمسلمين راهم في الضعف والذل والمسكنة فأيقن ان سبب هذا هو بعدهم عن الاسلام، وتركهم المبادئ الاسلامية القويمة، وبذلك عزم السيد عزما وطيدا وطيدا، وخط له خطة اراد تنفيذها، الا وهى خطة دعوة المسلمين الى التوحيد والتكتل والعودة الى القران والاحاديث النبوية الشريفة، ونبذ الاستعمار البريطانى والولاء الاجنبى فى اي شكل كان ؛ وقد كرس حياته لذلك ولم يتخذ زوجة وطاف بالعالم فى سبيل غايته العظمى ورسالته السامية .

وقد أردت ان اكتب عن رسالة السيد هذه ،واذكر ما قام به فى هذا الميدان من الاعمال الجليلة، وما تحمل فى سبيلها من الاضطهاد والنفى، وما كان لآثاره الخالدة فى صالح البشرية عامة والمسلمين والشرقين خاصة، وقد خططت لاداء هذا الامر الخطة التالية :

خطـة البحث

قسمت البحث الى :

التمهيد .

المقدمة .

- والى اثنى عشر مقصدا وخاتمة :

١- المقصد الاول : نسب السيد، مولده، و موطنه

٢- المقصد الثانى : نشاءته و تربيته .

٣- المقصد الثالث : جولاته فى الاقطار .

٤- المقصد الرابع : شخصيته العبقرية .

٥- المقصد الخامس : رسالة السيد .

٦- المقصد السادس : اساتذة السيد .

٧- المقصد السابع : تلاميذ السيد .

٨- المقصد الثامن : مؤلفات السيد، و رسائله .

٩- المقصد التاسع : خدمات السيد الدينية .

١٠- المقصد العاشر : خدمات السيد الادبية .

١١- المقصد الحادي عشر : السيد جمال الدين بين مادحيه وناقديه .

١٢- المقصد الثانى عشر : اثر السيد الاصلاحى والاجتماعى .

خاتمة .

المقصد الاول :

نسب السيد ، مولده ، ووطنه

اقوال العلماء

تصريحات السيد

المدارك والشواهد الاخري :

نسب السيد جمال الدين الافغانى

كان السيد جمال الدين يكتب مع اسمه كلمة "الحسين"، ويظهر من هذا انه كان من سلالة النبي صلى الله عليه وسلم وسلسلة نسبه كما يلي :

هو السيد جمال الدين بن السيد صفدر بن السيد علي بن السيد رضى الدين ابن السيد زين العابدين بن السيد ظهيرالدين بن السيد جمال الدين (عرف سيدجمال) بن السيد عبدالوهاب بن السيد مصطفى بن السيد علي الترمذي بن السيد قنبرعلى بن السيد احمد نور بن السيد يوسف نور بن السيد محمد نور بخش الترمذي بن السيد احمد بيخم بن السيد براق بن السيد احمد مشتاق بن السيد شاه ابو ايوب ابو تراب بن السيد حامد بن السيد محمود بن السيد اسحاق بن السيد عثمان بن السيد جعفر بن السيد عمر بن السيد محمد بن السيد حسام بن السيد شاه ناصر خسرو بن السيد جلال بخاري بن السيد اميرعلى بن السيد محمود المكى بن السيد محمد مهدي بن السيد حسن العسكري بن السيد الامام تقي بن السيد الامام موسى رضا بن السيد الامام موسى كاظم بن السيد الامام جعفر الصادق بن السيد الامام محمد باقر بن السيد الامام على زين العابدين بن السيد الامام حسين بن السيدة فاطمة بنت محمد صلى الله عليه وسلم . (١)

---

(١) الف) ماخوذة من مقدمة : مضامين جمال الدين الافغاني (اردو) محمد عبدالقدوس قاسمي طبع ادارة فروغ اردو ـ لاهور ص ٩

ب) تذكرة السيد جمال الدين الافغاني (پشتو) قاضى عبدالحليم اثر ص ٦٩ ـ ٧١ عظيم پبلشنك هاوس بيرون كابلي گيت پشاور .

ج) حيات سيد جمال الدين افغاني ـ محمد امين خوكياني ص ٥ ، ٦ ـ

مولده ، وموطنه

من المعلوم ان السيد جمال الدين ولد عام ١٢٥٤هـ المطابق ١٨٣٩م والمشهور انه ولد في قرية اسعد اباد ـ بمنطقة «كونر» من بلاد افغانستان وتلقب بالسيد ، لأن السيد معناه شريف النسب، اي من سلالة النبي عليه الصلاة والسلام ، وتلقب بالحسيني، لأن سلسلة نسبه تتصل الى الحسين بن علي كرم الله وجهه، وتلقب بالافغاني لأن المعروف والمشهور انه افغاني الموطن ، ولم يطرأ اي خلاف في كونه افغانيا الا بعد ان كتب براون كتابه «انقلاب ايران».

يقول مستر براون في كتابه الثورة الفارسية ص ٤٢٣ :

«ان جمال الدين اراد أن يعرف انه افغاني، ليسهل حشره في زمرة السنيين من المسلمين ، وليتخلى عن الحماية الفارسية التي كان يشك في قيمتها، والرواية الفارسية تذهب الى انه ولد في قرية بهذا الاسم «اسداباد» بالقرب من همدان في ايران، والسبب في تفضيله الانتساب الى افغانستان لا يمكن الخوض فيه الابطريق الحديث»(١)

من هنا نشأ الشك في موطن السيد جمال الدين، وكثر الاقوال، وحاول كل أن يثبت ما يقول بادلة اية كانت، واقوال كيفما كانت، وكلمات يسوقها حسبما يراه هو، واني بدوري أنقل أقوال بعض من المحققين في العالم العربي، وغير العربي، لنري الحقيقة من بينها، ونصل الى النتيجة تكون أقرب الى الصواب بعون الله تعالى .

---

(١) الف) فيض الخاطر جـ٤ ص ٢١٦ احمد امين ـ مكتبة النهضة ط : ١٩٥٦م
ب) الثورة الفارسية (The Persian Revolution of 1905 – 1909
الاستاذ جي براون ـ مطبعة جامعة كيمبرج ١٩١٠ ص٤ .

اقوال العلماء في مولده ووطنه

يقول الاستاذ الامام محمد عبده تلميذ السيد الافغاني الوفي الذي لازمه لعقد لمدة طويلة في مصر و باريس، في مقدمة "الرد على الدهريين" :

" هذا هو السيد محمد جمال الدين بن السيد صفتر (صفدر) ولد في بيت شرف وعلم بقرية "اسعد اباد" من قرى كنر، من اعمال كابل ، ببلاد الافغان سنة ١٢٥٤ هـ (١٨٣٩م) (١)

ويقول السيد محمد رشيد رضا صاحب تفسير المنار :

" ولد السيد جمال الدين في قرية اسعد اباد من قرى كنر سنة ١٢٥٤ هـ " (٢)

وكتب الاديب الكبير - الاديب اسحاق - وهو من تلاميذ السيد و مريديه :

" السيد جمال الدين الحسيني الافغاني ولد بكابل (٣) في بيت شرف وعلم، وطلب العلم بالفارسية والعربية على ما جرت به عادة الامراء والعلماء في بلاده " (٤)

يكتب محمد باشا المخزومي الذي كان من اصدقاء السيد و اتباعه، والف كتابه في حياة السيد وبإجازته .

" ولد السيد جمال الدين في قرية "اسعد اباد" من قرى كنر سنه ١٢٥٤ هـ ١٨٣٩م وانتقل بانتقال ابيه الى كابل " (٥).

---

(١) مقدمة الرد على الدهريين محمد عبده ص ٩ طبع ١٣٥٤ هـ - ١٩٣٥م - المطبعة المحمودية التجارية . مصر .

(٢) تاريخ الامام ج ١ ص ٢٧

(٣) الدرر - اديب اسحاق - بيروت ص ٢٢

(٤) خاطرات جمال الدين - بيروت ص ٢٢

(٥) دائرة المعارف القرن العشرين مصر ١٩٢٣ ج ٣ ص ٣٦٢ .

وكتب محمد فريد وجدي :

« محمد جمال الدين الافغاني بن السيد صفدر من بيت كبير في بلاد الافغان »[1]

ويقول المؤرخ المعروف جورجي زيدان :

« السيد جمال الدين بن السيد صفدر ولد في بيت شرف وعلم بقرية « اسعد اباد » من قري كنر من اعمال كابل ببلاد الافغان سنة ١٢٥٤ هـ »[2]

وكتب المورخ المصري عبد الرحمن الرافعي :

ولد جمال الدين الافغاني سنة ١٢٥٤ هـ في (اسعد اباد) احدي القري التابعة لخطة (كونر) من اعمال عاصمة افغانستان، ووالده السيد صفدر من سادات كنر الحسينية، ويتصل نسبه بالسيد علي الترمذي، ويرتقي الى سيدنا الحسين بن علي بن ابي طالب فالمترجم من السلالة النبوية الطاهرة، ويجري في عروقه الدم العربي الاصيل، ومن هنا جاء التعريف به بالسيد جمال الدين الحسيني الافغاني ، وقد زعم بعض المتشككين او المغرضين ان جمال الدين ايراني، لا افغاني ، وهو زعم مختلق يراد منه التشكيك في افغانية السيد العظيم ويدحضها ما اتفق عليه رواة من معاصريه بانه افغاني الموطن والمولد . وتسميته طول حياته (جمال الدين الافغاني) ، وما قاله رحمه الله عن نسبه ، فقد قرر انه افغاني صميم، قال مرة : (لقد اجمعت ما تفرق من الفكر ولممت شعث التصور، ونظرت الى الشرق واهله فاستوقفني الافغان ، وهي اول ارض مس جسمي ترابها ، وقال مرة اخري : (اني اضطررت لترك بلادي الافغان تتلاعب بها الاهواء والاغراض) .

هذا الى ما عرفه عنه اقرب الناس اليه مثل الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده والامير شكيب

(١) مر دائرة المعارف - القرن العشرين - مصر - ١٩٦٧ ج ٣ ص ١٦٣

(٢) تراجم مشاهد الشرق ج ٢ : ص ٥٦ —

ارسلان، والشيخ عبد القادر المغربي، وما سمعوه منه انه افغاني بحت، عربي بالسلالة النبوية التي ينتسب اليها ، ولعل هذا الشك الذي اثاره بعض الايرانيين راجع الى التفاخر بالعظماء والتنازع بين الناس لانتسابهم اليهم، والاسرة جمال الدين منزلة عالية في بلاد الافغان»(١)

وكتب امير البيان شكيب ارسلان في تعليقاته على كتاب (حاضر العالم الاسلامي) للكاتب الامريكي (لوثروب) ما يلي :

« ان كل الذين عرفوا السيد جمال الدين علموا منه انه من افغانستان، وانه من سادات كنر الحسينية المشهورين في مملكة تلك الديار، ووالده السيد صفدر، وكان مولده في اسعد اباد — بقرب كنر سنة ١٢٥٤ هـ، وكذلك عرف به كبير تلاميذه الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده مفتي الديار المصرية في صدر رسالة الرد على الدهريين - تاليف السيد جمال الدين، ولقد لقيت في المدينة المنورة قبل الحرب العالمية السيد حسين احد ولاة افغانستان ، ومن سادات كنر المشار اليهم بالبنان، ومن افاضلهم، وعلمت منه ان السيد جمال الدين رحمه الله هو منهم، كما اني سمعت ذلك من جميع رجال الدولة الافغانية، وسفرائها الذين جمعتنا بهم المفاوضات في اوربا بعد تأسيس سفاراتهم بها، فلا اعلم كيف تتفق كل هذه الروايات من اهل تلك الديار على كون المترجم افغاني الدار علويا حسينيا من اسرة معروفة كالشمس، ومقامهم في بلاد الافغان اشهر من ان يشوه، ويكون من همدان ومولودا بها .»

ونقول على الثاني : ان الاستاذ الشيخ محمد عبده تعرض الى ادحاض هذه التهمة اكثر من مرة، وعرب من الفارسية بمساعدة عارف افندي ابي تراب الافغاني رسالة (النيشريين) ثم شرع بترجمته على الوجه الصحيح الذي صادري به من كل مترجم غيره باعتباره مخالطا للسيد

---

(١) جمال الدين الافغاني باعث نهضة الشرق ص ٥ وعصر اسماعيل ج ٢ ص ١٢٦ .

الاستاذ، ومختبرا حياته، ومعاشرا له قد ذكر حسبه ونسبه ومولده ورحلته ومذهبه». (١)

ويقول الكاتب المصري المعروف عباس محمود العقاد :

«القول المشهور انه هو واباؤه واجداده من ابناء الافغان، وفيها تعلم الفقه على مذهب ابى حنيفة، ودرس علم الكلام . وهو خلاصة الفلسفة الدينية» (٢)

وكتب عمر ابو النصر :

« السيد جمال الدين الحسيني الافغاني ولد على الارجح فى قرية (اسعد اباد) من اعمال الافغان، وكان والده السيد صفدر عالما معروفا فى ذلك العهد، وعليه درس فى اول نشأته، فلما اصبح فى الثامنة عشر من العمر ارسله والده الى العالم الشهير السيد فقير بادشاه ليدرس عليه علوم الدين والفلسفة والتاريخ» . (٣)

ويكتب محمد عمارة فى كتابه ما نصه :

« انه ولد فى سنة ١٨٣٩م من اب هو السيد صفتر فى قرية «اسعد اباد» فى خطة كنر «من اعمال «كابل» ببلاد الافغان ، وان اسرته كانت ذات حول وطول ونفوذ، وصاحبة امارة وحكم فى هذا الاقليم، وان حاكم بلاد الافغان فى ذلك الحين «دوست محمد خان» اراد ان يقتلع هذه الاسرة الشريفة من منطقة نفوذها، فاستدعاها لتقيم لديه فى «كابل» العاصمة فانتقل اليها جمال الدين فى ركاب الاسرة، وهو يومئذ ابن ثماني سنين حيث بدأ والده تعليمه منذ ذلك التاريخ» . (٤)

---

(١) حاضر العالم الاسلامي – تعريب عجاج نويهض بيروت ج ٢ ص ٢٩٠ .
(٢) الاسلام فى القرن العشرين عباس محمود العقاد – بيروت ص١٤٢ .
(٣) زعماء التحرير فى الاسلام . بيروت ١٩٦٨م ص ١٤
(٤) الاعمال الكاملة للسيد جمال الدين الافغاني محمد عمارة – مصر – ١٩٦٨م ص ١١

ويقول الاستاذ احمد امين انه :

« افغاني الاصل ، شريف النسب ، ينتهي الى الحسين بن علي ، جمع الى شرف النسب عزة السيادة ، فقد كان اهل بيته سادة على كثير من اعمال افغان ». (١)

ويقول الدكتور عثمان امين بعد استعراضه الاقوال المختلفة حول السيد :

« ارجح الاقوال انه ولد السيد جمال الدين في اسعد اباد من اعمال افغانستان ». (٢)

وكتب عبد الوهاب سكر من علماء حلب في هذا الموضوع :

« السيد جمال الدين بن السيد صفدر من بيت عظيم في بلاد الافغان ، ينتهي نسبه الى السيد علي الترمذي المحدث الشهير ، ويرتقي نسبه الى سيدنا علي ، وآل هذا البيت عشيرة وافرة العدد تقيم في خطة كنر من اعمال كابل عاصمة البلاد الافغانيه ». (٣)

ويقول الاستاذ العلامة حيدر بامات :

« ولد السيد جمال الدين بن صفتر الافغاني الذي هو من اشهر وجوه العالم الاسلامي في القرن التاسع عشر ١٨٣٩م ، وذلك في اسعد اباد التي هي من اعمال كابل ». (٤)

ويقول محمد محمد عبد الفتاح :

« ولد السيد جمال الدين رحمه الله سنة ١٨٣٩م ، وكان مولده بقرية اسعد اباد من قري كنر من اعمال كابل ببلاد الافغان ». (٥)

---

(١) زعماء الاصلاح في العصر الحديث ـ مصر ـ ١٩٦٨م ص ٦٠
(٢) رواد الوعي الانساني عثمان امين ـ مصر ـ ١٩٦٨م ص ١١
(٣) اعلام الاسلام ـ عبد الوهاب سكر ـ حلب . ص ٥٧
(٤) حاضر الاسلام ـ استاذ بامات ـ مصر ـ ١٩٥٦م ص ٤٦٥
(٥) اشهر مشاهير ادباء الشرق ج ٢ ص ٣٤

ويقول الدكتور محمود قاسم :

« السيد جمال الدين الافغاني بن صفدر ، وهو ينتمي الى اسرة مجيدة في بلاد الافغان وقد ولد في قرية على مقربة من مدينة كابل ». (١)

ويقول الاستاذ محمد سلام مدكور :

« كما اني اعتقد انه افغاني من (اسعد اباد) وان له صلة نسب بالايرانيين، مما جعل المؤرخين يختلفون فيه، واليك ما قاله السيد في كتابه (تتمة البيان في تاريخ الافغان) : الحق ان هذه الامة من اصل ايراني ، وان لسانها ماخوذة من لسان "زند" و "استا" - (اي ان لسانها قريبة من هاتين اللغتين) » . (٢)

ويقول الاستاذ محمود ابوريه :

« هو السيد جمال الدين بن السيد صفدر من بيت عظيم في بلاد الافغان، يرتقي عمد نسبه الى الحسين بن علي رضي الله عنهما، وآل هذا البيت عشيرة كبيرة تنيم في خطة كنر ... من اعمال كابل ». (٣)

ويقول الاستاذ سعيد الافغاني :

« وقد ثبت ولا ريب ان السيد جمال الدين هو طفل افغاني صميم من سادات « اسعد اباد » قرية « كنر » محافظة افغانستان » . (٤)

كتب المستشرق المعروف جولد تسيهر مقالة مفصلة عن جمال الدين الافغاني حيث يقول :

---

(١) تصوص مختارة من الفلسفة الاسلامية - الدكتور محمود قاسم - مصر ص ٨٦

(٢) جمال الدين الافغاني باعث النهضة الفكرية في الشرق ١٩٣٧ م ص ٢٦

(٣) جمال الدين الافغاني - محمد ابورية - مصر - ١٩٦١ ص ١٥

(٤) نابغة الشرق السيد جمال الدين الافغاني - محمد سعيد عبد المجيد الافغاني مصر ١٩٦٧ ص ٧

«لقد ذكر هو نفسه انه ولد في «اسعد اباد» على مقربة من كنر من كابل في افغانستان عام ١٢٥٤هـ، ثم يشير الى اختلاف الاراء حول مولد الافغاني، فيقول، مهما يكن من شيء فقد قضى جمال الدين السنين الاولى من طفولته وشبابه في افغانستان، وعرف ودرس في كابل كافة العلوم الاسلامية العالية»(١)

ويقول الدكتور تشارلز ادمس :

«ولد السيد جمال الدين الافغاني العامل الجوهري الاول في احياء حركة التجديد في مصر عام ١٨٣٩م في «اسعد اباد» بالقرب من كابل بافغانستان»(٢)

ويقول الفريد سكاون بلنت :

«السيد جمال الدين الافغاني وهو رجل لم تتجاوز تجاربه العالمية قبل حضوره الى مصر دائرة اسيا الوسطى، وهو افغاني المولد». (٣)

وكتب الدكتور فيليب حتى والدكتور ادوارد جورجي والدكتور جبرائيل جبور :

«يعتبر جمال الدين الباعث الرئيسي الاول للروح العصرية في الاسلام، وقد ولد في افغانستان» (٤)

كتب الكاتب الامريكي لو ثروب ستودارد :

« ولد السيد جمال الدين الافغاني في مطلع القرن التاسع عشر في «اسد اباد» بالقرب

---

(١) دائرة المعارف في الاسلامية مصر انسب دلعران ج ٧ ص ١٥

(٢) الاسلام والتجديد في مصر — الدكتور اومز — تعريب عباس محمود العقاد — مصر ص ٧

(٣) التاريخ السري لاحتلال انجلترا مصر — بلنت — مصر — ١٩٢٩ ص ٧٧

(٤) تاريخ العرب — الدكتور ادورد جرجي وغيره — بيروت ج ٣ ص ٨٨٨

من همذان في بلاد فارس،وهو افغاني الارومة لا فارسي، يتحدر نسبا، كما يدل لقب سيادته على هذا،من العترة النبوية الطاهرة،ويجري في عروقه الدم العربي البحت الكريم». (١)

كتب العلامة محمد القزويني الذي تعتبر اقواله حجة قوية في الحلقات الادبية بايران وعند المستشرقين :ـ

«السيد جمال الدين المعروف بالافغاني ـ وفاته عام ١٣١٤هـ الفريد من مشاهير رجال السياسة في القرن الاخير، وصاحب جريدة (العروة الوثقى) المطبوعة في باريس،توفي في الخامس من شوال سنة الف وثلاثمائة واربعة عشر بعد الهجرة لشهر مارس ١٨٩٧ الميلادية في اسطنبول عن عمر يقرب الستين سنة،ومن اعجب العجائب انه لم يستطع اي شخص لحد الان ان يبرهن بان هذا الرجل كان ايرانيا ومن اهالي «اسداباد» الهمدان،كما يدعيه اكثر الايرانيين ، وكما ان شخصا من اهالي اسد اباد-الهمدان يعرف نفسه بانه من ابناء اخته، ونشر قبل اعوام رسالة في هذا الخصوص،وعدد بزعمه افراد اسرة السيد الذين يسكنون في اسداباد .

في حين إن الافغاني من اهالي اسد اباد من قرى كابل كما يدعيه الافغانيون والمصريون والشاميون، وكما ان السيد جمال الدين كان يوقع في عموم مراسلاته ومكاتباته ب (جمال الدين الافغاني) ، وكما ان كتاب تاريخ الافغان من مؤلفاته المسمى ب «تتمة البيان في تاريخ الافغان» ايضا يعد قرينة قوية

---

(١) حاضر العالم الاسلامي ج ١ ص ٢٥٦

لافغانيته"⁽¹⁾.

ويقول السيد مرتضى المدرس الجهارد هى استاذ جامعة طهران، والذي يعتبر من مشاهير المحققين الايرانيين، وتتبع زمنا طويلا فى معرفة السيد جمال الدين، والف كتبا ثمينة فى هذا الموضوع، فقد كذّب بصراحة قاطعة ايرانية السيد العظيم بقوله :

" ان جمال الدين الافغانى المتوفى سنة ١٣١٤هـ ق من كتاب واحرار العهد القاجاري، فالذين يظنونه من اسد اباد الهمدان يرتكبون خطاء لعلهم اشتبهوه بالسيد جمال الدين الواعظ الهمدانى الذي كان من رواد المشروطية فى ايران، او انهم يرون التعمد فى الخطاء، فاقوى دليل على كذب المدعين هو اعتراف السيد بافغانيته، وكان يستنكف الايرانية، ففى التاريخ المذكور توفى السيد فى تركيا، وحملت الحكومة الافغانية عظامه الرميم الى افغانستان سنة ١٣٦٦هـ، واذا كان ايرانيا اصلا كيف كانت تتخلى عنه دولة ايران، و تسمح بدفنه فى افغانستان"⁽²⁾.

ويكتب الكاتب الايرانى السيد ابراهيم الصفائى :

السيد جمال الدين بن السيد صفدر ولد سنة ١٢٥٢ او ١٢٥٤هـ. ق فى اسد اباد كابل، ويصل نسبه الشريف للسيد على الترمذي الذي توطن فى زمن (بابر) مؤسس السلسلة التيمورية الهندية فى اسد اباد، وكان له والاعقابه نفوذ وقدرة معنوية عدة قرون، ومن بعد اضطر السيد صفدر بامر من الامير دوستمحمد خان بالاقامة فى كابل، فمنذ

---

(١) مجلة يادكار الايرانية لسنة ٣ العدد ٤ وبيشرو نهضتها ص ١٤١ بحوالة غلام حسين الموسوي الافغانى فى كتابه : الرد على الدكتور الوردي بغداد ١٩٧٢ ص ٣٣ .

(٢) فرهنك جيلانى — مدرسة جهاردهى — ايران ص ٥٥٠ وبيشرو نهضتها ص ١٤٥

خمسين عاما يحاول عدد من الايرانيين تسمية السيد جمال الدين ب (الاسدابادي)، و اقاموا دلائل كثيرة على ايرانيته ، اما في عقيدتي فلم يكن لهذه الدلائل اصل واساس صحيح، وتشبه ب (الاجتهاد مقابل النص)، ولم تكن قابلة للاعتماد». (١)

المحدث المشير الشيخ عباس القمي الذي كان من مشاهير المحققين الايرانيين، وله ولاثاره منزلة خاصة عندهم فقد ابدي برايه عن السيد بهذا :

«السيد جمال الدين محمد بن السيد صفدر الحسيني من بيت عظيم في بلاد الافغان نشأ بكابل، وتلقى علوما جمة، واستكمل الغاية من دروسه في الثامنة عشر من عمره ، ثم سافر الى الهند، ومنها الى الاقطار الحجازية، ورجع الى بلاده، فدخل في بطانة الامير دوست محمد خان». (٢)

وكتب السيد محمد على الاستانة في كتابه عن السيد الافغاني :

« السيد جمال الدين محمد بن السيد صفدر الحسين من بيت عظيم في افغانستان» (٣)

ويقول ناظم الاسلام الكرماني الايراني :

السيد محمد جمال الدين بن السيد صفدر المعروف بالافغاني من اول الشخصيات

بحوالة الاستاذ غلام حسين الموسوي الافغاني في كتابه (الرد على الدكتور الوردي بغداد ص ١٩٧ ، ص ٢٤

---

(١) رهبران مشروطة ابراهيم صفائي . ايران ص ١١ .
و بيشرو نهضتها ص ١٤٥ . بحوالة السيد غلام حسين الموسوي الافغاني في نفس المرجع السابق ص ٢٥ .

(٢) الكنى والالقاب طبع صيدا ج ٢ ص ١٣٩ بالحوالة السابقة ونفس الصفحة .

(٣) داستانهائي از بزركان اسلام (القصص عن كبار الاسلام) ج ١ ايران ص ١٦٧ بالحوالة السابقة

الشهيرة فى هذا القرن (القرن الرابع عشر الاسلامى والقرن العشرين الميلادي) الذي نور عالم التمدن بانوار العلم والفضل، ونفخ فى محيى تقدم البشرية نفخة التقدم والازدهار، ويعتبره جماعة من الناس من اهالى اسداباد - الهمدان - بايران ، ويذكرون جماعة من اسرته، وكثرة حجة من الناس يجعلونه من سادات اسعد اباد كابل ويقول ايضا :

"وقد سألت من السيد طباطبائى والحاج سياح محلاتى وغيرهما فى شأن السيد وثبت : ان السيد جمال الدين ايرانى، ومن قرية اسد اباد بالهمدان ويقول ايضا :

" وفى سن العاشرة ذهب الى همدان، والتحق بمدرسة الهمدان، كما اشتغل بالدراسة لفترة ما فى اصفهان ومشهد، ثم سافر من هناك الى افغانستان وتعلم هناك اللغة الانجليزية". (١)

ويقول الاستاذ محمد امين خوكياني وهو من الشخصيات الكبيرة فى افغانستان ومحقق وباحث شهير و مدير جريدة "ملى انيس":

" السيد جمال الدين ابن بار للسيد صفدر، ويصل نسبه الى السيد على الترمذي (پير بابا بنيري)، ومكان ولادته هو اسعد اباد ـ كنر من بلاد افغانستان، واقامت اسرته الشريفة من زمن " بابر " فى هذه المنطقة، وانتهت امارة هذه الاسرة فى زمن الامير "دوست محمد خان" وانتقل السيد مع والده الى كابل، وهذا الكلام يصدقه تاريخ افغانستان جملة ... جملة". (٢)

---

(١) تاريخ بيداري ايرانيان (اللغة الفارسية) ايران ١٣٤٦ ص ٧٠ ، ٧٨ ، ٧٩

(٢) حيات السيد جمال الدين الافغاني (فارسى) محمد امين خوكياني كابل ١٣١٨ ش
ص : ٣ ، ٤

ويقول مولانا ظفرعلى خان فى مقالته بعنوان "سيد محمد جمال الدين الافغانى"

"السيد محمد جمال الدين من قرية اسد اباد من كنر من اعمال كابل، ولد فى سنة ١٢٥٤هـ المطابق ١٨٣٩م، وكان اسم والده السيد صفدر وهو حسينى". (١)

ويقول محمد اسماعيل جودهري (كوزهري) بعنوان "بطل حريت":

"والقول الصحيح ان السيد ولد فى قرية "اسعد اباد" بمنطقة "كنر" بافغانستان، وهذه القرية موضع ولادته، وهى تبعد عن كابل مسافة ثلاثة ايام سيرا على الاقدام، وقد ولد السيد سنة ١٢٥٤هـ، وكان اسم والده السيد صفدر". (٢)

ويقول العلامة عبدالله العماري فى مقالته بعنوان "مجاهد اعظم":

ولد السيد سنة ١٢٥٤هـ فى افغانستان، واسرته هناك معروفة بخطاب "سادات كنر". (٣)

ويقول مولوي عبدالمجيد ابو العلائى :

ولد السيد فى قرية اسعد اباد بمنطقة كنر كابل فى سنة ١٨٣٩م، وكان اسم والده السيد صفدر وهو حسينى". (٤)

---

(١) مقام جمال الدين افغانى (الاردية) جودهري محمد اقبال سليم كاهندري ص ٤٣ كراتشى.

(٢) نفس المرجع (الاردية) جودهري محمد اقبال سليم كاهندري ص ٦٥.

(٣) مقام جمال الدين افغانى (اردو) وهى مجموعة مقالات بمناسبة ذكرى جمال الدين نفيس اكيدمى كراتشى الطبع الثانية ١٩٤٩ ص ١١٨.

(٤) مشاهير افاغنه (اردو) مولوي عبدالمجيد ـ اكره ـ الهند ـ ١٣٣٨هـ ص ٣٨.

ويقول السيد ذاكر اعجاز :

«كان اسمه الكامل السيد جمال الدين الحسيني، ولد في "كنر" قريبا من جلال اباد بافغانستان، وكان جده الاعلى السيد على الترمذي المرشد الكبير الذي دفن في بنير ولاية سوات سابقا ـ باكستان . وكان اسم والدته (سكينه) بنت القاضي المشهور مير شرف الدين الحسين في افغانستان فهو شريف الابوين». (١)

ويقول المحقق الكبير والعالم الجليل مولانا عبد القدوس الرئيس السابق لقسم الدراسات الاسلامية بجامعة بشاور :

« ولد السيد جمال الدين الافغاني في منطقة "كنر" بافغانستان في شهر شعبان ١٢٥٤هـ المطابق ١٨٣٩م، وتصل سلسلة نسبه الى المرشد الكبير السيد على الترمذي». (٢)

ويقول ابو المحاسن مولوي محمود على خان :

« ولد السيد جمال الدين في " اسعد اباد" بمديرية "كنر" الشهيرة بافغانستان سنة ١٢٥٤هـ المطابق ١٨٣٩م» . (٣)

قال السيد صلاح الدين السلجوقي المرحوم سفير افغانستان في مصر (سابقا) في كلمة القاها في دار المركز العام لجمعيات الشبان المسلمين ـ بالقاهرة مساء يوم الاثنين ٢٧ ربيع الاول ١٣٧٧هـ ـ ٢١ اكتوبر ١٩٥٧م :

ولكن شاء الله الحسيب المقيت ان يجدد دينه في القرن الثالث عشر للهجرة بعبد

---

(١) سيرة جمال الدين افغاني (اردو) سيد ذاكر اعجاز ـ فيروز سنز لاهور ١٩٧٠ ص ٦ ـ

(٢) مضامين جمال الدين افغاني ص ٩

(٣) مقدمة تاريخ افغانستان تاليف السيد جمال الدين الافغاني ـ ترجمة اردو ابو المحاسن مولوي محمود على خان ١٣٤٢هـ لاهور ص ٥ ـ

بن
من عباده المخلصين اي السيد جمال الدين الافغاني ،فبعثه الله تعالى من ارض المجاهد اعنى افغانستان الى ارض المجتهدين اعنى مصر الشقيقة". (١)

ويقول الاستاذ محمد امان خان صافي، وهو اورى الناس باحوال السيد الافغاني، لان الاستاذ المذكور من سكان منطقة كنر، وله علاقات خاصة وروابط قريبة بسادات كنر، في بحثه العلمي الذي كان قد كتبه ايام كان طالبا بكلية اللغة العربية بالازهر، وكنت ايضا طالبا بنفس الكلية، ويشتغل الان في اذاعة القاهرة، قسم البرامج الموجهة :

" ولد السيد في قرية اسعد اباد بمنطقة "كنر" بافغانستان سنة ١٢٥٤هـ ١٨٣٩م وانتقل بانتقال ابيه وبعض اعمامه الى كابل، عاصمة افغانستان، وهو في الثامنة من عمره بسبب ان اسرة السيد كانت تستقل بالحكم على منطقة "كنر" حتى سلب الطلطان دوست محمد خان منهم الحكم، وامر بانتقال كبراء الاسرة الى كابل خوفا على الحكم". (٢)

ويقول القاضي عبد الحليم اثر، وهو من المحققين الباكستانيين، وله قدم ثابتة في الانساب ويجيد لغات كثيرة، وشغله الشاغل هو جمع المعلومات عن الشخصيات العلمية، وهو من منطقة باجور بجوار منطقة "كنر":

" ولد السيد جمال الدين الحسين بن السيد صفدر سنة ١٢٥٤هـ المطابق ١٨٣٨م في قرية اسعد اباد بمنطقة "كنر" وهذه القرية امام قرية "بشت" وقريبة من قرية "بتن" وفي الوسط بين قريتي "جغه سرائي" و"نوركل" وبعد مدة اغرقتها نهر "كنر"

---

(١) الثائر الاسلامي ـ جمال الدين الافغاني ـ القاهره ص ١٥

(٢) نفحات عن حياة السيد جمال الدين الافغاني (مخطوطة) محمد امان خان صافي وصورتها محفوظة عندي ص: ١٥ ـ

واثارها موجودة الى الان". (١)

ويقول الكاتب الجليل والشاعر العظيم والاديب الفاضل الاستاذ فضل حق شيدا :

"ولد السيد في قرية اسعد اباد" بمنطقة "كنر" بافغانستان سنة ٣٩–١٨٣٨م". (٢)

ويقول المسيوريتان :

"ان السيد جمال من قوم "افغان" والافغان شعب مستقل ممتاز ذو شأن بين المشرق كالشعب الياباني". (٣)

يقول مولانا عبد الصمد صارم :

"كان اسمه السيد جمال الدين الحسيني ؟ ولد سنة ١٢٥٤هـ المطابق ١٨٣٩م بمنطقة "كنر" بافغانستان، واسرته لها مقام خاص، والمرشد الكبير في اقليم الحدود الشمالي الغربي - باكستان - السيد الترمذي من نفس الاسرة" (٤)

ويقول الاستاذ عبد القادر المغربي، وهو من تلاميذ السيد جمال الدين الافغاني :

"وقد حدثت بعض الفضلاء امس بهذا النبأ عن (جمال الدين) فاكد لي بطلانه، وقال ان جعل السيد من مواليد ايران تزيف افترتها عليه حكومة ناصرالدين شاه بقصد الانتقام منه، ثم حدثني بحديث يرويه عن بعض الثقاة (هو قاضي البصرة اذ ذاك الشيخ عبد الحميد افندي الرافعي الطرابلسي)، وكان موظفا في ولاية البصرة اثناء وجود جمال الدين آتيا من

---

(١) تذكرة السيد الافغاني (بشتو) عبد الحليم اثر . پشاور ص ٨٤

(٢) د جمال الدين افغاني حالات او خيالات (بشتو) فضل حق شيدا پشاور ١٩٤٨ ص ١٠

(٣) بحوالة تذكرة السيد جمال الدين الافغاني – قاضي عبد الحليم اثر ص ٦٩–

(٤) سيرة جمال الدين افغاني – مولانا عبد الصمد صارم – لاهور ١٩٦١ ص ٢

ايران، وقد احببت ان امهم لهذا الحديث ثم انقله الى القراء فارتاى الشاه ان يستقدم جمال الدين اليه، ويصب سوط عذابه عليه، فكتب الى "العابين" يطلبه، ويدعى انه من تبعة ايران، ومولود في قرية اسد اباد على نمط ما شرحه اعتماد الدولة في سالنامه، قال الموظف الذي نروي عنه الخبر الاتي : كان والى البصرة لحين قدوم جمال الدين اليها هدايت باشا، وهو رجل كثير التقوي والصلاح، فاحتفل بالسيد، واكرم منزله، ثم جاء تلغراف شفرا من "العابين" وسأله عن نشأة جمال الدين، واصله، وفصله، وهل هو ايراني كما زعم الشاه ؟، فاستحسن الوالى ان يوسطني في سؤال جمال الدين نفسه عن مبتداء خبره من حيث لا يشعر، فسألته فقال : انى افغانى الاصل والفرع وانه لاعلاقة جنسية ولا تابعية له بايران، وان الشاه يشيع ذلك رغبة الانتقام منه،

قال جمال الدين، وفي ١٢٨٧هـ فى زمن نظارة صفوت باشا على المعارف كان تعيين عضوا فى مجلس المعارف الاعلى بناء على كوني افغاني الجنس، فليسألوا النظارة المشار اليها ان احبوا، ثم كتب هدايت باشا الى "العابين بما قاله جمال الدين". (١)

ويقول مرزا لطف الله خان اسدابادي :

" فيلسوف الاسلام العظيم السيد جمال الدين محقق كبيرا وقد توطن اجداده منذ عام ٦٧٣هـ فى اسد اباد، ومن لوحات قبور اجداده بالقرب من امام زاده احمد "محلة سيدان" التى تقع بالقرب من بيت اباء واجداد السيد جمال الدين منذ ثماني مائة واثنتين وستين سنة تعرف اسماء ابائه واجداده خلفا عن خلف، ونسلا بعد نسل، ويقول :

ولد السيد جمال الدين اسدابادي فى شهر شعبان ١٢٥٤هـ " (٢)

---

(١) البنيات — عبد القادر المقربى — ج ١ — ص ١٠٥ —

ويقول الاقا صفات الله خان مستنسخ هذا الكتاب :

« ان بيت السيد جمال الدين الابوي يقع في محلة سيدان ـ اسد اباد بالقرب من امام زاده احمد، ومعمور الان فعلا ويسكن فيه ابن عمه الاقا سيد حسين، وكان للسيد اخ باسم السيد مسيح الله، وقد توفى في حوالي ١٣٠٠هـ، وقبره بالقرب من امام زاده احمد، وكانت له اختان، احداهما «مريم بيجوم» ولها اولاد عدة، وتوفيت في حوالي ١٣٢٠هـ، وقبرها بالقرب من امام زاده، والاخرى «طيبه بيجوم» (والدة ابي مرزا لطف الله)، وتوفيت في ١٣ صفر ١٣٠٤هـ.»⁽¹⁾

تصريحات السيد :

وايضاحا للموضوع يحسن ان يذكر بعض تصريحات السيد جمال الدين كي نصل الى النتيجة الحتمية التي لا يمكن ان يشك فيها الا اذا اراد الشخص التاويلات البعيدة والمتكلفة، وبعض من هذه التصريحات هي كالاتي :

يقول السيد :

« لقد جمعت ما تفرق من الفكر ولممت شعث التصور ونظرت الى الشرق واهله فاستوقفتني الافغان، وهي اول ارض مس جسمي ترابها، ثم الهند، وفيها تثقف عقلي، فايران بحكم الجوار والروابط، فجزيرة العرب : من حجاز هي مهبط الوحي، ومن يمن وتبابعتها، ونجد، والعراق وبغداد، وهارونها ومامونها، والشام ودهاة الامويين

(٢) شرح حال واثار سيد جمال الدين اسد ابادي ـ مرزا لطف الله خان برلين ١٩٢٦ ص١٤ ـ ١٥

(١) تكملة نفس المرجع ص ١٢٧

فيها ، والاندلس وحمراؤها ، وما آل اليه امرهم ، فالشرق فخصصت جهاز دماغي لتشخيص دائه ، وتحري دوائه ، فوجدت اقتل ادوائه داء انقسام اهله وتشتت ارائهم ، واختلافهم على الاتحاد ، واتحادهم على الاختلاف ، فعملت على توحيد كلمتهم ، وتنبيههم للخطر الغربي المحدق بهم ". (١)

يقول السيد الافغاني :

" واي نفع لمن يذكر انني ولدت سنة ١٢٥٤هـ وعمرت اكثر من نصف عصر ، واضطررت لترك بلادي " الافغان " مضطربة تتلاعب بها الاهواء والاغراض واكرهت على مبارحة الهند ، واجبرت على الابتعاد عن مصر او ان شئت قل نفيت منها ، ومن الاستانة ، ومن اكثر عواصم الارض كل هذه الاحوال – خاطرات – لاتسرني ، وليس فيها ادنى فائدة للقوم .

اما القول بانها لاتسرني ، لا بمعنى اني نفيت من البلاد ، او سجنت ، كلا ، لاني اعتقد ان السجن بطلب الحق من الظالمين العتاة " رياضة " والنفي في ذلك السبيل " سياحة " والقتل " شهادة " وهي اسمى المراتب .

فانا من نفسي غير راض ، ذلك لان الخمول قد تعهد بي فلم يوصلني الى اسمى مرتبة وهي مرتبة " الشهادة " وحظي في مصاف المنفيين من ارض الى ارض والمسجونين فيها ، فما أبعدني في كل هذا عن اولى الهمم ، ومن قام بالاعمال الخطيرة أو الطلب

---

(١) العروة الوثقى – والثورة التحريرية الكبرى – للسيد جمال الدين الافغاني والشيخ محمد عبده – الطبع الاولى – ٢٣ – يوليو ١٩٥٧ طبع دار العرب للبستاني – القاهرة . ص ٢ بعد الاهداء . ب : صيحة جمال الدين الافغاني –

الجال ". (١)

توجد بين المخطوطات القليلة التى عثر عليها للسيد جمال الدين فى ملوك طهران (اسناد و مدارك) ،ففى الوريقات الاولى من كتاب (الحاوي للمسائل النفائس) طبع بولاق عام ١٣٥٤هـ تلاحظون نص عبارة السيد بخطه :

" من مسكنة كابل من اهالى الافغان السيد جمال الدين من سادات كنر". (٢)

فالسيد جمال الدين فى سنة ١٣٠٩هـ حين اقامته فى لندن عند ما اجري مدير جريدة (بال مال) السيد ارنوله مصاحبة صحفية معه،اعترف بصراحة تامة بافغانيته وتلاحظون الان جانبا من تلك المصاحبة :

ما هى طبيعة علاقاتكم وارتباطاتكم مع ايران، ولما ذا ؟

" انا افغانى ،والذي يعتبر من اخلص عناصر (الارية)، وبما ان الاسلام كحلقة وصل تربط الدول الاسلامية،لهذا لفت انظار الامراء والمجتهدين وبعض زعماء ايران لنفسي". (٣)

= محمد ابوريه ص ١٦ ٠ مصر

---

(١) مقدمه خاطرات جمال الدين الافغانى ــ محمد باشا المخزومى الطبعة الثانية ١٩٦٥م ــ ١٣٨٥هـ
مطابع دار الفكر ــ دمشق ص ٥

(٢) مجموعة (اسناد و مدارك) الدكتور اصغر مهدوي ــ ايران ــ ١٣٤٢ صورة ٢٣ لوحة ٨ بحوالة الاستاذ غلام حسين الموسوي فى كتابه (الرد على الدكتور الوردي) ١٩٧٢ ــ بغداد ص ١١ والاستاذ سعيد الافغانى فى كتابه (نابغة الشرق ــ السيد جمال الدين الافغانى ــ القاهره ١٩٦٧م ــ ١٣٨٦هـ ص ١٧٠ =

قال برهان الدين البلخي اقرب اصدقاء وتلاميذ السيد جمال الدين في مقالته التي نشرت في جريدة (ملت) بتاريخ تشرين الثاني عام ١٩٢٦م في تركيا :

« بما اني اسمع يوما بان البعض يزعمون الاستاذ ايرانيا، اكتب نفس المحاورة التي اجراها حضرة الاستاذ معي في هذا الخصوص : « انني من سادات كنر المعروفين، وولدت في افغانستان سنه ١٢٥٤هـ » » (١)

قد ذكرنا هذه الاقوال والاراء والتصريحات والاسناد، نقلا من المراجع المختلفة، والمصادر المتعددة، وفيها اقوال للعرب والمستشرقين، والافغانيين، والايرانيين، وتصريحات السيد، واذا القينا نظرة عليها، وقارنا بينها، وجدنا ان الاكثرية متفقة على ان السيد جمال الدين كان افغانيا، ولم يكن ايرانيا ابدا، وهولاء الذين قالوا بافغانية السيد جمال الدين كانوا اقرب الناس الى السيد، وادرى بحاله، ولانجد من المحققين العرب من يقول بايرانية السيد جمال الدين الانادرا، لا يعدو/لا يعتبر، لانه حكمه لا يكون مبنيا على الحقيقة والواقع، وانما يكون مبنيا على الحدث والتخمين، وهذا خارج عن البحث العلمي الدقيق، ولا نجد من المستشرقين احدا يقول بايرانية السيد الا مستر « براون » وهو ايضا ليس صريحا في قوله، وانما يخمن فقط، ويقول ان السيد جمال الدين يجوز ان يكون ايرانيا، الا انه ادعى انه افغاني تقية، وخوفا من تابعية ايران في الانتقام منه، ومستر « براون » كان انجليزيا، وكان السيد جمال الدين من الداعداء الانجليز كما هو معروف لدى الجميع، فكان مستر « براون » من وراء ذلك يقصد الى اتهام السيد بالنفاق والكذب، كما هي عادة الانجليز في شأن زعماء الشرق الاحرار والمسلمين

---

(٣) مجلة خونيهد تيها الايرانية لسنة ٢٥ ـ عدد ٥ بحوالة الاستاذ الموسوي في المرجع السابق • ص ١٢

(١) اثار جمال الدين افغاني ـ قاضي عبد الغفار ـ دهلي ١٩٤٠ ص ١٨ ـ

خاصة، وذلك حطا لشأن السيد جمال الدين .

واكثر الايرانيين ايضا يقولون بافغانية السيد جمال الدين، ويعتبرون الذين يقولون منهم بايرانية السيد جمال الدين على خطاء، ويحسبون كلامهم مبنيا على الحدث والظن فقط، لا نصيب له من الواقع ابدا ، فترى مرزا لطف الله خان الذي يدعى انه ابن اخت السيد جمال الدين لا يأتى بدليل قاطع، وشاهد بين، ولا حجة دامغة، وانما يدعى فقط وينقل اقوالا ليس لها اي مقام فى الواقع التاريخى، والعلمى، ورأينا الاستاذ ناظم الاسلام الكرمانى يقول بايرانية السيد جمال الدين، ويقول فى كلامه ان السيد جمال الدين ذهب الى افغانستان، وتعلم اللغة الانجليزية هناك، وكلام الاستاذ ناظم الاسلام الكرمانى هذا بانه تعلم اللغة الانجليزية فى كابل غير منطقى، وضعيف جقا جدا، لان العهد الذي كان فيه السيد جمال الدين فى كابل، كان عهد المنازعة والعداوة مع الانجليز، وكانت اللغة الانجليزية مبغوضة فى افغانستان الى درجة انه لم يكن احد يستطيع ان يدعو لذلك، والواقع ان اللغة الانجليزية لم تكن منتشرة فى افغانستان اذ ذاك .

وهناك ادلة وشواهد اخرى تثبت افغانية السيد جمال الدين، وتنفى كونه ايرانيا ، وهذه الشواهد ايضا خير دليل واضافة فى توضيح هذا الامر مع انه لا يحتاج الى البيان، لان العيان غير محتاج الى البيان، ولكن اذكر بعضا منها .

المدارك والشواهد الاخرى

عند ما كان السيد جمال الدين يقيم فى موسكو فى (رويال هوتيل)، فقد نشرت جريدة (سنت بترز بودك) الخبر التالى الذي يكون دليلا قويا على افغانية السيد :

« الشيخ جمال الدين في موسكو – اعلنت موسكو كازيت بتاريخ ١٣ جون حزيران ١٨٨٧م حضور الشيخ جمال الدين الافغاني في موسكو. ان هذا الشخص من اهالي كابل، عاش بضع سنين في تركيا، ونفي منها الى القاهرة، وقام في مصر مدة ثماني سنوات، وكان له اثر كبير في تحريك الاعراب، وذهب من بعد الى باريس، وحسب الاطلاع يقيم الآن في موسكو » (١)

عندما كان السيد ينشر جريدة العروة الوثقى في باريس، ويهاجم سياسة الامبريالية الانجليزية، طلبت الحكومة الانجليزية من شرطة فرنسا ان تزودها بمعلومات عن هوية السيد، والان تلاحظون رد شرطة فرنسا لطلب الحكومة الانجليزية عن هوية السيد جمال الدين :

« لقد طلبتم في يوم العشرين من (جون) حزيران الماضي ان تطلعكم من هوية فرد باسم جمال الدين، والذي يعمل كاتبا وناشرا لرسائل تتضمن تهديدات وخطابات لبعض الشخصيات المصرية والآن نقدم نتائج تحقيقاتنا مع الاحترام :

السيد جمال الدين كاتب و اديب، افغاني الاصل، في الخامسة والاربعين من العمر وعزب يقيم في شارع ١٦ منذ السابع عشر من شهر فبراوري شباط – الماضي – ويدفع ٥٠ فرانك شهريا للاجرة » (٢)

كتب اسماعيل جودت من اسطنبول في رسالة مخاطبا السيد في تاريخ ٢٤ مارس

---

(١) مجلة خواندينها الايرانية لسنة ٢٤ عدد ٨٩ بحوالة الاستاذ الموثوي في كتابه (الرد على الدكتور الوردي) ص ١٤

(٢) بيشدور نحضتها جمال الدين افغاني نجف ١٣٨٩ ص ١٤٠ بالحوالة السابقة ص – ١٤ –

١٨٨٥م :

« وايضا كتبتم، جاء دور التوصل الى رابطة مع حكومة الافغان، ولقد قلنا لكم بانكم تقدرون الوصول الى هذا الهدف، لا غيركم، بسبب الروابط الكثيرة التي تربطكم بها، فمنها نسبكم الشريف وجنسيتكم، وقدرة نفوذ اقاربكم، وشهرة اعمالكم في العالم الاسلامي » . (١)

وكتب شخص اخر باسم السيد حسن في رسالته بتاريخ لاشباط ١٢٨٦هـ :

« ان السيد جمال الدين من اهالي افغانستان الذي كان عضوا سابقا في مجلس المعارف، بما انه عزل عن منصبه بامر الشاهانية يريد الذهاب الى الحج » .(٢)

تاليفه كتاب « تتمة البيان في تاريخ الافغان » دليل قوي في كون السيد افغانيا لا ايرانيا، لان السيد لم يكن مؤرخا، ومع ذلك فقد اتى بامور دقيقة جدا لا يمكن حتى لمؤرخ تمكنا كان الا اذا كان من نفس المنبع. كما جاء ذكر ثلاثة من اجداد السيد جمال الدين في سلسلة نسبه، ثلاثتهم مدفونون في اراضي البختونيين (الافغان) في اقليم الحدود الشمالي الغربي من باكستان، وسيأتي ذكر ما في الكتاب المذكور، وذكر هؤلاء الثلاثة بقليل من التفصيل ليتضح هذا الامر وضوحا تاما .

كتاب تتمة البيان في تاريخ الافغان

قد الف السيد جمال الدين هذا الكتاب في اللغة العربية في عدة فصول، وعندي ترجمته الاردية، ولذا اعيد ترجم الكلام الى العربية : يبحث في الفصل الاول عن لفظ « الافغان »

(١) مجموعة اسناد ومدارك ــ ايران ص ٥٧ بحوالة الاستاذ الموسوي في كتابه (الرد على الدكتور الوردي) ص ١٤

(٢) نفس المرجع ص ٧١ بالحواله السابقه ص ١٦

ويأتي بالتفصيل الدقيق . وفي الفصل الثاني يذكر نسب الافغانيين وتقسيمهم الى قبائل ويقول هكذا :

تقسيم القبائل :

قوم افغان مركب من عدة قبائل مثلا : غلجي . عبدل . كاكر . وزيدي . يوسف زي . مهمند . افريدي . بنكش .

و بعض القبائل مشهورة بموطنها مثلا : خوش كرمي — باجوري . و تحتوي كل قبيلة على فروع لا : مثلا : فروع قبيلة . غلجي هي : توخي . ختك . سليمان خيل و باخيل .

و فروع قبيلة عبدل هي : باكزي . على كوزي . على زي و باميزي .

وهكذا لكل فرع بطون وافخاذ . واختصارا لا نذكر اسماء البطون والافخاذ مفصلا ولا خصائص وميزات كل فرع . لان جميع فروع قوم الافغان تجتمع في اصل واحد وهو بشتان يا بشتو (بختان بختو) .(١)

السيد جمال الدين اراء المؤرخين في اصل الافغانيين فيقول :

يقول البعض انهم من قوم خزرج وكانوا يقطنون على شاطئ بحر كسبين و باب الابواب و شروانات .

ويقول البعض انهم من نسل امير تيمور جورجان وهذا خطاء فاحش لان الافغانين قطنوا في بلادهم قبل الامير تيمور بمئات السنين .

---

(١) تتمة البيان في تاريخ الافغان — السيد جمال الدين الافغاني (ترجمة اردو) ابوالمحاسن مولوي محمودعلى خان ص١ لاهور ص ٢٠ . ٢١ —

والبعض يقول : انهم من اولاد ضحاك الذي جاء ذكره في اساطير ايران القديمة

والبعض يقول : انهم من نسل الكلدانيين وادعى سياح اوابي ان بعض الكلمات الكلدانية توجد في اللغة الافغانية .

والبعض يقول : انهم من نسل اقباط مصر والبعض يقول : انهم من اسباط بني اسرائيل ... وعند الافغانيين شجرة نسب تؤيد ان الافغانيين من اسباط بني اسرائيل ولكن من التعجب انه لا توجد بين اللغة الافغانية (بشتو) وبين اللغة العبرية ادنى مشابهة ... ووجود موضع باسم خيبر في بلاد الافغان يؤيد رأي بعض الناس بانهم في الاصل من بني اسرائيل . والبعض يقول ان الاصل الافغان فرع من الارمينين والبعض يقول : انهم كانوا من قديم الزمان يقطنون في هذه المنطقة الجبلية ويمتازون من بقية الاقوام وكانوا قد حاربوا ضد الاسكندر وكانوا موجودين في زمن جستاشب ملك فارس .

وعندنا من الصحيح ان الافغانيين من الاصل الايراني ولغتهم قريبة من من لغة زند ولغة استا التي هي لغة فارسية قديمة ويؤيد هذا الرأي المؤرخون الاقدمون من امثال فرنسيس لنورمان وغيره . (١)

في الفصل الثالث يذكر السيد جمال الدين بداية الحكومة الافغانية والحروب المتعددة الداخلية والخارجية وفصل ذلك تفصيلا دقيقا وخاصة ذكر الحروب التي دارت بين الانجليز والافغانيين . (٢)

ذكر السيد في الفصل الرابع اخلاق الافغانيين وعاداتهم ومذاهبهم ونظام

---

(١) المصدر السابق ص ٢١ــ ٢٥ .

(٢) المصدر السابق ص ٢٥ ــ ١٠٨

حكومتهم فقال :

الخصائص الافغانية

العنصر الغالب فى بلاد افغانستان من قوم الافغان ومستقرهم فى الجانب الجنوبى والشرقى من البلاد والحسد والعداوة ورغبة الانتقام والنزاع والتشاجر لادنى سبب من صفاتهم الخاصة ومن مشكلهم الظاهري تبدواخلاقهم حيث تجدهم فى الاكثرعابسين وقلما تكون بشاشة الوجه فيهم الان فى بعض معاملاتهم توجد المثابرة والجدية وخشونة لغتهم وثقل اصواتهم تدل على هذه الخصائص وعندهم ميل شديد الى قطع الطريق وهذا واثارة الفتن والنهب ٠

النظام الحربى

بما ان الشجاعة والاقدام والمحاربة توجد فطريا فى طبائع الافغانيين ٠ لذا وهبهم الطبيعة من مئات السنين نظاما عسكريا خاصا حيث هو قريب جدا الى الاصول الحربية فى العصر الحاضر ٠٠٠ ومنه تنظيم الصفوف تعيين الامراء الغتاب على الرب من القتال البحث عن المقتولين فى القتال ودفنهم خوفا من اهانة الاعداء بجثث القتلى وعندهم محارة تامة فى الطعان بالرماح والضرب بالسيوف والفروسية ٠٠٠

ان الافغانيين من اهالى قندهار غزنى وجلال اباد وان اقاموا فى المدن الان فى طبائعهم توجد نفس الخشونة فى بقية الافغانيين ولم تنشاء فيهم لوازم حياة المدن من التنعم والتعيش ويقضون حياتهم بطريقة سازجة جدا ويقتنعون با٘دنى شيئ الى انهم يطبخون الحزون دون ان يزال شعره ٠٠٠

ان الافغانيين لا يا٘كلون بالملاعق ولا يضعون اوانيهم على المائدة وانما يجلسون على الارض ويا٘كلون بايديهم ٠

لا يراعون نظافة ابدانهم ولا نظافة بيوتهم ولا مدتهم ولذا تري من القاذورات والزبالة منتشرة فى اكثر المدن / وفى الاكثر توجد حيوانات ميتة فى معسكراتهم ولا يبعدونها وكثير من اهالى الجبال والقري لا يغسلون ايديهم بعد اكل الطعام وانما يجففونها بلحاهم او بالمناديل وبعض من اهال الجبال اذا لبسوا ملابس جديدة نزيتو بعض الحصة وخاصة حصة الاكتاف بالدهن كي يعرف انه رجل غنى ولا يبالى بتوسخ ملابسه ويأكلون اكلا دسما الى اقص الحد ...

الزي :

ان من يسكنون فى الحتيم والغابات يلبسون ملابس سميكة خشنة وملابسهم من قسم اللبد وفى شكل غريب لها اكمام طويلة مثل خرطوم الفيل وتصل الى الارض ويقال لها كوسى ولباس اخر يصل الى الفخذ ويقال له صدري وقليلا ما يغيرون ويستبدلون ملابسهم قبل ان تبلى .

اهالى المدن يلبسون ملابس بانات سميكة يقال لها بر .. ويفصلون منها جبات ذات اكمام ضيقة قصيرة كما يلبسون العبايات من الاقمشة المنقوشة المصبوغة وفى موسم الشتاء يستعملون جلود صغار الخرفان يجعلونها لينة مثل الحرير ثم يصبغونها بلون اصفر جميل ويزينونها بالحرير واصحاب العمل يلبسون جاكتة قصيرة مصنوعة من هذه الجلود وطولها الى الركبتين – ويقال لهذا اللباس بوستينجه الاثرياء والمتوسطة يصنعون من هذه الجلود جبة طويلة مع طول الاكمام ويقال لهذه الجبة بوستهن وبعض الامراء يلبسون تشوغات (چغى) مصنوعة من شيلان كشمير والبعض الاخر يستعملون بوستينات من جلود سمور و سنجاب .

اكثر الافغانيين يستعملون عمامات من لون ازرق على روؤسهم .... اكثر القبائل لا يحلقون شعر روؤسهم والنساء يلبسن ملابس طويلة ١٠ . . والنساء من القبائل الجبلية فى الاكثر يقطعن شعور اذناب الخيل ويربطنها الى شعورهن ...

طرق المعيشة :

اهالى الجبال والغابات يعيشون على تربية الحيوانات والبعض يشتغلون بالزراعة ولا يشتغل بالتجارة الاقبيلة لوهائى لأن اكثرهم يشتغلون بالتجارة بواسطه الابل حدود الى حدود الصين و سائبريا وفى المغرب الى اناطوليه .

اهل المدن يشتغلون بالزراعة وغرس البساتين ويقل عدد الحدادين والنجارين والحائكين فيهم وعلى عكس المحافظات الاخري يشتغل اهالى قندهار بالتجارة اكثر و اكثر طلبة قندهار ايضا يشتغلون بالتجارة .

الحجاب :

ان النساء الافغانيات اللاتى فى المدن يدللن عليهن الحجاب ونساء القري والارياف لا يراعين الحجاب وفى مواسم الافراح تتراقص النساء فى شكل الحلقة ماسكات بايديهن وفى ايام العيدين او مناسبات اخري الرجال فقط يرقصون بهذا الشكل ويقال لهذا الرقص فى لغتهم اتن .

الزواج :

من عادات افغانين القري والارياف ان فى مناسبة الزفاف يدعو والد العروسة احباءه و اقاربه وجيرانه قبل يوم الزفاف بيوم واحد يبرز لهم الملابس التى قد اعدها للعروسة

والعريس وتلبس هذه الملابس امام الناس الى العريس بعد ان يدعى الى هذا المجلس . ويقراؤن سورة الفاتحة قبل ذلك .

وهكذا تلبس الملابس الى العروسة وبعد ذلك تؤخذ الى بيت العريس وتضرب الطبول ... وتنثر عليها الحلويات وعدة ايام تجلس العروسة فى بيت العريس منزوية ولا تخرج . وعند ما تمر الايام المحددة فتأتى فتيات الحارة ضاربات بالدف وعلى رءوسهن جرايات وقلل ومثلها على رأس العروسة ايضا وكلهن مغنيات يصلن الى شاطئ النهر او العين يملان تلك الاواني ويرجعن وبعد ذلك ينتهى انزواؤها . وعلى عكس بقية القبائل يلزم على والد العروسة ووالد العريس من قبيلة منجل ودارر فى مناسبة الزفاف الرقص عليها ايضاً .

لعبة العيدين :

من اغرب العادات فى هاتين القبيلتين ان فى مناسبة العيد او مناسبات اخري يحلق شبانهـا الحاجب من جانب واحد وشنبا من جانب مضاد للحاجب ويكحلون عينا واحدة بكحل اسود وعينا اخري بكحل احمر ومن له لحية فيحلق جانبا واحدا منها . ويلعبون فى هذه الايام بالسيوف حتى يحسب المتفرج والناظر ان الواحد يهاجم الاخر بالسيف .

المأتم

من عادة قبيلة ختك ان نساء هذه القبيلة يصبغن وجوههن ثم يعفرنها ويلقين عليها التراب ويأتين بالبكاء والنوحة وينهشن وجوههن بالاظفار .

والعادة العامة فى جميع الافغانيين انهم يقدمون الاكل الى المعزين لمدة ثلاثة

ايام ولكن فى بعض القبائل يتحمل صاحب الماتم مصاريف الطعام بنفسه وفى البعض الاخري يتحمل الجيران واصحاب القري القريبة هذه المصاريف ولا يقوم صاحب المأتم بشيئ .

الرقص :

بعض من اهل القري يعلمون اولا هم الرقص ويلبسونهم لباسا يشبه لباس الانجليزيات ... ويذين فى مناسبة الافراح بازهار جميلة مختلفة الالوان ...

المذهب :

جميع الافغانيين سنيون وعلى مذهب الامام ابى حنيفة ولا يتكاسل الرجال والنساء والمدينون والقرويون فى شأن الصلوة والصوم الا ان قبيلة توري على عكس ذلك وتبالغ فى التشيع وتحدث لها حروب شديدة ضد جيرانهم السنيين ولا يبالون بالصلوة والصوم الا انه فى عشرة ايام اولى من المحرم يقومون بمأتم السيد حسين رضى الله عنه ويهتمون به اهتماما بالغا . ويضربون بطونهم العارية واكتافهم بالسلاسل وفى بعض قبائل كاكر توجد الى الان بعض الاثار من الطريقة المزدكية مع انهم مسلمون ... وفى مسكان خوست وكرم توجد بعض عادات من الخوارج والنواصب يصنعون هيكلا لغرة المحرم ويدفنونه ثم يخرجونه يوم العاشوراء . ويقطعون مسرورين عنقه وهوءلاء يكرهون الختنة ايضا .

مع ان العصبية الدينية والقومية توجد بشدة فى الافغانيين الا انهم لايتعرضون لحقوق الاخرين بالسوء واذا قام شيعى او يهودي اوغير مسلم بشعائره الدينية فلا يتنفرعنه واذا حصل اي شخص على منصب كبير فى الحكومة بناء على استعداده فلا يمنعونه عن ذلك وفى بلاد الافغان تري من احسن الشيعة (قزلباش) اصحاب المناصب .

وكل افغان حتى ولوكان مفلسا يحسب نفسه اشرف من الكل لانه افغاني والايمان الكامل والاسلام الخالص لا يوجدان الا في الافغانيين والحرب .

واذا ارادت اية قبيلة البحث في اي امر فيجتمع روءساء هذه القبيلة وهذه الجمعية تسمى جركة .

الانتقام :

اذا قتل رجل من قبيلة واحدة شخصا من قبيلة اخري فتري قبيلة المقتول واجبا عليها ان تقتل شخصا من قبيلة القاتل ولا تقتنع باقتصاص الحاكم منه ولا يتركون رغبة الانتقام حتى ولو مرت سنوات كثيرة الا اذا لجاء القاتل بنفسه الى هذه القبيلة فتعفو عنه واذا ضرب شخص من قبيلة شخصا من قبيلة اخري فتكون نفس الكيفية في الانتقام .

بعض العادات :

ان الافغانيين يقومون بدور فعال في مساعدة اللاجئين ويضحون باموالهم وانفسهم لمساعدتهم والافغانيون سواء اكانوا من المدن او القري . يتسلحون بسيوف صغيرة و يسمونها باسماء كوسيلا و نوره وتوجد لديهم اسلحة نارية من البنادق والمسدسات واهالي الجبال يحتفظون في الاكثر بالبنادق توريدار[1] وفي القبائل والعائلات الافغانية لا تنقطع المخاصمات والمنازعات ابدا واحيانا يقتل الاب الابناء والاخ يقتل الاخ والقبائل الجبلية في الاكثر تطيع روءساءها خوفا من قوتهم ودائما يبحثون عن فرصة لاسقاط عباء الضرائب الحكومية عن اكتافهم .

---

(١) توريدار نوع خاص من البندقية تملاء من البارود ويضاف اليه بعض الحصوات الصغيرة .

بعض القبائل تقضى اوقاتها بالذرة والشعير والبعض الاخري تاكل القمح ايضا وطبيخهم فى الاكثر يكون جبنة ولحما وفى موسم الشتاء يطبخون طبيخا مركبا من هذين الاثنين ويطبخون ارغفتهم فى الاكثر فى التنور .

البصل هدية نادرة :

عند بعض القبائل مثل يوسف زي و اجيك زي يعتبر البصل من اهم التحف . واذا راوا شخصا اجنبيا فيقولون له بكل عجز ان عندنا مريضا نرجو منك اعطعنا اعطاءنا بصلة واحدة لعله يشفى بذلك .

ان قبيلة اجيك زي فى الاكثر تجلس فى الطريق لسلب اية قافلة . ويسدون الطريق ويقاومونهم بالاسلحة النارية والالات الحادة واذا لم يتمكنوا من الغلبة عليهم فيتصالحون على كيلو او كيلوين من البصل ...

الاعتقاد فى الاولياء :

ان جميع الافغانيين يعتقدون فى قبور الاولياء ويزورونها ويضحون الحيوانات هناك بعضهم يغالون جدا فى هذا الاعتقاد الى ان شخصا من قبيلة افريدي الشهيرة فى السلب والغارة وجد شخصا واراد سلبه فتضرع اليه بالله ورسوله ولكنه لم يتركه ثم قدم اليه واسطة قبر شيخ من الشيوخ يقال له :

ملا يار محمد وبهذه الواسطة اضطرب هذا لشخص وخاف وقال جل الله جلاله قد اوقعتني فى الكفر وتركه .

عدة عادات :

اكثر القبائل واهالي الارياف يجتمعون فى ايام البطالة ويمسكون ايديهم فى صور

حلقو الحلقة ويرقصون ويلعبون بالخيل والسيوف .

والذين يقطنون في مناطق الجبال الباردة يميلون في اللون الى البياض والذين يقطنون في محافظات حارة مثل قندهار و جلال اباد فيميلون الى السمرة .

ومن الرسوم الدينية الجارية السارية في افغان انه اذا مات شخص فيأخذون من ماله بعض المبلغ ويعطونه للفقراء ويقولون له اسقاط الصلوة .

تحصيل للعلم :

ان اهالي افغانستان سواء اكانو من المدنيين او القرويين يرغبون في تحصيل العلم رغبة شديدة ويدرسون الصرف والنحو والمعاني والبديع والفقه والاصول والتفسير والحديث والمنطق والفلسفة والهيئة والهندسة والحساب والبعض يدرسون الطب الفيا وبعض اهالي القري يدرسون الفقه دون ان يدرسوا الصرف والنحو وعامة الناس يتكفلونهم في طعامهم مدة دراستهم بكل سرور ؛ وكل شخص يعين مقدارا معينا من طعامهم للطلبة وطالب صغير يجمع الارغفة من البيوت ...

المشائخ :

بعض العلماء يجلسون على مسند الطريقة والارشاد ويبنون بيوت الضيافة للزوار ويقدمون لهم الطعام في اوقاته ويكون جاههم ونفاذ اثرهم واتساع مصارفهم على اساس الدخل الذي يأتي اليهم من معتقديهم في صورة الهدايا والنذر وبعضهم بحسن سلوكهم وصلاحهم الظاهري يستولون على قلوب العامة ويكون لهم السلطة التامة والاثر البالغ ويأتي بالالاف من الناس لزيارتهم من الاماكن البعيدة . ويأكلون من مائدة المشائخ مدة اقامتهم عندهم

وفى بيوت الضيافة لهؤلاء المشائخ يستمر نظام الاكل فى جميع الاوقات وهكذا تجهزاتاثات الغطاء بكمية كبيرة فى بيوت الضيافة ...

برات اخوندون :

من المشائخ المذكورين الشيخ عبدالغفور وكان مشهورا باسم اخوند صوات وكانت له السلطة على صوات و بنير وجميع افغانستان كانت تعتقد فيه وانما كانت اهال بخارا ايضا يعتقدون فيه كان عابدا و زاهدا ويعيش عيشة لا كلفة فيها وكان عنده عدد كبير من المريدين فى جميع الاوقات . ومرارا ها جم على الانجليز وغلب عليهم كان مرسومه ينشر فى البلاد ويعد الناس للجهاد ويجتمع عنده الان من الناس و اتباع السيد جحمد الوهابى الهنديين كانوا يساعدون السيد اخوند فى الجهاد وهؤلاء خوفا من اهل السنة هاجر الهند واستوطنوا فى صوات و بنير .

عند ما كان يأتى الزوار الى اخوند صوات المذكور فكان حضرة اخوند يقدرهم كله حسب حالته فى بلاده فكان يقدم الى الامراء طعاما يليقهم والى الفقراء ايضا يقدم البصل والجز الجاف وعند ما كان يسمع بأن اشتهر شيخ اخر فى البلاد وجلس فى مجلس الارشاد فكان يتهمه فورا بالوهابية ليستنفر الناس عن ذلك الشيخ ويسقط قدره وشأنه فى الطبقة العامة من الناس وقتل هو بعض المشائخ بتهمة الوهابية وشهرا لبعض فى صورة قبيحة والهيئة الشنيعة جدا ...

تحريم التمباك :

يحسب جميع علماء افغانستان مثل علماء بخارا تدخين التمباك حراما ولكنهم لا

يتعرضون لعامة الناس بشيئ ولكن حضرة اخوند كان يرسل من قبله اناسا الى افغانستان لمنع الناس من تدخين التمباك وهؤلاء كانوا يكسرون النارجيلات وتشيلم (چيلم) اينما وجدا ...

جميع الافغانيين يمشون وعلى اكتافهم رداء خشن او رقيق للصلوة وهذه عادة عامة الافغانيين . ويظهرون التعصب الديني في شأن الاحكام الشرعية والاعتقادات الدينية الا ان مشائخ الطرق يتساهلون احيانا في الاحكام المذهبية ايضا .

طلبة الافغان :

بما ان عامة الناس يحترمون الطلبة لذا كان الطلبة تنكرهار اذا احسوا بنوع التحقير والاهانة في شأنهم . فكانوا يتسلحون بالقرابين ويغيرون على اهل القري وعلفو وما كانوا يمتنعون عن التعدي حتى يؤدي الناس كارة غلطتهم وطلبة هذه المنطقة ما كانوا يهتمون بالصلوة والصوم اهتماما بالغا وكانوا يعقدون جلسات عديدة في سنة ويدعى اليها طلبة وغير طلبة وكان عدد هم يتجاوز الالف واهل القرية كانوا يجبرون على اعداد طعام فاخر وكان يعين واحد من الطلبة ويمنح لقب باشا السلطان وطوال الجلسة كان يقوم بالحكومة . من شاء حكم عليه بالقتل ومن شاء حكم عليه بالغرامة وعند ما كانوا يريدون انهاء الجلسة فكان يأتي الوزير ويحرر امام السلطان المزور بأن الجيش خرج على السلطان . لان رواتبهم متوقفة وعند سماع هذا الكلام يفتح فاه ... واخيرا تنتهى هذه اللعبة .

اللسان :

أن اللغة الافغانية خشنة جدا وحروفه الهجائية اكثر من اللغة الفارسية ولغة (لهجة) اهالي قندهار احسن من البقية وفي هذه اللغة توجد مؤلفات في الشعر

والنثر ايضا .

تاجك :

من الاقوام الذين يقطنون فى افغانستان قوم تا جك وهم يقطنون فى كابل و هرات والقري الواقعة بين كابل بلخ كما يقطنون فى مدينة غزنى والقري القريبة منها ولغمان وبعض قري قندهار ويوجدون فى التركستان الافغانية ايضا بكثرة وهم يرغبون فى التجارة والحدادة والتعمير وصناعة الاقمشة وعندهم خبرة فى الزراعة وغرس الاشجار و يرغبون فى التجارة ايضا وفى المنطقة الجبلية بكابل (كوهستان) يوجد تاجك وايضا وهم متعودون مع الحروب والفتنة والفساد وابراقة الدماء . وتتوالى بينهم الحروب بالاستمرار ولا تخلو قرية منها حتى يكون بيت واحد مخاصا مع البيت الاخر ولا يعطون ابراجا لحماتهم الا انهم احسن حالا من قوم افغان وعندهم دراية فى شئون البيت واللباس والنظافة من احب الاشياء عندهم حتى انهم يفوقونهم فى الفهم والدراية والذهانة الا ان العلماء يقلون فيهم وليست عندهم رغبة شديدة فى تحصيل العلوم كما توجد عند الافغان وعندهم خبرة تامة فى اطلاق النار حتى ان رصاصة واحدة لا تطيع دون اصابة الهدف ويعلقون خناجر طويلة من نوع خاص فى اعناقهم واكثرهم سينوف على مذهب الامام ابى حنيفة . . تقل فيهم العصبية ولا يوجد فيهم رئيس ولون اكثرهم ابيض ويلبسون عمامة افغانية على شكل خاص .

هزاره :

من مختلف اقوام افغانستان قوم هزاره وهم يقطنون فى الجبال المترامية من شمال الغزنى . . الى شمال هرات وهم من نسل مغولى كما يبدو ذلك من وجوهم عيونهم ضيقة .

وتوجد شعيرات عديدة في كهف محاهم وبعض المؤرخين يدعون انهم بقايا من جيش جنكيزخان وادعى البعض انهم كانوا يتكلمون اللغة المغولية قبل ثلاثمائة سنة الا ان من له معرفة عن لغة هزاره يعرف انها قريبة جدا الى اللغة الفارسية وليس فيها ادنى اختلاط للغة المغولية مع انهم يعيشون قريبا جدا من قبيلة تركمان و قبيلة ازبك ونحن على يقين تام بان هذه القبيلة كانت تقيم في بلادها قبل جنكيزخان بزمان والى الان ترى فيها الخشونة والوحشية والبربرية الى اقصى حد .

هذه القبيلة تصنع بانات من نوع خاص ... ويقولون لها برك وجميع قبائل هزاره ماعدا قبيلة جمشيدي يلبسون ثياب طويلة مشققة ... ويلبسون في موسم الشتاء الطاقيات من الاقمشة والنساء يلبسن العمامات في كل موسم ... وقبيلة جمشيدي يشبهون في ملابسهم بجيرانهم من تركمان و اوبمق وهي عبارة عن جبة طويلة وطاقية من بوستين ويقال لهذه القلنسوة باباق ان جميع افراد قبيلة هزاره ماعدا : الشيخ على والجمشيدي من الشيعة ويتمسكون على شيعتهم .. تقل فيهم النقود ولذا يتعاملون فيما بينهم بالاجناس . والحكومة تاخذ منهم بدل النقود خرفانا من نوع خاص واذا لم يتمكن اي شخص من تادية واجبات الحكومة الى ان تجتمع عليه واجبات كثيرة للحكومة وهو عاجز عن ادائها فيقدم بذلك بنتا من بناته فيحتفظ العامل او الحاكم عليها بصفة الجارية ..

اكثرهم لا يستعملون الملح في طعامهم لان الملح شيئ نادر في بلادهم وعندهم احترام بالغ للسادات اعني اولاد حضرة على بن ابى طالب رضي الله عنه وطريقة تعرف السادات عندهم ان السادات ياتون بكمال العظمة والاباء واذا اتى سيد من السادات الى مجلس من المجالس فلا يسلم على احد ويخاطب عامة الناس بالشتائم واهالي هزاره يفسرون حركة

السادات هذه بان السادات ملوك ولذا ينبغى لهم ان يواجهوا الناس هكذا .

من العادات العجيبة فى قبيلة هزاره انه اذا حدث التشاجر بين امرأتين فتنيب كل واحدة منها امرأة اخري مقامها تكون مشهورة ومعروفة بالفتنة والشتائم ثم تقوم هاتا النائبتان كل واحدة فى وجه الاخري وواحدة منهن فى الاول تحرك رجليها ويديها و حاجبيها بحركات خاصة وتبدأ فى الشتائم وهكذا تتشاتمان وتسبان كل الاخري حتى ان احداهما اذا اتت بالشتائم الغليظة جدا ولم تمكن الاخري من ردها فتنتهى القضية وتنهزم المرأة التى تصبح نائبتها عاجزة عن الرد واحيانا يؤجل امر الشتائم الى اليوم الثانى اذا لم تتمكن احداهما من الغلبة على الاخري طوال اليوم الاول . .

ازبك وتركمان :

ان قبائل ازبك و تركمان ايضا يقطنون فى افغانستان وهؤلاء من نسل التاتار والى الان يتكلمون باللغة التركية الازبك يعيشون فى اطراف بلخ و تركمان فى فيما بين مدينة ميمنة و اندخوى وكلهم من السنيين وعلى مذهب الامام ابى حنيفة اكثرهم يشتغلون بالزراعة ويغرسون اشجارا لعنب ويربون المواشى وهم يستعملون عمامات صغيرة تتهدل زنابتها على الاذن يلبسون جبات حريرية مبطنة بقماش سميك وبعضهم من القطن . . . وعندهم خبرة تامة فى الفروسية واذا ذهب ازبكى للقاء الاخر فيرفع صاحب البيت اولايديه للفاتحة وبعد ذلك يقدم قطعة من الخبز والزائد يقبل تلك القطعة بكل الاحترام والتقدير ويقبلها ثم يضعها فى جيبه . وهم يشتاقون الى الشاي كثيرا ولا يتنفرون من اكل لحم الخيل ويوجد فيهم علماء ايضا .

و تركمان يلبسون جبات من البانات ويغطون رؤوسهم بقلنسوة باباق من بوستين

وهم يربون الخيل بالجهد الشاق وهذه الخيل من النسل العربي الذي حصل عليه نادرشاه من النجد واكثرهم يقضون اوقاتهم بالسلب والنهب يستولون على رجال ونساء من بلاد ايران واطراف الهرات ويجعلونهم عبيدا ويبيعونهم وحجتهم في ذلك ان بيع الشيعة جائز لان الشيعة خارجون عن الاسلام ( ) وكثيرا ما يسجنون السينين ايضا ويضربونهم ويكوونهم ليعترفوا امام الناس بتشيعهم ولا يتراجع اهالي بخارا المتقون من شرائهم .

وصدقت ذات مرة اعتقلوا عالما سنيا كان من اهالي اطراف الهرات وخوفا من الهروب قيدوه بالسلاسل وعند ما كان يحين وقت الصلاة فكانوا يطلقون سراحه للامامة و بعد الصلاة كانوا يقيدونه مرة اخرى وعندما راى العالم هذه الصورة فقال لهم العالم انكم تعلمون انني سني فكيف تحسبون قيدي وبيعي جائزا فقالوا في الرد على ذلك : انك لست بافضل من القران الكريم فكما يجوز هدية القران الكريم فكذلك يجوز لنا ! هداوك ولن نبيعك وبالاختصار ان قبيلة ازبك و تركمان من القبائل الظالمة والشريرة بالاخص توجد هذه الخصائل بالشدة في تركمان عدد هؤلاء قليل في افغانستان .

السادات (الاشراف) :

ومن العناصر المختلفة في افغانستان طائفة السادات (اولاد علي بن ابي طالب) ايضا ويقال لهم في هذه البلاد سيد بعض افراد هذه الطائفة يعيشون في قشنج (تشنك) قريبا من قندهار والبعض في كنر قريبا من جلال اباد ولم يخلو الى الان سادات كنر من الاكابر وجميع الافغانيين يعتقدون فيهم اعتقادا بالغا واخلاقهم وعاداتهم و ملا يسمى شبيهة بالافغان .

قزلباش :

من اهالي افغانستان قزلباش ايضا ... واكثرهم في كابل ويوجدون في الغزني و قندهار ايضا وهم من الاصل الايراني ... عندهم مهارة في الاداب والصنائع والامور الادارية ولذا يوجدون بكثرة في المكاتب الحكومية وعامتهم على المذهب الشيعي ...

بلوخي (بلوچي) :

في جنوب قندهار قريبا من بشين يقطن البلوتش(بلوچ) وهم من النسل الايراني ومن عادتهم انهم يطولون شعورهم يدهنونها بالذيت ويلبسون في ارجلهم تشبل (١) (چپل) ...

و اسلامهم فقط انهم يعرفون اسم الله تعالى و اسم رسوله محمد صلى الله عليه وسلم واذا سألت بعض البلوخ هل تصوم انت قال : انه لم يسرق غنم النبي صلى الله عليه وسلم و انما سرقها رئيسنا (خان) ولذا منعه النبي صلى الله عليه وسلم لمدة ثلاثين يوما من الاكل عقابا له واذا سألته عن الصلاة قال ان خاننا رئيسنا هوالذي يصلي واذا قابل واحد من هذه البلوتش الاخر سواء يعرفه ام لا يعرفه يسأله اولا عن خان (الرئيس) ويقدم له تحيات كثيرة واحيانا يأخذ هذا وقتا طويلا ثم يقول له : انك اذا طلبت اي شيء حسب استطاعتي اعطيت لك والخشونة والوحشية والبربرية تجاوزت الحد عندهم حتى ان قبيلة واحدة منهم يقال لها مري تسلب القافلة ولا يتركون اصحاب القافلة بدون القتل لانهم يحسبون ان صاحب المال اذا كان حيا فلا يجوز استعمال ماله .

---

(١) نوع خاص من الاحذية مثل صندل .

يوجد في افغانستان الهندكيون ايضا ومذهبهم عبادة الاصنام ويقال لمعبدهم درم سال ... يحرقون موتاهم ويحتفظون برمادهم ويرسلونها للالقاء في نهر جنجا (كنكا) اكثرهم على مذهب جوروناتك (كوروناتك) ومنتهم التجارة والطرفة ويتبعدون عن اقتراب غير الهندوكش ..

نظام الحكومة :

ان حكومة افغانستان شخصية واستبدادية الا ان فيها المشابهة الى حدما بالحكومة الدستورة لان اكثر الامور والمشاكل يبت فيها حسب مشورة رؤساء القبائل واعضاء الحكومة الافغانية كما يلي :

١) الامير . ملك المملكة كلها .

٢) الوزير ـ بمنزلة رئيس الوزراء .

٣) مستوفى الممالك . وهو يقوم بوظيفة وزير المالية والداخلية .

٤) الخازن (خازندار) وعليه حفاظ الاموال الحكومية .

٥) ايشك اغاس باشي . وتقدم طلبات الاستغاثة اليه وبحكم الامير يقضي بين المتخاصمين .

٦) الوالي (حكام الولايات) وفي الاكثر يكون من الاسرة الملكية ويقال له سردار (معناه السيد والرئيس) .

٧) فوجي افسر (الرئيس العسكري) وبعض منهم يكون سردارا ايضا .

٨) كوتوال . وهو يقوم بمهام الشرطي (البوليس)

٩) المأمورون .

١٠) المحصلون ٠

مجلس الامير :

ان امير افغانستان ليس له شأن خاص وعظمة مثل بقية سلاطين الشرق وانما يجلس في ديوان حكومته ٠ يقال له دربار مع اعضاء حكومته على سجادة ايرانية ٠ ويوجد عنده متكأ واحد يعرف به مكانه ولا يمنع الحاجب احدا من الدخول حتى ان ادنى الوصول اليه ويمكن لاي شخص من الرعية ان يبين امره شفويا للامير ويتكلم بكل حرية امامه وهذا هو حال حكام الولايات ٠

يقف امام الامير كثير من الخدام ومعهم الخناجر وذلك تنفيذا لاوامر الامير فورا ٠ في ديوان الحكومة يكون مع الامير خان ملا ايضا وذلك للقضاء في الامور الشرعية وفي الواقع هو قاضي القضاة ٠ وهكذا في كل اقليم يجلس مع كل واحد قاض ايضا ٠

اللاقانونية :

ليس اي قانون سياسي لحكومة افغانستان وانما جميع الامور : الحل والعقد القضاء في الامور تعيين العقوبات تقديرا لغرامات مدة السجن الصل والجارع من البلاد كلها تتوقف على رأي الامير وهكذا حكام الاقاليم يقضون حسب ارائهم ٠٠٠

الخزانة :

الامير يتصرف في الخزانة الحكومية كما يشاء كما انه يتصرف في ملكه الخاص وليس مع لاحد الحق في منعه عن ذلك ٠٠٠

حفاظ الطرق :

للامير ليس في افغانستان اي احتمام بحفاظ الطرق واذا ارات القافلة ان تسير

من بلد الى بلد فعليها محافظتها بنفسها ٠

الخدمة العسكرية :

ان الحكومة الافغانية شبيهة بالحكومة العسكرية لان جميع ارباب المناصب سواء كانت ملكية اوعلمية و جميع الموظفين من الوزير الى المحرر ومن قاضى القضاة الى الغائب قد كتبت اسماؤهم نى السجل الحكومى ورواتبهم على حسب عدد الفرسان الذين يلزم على كل واحد نى وقت نشوب الحرب احضارهم مثلا اذا كان راتب قاضى القضاة بمقدار مائة فارس فعليه الاشتراك بمائة فارس فى كل حرب وهم متسلحون باسلحتهم هم ومن جانب الحكومة يلزم على مشائخ القري ان يوخروا اشخاصا من المزارعين للجيش ولذا يقدم المشائخ العسكريين حسبا رائيهم وليس لذلك قانون ولا القرعة وليس للخدمة العسكرية الى ميعاد محدد واذا كان العسكري فى الخدمة فراتبه هو سته روبيات شهريا وليس فيه اي تعين لكل يوم وكثيرا ما تيأتى التاخير فى اداء الرواتب فى وقت الحرب تاخذ الحكومة من اهالى العرب والقري فرسانا و مشاة على حسب عدد نفوسهم ٠ ويقال لهذا النوع من الفرسان اوبره سوار والمشاه خاصه دار والحكومه تتحمل مصاريفهم ايام الحروب ٠ وهؤلاء الفرسان فى الاكثر من جمشيدي و ازبك ٠

الامارة بالوراثة :

الحكومة الافغانية تنتقل وراثيا ولا يشترط ان يكون الوارث ابن الامير الكبير للامير ان يختار اي واحد من احد ابنائه وليا للعهد ولذا لاتخلو الامارات الافغانية من الاضطرابات لان الناس يحرصون جدا فى حصول الحكومة والطامعين فيها دائما فى تحسين الفرص

D-6

لاحداث الفتن والشر في البلاد . لا توجد اية معاهدة بين دولة افغانستان و بين دول العالم الاخري الا انه قد تمت بعض الشرائط قبل مدة مع الحكومة الانجليزية .

دخل الدولة :

ان الايداد في افغانستان على قسمين قسم يوءخذ من اصاب الزراعة والبساتين والمواش وهو شبيه بالزكاة الشرعي والقسم الثاني ما يوءخذ من كل فرد من افراد غلجي (يكون صاحب وكان او يشتغل في اية صناعة وعمره يكون خمس عشرة سنة) روبية واحد سنويا .... والغرامات وتعريفة الجمارك ويوءخذ كل هذا من اهالي الجبال بقوة الجيش ولذا تكو تكثر الفتن والاضطرابات وفي غالب الظن يقدر دخل افغانستان بمائتين مليون و نصف ومليون و ربع جنيه . وهذه الاموال تصرف في رواتب العائلة

موكب العيدين :

من عادة امير افغانستان ان موكبه في يوم عيد الاضحى وعيد الفطر يمتد الى خارج المدينة بكمال العظمة والشاءن وبعد الصلاة تطلق المدافع والنبادق وتقام امام الامير مسابقة الخيل وفي العودة توضع المائدة ويا'تي الناس افواجا لتهنئة العيد .. [1]

خاتمة الكتاب

حالة افغانستان بالاجمال :

الجو العمارات الزراعة الصناعة التجارة والمعاون :

بما ان بلاد افغانستان تختلف باعتبار عرض البلد وفي بعض الاماكن جبال شامخة

---

(١) المصدر السابق ـ خلاصة من ص ١٠٩ ـ ١٣٩

وفى الاخري و ديان منحدرة خافضة . ولذا يختلف جوها بحسب البرودة والحرارة ويتغير بحسب المواسم ولكن جو افغانستان مفيد للصحة الى الغاية لانه خال من العفونة والتفسد تماما ولذا الامراض المعدية الوبائية التى تنتشر بسبب فساد الجو توجد قليلة جدا .

مبانى المدن والقرى فى الاكثر تكون من طابق واحد ومبنية باللبن او تكون خالية من الزخرفة والزينة تماما الا ان اكثر مبانى كابل معمولة من الخشب والاحجار وتوجد فى البعض الحدائق والانهار والاحواض ايضا .

شوارع وحالات افغانستان ضيقة ومعوجة الاطرق قندهار فى مستقيمة و واسعة والمساجد الجميلة المزينة التى كانت توجد فى البلاد قد تهدمت بسبب غارات العدو والحروب الدائمة والمساجد التى تعد توجد حاليا ليست بجميلة جدا ولا متينة .

يوجد حول المدن وشبه المدن اسوار نبيت عليها ابراج على طراز قديم . والتى لا يمكن ان تقاوم المدافع الاانها تمنع غارات الفرسان نعم . ان مدنيتى الهرات وكابل محصنتان تحصينا كاملا فحول مدينة الهرات سور الطين لا يوثر فيه قذائف المدافع وحول كابل جبال نبيت عليها ابراج و استحكامات ويمكن بسببها مدافعة الاعداء لمدة ما .

اراضى افغانستان قابلة لجميع المزروعات تسقى بمياه الانهار والبحار الصغيرة ولكن بسبب الفتن والفساد اكثر الناس لا يعرفون فنون الزراعة ليست عندهم خبرة فى حفر الانهار ولا فى تنصيب الجسور ولذا تجد اكثر الاراضى غير مزروعة ومهملة وتنهب الانهار فى الوديان والارض الرملية سدى ومع ذلك يزرع الناس هناك من القمح والشعير والارز والذرة ولوبيا والحمص والخضراوات ما يكفى لاحتياجاتهم كما يزرع بعض من القطن والتنباك والافيون والادوية ايضا للتجارة ويجدون جدا فى غرس الاشجار من اشجار العنب والمشمش والبهى والتفاح وغ

والجوانة والرمان والجوز واللوز والعناب والفستق والتوت وغير ذلك واهل الهرات يربون ديدان الحرير ايضا ويزرع في جلال اباد قصب السكر ويوجد في بعض جبال افغانستان صنوبر ومصطكى والفستق الجبلي وغير ذلك وجميع فواكههما من نوع جيد ومن اشهر مصنوعاتها الاقمشة الحريرية شيلان صوفية غير مصبوغة خاصة يقال لها بتو (پتو) والبوستينات المصنوعة من جلود الخرفان وسجاجيد منقشة مصنوعة في الهرات وبانات قبيلة هزاره كما توجد في كابل وقندهار مصانع صغيرة لصناعة المرافع والبنادق والسيوف .

ان اكثر علاقات افغانستان التجارية مع الهند وبخارا وايران يصدر من هنا الى الهند القطن والفواكه وغير ذلك . محمولة بالابل والى ايران بانات وبوستينات ونوع خاص من تشهل (چيل) والشيلان الكشميرية (التي تاتي الى افغانستان من كشمير وامرتسر ويصدر من بخارا والهند الى افغانستان بانات وكتان (حرير صناعي) والاقمشة القطنية والشاي والشكر (العسل الاسود) ومصنوعات الزجاج واداني صينية والورق والفولاذ والحديد والنحاس ودود الحرير والادوية وغير ذلك ومن ايران الاقمشة والاسلحة وتوجد في افغانستان معادن كثيرة ولكن الاهالي ليسوا بقادرين على استخراجها والانتفاع بها ففي قندهار معدن الذهب وفي خوست وكرم معدن الحديد وفي كابل معدن الياقوت وفي بدخشان معادن الحديد والبارود واليواقيت ولاجورد وبالاضافة اليها معادن اخرى كثيرة في افغانستان وكلها مهملة .

ما كنا نريد من كتابة حالات دولة افغانستان ونظام الحكومة وسهل العيش وتفصيل القبائل فقد كتبنا والله ولي التوفيق [١]

---

(١) المعجم السابق من ١٣٩-١٤٢

كتاب تتمة البيان فى تاريخ الافغان حجة على افغانية السيد جمال الدين

ان كتاب تتمة البيان فى تاريخ الافغان لدليل قاطع وحجة دامغة وشاهد قوي على ان السيد جمال الدين افغاني وليس بايراني وهذا الكتاب من تاليف السيد وقد ذكر فيه امورا عفة دقيقة واصطلاحات راسخة وعادات وتقاليد غريبة صغيرة كانت او كبيرة . و حكايات تاريخية والوقائع الحقيقة واشخاصا دينية وغير دينية لايمكن او يعرف كل هذا اي شخص مهما كان الا اذا كان هو افغانيا صميما قدعاش بين ظهرانيهم من الصغر وكان منهم وفيهم واليهم . والامور التى قد ذكرها السيد جمال الدين فى هذا الكتاب على سبيل المثال منها مايلى :

ذكر فى القبائل : ختك باكزاي على كوزي على زي بامزي وفى الخصائص: الخشونة والعبوسة وثقل الاصوات وقطع الطريق وفى النظام الحربى العقاب على الهروب والبحث عن المقتول وطبخ الخروف دون ان يزال عنه الشعر والوبر والجلوس على الارض والاكل بالايدي وعدم غسل الايدي بعد الطعام وتنظيفها باللحا وترهين الملابس بالدهن وفى اللباس : كوس نوع خاص من اللباس و صدري و بانات و برك و بوستينچه و بوستين و تشنه (چغه) وقطع شعور اذناب الخيل والصاقها بالشعر وفى طرق المعيشة : الاشتغال بالزراعة وتربية المواشى الاقبيلة لوهانى وفى الحجاب الحجاب فى المدن وعدمه فى القري و اتن نوع خاص من الرقص فى صورة الحلقة وفى الزواج ابراز ملابس العروسة والعريس للناس قبل الزفاف بيوم ونثر الحلويات والفواكه على موكب (العروسة) وعدم الخروج من البيت ثم البيت ثم ذهاب العروسة مع جماعة من الفتيات الى المنبع والنهر

ولزوم الرقص عند بعض القبائل على والدي العروسة والعريس .

وفى لعبة العيدين عند قبيلة منجل و داور حلق حاجب واحد والشارب من العكس وتكحيل العين الواحدة بالسواد والاخري بالحمرة وحلق الجانب الواحد من اللحية والمضاربة بالسيوف .

وفى الماتم : تحضير الوجوه عند قبيلة خنك وتقديم الاكل لثلاثة ايام . وفى الرقص : تعليم بعض القبائل اولادها الرقص .

وفى المذهب : كون جميع الافغانيين سنيين وعلى مذهب الامام ابى حنيفة و مبالغة قبيلة توري فى التشيع ووجود الاثار المزدكية فى قبيلة كاكر وبعض عادات الخوارج والنواصب فى سكان خوست و كرم وكراهية الختان وذكر جركه (جركة) (عدد خاص من الروساء يجتمعون للبت فى امر) .

وفى الانتقام : الاخذ بالثار وعدم الاقتناع باقتصاص الحاكم من القاتل والتسلح بالسيوف : كوسيلا و نوره ومن البنادق توريدار و اكل الذرة والشعير والطعام المركب من الجبنة واللحم وكون البصل هدية نادرة عند يوسف زي و جيك زي وطلب بصلة من اجنبى . والتصالح بالبصل وفى الاعتقاد فى الاولياء : عدم قبول واسطة الله ورسوله وقبول واسطة قبر ملا يارمحمد والاسقاط من مال الميت .

وفى تحصيل العلم : عند البعض دراسة الفقه فقط وتعيين مقدار خاص من الطعام للطلبة ~~ويجمع~~ وجمع الطالب الصغير الخبز من البيوت وفى المشائخ : الجلوس للارشاد وتقديم الطعام فى بيوت الضيافة وموارد الدخل من النذر وذكر اخوند صوات الشيخ عبد الغفور وسلطته على صوات و بنير واعتقاد الافغانيين فيه ومهاجمته الانجليز

واتهامه الشخص الاخر بالوهابية والتشهير به وتحريم التمباك وارسال اخوند صوات انا
الى افغانستان لمنع الناس من ترخين التمباك وكسر النارجيلات والقاء الرداء (چادر)
على الكتف ·

الطلبة الافغانيون : احترام الناس اياهم ووصف طلبة ننكرهار وتعيين الملك
الجملى والوزير واجبار الاهالي عليها اعداد الطعام · وفي اللسان : كون اللغة الافغانية
خشنة · وزيادة حروفها الهجائية عن الفارسية وكون لهجة قندهار احسن من البقية ·

وجود تاجك وخبرتهم في الزراعة وحدوث الحروب والفتن · ونباء الابراج
وعدم الرغبة في حصول العلم والمهارة في الرماية والتسلح بالخناجر ووجود قوم ضرارة
وقرب لغتهم الى الفارسية ولبس قبيلة جمشيدي جبة طويلة وقلنسوة من بوستين يقال لها
باباق (باپاق) وكون هزاره على الشيعة ماعدا جمشيدي و الشيخ على وتقديم البنت
في واجبات الحكومة وعدم استعمال الملح واحترام السادات وعدم القاء السيد السلام على
الغير ومراجعتهم بالشتائم والتوجيه بان السادات ملوك وسلاطين وانابة المرأة الاخرى
في الشتائم ·

ازبك وتركمان : كونهم من التاتار ولبسهم جبات حريرية وتقديم قطعة الخبز
وقبولها بالاحترام ووضعها في الجيب وجهم للشاي والاعتناء بالخيل والسلب والنهب
واخذ الشيعة بالقوة وجعلهم عبيد اللبيع وذات مرة اعتقالهم للعالم السني · واطلاق
سراحه للامامة في الصلاة ثم تقييده بالسلاسل · والتوجيه بانه ليس افضل من القران وتقديمه
هدية ·

السادات : وجود السادات في جهة قندهار وكثر واعتقاد الافغانيين غير

فيهم و ذكر قبيلة قزلباش و مهارتهم فى الامور الادارية وكون عامتهم على المذهب الشيعى وجوده بلوخ (بلوچ) فى جهة بشين وتدهين الشعر ولبس تشبل (چپل) وعدم الصوم والصلاة والزام الرئيس خان بذلك والسوال عن حالة خان وقتل القاتلة عند مري و توجيه ذلك وجود الهنادكة فى افغانستان احراقهم الموتى والاحتفاظ بالرماد وارساله الى جنحا (كنكا) وذكر نظام الحكومة والاستبداد والتشابه الادنى بالنظام الدستوري واعضاء الحكومة من الامير والوزير والمستوفى والايشك والوالى والكوتوال والمأمور والمحصل ومجلس الامير والجلوس على الارض فى دربار (مجلس الامير) وجود المتكاء الواحد وجود خان ملا (قاضى القضاة) فى ديوان الملك وعدم وجود القانون السياسى و استقلال الامير بالسلطة وتصرف الامير فى الاموال الحكومية كملك خاص وعدم حفاظ الطرقها من قبل الحكومة والخدمة العسكرية والرواتب على حسب المنصب فى اعداد و تقديم الجنود حين الحرب وكون راتب الجندي ست روبيات شهريا و اخر ادپراسوار (الفرسان) و خاصه دار المشاة وكون الامارة موروثية وعدم تعيين الابن الاكبر لذلك وعدم المعاهدة مع الدول الاخري ماعدا إتمام بعض الشرائط مع الانجليز و ايراد افغانستان من الزراعة واخذ الروبية الواحدة من كل فرد من افراد قبيلة غلجى وذكر موكب الامير فى يوم العيد و اطلاق المدافع والبنادق ومسابقة الخيول وبسط المائدة والتهنئة .

وفى خاتمة الكتاب ذكر الجو والطقس والحروب والاسوار حول المدن وفصيل الهرات من الطين وزراعة الشعير والذرة وغرس اشجار اللوز والفستق والرمان والعنب . وصناعة الشيلان وخاصة بتو (پتو) والتصدير الى الهند وايران وبخارا والاستيراد من الهند وبخارا وايران ووجود انواع المعادن الكثيرة من الذهب والحديد واليواقيت و

البارود واللاجورد · وعدم الانتفاع بهما ·

تحدد الامور الدقيقة والمصطلحات الغريبة والاسماء العجيبة والعادات والاخلاق المختلفة والازياد العديدة والاشخاص والمشائخ المعروفة وطرق العيش لايمكن ان يدركها ويعرفها بهذا العمق والاتقان الا اذا كان المؤلف افغانيا مولودا بافغانستان وعاش فيها من الصغر · ولذا اذا لم تكن الاقوال والادلة الاخري ولم تكن تصريحات السيد جمال الدين نفسه لكان هذا الكتاب وهو تتمة البيان فى تاريخ الافغان يكفى لاثبات كون السيد جمال الدين افغانيا لا غير ·

ذكر بعض اجداد السيد جمال الدين

السيد على الترمذي المعروف پير بابا (المرشد

هو الجد الثامن من اجداد السيد جمال الدين الافغانى وبعض المؤرخين الذين ذكرو نسب السيد حسبوه السيد على الترمذي المحدث المشهور وهذا خطاء فاحش ويدل على عدم البحث والدقة والسيد على الترمذي هذا اعنى جدا لسيد جمال الدين الافغانى غير المحدث المشهور وجد الافغانى هذا معروف ومشهور و مرشد كبير ويقال له پير بابا وهى كلمة الاحترام ولا تستعمل الا للمرشد توفى فى ٩٩١هـ ودفن بمنطقة بنير فى مديرية سوات (ولاية سوات سابقا) ومزاره ملجاء الناس ياتى اليه المعتقدون من جهات نائية ونشر اليه الرحال وتقدم اليه النذر فترى منهم من يأتون مشيا على الاقدام وخاصة من جهات المناطق الجبلية البعيدة : كنر و باجور و كوهستان و دير و وزيرستان و بنون و هزاره وهذا الامر يشتد ويزداد فى موسم الربيع فترى سيارات

النقل مزدحمة بالركاب وعليها رايات ترفرف متوجهة نحو مزاره في منطقة بنير وهذا هو السيد على الترمذي جد السيد الافغاني وهو يقول عن حياته بنفسه كما يذكر ذلك مريده الخاص اخوند درويزه .

يقول اخوند درويزه ان مرشدي السيد على الترمذي كان يقول :

كان اسم والدي قنبرعلى واهل البلاط المغولي يقولون له امير نظر بهادر وجدي السيد احمد نور كان صاحب علم وفضل يقضي اوقاته العزيزة في شغل الدرس والتدريس والزهد والرياضة الروحية وكان راغبا عن الدنيا ومتاعها وكان يعطف على والسلسلة الكبروية جاءت فينا من الاباء والاجداد متوالية وسارية الى الان وجدي المرحوم اجازني بها حين وفاته .

ويقول ايضا : في الصغر كنت بعيدا عن الدنيا وزخارفها ولذا كان الناس يحسبونني مجنونا ومجذوبا وفي البيت ايضا كانوا ينادونني بهذا الخطاب (المجنون) وعلى عادات الاسرة كان الكبار ينتخبون الصغار للتربية والحنان الا ان اي واحد لم يرغب في وكانوا يقولون انه مجنون وكان جدي (السيد احمد نور) يقول : ان هذا المجنون سيكون على شاكلتي . انا اعرف استعداد هذا المجنون وبعد ذلك كان يتعاطفا على كثيرا . . .

كان جدي المحترم يقوم باشرافي الخاص ويدرس لي بنفسه وعند ما كنت ادرس شرح الجامي اوشك عمره على الفناء وعند حالة الاحتضار دعاني وقال لي : اقراء ما تحفظ من القران الكريم فقراءت سورة الملك فقال اقراء مرة اخري فقراءت مرة ثالثة ايضا ودعالي وقال ان البركات التي رزقنا بها وراثيا اوعن الطريقة الكبروية اسائل الله تعالى ان ينعم بها عليك وبعد وفاة جدي بقيت لوحدي وكنت مستغرق في التفكر راغب الزهد والخلوة . . .

وعند ما ذهب والدي الى الهند فى محيط همايون اخذنى ابى الهند وكسانى ملابس فاخرة
واحضرنى الى البلاط الملكى وكنت استغل الفرص واجلس فى مجالس الصلحاء والعلماء و
ذات يوم ذهبت بمعية خدامى الى مزار الشيخ شرف الدين بانى بتى وفى داخل المزار
خطر ببالى ان اترك امور الدنيا من الجاه والعظمة واشتغل بتحصيل العلم وقد فعلت ذلك
وخرجت من الباب الثانى باحثا عن المربى والمعلم ووالدي كان يبحث عنى حتى وجدنى
وبدأ ينصحنى بنصائح ابوية ويرغبنى بترغيبات مفيدة الا ان كل ذلك لم يؤثر فى واخيرا اعطانى
مقدارا من المال للمصاريف فقلت : يا والدي العزيز اننى شبعت من المال ولاارجو الا
الدعاء لابنك لتحصيل العلم .

وفى منطقة مانكبور دخلت فى حلقة درس الشيخ سيلونه ودرست عليه الكافية
(فى النحو) والوقاية والهداية (فى الفقه) وبما ان افراد اسرتى كلهم من الاباء والاجداد
ماعدا والدي يرغبون فى العلم والفضل والزهد فانا ايضا كنت استمع الى كلام استادي بكل
عناية . وفى الاخير طلبت اليه البيعة والاذن فى الطريقة (طريقة الصوفية) ...

ونصحنى كثيرا ولكن لما رأي شغفى قال ان الشيخ سالار رومى اخى فى
الطريقة ومربى والشيخ بهاء الدين مربى انا ومربى حضرة سالار رومى اعرفك اليه
وقد عرضنى اليه فى اجمير بعد بيان حسبى ونسبى ...

وعند ما سأل حضرة سالار رومى عن حسبى ونسبى وعرف احوالى قال :
ايها السيد ان السادات السنيين يستحقون ان يكونوا مخدومين لا خادمين الا ان هذا
الامر لا يحصل الا بالخدمة والرياضة فوكلنى بخدمة مصلاه . وكنت اؤدي هذه الخدمة
بكل اخلاص ... وبعد مشاهدة اخلاص توجه الى تصوفى . ومن وقت لاخر كان يشرح

بعض رموز و نكات التصوف وفي الاخير شرفني بالطريقة .

وبعد الشهرة تعبت هناك وبامر الشيخ اردت الذهاب الى كوهستان (المنطقة الخيلية) و بقيت فترة وجيزة في كوجرات وبعد حزيمة همايون من شيرشاه لقين والدي في كوجرات فضمني اليه وقال : قد اخطاءت انا حيث ملت الى الدنيا واحسنت انت حيث رغبت في العلم وحافظت على جادة الاباء والاجداد من العلم والفضل واعطاني بدرتين من المال احداهما من الذهب والاخري من الفضة فاعتذت اليه وبعد الاصرار اخذتها .. وفي الطريق مررنا بجيش شيرشاه الذي كان يتعاقب جيش همايون المنهزم وقد اخذ و منا ذلك المال ..

قبل وصولي الى اجمير قد توفي الشيخ وكان ابنه الشيخ حسن في المراقبة الصوفية وبعد المراقبة اعطاني تشبن (جبن) نوع من اللباس مثل العباد ـــ من ملابس الشيخ والمريد وبعد ذلك اردت الذهاب الى تندز و ذلك بناء على ان ابن الشيخ قال ان والدي قال ان يذهب هو (السيد على الترمذي) الى كوهستان المنطقة الجبلية وعند ما وصلت الى بشاور لقيني الحاج سيف الله و الملك كداي ككياني وكانا يعتقد ان في من زمن اجمير وعلى طلبها ذهبت الى دوابه ومكثت هناك لمدة سنة وقمت بالارشاد ثم اردت الذهاب الى بلدي تندز الا انه باصرار من الاصدقاء والمعتقدين اتجهت الى منطقة يوسفزيٌ للمناظرة مع اثنين من الذين ادعوا الارشاد والطريقة وهما : بيرطيب بيرولى وكانا يستفيدان من جهل الاهالي ويقومان بنشر تعاليمهما الهدامة المخالفة للشريعة الاسلامية الغراء وقد وصلت الى بلدة سدوم (قريبا من مردان) .

وبعد التعرف بالناس اردت مناظرة هذين الرجلين وذلك احقاقا للحق واثباتا

لمذهب اهل السنة والجماعة وردا لمذهب البدع والهوا ولكن بيرولى لم يكن يقابلنى للمناظرة واما بيرطب نهرب الى منطقة هزاره (قريبا الى راولبندي) وبما انه كان يحلم اننى من قندز واريد الذهاب الى قندز اشاع فى الناس انه بيرطيب القى بالسيدعلى من هذه المنطقة الى منطقة قندز وابطالا لدعواه وكذبه وعلى اصرار الاصدقاء والمعتقدين تركت الذهاب الى قندز وبقيت فى تلك الولاية ثم على عادة البلاد تزوجت من مريم بى بى بنت الملك دولت من قبيلة باركشاه زي وعرفت ان مرشدي الشيخ سالار روبى كان يقصد هذه البلاد وقد وله ابنائى وبناتى فى هذه المنطقة .

ثم تركت اولادي فى منطقة يوسفزي وذهبت لوحدي الى بلدي قندز فكان والدي قد توفى وتشرفت بلقاء والدتى الكريمة وبعد ذلك على اذن منها رجعت الى منطقة يوسفزي .

مكثت فى هذه المنطقة وكنت ارشد الناس الى الحق وكانوا يرغبون فيه الى ان ظهر بير تاريك الملعون (١) و جمال الدين كلان فى هذه المنطقة وبعض من الناس باقراء منهما ضلوا الطريق المستقيم وقد اوقعهم الله فى المصيبة حيث سلط عليهم السلطان اكبر وتشتت شملهم وتفرق جمعهم وزالت شوكتهم وذهبت دولتهم .

ويقول اخوند درويزه كان من عادة الشيخ على الترمذي انه كان يقوم بالجولات فى منطقة يوسف زي للامر بالمعروف والنهى عن المنكر وابنما كان يوجه شخص مبتدع فكان يناظره ارضاء الله تعالى لا غير وبعد الغلبة عليه كان يعلن فى الناس ذلك وينبههم الى الابتعاد عنه .

---

(١) هذا كلامه ولا اعلق على هذا .

ويقول ايضا : وكان من عادة الافغانيين ايضا انه اذا كان يظهر عالم او شيخ جديد في البلاد فدون تقديمه الى شيخي (السيد على الترمذي) اوالى انا ما كانوا يعتقدون باقوال ذلك الشخص وافعاله ؟

هكذا كان السيد عد على الترمذي الى اخر حياته مجاهدا في سبيل الله يخدم الاسلام والمسلمين واخيرا انتقل الى جوار الله تعالى ودفن في منطقة بنير في سوات في الجانب الشرقي من جبل ايلم الشاهق ومزاره ملجاء الناس من اقاص الارض وادناها . و هذا المكان الذي دفن فيه من صميم الارض البشتونية (الافغانية) . اليس هذا دليلا على ان حضيرة السيد جمال الدين كان افغانيا نعم هذا هو الدليل على كونه افغانيا وهذا هو الحق . (١)

سادات كنر

اما سادات كنر المنطقة الواقعة في افغانستان . فهم من اولاد السيد على الترمذي من ترمذ الذي ذكره السيد على باسم قندز ويقال له الان قندوز و كان يقال له من قبل ترمذ وهو واقع في ولاية مزار وبيمنة بافغانستان و سبب وجود هؤلاء السادات في كنر مع بعد كنر من مدفن بيربابا بمسافة ثلاثة ايام مشيا على الاقدام هو ان في حياة السيد بيربابا ذهب اناس من قبيلة تاجك الذين كانوا يقطنون في اراضي خضراء من بهسود الى اسمار في وسط قبيلتي صافي و مهمند على سواحل النهر الى بيربابا ودعا الى السيد بيربابا ان يرسل معهم احد ابنائه للاقامة هناك

---

(١) خلاصة من كتاب حياة السيد جمال الدين الافغاني محمد لك امين خوكياني مطبع كابل ١٣١٨ ش - ص ١٩١ـــ ٢٠٤

وذلك لفض المخاصمات التى كانت تحدث بين هذه القبائل وذلك ان جميع القبائل كانت تحترم السيد و اولاد السيد بير بابا وقد فعل بير بابا ذلك وارسل معهم ميان مصطفى وقد اخذ معه من احفاره شاه عبدالقادر بن عبدالوهاب المعروف به شاه جى بابا ميان موسى بن عبدالوهاب المعروف ب عالم شاه كما اخذ معه ابنه الكبير سيد شاه مير ومن اولاد شاه جى بابا و عالم شاه انتشرت سادات كنر والسيد جمال الدين من اولاد السيد عبدل (عبدالوهاب)

و اول من تلقب باسم بادشاه (باچا) اولاد ميان عباس ثم تلقب به جميع السادات. (١)

شاه ابو ايوب ابو تراب

هوالجد السادس عشر للسيد جمال الدين ومن مرشدي عام ٧٠٠ هـ ويوجد مزاره المبارك فى مديرية دير بمنطقة السند بنى قريتى منجائى و جودبكرام على شاطى نهر السند (بنجكوره) فى مقبرة مشهورة باسم شهيدان (الشهداء) والى القرن مشهور باسم ابوتراب ومديرية دير هذه واقعه فى شمال اقليم الحدود الشمال الغربى بباكستان. (٢)

السيد جلال بخاري كنج علم (خزينة العلم)

هو الجد السادس والعشرون للسيد جمال الدين الافغانى ومزاره يوجد فى

---

(١) تذكرة السيد الافغانى . عبدالحليم اثر (پشتو) پشاور ص٦٨
حياة السيد جمال الدين ـ محمد خوكيانى كابل ص ٧
(٢) تذكرة السيد الافغانى ـ عبدالحليم اثر ص ٧٣

قرية زيارت منطقة تالاش مديرية دير في شمال اقليم الحدود الشمالي الغربي من باكستان وهذه القرية تبعد من مدينة پشاور بمسافة ٩٥ ميلا تقريبا وهذه القرية واقعة على الطريق الرئيس المؤدي الى منطقة جندول باجور ومن جهة شمال الغرب والى تيمركره و دير وتشترال (چترال) من جهة شمال الشرق قليلا وهذه القرية من صميم القري الافغانية وهي تبعد من ملاكند بمسافة ٢٤ ميلا .

وطبقا لبيان ابوريحان البيروني في سنة ٤٠٢هـ عند ما اغار السلطان محمود الغزنوي على لمغات العاصمة الصيفية لـ راجه جيپال وانهزم جيش جيپال وبدأ المجاهدون بعد ذلك يهاجمون على هذا الجيش المعزوم في بقية اراضي (ننگرهار) كونر و باجور و سوات وفي هذه الغزوات استشهد كثير من المسلمين في اراضي كونر و باجور و سوات وكان منهم السيد جلال بخاري وقد استشهد في منطقة تالاش ودفن هناك وقريبا من قرية زيارت كلى توجد اثار قديمة لكفار ذلك العهد .(١)

وفي هذه السلسلة رواية اخوند درويزه كالاتى :-

استشهد السيد جلال بخاري في هذه الغزوات ضد الكفار في اراضي سوات وكان ضريحه في قرية ابوها (وهي تبعد من ملاكند بمسافة ١٥ ميلا تقريبا) وكان له اتباع من قبيلة مليزي المتفرعة من يوسفزي وقد اقاموا في منطقة تالاش فعدد من قبيلة مليزي اتباع السيد جلال بخاري اخرجوا جسمانه خفية بالليل من قبره السابق في قرية ابوها واتوا به الى تالاش ودفنوه في قبره الجديد في قرية زيارت كلى ولذا يوجد قبران بهذا الاسم : قبر في ابوها وقبر في زيارت كلى .(٢)

---

(١) تذكرة السيد الافغاني _عبدالحليم اثر ص ٧١ ، ٧٢ _

والغرض من ذكر شاه ابوايوب ابو تراب ومدفنه وذكر السيد جلال بخاري واستشهاده ومدفنه اولا فى ابوها سوات ثم فى زيارت كلى تالاش وهذه المناطق من صميم الاراضى البختونية الافغانية هو الدليل الاخرعلى ان السيد جمال الدين كان افغانيا لاغير وهناك ادلة وشواهد اخري كثيرة اذا اردن ان نأتى بكلها سددنا كثيرا وملأنا اسفارا عديدة والنتيجة تكون هى ان السيد كان افغانيا واحب ان اختم كلامى عن نسب السيد جمال الدين الافغانى ذلك البطل الكبير والمجاهد الاعظم والعالم الفذ والخطيب المصقع والفيلسوف الجليل والحكيم المتبحر والاديب البارع والمسلم الصادق بما قاله مولانا الاستاذ الكبير محمد عبدالقدوس حيث قال : ان اكبر دليل على كون السيد جمال الدين افغانيا هو تصريح السيد نفسه واتى مولانا عبدالقدوس بهذا البيت :

اذا قالت فصدقوها :ـ فان القول ما قالت حزام (١)

---

(٢) نفس المرجع والصفحة . ويوجد قبر ثالث بهذا الاسم فى قرية جنكو قريبا من تالاش الى جهة الشرق بمسافة ١٠ اميال تقريبا .

---

(١) مضامين جمال الدين افغانى (اردو ترجمه) لاهور ص ١٠ (فى الحاشية)

المقصد الثاني

نشأته وتربيته

نشأته وتربيته

قد علمنا مما سبق فى ذكر نسب السيد جمال الدين انه قد ولد عام ١٢٥٤هـ المطابق ١٨٣٩م فى قرية اسعد اباد بمنطقة كنر من اعمال كابل وفى عام ١٢٦٢هـ (١٨٤٦م) خان الامير دوست محمد خان من اثر ونفوذ السيد صفدر والد السيد جمال الدين وبقية السادات من السرة السيد فدعا والده الى كابل وصادر امواله فى حق الحكومة وبانتقال ابيه انتقل السيد جمال الدين ايضا الى كابل وقبل الانتقال الى كابل درس السيد جمال الدين العلوم الابتدائية فقط على العالم الشهير السيد فقير بادشاه من سادات كنر وعلى والده السيد صفدر . وقد كان صاحب علم وهو سافر الى الهند لاجل حصول العلم فى مدارس الهند .

درس السيد من العلوم العربية علم اللغة والصرف والنحو والبيان والمعانى والبديع والانشاء والعلوم الشرعية والفلسفة والرياضة والمنطق والتاريخ كما درس الطب و بعض العلوم الحديثة على عالم هندي جاء الى جلال اباد لمعرفة بعض النباتات درس كل ذلك فى افغانستان على اساتذة متعددة وفى مسجد كدز كداي[1] بكابل وبعد ذلك ذهب الى بشاور ودرس على العالم الكبير مولانا محمد حسن المعروف ب الحافظ دراز البشاوري وعلى مولانا فضل مالك النقشبندي وكان ذلك فى اواخر السنة ١٢٧٠هـ (١٨٥٤م) وفى تلك الايام كان فى بشاور مجلس علمى باسم بزم ياران بيخبور (مجلس الاحباب بشاور)

---

(١) حياة السيد جمال الدين ــ محمد امين خوكياني ــ كابل فارسى ص٨ــ ١٠ .
مضامين جمال الدين ــ مولانا عبد القدوس اردو لاهور ص ١٠ ، ١١

وفيه درس علم الهيئة والرياض والنجوم على عالم شهير مولانا محمد نسيم كاكاخيل[1]. وفى عام ١٢٧٢هـ (١٨٥٦م) ذهب الى الهند وكان الهند اذ ذاك مركزا علميا بالنسبة الى افغانستان وقريب من القياس جدا انه ذهب على اثر والده الى الهند لتحصيل العلم ٠ ولكنه لما جاء الى الهند وجه لحظ نحضة العلوم الحديثة وكان المتجددون يردون غلتهم من منابع كلية دلهى واثر ذلك على السيد جمال الدين ودرس ضمنيا غير مقصود علم الرياضة الجديدة وبعض العلوم الاخري وقد اثر ذلك فى حياته المستقبلة تأثيرا بالغا كما تعلم قليلا من اللغة الانجليزية ايضا ٠

يقول فى ذلك تلميذه الوفى الاستاذ الامام محمد عبده :

ولد السيد جمال الدين فى قرية (اسعد اباد) من قري كنر سنة ١٢٥٤هـ المطابق ١٨٣٩م ٠ وانتقل بانتقال ابيه الى مدينة كابل وفى الثامنة من عمره اجلس للتعليم وعنى والده بتربيته فايد العناية به قوة فى فطرته واشراق فى قبريحته وذكاء فى مداركه فأخذ من بدايات العلوم ولم يقف دون نحاياتها ٠

تلقى علوما جمة بدع فى جميعها فمنها : العلوم العربية من نحو وصرف و معانى وبيان وكتابة و تاريخ عام و خاص ومنها علوم الشريعة من تفسير وحديث وفقه و اصول فقه وكلام وتصوف ومنها علوم عقليه من منطق وحكمة عملية سياسية ومنزلية تهذيبة وحكمة نظرية طبيعية والهية ومنها علوم رياضية من حساب وهندسة وجبر وهيئة وافلاك و منها نظريات الطب والتشريح ٠

اخذ جميع تلك الفنون على اساتذة ماهرين على الطريقة المعروفة فى تلك البلاد

---

(١) تذكرة السيد جمال الدين بشتو عبدالحليم اثر بشاور ص٣٤

وعلى ما فى الكتب الاسلامية المشهورة واستكمل الغاية من دروسه فى الثامنة عشر من عمره .

ثم عرض له سفر الى البلاد الهندية فاقام بها سنة وبضعة اشر ينظر فى بعض العلوم الرياضية على الطريقة الاوربية الجديدة واتى بعد ذلك الى الاقطار الحجازية لاداء فريضة الحج وطالت مدة سفره اليها نحو سنة وهو ينتقل من بلد الى بلد ومن قطر الى قطر حتى واخى مكة المكرمة فى سنة ١٢٧٣ هـ فوقف على كثير من عادات الامم التى مربها فى سياحته واكتنه اخلاقهم واصاب من ذلك فوائد عزيزة ثم رجع بعد اداء فريضة الحج الى بلاده ودخل فى سلك رجال الحكومة على عهد الامير دوست محمد خان .(١)

ويقول الاستاذ سعيد الافغانى :

كانت ولادته فى سنة ١٢٥٤ هـ ــ ١٨٣٩ ميلادية فلما نقل ابوه الى كابل صحبه معه . وهناك بدأ دراسته بتحصيل العلوم العربية من نحو وصرف ومعان وبيان وتاريخ ثم درس علوم الشريعة من تفسير وحديث وفقه واصول وكلام وتصوف وايضا درس العلوم العقلية المعروفة فى عصره من المنطق والفلسفة النظرية والعلمية ويقال انه درس العلوم الرياضية والفلك وبعض نظريات فى الطب والتشريح وسافر الى بلاد الهند ومكث فيها سنة وعدة اشهر وفى اثناء تلك الاقامة درس العلوم الرياضية وفقا للمنهج الاوربى الحديث ثم عاد الى وطنه .(٢)

ويقول جرجى زيدان :

هو السيد محمد جمال الدين بن السيد صفتر ولد فى بيت شرف وعلم بقرية

---

(١) خاطرات جمال الدين الافغانى الحسينى ــ محمد المخزومى ــ دار الفكر دمشق ص٧ ، ٨ ــ

(٢) مقدمة الرد على الدهريين ــ محمد عبده ــ القاهره ــ ١٩٣٥ ص٩ ، ١٠

اسعد اباد كد من قرى كنر من اعمال كابل ببلاد افغان سنة ١٢٥٤هـ (١٨٣٩م) ..

... فعنى والده فى تربيته وتثقيفه . فتلقى مبادئ العلوم العربية والتاريخ وعلوم الشريعة من تفسير وحديث وفقه واصول وكلام وتصوف والعلوم العقلية من منطق وحكمة عملية سياسية ومنزلية وتهذيبية وحكمة نظرية طبيعية والهيئة والعلوم الرياضية من حساب وهندسة وجبر وهيئة افلاك ونظريات الطب والتشريح وكانت ملامح النجابة والذكاء ظاهرة فيه منذ نعومة اظفاره فاتم هذا كله وهو فى الثامنة عشر من عمره ثم عرض له سفر الى بلاد الهند فاقام بها سنة وبضعة اشهر ينظر فى بعض العلوم الرياضية على الطريقة الافرنجية الحديثة . وقدم بعد ذلك الى الاقطار الحجازية لاداء فريضة الحج فقضى سنة ينتقل من بلد الى اخر حتى وافى مكة المكرمة فى سنة ١٢٧٣هـ (١٨٥٧م) فوقف على كثير من عادات الامم التى مر بها فى سياحته ثم رجع الى بلاده وانتظم فى سلك رجال الحكومة على عهد الامير دوست محمد خان . (١)

ويقول الدكتور تشارلز ادمس :

وعند ما بلغ جمال الدين الخامسة من عمره اخذ يتلقى العلم فى مدرسة محلية حتى بلغ العاشرة ثم واصل الدرس والتحصيل فى اماكن متفرقة فى ايران وافغانستان حتى اذا بلغ الثامنة عشر كان قد وقف على جميع العلوم الاسلامية المعروفة واجاد الكثير منها . كالنحو وفقه اللغة وعلوم البلاغة والتاريخ الاسلامى وعلوم الشريعة والتصوف والمنطق والفلسفة والطبيعيات وعلم ما بعد الطبيعة والرياضيات وعلم الهيئة والطب والتشريح الى

---

(٢) نابغة الشرق السيد جمال الدين الافغانى ـ سعيد الافغانى القاهرة ١٩٦٧م ص٢١

(١) مشاهير الشرق فى القرن التاسع عشر ج ٢ جرجى زيدان ـ مصر ١٩١١ ص٥٦، ٥٧

غيرها من مختلف العلوم . وعرفرله حينذاك سفر الى الهند حيث اقام نحو عام ونصف و اضاف فى هذه المدة الى خبرته بعض المعرفة بالعلوم والطرائق الاوربية وشيئا من الانجليزية وكان يتقن الافغانية والفارسية والتركية والعربية . (١)

ويقول الاستاذ محمد مهدي :

وقد عنى والده بتربيته فايد العناية به قوة فطرية وتلقى معارف جمة بين علوم عربية وعلوم شرعية وعلوم عقلية وفنون رياضية ودرس نظريات الطب والتشريح . اخذ جميع تلك الفنون عن اساتذة ماهرين على الطريقة المعروفة فى تلك البلاد وعلى ما فى الكتب الاسلامية .

بدأ تعلمه فى السنة الثامنة من عمره واستكمل النهاية من دروسه فى الثامنة عشر ويقول جورج كوتشى ان جمال الدين قد استرعى الانظار من حداثة السن بزكائه النادر وميله الواضح الى كل ماله صلة بالفنون العسكرية .

ولما اتم دروسه سافر الى الهند فاقام سنة تعلم فى خلالها شيئا من العلوم الاوربية واساليبها وقصد بعد ذلك الى الاقطار الحجازية لاداء فريضة الحج فقضى نحو عام ينتقل فى بلاد العرب حتى وافى مكة سنة ١٢٧٣هـ ١٨٥٧م وعاد الى بلاد الافغان فانتظم فى خدمة الامير دوست محمد خان وعلت منزلته عنده ورافقه فى بعض غزواته .(٢)

نستخلص مما ذكرنا ونقلنا من اقوال العلماء والمحققين ان السيد درس جميع

---

(١) الاسلام والتجديد — الدكتور تشارلز ادمس (ترجمة عباس محمود) مصر ١٩٣٥ ص ٧ - ٨

(٢) درس اللغة والادب — محمد مهدي — دانشكاه تهران (جامعة تهران) ١٣٢٨ ص ٦٩

العلوم النقلية والعقلية من العربية والاسلامية والطب وغير ذلك فى افغانستان والعلوم الحديثة فى الهند كما نستخلص انه درس فى مسجد كدز كدري بكابل وجلال اباد و بشاور ونستخلص من الاكثر انه حين ما ذهب لاول مرة الهند ذهب بعد ذلك الى الحج ولم يعد قبل الذهاب الى الحج الى بلده افغانستان الاعند الاستاذ سعيد الافغانى ففى رائه عاد الى وطنه قبل الذهاب الى الحج كما يظهر ذلك من كلامه السابق .

وللوضوح نسرد كلام الاستاذ الافغانى بالاضافة الى الكلام السابق لوضوح هذا الامر اكثر قال الاستاذ سعيد الافغانى :

ولما عاد السيد الى بلاده افغانستان فكر فى اداء فريضة الحج فاتجه نحو البلد الحجاز فى سنة ١٢٧٣ هجرية ١٨٥٧ ميلادية وفى هذه المرحلة التى طالت نحوا من عام زار اكثر بلاد الاسلام فى الشرق . (١)

كلام الاستاذ سعيد واضح جلى الا ان راءي الاكثرية انه ذهب من الهند الى المقدسة الاراضى الحجازية لاداء فريضة الحج ولم يعد الى الوطن قبل الحج وهذا الراءي قريب الى الصحة والقياس هكذا كانت تربية السيد وتعليمه .

---

(١) نابغة الشرق ــ السيد جمال الدين الافغانى (سعيد الافغانى) القاهرة ١٩٦٧ ص ٢١ ــ

المقصد الثالث

جولاته في الاقطار

الهند

الحجاز

مصر

لندن

باريس

روسيا

ايران

البصرة

تركيا

جولته فى الهند :

نشاء السيد الافغانى كما ذكرنا فى بيئه خاصة فى كنر اولا ودرس ما درس من العلوم الابتدائية على والده وعلى السيد فقير بادشاه من اسرة السادات نفسها ثم فى الصغر انتقل الى كابول عاصمة افغانستان بانتقال ابيه تحت الظروف الاضطرارية المذكورة سابقا ودرس العلوم الاسلامية .

وحبا الاستزادة من العلم ذهب فى عام ١٢٧٢هـ (١٨٥٦م) الى الهند حيث كانت البلاد الهندية قريبة الى افغانستان وكانت مركزا للعلوم الاسلامية ولكنه لما وصل الى البلاد الهندية وجد هناك نهضة للعلوم الحديثة فاتجه الى هذه الناحية ودرس بعضا من العلوم الحديثه على الطريقة الحديثه وبذلك جمع بين القديم والحديث والتفصيل قد ذكر فى الصفحات السابقة فى المقصد الثانى .

رحلته الى الحجاز والحج :

كان السيد جمال الدين يغتنم الفرص للاطلاع على احوال البلاد وعادات الناس واخلاقهم وحين وجوده فى الهند تمكن من ذلك الى حدما واثناء وجوده فى البلاد الهندية خطر بباله ان يذهب للحج وفعلا خرج لذلك المقصد الاعلى والهدف النبر واثناء السفر كان يمر بالبلاد العربية من بلد الى اخر ليتعرف على احوال البلاد وعادات اهلها . ويكشف عن اخلاقهم مما لقد اكسبه خبرة فيما بعد باحوال الامة العربية وظل فى تنقله وترحاله حتى وصل الى مكة سنة ١٢٧٣هـ (١٨٥٧م) بعد سنة من قيامه فى بلاد الهند .

وقد كانت فكرة الجامعة الاسلامية مختمرة فى نفسه ولم ير موضعا خصبا

لابد انها سوي بيت الله المقدس حيث تجتمع الالوف العديدة من مسلمي الاقطار كافة فوجد بثاقب فكره ان هذا اكبر مؤتمر اسلامي ممثل تمام التمثيل يستطيع ان يجهر امامه بدعوته ليكون بها صدي في قلوب المسلمين فلا يلبث ان يظهر اثرها سريعا في الاقطار الاسلامية جميعها فلم يبرح بلاد الحجاز قبل ان يضع لدعوته غرساطيبا وينقلها الى طورها العملي بانشاء جمعية يمثل فيها كل قطر اسلامي تسمى جمعية (ام القري) كانت اشبه ببرلمان اسلامي كبير وقد اصدرت الجمعية مجلة باسمها وقد كانت لهذه الجمعية فيما بعد شأنها وخطرها وكانت اول قنبلة يضعها جمال الدين في وجه بلاد الغرب الجشعة. (١)

وبدأت تلك المجلة تصدر بعد ذلك في صورة الجريدة اليومية من مكة المكرمة وكانت من الجرائد اليومية ويقول القاضي عبدالحليم اثر : انني اتذكر ان هذه الجريدة اليومية (ام القري) كانت تأتي في عام ١٩٣٠م الى مكتبة النادي الاسلامي (اسلامية كلب) بشاور. (٢)

بعد مكث السيد جمال الدين الافغاني في الجزيرة العربية واخذ الفكرة الكافية عن عادات اهلها واخلاقهم وحالتهم الدينية والسياسية والاجتماعية وماهم فيه من الظروف كما اخذ من قبل فكرة عن بلاد الهند وظروفها السياسية المتدهورة عاد في العام القادم

---

(١) الف) جمال الدين الافغاني ـ باعث النهضة الفكرية في الشرق ـ تاليف محمد سلام مدكور ـ الطبعة الاولى ١٣٥٦هـ (١٩٣٧م) القاهرة ـ ص ٣١

ب) مقدمه الرد على الدهريين محمد عبده ـ القاهره ١٣٥٤هـ ـ ١٩٣٥م ص٩ .

ج) حياة السيد جمال الدين الافغاني ـ محمد امين خوكياني ـ كابل ص ١١

(٢) تذكرة السيد جمال الدين الافغاني ـ عبدالحليم اثر ـ بشاور ـ ص٩٢ ـ ٩٣ .

١٢٨٤هـ ١٨٥٨م عن طريق بلوخستان الى افغانستان .(١)

عودته الى افغانستان :

وصل السيد جمال الدين الى افغانستان وكان اميرالبلاد اذ ذاك الامير دوست محمدخان فانضم السيد الى السلك الحكومي وصار من الشخصيات الكبيرة كما فوق اليه امر تربية وتعليم محمد اعظم خان ابن الامير دوستمحمدخان .

وفي عام ١٢٨٩هـ (١٨٦٣م) رغب واشار الانجليز الى الامير دوست محمدخان ان يستولي على هراة . وكان حاكم هراة اذ ذاك صهره وابن عمه سلطان احمدشاه من قبل ايران وقد قبل الامير دوست محمدخان هذه المشورة واعد العدة لذلك وكان السيد جمال الدين في معية الامير .

حاصر المدينة ودام الحصار فترة طويلة واخيرا فتحت المدينة بعد حصار طويل مرير وحرب شديدة وكان الفضل في ذلك راجعا الى السيد جمال الدين . توفي الامير دوست محمدخان واخوه في نفس السنة وتقلد الامارة الامير شيرعلي خان ابن الامير دوست محمدخان وولي العهد طبق وصية والده مع انه كان اصغر اخوته وكان ذلك سنة ١٢٨٠هـ ١٨٦٤م .

وبما ان الامير شيرعلي خان كان اصغر اخوته وتقلد الامارة صار ذلك سببا في اثارة الفتن وكاد ان تحدث فتنة كبري في البلاد وتحدث ضجة شديدة تزلزل اركان الامارة الا ان

---

(١) الف) جمال الدين الافغاني باعث النهضة الفكرية في الشرق ط اول - القاهرة ١٩٣٧م ص ٣٢ .

ب) مضامين جمال الدين (اردو ترجمه) مولانا عبدالقدوس لاهور ص ١٢ .

السيد جمال الدين تمكن من ذلك وبحكمته ازال ذلك الخلاف الذي نشأ بين الاخوة .

وقد جعل الامير شيرعلى خان السيد جمال الدين مستشارا له الا انه لم يكن يعمل على مشورته وكان يعمل مشورة وزيره الخائن محمدرفيق وكان يسعى دائما ان يوقع الخلاف بين الاخوة ويمهد الطريق لترقيته ولو كان ذلك على حساب الاخرين .

اشار على الامير شيرعلى خان وزيره محمد رفيق ان يقبض على اخوته الثلاثة ويخلص نفسه منهم وقد حاول السيد كثيرا ان يحول دون ذلك ولكن دون جدوي وبما ان هوي السيد كان مع الامير محمد اعظم خان لم يرض بهذه السياسة الغادرة .

وهنا علم اخوة الامير شيرعلى خان الثلاثة : محمداعظم و محمداسلم و محمدامين بما يدبر لهم فاسرعوا الى الفرار وتفرقوا فى الولايات كل منهم ذهب الى ولايته التي كان يليها من قبل ابيه ليعتصم بمنعته فيها . وطاشت بهم الفتن واشتعلت نيران الحروب الداخلية وبعد مجالدات عنيفة عظم امر محمد اعظم و ابن اخيه عبدالرحمن وتغلبا على عاصمة المملكة وانقذا محمد افضل والد عبدالرحمن من سجن غزنه وسمياه اميرا على افغانستان ثم ادركه الموت بعد سنة وقام على الامارة بعده شقيقه محمداعظم خان وارتفعت منزلة الشيخ جمال الدين عنده فاحله محل الوزير الاول (رئيس الوزراء) وعظمت ثقته به فكان يلجاء اليه فى العظائم وما دونها . (١)

وكادت تخلص حكومة افغانستان لمحمد اعظم بتدبير السيد جمال الدين لولا سوء

---

(١) الف) جمال الدين الافغانى ـ ابوريه المجلس الاعلى للشئون الاسلامية القاهره ١٩٦٦م ص ٢٩ . ٣٠ ـ

ب) جمال الدين الافغانى . باعث النهضة الفكرية فى الشرق ـ محمد سلام مدكور القاهرة ص ٣٢ . ٣٣ ـ

طن الامير بالاغلب من ذوي قرابته فحمله هذا على تفويض مهمات من الاعمال الى ابنائه الاحداث وهم خلو من التجربة عراة عن الحنكة هذا من جانب ومن جانب اخر لم يرق انجلترا هذا النظام الذي صار اليه محمد اعظم خان وهذه السلطة الواسعة التى استخدمها فى ترقية جمال الدين فعملت على تعكيرا الجو بدس الرسائس ونشر الوعايات ضد (محمد اعظم) .

وحدث ان احد ابناء الامير وكان حاكما فى قندهار ساقه الطيش ان ينازل عمه شيرعلى خان فى هراة ولم يكن له ملك سواها وظن الفتى انه يظفر فينال عند ابيه حظوة فيرفعه على سائر اخوته فلما تلاقى الجيشان ودفعته الجراءة على الانفراد عن جيشه فى مائتي جندي واخترق صفوف اعدائه فاوقع الرعب فى قلوبهم وكادوا ينهزمون لولا ما التفت يعقوب خان قائد شيرعلى خان فوجد ذلك الغر المتهور منقطعا عن جيشه فكر عليه واخذه اسيرا فتشتت جند قندهار وقوي الامل عند شيرعلى خان فحمل على قندهار واستولى عليها وعادت الحرب الى شبابها وعضد الانجليز شيرعلى وبذلوا له قناطير من الذهب تفرقها فى الرؤساء والعاملين لمحمد اعظم فبيعت امانات ونقضت عهود وجددت خيانات كما امدوه بالسلاح وبعد حرب طاحنة دامية تغلب شيرعلى وانهزم محمد اعظم و ابن اخيه عبد الرحمن فذهب عبد الرحمن الى بخارى وذهب محمد اعظم الى بلاد ايران ومات بعد اشرفى نيسابور . (١)

واما السيد جمال الدين فقد بقى فى كابل يكافح الدسائس ويكشف المؤامرات التى تدبر ضده وكان السيد رجلا عظيما ما كان يخاف احدا وكان مخلصا فى وفائه صاحب رأي سديد ومبادئ ثابتة ماكان يتركها للطمع اوالخوف فبقى ثابتا امام العواصف التى تذعزع صم

---

(١) الف) جمال الدين الافغانى ــ ابوريه ــ ص ٣١

ب) جمال الدين الافغانى ــ باعث النهضة الفكرية فى الشرق ص ٣٣

الجبال وتلك وايم الله لبارجة من بوارح القوة وظاهرة من ظواهر النفس العظيمة .

لاقى السيد جمال الدين الاحوال فى هند مالفترة التى حى فيها وطيس الحرب وظهرت فيها مكايد العدد الا انه استفاد من هذه الحرب الخبرة الفنية والشجاعة الجندية كما عرف وكشف سياسة انجلترا واساليب الدس والتفريق التى عرفت بها وكان هذا سببا فيما صار اليه السيد جمال الدين من بغضه وعداوته للانجليز لا لانهم انجليز وانما لسياستهم المبنية على الدس والكيد والعداوة للمسلمين والمبنية على فرق تسد وبداء يعمل لذلك وينفخ فى الافغانيين روح الحرية ومبادئ الوطنية وهذا ماء دعا شيرعلى خان الى اضمار العداوة له ولم يكن يريد الظهور بها وذلك لمكانة السيد جمال الدين فى نفوس الناس وخوفا سف السرته وعظمتها فى البلاد وبداء يحتال لغدر به . ولما شعرا لسيد جمال الدين بما يدبر له فى الخفاء استاءذن الامير فى الحج ليتخلص من يده وسلطانه فاءذن له بشرط الايمر بايدان خشية اتصاله بمحمد اعظم خان الامير السابق . وكان على قيد الحياة فارتحل على طريق الهند سنة ١٢٨٥هـ (١٨٦٨م) بعد هزيمة محمد اعظم بثلاثة اشهر .(١)

ورواية اخري تقول بان السيد خرج من افغانستان الى البلاد الهندية وكان يقصد من ذلك ان يبتعد لعدة ايام عن افغانستان وذلك ابتعادا عن الاضطرابات الداخلية بين الامير شيرعلى خان اميرالبلاد وبين اخوته ويقال انه هذه المرة لم يتجاوز حدود بنجاب لاءن الحكومة الهندية لم تسمح له بذلك ولكن لم يعلم مستقره ولا مدة اقامته وكان شيرعلى خان اثناء ذلك يفكر فى الاساءة الى اخوته فلم يتمكن محمد اعظم فذهب الى الهند . وسجن

---

(١) الف) المصدر السابق نفس الصفحة

ب) المصدر السابق نفس الصفحة

محمد لحفظ افضل خان وقتل محمد امين خان فى قندهار وبعد ذلك انقلبت الامور واتفق محمد
محمد اعظم خان وعبدالرحمن خان دارت الدائرة على شيرعلى خان وفر الى هراة واعدم
محمد رفيق واطلق سراح محمد افضل خان . فوصل السيد جمال الدين من الهند الى
افغانستان وبداء يساعد محمد اعظم خان وبقى متشارا له لمدة سنة ونصف كما بقى رئيس
الوزراء له ولكن حدث الخلاف بين محمد اعظم خان وبين عبدالرحمن خان واراد شيرعلى خان
ان يستغل هذه الفرصة وكانت السياسة الافغانية الحوية فى ايدي روسيا وانجلترا ساعد
الانجليز شيرعلى خان ومن جانب اخر قد مل لحفظ اعضاء حكومة محمد اعظم خان من شدته
وقساوته فتركوا محمد اعظم خان وانضموا الى شيرعلى خان ففففه فانهزم محمد اعظم خان و
عبدالرحمن خان كلاهما ودخل شيرعلى خان الى كابل فاتحا غالبا .

لم يقو يتعرض شيرعلى خان الى السيد الافغانى بسوء الا ان هذا الامر اثر فيه
الى انه اراد الخروج من افغانستان . ويمكن انه كون صورة اتحاد العالم الاسلامى فى مخيلته
وعلى كل فى عام ١٢٨٥هـ ١٨٦٨م استاءذن الامير شيرعلى خان فى الذهاب الى الحج وقد
سمح له بالشرط المذكور سابقا . (١)

وقبل مغادته السيد جمال الدين افغانستان كان قد قام بالاصلاحات التالية :

١) اصدر اول جريدة فى افغانستان باسم شمس النهار كانت توزع فى البلاد وخارجها
٢) نظم الديوان الملكى ومكاتب الحكومة تنظيما جديدا .
٣) نسق الجيش تنسيقا جديدا مبنيا على اصول حديثة .

---

(١) مضامين جمال الدين الافغانى ص ١٤ _

(٤) انشاء ادارات رسمية ووضع مبادئ للنهضة العلمية .

(٥) قام بنظام البريد والترسيل .

(٦) انشاء مستشفيات لعامة الناس .

(٧) عين مجلس الوزراء .

(٨) انشاء مدينة جديدة باسم شيربور

(٩) نظم العلاقات مع الدول الخارجية . (١)

رحلته الى الهند :

خرج من افغانستان بعد حروب دامية واختلافات شديدة واضطرابات مؤلمة ودخل الى البلاد الهندية وكان يريد ان ينزل فيها عند احد اصحابه من تجار الافغان الى ان يأخذ طريقه الى البلاد الحجازية لاداء فريضة الحج ولكن الحكومة الانجليزية لم تمكنه من ذلك واعدت له نزلا خاصا يقيم فيه ولا يبارحه الى سواه فاذعن مضطرا وقد اخذه الدهش عند ما وصل الى التخوم الهندية وانس ان الحكومة تستقبله على الحدود استقبالا فخما و زاد من دهشته ان لم يجد فيمن استقبلوه احدا ممن كان ينتظر ان يقابلوه وعند ما رأى ذلك قال : ما أرب لاحفاوة من كريم .

وما كاد يصل الى نزله حتى سئل عن الزمن الذي يريد ان يقضيه في الهند فأجاب لااكثر من شهرين فوضعت الحكومة رقباء يسئلون كل زائر عن سبب زيارته .

وكانت شهرته قد سبقته الى تلك الديار لما عرف عنه من العلم والحكمة وما ناله من

---

(١) مضامين جمال الدين الافغاني ص١٣ . ١٤

المنزلة العالية بين قومه وما اشتهر عن بطولته فى حروبه ببلاده • ولم يكد يتم اسبوع حتى اصبح زواره مئات بل الافا وارتجت له اقطار الهند وهرع اليه اكابر علماء الهند وواجاداتها وغصت الساحات بالوفود وبينهم من ليس فى استطاعة الحكومة الهندية ان تمنعه من الاجتماع مع السيد •

وطبيعى انه لم يكن ليخفى على الحكومة الانجليزية عداوة الشديد بسياستها • وما قد يحدث وجوده فى الهند من اثارة روح الهياج فى النفوس وكانت الهند يومئذ تغلى بنار الفتن على الرغم من اخماد ثورة ١٨٥٧م • (١)

من اجل ذلك لم تطق الحكومة الانجليزية صبرا على وجوده بين اهل الهند ولما ضاقت به ذرعا ارسلت اليه احد كبار حكامها وعند السيد الافغانى اكابر من الراجاوات والعلماء فخاطب السيد قائلا :

ان الحكومة الهندية كانت قد تساهلت معكم للاقامة شهرين ولكنها رأت ان تتقدم اليكم اليوم بان حالة البلاد لا تساعد على بقائكم اكثر مما مكثتم •

فاراد الحاضرون ان يحتجوا على هذا الانذار وعلت وجوههم علامات الغضب فاوما اليهم السيد بيده اليهم طالبا سكوتهم ومال بينهم وبين رجل الحكومة قائلا :

انى ما اتيت الى الهند لاخيف حكومة بريطانيا العظمى ولا انا على استعداد اليوم لاحدث شغبا عليها ولا لانتقد شيئا من اعمالها ولكن تخوفها من زائر اعزل مثلى وتصادرتها لزائرين هم اضعف منى يسجل على حكومة بريطانيا وهن عزيمتها وضعف شوكتها وقلة عدلها

---

(١) جمال الدين الافغانى ـــ محمد ابورية ـــ ص ٦٩

وعدم امنها فى حكمها وانها فى حقيقة حكمها لهذه الاقطار الشاسعة الواسعة اضعف بكثير من شعوبها ثم لما انتفت الى زائريه وقال :

يا اهل الهند رمزة الحق وسر العدل لوكنتم و انتم تعدون بمئات من الملايين ذبابا لكم مع حاميتكم البريطانيين ومن التخدمتهم من ابنائكم فحملتهم سلاحها لقتل استقلا واستنفاد ثروتكم — وهم بمجموعهم لا يتجاوزون عشرات الالاف — لوكنتم انتم مئات الملايين كما قلت ذبابا لكان طنينكم يصم اذان بريطانيا العظمى ويجعل فى اذان كبيرهم المستر غلاد ستون وقرا ولوكنتم وانتم مئات الملايين من الهنود قد مسخكم الله فجعل كلا منكم سلحفاة وخفتم البحر واحطتم بجزيرة بريطانيا العظمى بحررتموها الى القعير وعدتم الى هندكم احرارا فما اتم كلامه حتى اذرف الحاضرون الدموع فنهض وقال بصوت عال : اعلموا ان البكاء للنساء والسلطان محمود الغزنوي ما اتى الى الهند باكيا بل شاكا للسلاح . ولا حياة لقوم لا يستقبلون الموت فى سبيل الاستقلال بثغر باسم ونهض مسرعا مع رجل الحكومة لكى يذهب معه حيث شاء . فقال له : مهلا الان فموعد السفر غدا . وفى الصباح سيرته الحكومة الانجليزية من هناك فى احد مراكبها على نفقتها الى السويس فجاء الى مصر وكان ذلك فى عام ١٢٨٥هـ (١٨٦٨م) .(١)

والروايات الاخري لا تذكر هذا التفصيل وانما تقول انه ذهب الى الهند ففعت منعت الحكومة الانجليزية فى الهند اتصاله بالناس واتصال الناس به خوفا من اشتعال نار الفتنة حيث لم يكن قد مر على ثورة ١٨٥٧م وقت مديد وقد ضاق السيد من هذه المعاملة السيئة وضاقت الحكومة ايضا به ذرعا واخيرا بعد مكثه فى الهند لمدة شهر واحد سوخرئ

---

(١) نفس المصدر السابق ص ٧٠ . ٧١ —

فى باخرة انجليزية الى السويس ونزل فى اراضى مصر الخصبة . وكان ذلك فى اوائل ١٨٧٠م . (١)

رحلته الى مصر :

وصلت الباخرة التى نزل السيد جمال الدين منها الى السويس فى اوائل ١٨٧٠م واواخر ١٢٨٦هـ ومنها سافر الى القاهرة ولم يمكث بها الا اربعين يوما استطاع بقدرته العجيبة وذكائه الفارط ان يتعرف بالكثير من عادات المصريين واخلاقهم وسياسة بلادهم الداخلية وقد تردد على الجامع الازهر خلال هذه المدة وتقرب اليه كثير من الاساتذة والطلاب واتصل به جم غفير من علية القوم واصحاب الكلمة .

ولقد ذكر الامام محمد عبده لتلميذه السيد رشيد رضا :

ان الذي اخبره بقدوم السيد جمال هو احد طلاب العلم السوريين فى رواق الشوام قال : انه قدم مصر عالم افغانى عظيم وهو يقيم فى خان الخليلى فسررت لذلك واخبرت الشيخ حسن الطويل ودعوته الى زيارته معى فالفيناه يتعشى هو وخادمه ابو تراب فدعانا الى الاكل معهما فاعتذرنا فطفق يسائلنا عن بعض ايات القران وما قاله المفسرون والصوفية فيها ثم يفسرها لنا فكان هذا مما ملأ قلبي اعجابا وشغفني به حبا . (٢)

[illegible]

(١) الف) مضامين جمال الدين ص ١٦ —

ب) جمال الدين الافغانى — باعث النهضة الفكرية فى الشرق ص ٣٧ . ٣٨

ج) حياة جمال الدين الافغانى — محمد امين عكو خوكيانى (فارسى) كابل ص ١٥

د) نابغة الشرق السيد جمال الدين الافغانى سعيد الافغانى . مصر ص ٢٣ —

(٢) جمال الدين الافغانى — محمد سلام مدكور ص ٤٠

وكان فى نية السيد جمال الدين السفر الى الحجاز والاقامة به ليري غرسه ويباشر عمل جمعية ام القرى التى انشاها عند زيارته الاولى للحجاز وتهمتع بذلك الجوالخالى من دنس الاجنبى وينعم بالحرية التامة فى بلاد امنت غارات المستعمرين وطمع الطامعين واطمائنت على نفسها من هجمات الاعداء بما وهبها الله من الحصون الطبيعية التى تنحصر عنها فلول الجاشعين فضلا عما كان يراه فى هذه البلاد من نمو دعوته وذيوعها بين المسلمين عامة فى هذا البيت العتيق المقدس ٠ (١)

وبينما هو يعد عدته للسفر الى الحجاز اذ بالخليفة يستدعيه الى الاستانه لما وصل الى سامعه من مكانة السيد وعلو شأنه بين المسلمين ولما عرف عنه الميل الى توحيد كلمة المسلمين وجمع شملهم بتأسيس (جمعية ام القرى) بمكة فلم يسع جمال الدين الا ان يترك ما قدر جانبا ويتبع ما قدرته له الاقدار او خطته له القوة العلية وان يذعن لارادة السلطان ويجيب امره ٠ (٢)

هذا ويقول مولانا عبد القدوس :

اول ما نزل السيد بأراضى مصر جعل العلماء وابطلة يميلون اليه ٠ وقد الح بعض ابطلة السوريين على السيد ان يقرأ لهم شرح الاظهار وقد درس لهم قطعة قليلا من هذا الكتاب ٠

كانت دروس السيد محجونا مركبا من العلم والسياسة والنقد اللاذع على السياسة الانجليزية جزواهاما من دروسه وكان لكلامه اثر فعال ٠ وبطبيعة الحال لم تكن افكار السيد

---

(١) نفس المصدر محمد سلام مدكور ص ٤٠ ٠ ٤١

(٢) جمال الدين الافغانى باعث النهضة الفكرية فى الشرق ص ٤١

وارادة تسر الانجليز وانما كانت تقلق مضجعهم وعلى اساس امر تانه طولب اخراج السيد الافغانى من مصر مع ان عامة المصريين كانوا فى حق السيد الاان الخديو لم يكن يرغب فى بقائه فى مصر واخيرا غير رأيه وتعجل بالسفر الى الاستانه .

على كل فان هذه الايام القليلة اتت بنتائج مفيدة حيث وجد فيها تلميذا بارا وفيا الاوهو الشيخ الامام محمد عبده الشهير . (١)

ويقول الاستاذ سعيد الافغانى :

وايا ما كان فقد خرج السيد الافغانى من الهند فى سفينة سارت به على طول سواحل الهند حتى غادرتها واتجهت به الى السويس فجاءها فى اواخر ١٢٨٦هـ (١٨٧٠ ثم اتجه الى القاهرة فاقام فيها نحوا من اربعين يوما . وفى هذه الفترة القصيدة لقيه الشيخ محمد عبده لاول مرة عن طريق بعض الطلبة من الشوام . فكان هذا اللقاء بدء العلاقات بين الاستاذ وتلميذه الاكبر وقد قال الشيخ محمد عبده انى قد صاحبته ابتداء من شهر المحرم سنة ١٢٨٧هـ (١٨٧٢م) واخذت اتلقى عنه بعض العلوم الرياضية والحكمة الفلسفية الكلامية وجعلت ادعوالناس الى التلقى عنه واخذ مشائخ الازهر والجمهور من طلبته يتقولون عليه وعلينا الاقاويل بل ويزعمون ان تلقى تلك العلوم قد يفضى الى زعزعة العقائد ولكن الطلبة السوريين كانوا اكثر الناس تقديرا لفضله واحرصهم على الاستفادة من علمه فخالطوه ومالوا اليه وطلبوا منه ان يشرح لهم بعض كتب فى النحو - ولما احسن جمال الدين العداوة من بعض شيوخ الازهر . اثر أن يدعهم فترك لهم القاهره والقطر المصري واتجه الى تركيا فى سنة ١٢٨٧هـ ١٨٧٠م . (٢)

---

(١) مضامين جمال الدين الافغانى ص ١٦ -

==

وعلى اي كيفما كان سواء اكان بدعوة الخليفة او بسبب بغض شيوخ الازهر او عدم موافقة الخديو او جميعا فقد ترك مصر بعد ان بذر فيها بذوره وغرس فيها غرسه واتجه الى استانه مقر الخلافة العثمانية اذ ذاك .

رحلته الى الاستانه (تركيا)

سافر السيد جمال الدين الى الاستانه سنة ١٢٨٧هـ ـ ١٨٧٠م واستقبلة الحكومة استقبالا حسنا وقد اكرم السلطان عبد العزيز وفادته ورحب الصدر الاعظم عالى باشا وسائد الوزراء والعظاء والتف حوله العلماء والادباء ونزل منهم منزلة عالية . وتناقلوا الثناء عليه لعلمه وادبه ودعاه السلطان الى مجلسه فلما مثل بين يديه وكان السيد معتزا بافغانيته لابسا القباء والكساء والعمامة العجراء . قابله السلطان بالبشاشة وقربه اليه واخذ يستفسر منه عن احوال الافغان و سائد البلاد التى رحل اليها . ويستطلع رأيه الدينى والسياسى فكانت اجابات السيد محكمة رصينة تدل على عقل جبار ونفس ابية واخلاص للاسلام والمسلمين وقد دعاه السلطان مرات عديدة كان للسيد فى جميعها موضع اعجاب السلطان وثنائه . ثم رأي الخليفة ان من الحكمة الانتفاع بمواهب السيد فى اعماله الرسمية فأمر بتعينه عضوا فى مجلس المعارف بعد ستة اشهر من وصوله الى الاستانة .(١)

قام السيد باصلاحات كثيرة فى مجال التعليم وبدأ يلقى محاضرات علمية بنفسه وكانت محاضراته قيمة ومؤثرة الى درجة كان الاتراك يسمونها ب سحر القلوب وبالاضافة

---

(٢) نابغة الشرق جمال الدين الافغانى ـ سعيد الافغانى القاهره ١٩٦٧م ص ٢٣ ، ٢٤

(١) جمال الدين الافغانى ـ باعث النهضة الفكرية فى الشرق ص٤٢ ، ١٣

الى ذلك بداء يلقي محاضرات دينية واجتماعية في موضوعات مختلفة في جامع السلطان احمد و ايا صوفيه وزادت شهرته حتى وصلت الى خارج تركيا ولكن هذه الشهرة صارت سببا في اثارة الرجعيين من العلماء وقد تزعم هؤلاء شيخ الاسلام (حسن افندي فهمي) شيخ اسلام تركيانى ذلك الوقت الذي كان يري في تعاليم السيد جمال الدين مساسا برزقه وتحديد السلطنه فاضمر لجمال الدين السوء وتربص به الدوائر للنكاية به والتقليل من شأنه والخفض من مقامه فكان لا يظهر رأي للسيد في الصحف وفي الاجتماعات حتى ينقده شيخ الاسلام نقدا غير برئ يبدو في طواياه الفكر والحقد والعداوة والبغضاء وحاول ان يتهم السيد بانه منحرف عن الدين ولا عزو فهذا من احدي افات الشرق ما من شخص ينجح ولو نجاحا يسيرا لا يضر احدا ولا يقطع الرزق عن احد بل يكون وسيلة لفتح ابواب الخير ــ الا واوغر نجاحه صدور الاشرار فأخذ وايحاولون صدمه وتجريحه حتى يكون في زمرة العاجزين معهم واذا عجزوا عن تحطيمه ووصلت مكافحة اهل الحق الى النجاح والفوز يجتمع اهل الهم الدينة يقولون اقاويل كثيرة ويتظاهرون باعمال الصلحاء ويحبون ان يحمدوا بما لم يفعلوا وكان شيخ الاسلام من هذا القبيل كان يبحث عن الى سبب للاساءة الى السيد الافغاني .

وحدث ان السيد جمال الدين القى محاضرة عن الصناعة في دار الفنون في اوائل رمضان ١٢٨٧هـ ١٨٧١م وبعد ان عرضها على اصحاب المناصب العالية من امثال دولتلو (منيف باشا) و صفوت باشا مشير الضابطية و رشواني زاده عضو مجلس المعارف وقد

استحسن الجميع هذا الخطاب قبل الالقاء ولم يبد الى واحد منهم رأيا مخالفا لذلك وقد شبه السيد الافغاني في هذا المقال المجتمع الانساني بالجسم الحي وشبه كل صناعة

فيه بالعضو من ذلك الجسم . (١)

وفى اثناء الكلام تكلم السيد عن الفلسفة والنبوة فقال :

ان الفلسفة صنعة من اكمل الصناعات وانها تكتسب بالبحث والدرس اما النبوة فمنحة الهية يختص بها الله من يشاء . او يصطفى من عباده كذلك تفترق النبوة عن الفلسفة والحكمة من جانب اخر وهو ان النبى معصوم يهبط اليه الوحى دون مقدمات او طلب اما الحكيم والفيلسوف فيخطئ ولايصل الى الحقيقة الابعد جهد كبير وقد لا يصل اليها ابدا فبعد هذا بدأ شيخ الاسلام يبث حقده ويقول ان السيد جمال الدين يزعم ان النبوة احدى الصناعات ثم بعث رجاله الى وعاظ المساجد يستعديهم على الافغانى لكى يهاجموه ويرموه بالالحاد والكفر . ولما علم السيد بهذا فكان رده انهم يفتون على بالكفر وانا اتهمهم بذلك وعند ما افتى على ابن سينا بالكفر فقرأ هذا الشعر .

در دهر چون من يكى وان هم كافر
پس در همه دهر يك مسلمان نبرد (٢)

فى الدهر مثل واحد وهو ايضا كافر
فلم يكن فى العالم كله سلم واحد

وجوابي انا ايضا هذا لجواب

وبعد هذا اشتد النزاع اكثر وانقسم الناس الى قسمين :

---

(١) الف ـ جمال الدين الافغانى باعث النهضة الفكرية فى الشرق ص٤٣ . ٤٤
ب ـ مضامين جمال الدين ص ١٨
ج ـ نابغة الشرق ـ جمال الدين الافغانى ص ٢٥

(٢) مضامين جمال الدين الافغانى ص ١٨ . ١٩ ـ

قسم يؤيد السيد جمال الدين ويدافع عنه ومنهم تحسين افندي وسليمان بلخى و وزير التعليم منيف باشا . وكان الصدر الاعظم ايضا مائلا اليه والقسم الاخر كان يؤيد شيخ الاسلام ووجدت الصحف فرصة سانحة ودارت المساجلات عنيفة كل يتهم الاخر وقد نصح بعض العقلاء السيد جمال الدين ان يلتزم الصبر ولكن ابى الا ان يظهر الحق . ووصلت المناقشة الى اقصى الحد من الخلاف والنزاع واراد السيد محاكمة شيخ الاسلام ولكن اخيرا اضطر الصدر الاعظم ان يحسم الخلاف وطلب من السيد بناء على الروايات الشرقية القديمة ان يتكرم بمغادرة الاستانه الى الحج كي يعود اليها بعد ما تهداء الحالة ويعنى ذلك انه طلب من الباغي والكافر ان يذهب الى كعبة الله ويضع ناصيته على ارضه الطاهرة (١) منطق غريب وكلام اغرب . هكذا حدث ما حدث للسيد جمال الدين الافغاني في الاستانه . من ذلك الرجعى الذي يدعى شيخ الاسلام والاسلام منه براء لانه اتهم ورمى اكبر المسلمين واعظم المصلحين والمجاهدين في سبيل الله حق جهاد الذي كرس حياته ووقف قلبه وروحه وجسده لاعلاء كلمة الله وتوحيد المسلمين تحت راية واحدة الا وهى راية الاسلام تخفق في جميع ربوع البلاد الاسلامية كما كانت ترفرف من قبل ويعود المسلمون الى ما كانوا عليه من قوة شديدة وتقدم ونهضة علمية قبل مئات السنين الى العصر الذي يفتخر به الا وهو عصر الخلفاء الراشدين ان امكن والا فعصر الرشيد والمامون من العباسيين على الاقل ويكونوا مصداقا لقوله تعالى كنتم خير امة اخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر .... الاية (٢) هكذا ترك السيد الاستانه واتجه الى خارجها .

---

(١) المصدر السابق ص ١٩

(٢) ال عمران (٣) : ١١٠

رحلته الاخري الى الحجاز و مصر :

غادر جمال الدين تركيا مغضبا واتجه نحو الحجاز فاقام به فترة قصيدة لكن لعدم ملاءمة الجو لصحته اراد ان يقصد مصر للمرة الثانية ووصل الى مصر في ١٢ مارس ١٨٧١م كما يقول مولانا عبدالقدوس او في ٢٢ مارس ١٨٧١م كما يقول محمد سلام مدكور و سعيد الافغاني .

جاء الى مصر مرة اخري وما كان يريد ان يبقى فيها كثيرا لانه كان اشماز مما لاقى في الاستانة من المعارضة الشديدة من قبل الذين يعتبرون انفسهم علماء اجلاء وما هم كذلك وكان يريد ان يذهب الى بلد اخر يستطيع ان يقوم فيه بما يريد من تادية الرسالة الاسلامية الحقة ولكنه حينما وصل الى مصر وكان من قبل قد بذر بذورا صالحة في هذه الارض بدا الطلبة يفرون عليه في منزله بالاضافة الى تلاميذه ومريديه السابقين والح هؤلاء عليه ان يبقى في مصر وتجدد العلم والادب خدمة جليلة وينفخ فيهم روح العزة والشرف والحرية والغيرة على الدين وقد وصل الكلام الى رئيس الوزراء رياض باشا وكان وطنيا يحب مصر والمصريين وكان يود كل الخير للبلاد كما كان خديو مصر اذ ذاك اسماعيل وكان هو ايضا يحب العلم والعلماء فقد وجد السيد جمال الدين اهتماما بالغا بقدومه من قبل اهالى مصر ومن قبل رئيس الوزراء حيث قرر له عشرة جنيهات مصرية كراتب شهري بصفة اكرام الضيف والعالم الجليل لا بصفة الموظف لانه السيد لم يكلف باي وظيفة من قبل الحكومة وانما تركت له الحرية يفعل ما يشاء ان شاء القى الدروس على من ياتون اليه في بيته او في مقهى البوسطة بميدان العتبة الخضراء وان شاء لم يدرس .

وكل هذا الاكرام من قبل الحكومة ومن قبل الاهالى والطلبة المتنورين واصحاب الطرابيش خاصة جعل السيد الافغانى راضيا على البقاء فى مصر يخدم العلم والادب ولا غروسا ذلك ولا خوف فى ذلك للخديو اسماعيل لأن الخديو اسماعيل كان رجلا يحب العلم والعلماء وكان يريد النهضة العلمية فى البلاد وكان قد فتح مدارس ومعاهد كثيرة لهذا الغرض فى البلاد وكانت هذه الايام هى الايام الاول من مجيئ السيد الى مصر الايام التى لم يكن فيها نفوذ خاص للانجليز او غير الانجليز كما حدث بعد عام ١٨٧٦م اما قبل هذا التاريخ فكان النفوذ الانجليزي لم يصل الى الحد الخطير وانما كان الخديو اسماعيل ملك البلاد يتصرف كيف يشاء ويسين القانون على حسب ما يريد هو كما انه كان ينافس حكومة الاستانه وكان يريد الانفصال عن تركيا ويريد الاستقلال التام للبلاد . وبما انه عرف ان السيد جمال الدين اخرج من الاستانه اخراجا غير شريف وان السيد لقى من الاتراك مالقى من المعاملة السيئة وخاصة من طبقة العلماء وعلى رأسهم شيخ الاسلام الذي رمى السيد بالالحاد والكفر . وان السيد لابد ان يؤيد الخديو اسماعيل فى مقابل حكومة الاستانه . كما عرف ان السيد جمال ذو عقلية جبارة وجرأة نادرة وعلم واسع ومقدرة كلامية لاتقف امامها الجبال الراسخة وانما تندك وتزعزع بخطبته القوية وحجته الرامخة وكان يتوقع فى السيد جمال الدين انه يستطيع بالملكات التى منح بها من الله سبحانه وتعالى ان ينفخ روحا جديدة فى الشعب المصري ويزنيهم فى اللباس العلم وبذلك ستحدث نهضة علمية فى البلاد بفضل السيد جمال الدين وسيكون هذا مفخرة للخديو .

فمكث السيد جمال الدين فى مصر وبدأ بنشر رسالته الدينية والادبية بواسطة تلاميذه الذين كانوا يضرون عليه فى بيته بخان الخليلى او فى مقهى البوسطه وكان قد

وصل عددهم الى ثلاثمائة وكانوا من صفوة ابناء الامة ونبغائها . ولم يلبث ان كان له الانصار والمحبون يتعشقون دروسه ويحبون الاستماع اليه في حديثه ويغبطونه على ما وهبه الله تعالى من رجاحة العقل وحصافة الراي ويلازمونه في الرواح والغدو وكانوا له لسان مدح وثناء عند الناس اجمعين .

والذي ظهر لنا في بادئ الامر ان الازهريين والشيوخ المحافظين لم تجتذبهم مبادئ جمال الدين وتعاليمه الدينية وان راقت في اعينهم مبادئه السياسية التي عرف بها وكان العدد الاكبر من تلاميذه المترددين على داره المستعدين لتلقي مبادئه من اصحاب المناصب العالية في القضاء او اساتذة المدارس العالية او رؤساء المصالح الحكومية وان كان بعضهم او جلهم قد تعلم في الازهر غير انهم كانوا عن تلقوا شيئا من علوم الغرب .

وقد يبدو عجيبا من اول الامر ان يكون المطربشون اكثر تلاميذ السيد ولكن يزول هذا العجب اذا عرفنا ان للمصريين عذرا في ذلك لانهم كانوا من العنصر المحافظ الذي لا يقبل البحث او التجديد او المناقشة في اصول الدين وفروعه وخطة جمال الدين التي كان يسير بها هي ان يخاطب الدين العقل مؤيدا بالادلة والبراهين ليس معتمدا على النقل وحده وقد كان التعليم في الازهر في تلك الايام قد تشعب الى قسمين وفريقين كل فريق بما لديهم فرحون كان هناك فريق المحافظين على كل قديم ولو كان ضارا في الواقع وفريق اخر وهو فريق النازعين الى التجديد وكل ما هو يسيغه العقل السليم ويرضى به بعد ان جوزن بميزانه القويم ويختبر بتلسكوبه ويرى بمنظاره غير ان النابهين من الازهريين لم يتاخروا عن المجيء الى السيد وانما سارعوا اليه يستفيدون من بحر علمه و ذلك بعد ان فهموا اغراض السيد النزيهة وافكاره التي لم تكن تخالف الدين وانما كان يريد

بالدين او للدين فحملوه على تدريس الكتب العلمية فى مواد مختلفة وفنون متعددة من فنون الكلام والحكمة النظرية طبيعية وعقلية وفى علم الهيئة الفلكية وعلم التصوف وعلم اصول الفقه الاسلامى .

وكان من عادته انه كان يلزم داره طيلة نهاره فاذا اقبل الليل يخرج متوكئا على عصاه الى مقهى البوسطة قرب الازبكية (بميدان العتبة) فكان يجلس السيد وتلاميذه من حوله فى شكل نصف الدائرة وكان فيهم اللغوي والشاعر والمنطقى والطبيب والكيماوي والتاريخى والجغرافى والمهندس والطبيعى فيتسابقون فى القاء ادق المسائل عليه . فكان السيد يقوم بحل جميع الاشكالات واحدا تلو الاخر وكان ذلك بلسان عربى مبين يتدفق كالسيل من قريحة ليس فيها كلال ولا لكنة ولا تعثر ولا هذا ولا ذاك فكان بذلك يدهش السامعين ويجيب السائلين والمعترضين بما يقنعهم وكان تدوم هذه الندوة حتى ينقضى أكثر الليل ويشتعل رأسه شيبا فينقد صاحب المقهى ثمن ما تناوله هو والاخرون .[1] وكانت هذه النهضة التى بدأها السيد جمال الدين نهضة علمية دينية ادبية مع قليل من بث الروح السياسية فيها ويقول تلميذ السيد الرشيد محمد عبده فى هذا السدد :

ان كنت مشتغلا بطلب العلوم فبينما انا حول الرياض احوم اذ عثرت باثار العلوم الحقيقة فشغفت بمناجنا ولكن لم اجد من هى له طوية فحرث فى امري واخذت اجيل فكري

---

(١) الف — جمال الدين الافغانى — باعث النهضة الفكرية فى الشرق ص ٤٩ — ٥١

ب) نابغة الشرق جمال الدين الافغانى ص ٢٧

ج) مقدمه مضامين جمال الدين — ص ٢٠

د) تذكرة جمال الدين الافغانى — عبد الحليم اثر بنارو ص ١٢٦ — ١٣٤

وكلما سألت اجابوني بأن الاشتغال بها حرام او قد نهى عنه علماء الكلام فتعجبت شدة التعجب وغفلة الناقلين اعجب وتفكرت فى سبب ذلك فرأيت ان من جهل الشيئا عاداه ومن اخلد عن العلا يأباه فوجدتهم كمن علك بلسانه ورق العناب فلا يدري مرارة الحنظل ولا حلاوة العسل وبينما انا كذلك اذا اشرقت شمس الحقائق فوضح لنا بها دقائق الدقائق بوفود حضرة الحكيم الكامل والحق القائم استاذنا السيد جمال الدين الافغانى لازال لمه لثمار العلوم جانيا فرجوناه فى شيئ من ذلك فأجاب والحمد لله على ذلك فنلنا بذلك طرائق التحف فأوماء الينا بكليات هذه جزئياتها وايات هذه بيناتها وذلك على فترة من الحكمة فكأنه غيث ارسل لاحياء تلك النعمة و سميتها الواردات فى سر التجليات . (١)

ولقد ذكرلنا الامام ايضا :

انه قرأ على السيد جمال كتاب : الزوراء للديوانى فى التصوف و شرح القطب على الشمسية والمطالع وسلم العلوم من كتب المنطق والهداية والاشارات وحكمة العين وحكمة الاشراق من الفلسفة وعقائد الجلال الدوانى فى التوحيد والتوضيح مع التلويح فى الاصول والجغمنى وتذكرة الطوسى فى الهيئة . (٢)

نعم ان حالة مصر فى عهد خديو اسماعيل كان احسن نوعا ما من حالتها فى عصر عباس باشا و سعيد باشا لأن فى عصرهما شلت جميع الامور حتى كانت اكثر المدارس التى كانت قد فتحت قبلهما قد اغلقت ولم يبق الا نذر يسير منها ولما تولى الخديو اسماعيل وكان منههد من انصار العلم والادب فاعاد فتح تلك المدارس مرة اخري وزاد على ما سبق و

---

(١) تاريخ محمد عبده ج ٢ ص ٩ (رشيد رضا)

(٢) نفس المصدر ج ١ ص ٢٦

فتح مدارس اخرى ايضا الا ان الامر الاخر اللافت للنظر هو ان الحالة الاقتصادية و السياسية والاجتماعية بدأت تتدهور وتنهار وذلك ان الاطماع الاوربية فى خيرات مصر اشتدت وزادت اكثر من ذي قبل وذلك بسبب اسراف الخديو اسماعيل وترفه ودفعه كل ذلك الى الاستدانة من الشركات البريطانية والفرنسية والديون التى كان يحصل عليها اكثرها كانت كلها تصرف فى الامور الشخصية كما كان الجزء الكبير منه يضيع على مصاريف من قبل الشركات واصحاب الشركات والديون هذه كان لا بد من ادائها لاصحاب الشركات فهنا كانت المصيبة تنزل على الطبقة المتوسطة من الفلاحين وملاك الاراضى واصحاب التجارة والمهن وكانت الزيادة فى الضرائب متفرقة وكانت تحصل بقوة السوط والكرباج وكل من كان يتأخر فى ادائها فكان محل العذاب من قبل الحكومة وكان يجبر على بيع الحيوانات من الابقار والجواميس وغيرهما من المواشى او كان يكلف بيع اثاث المنزل واجبات الضرائب ولم يكن هناك وقت محدد لاخذ الضرائب وجبايتها وانما كانت احيانا تحصل رتجبى فى وسط السنة واخرى فى اوائل السنة واحيانا كانت ضرائب السنة القادمة تؤخذ مقدما ولكن هذه الضرائب لم تكن تكفى لسد تلك الديون التى اخذت من المرابين الاوربيين فى بريطانيا وفرنسا وغيرهما فكان الخديو اسماعيل يعقد صفقة جديدة من الديون بطرق اخرى وحيل جديدة وارباح طائلة وقد سبب كل ذلك التدهور الاقتصادي فى البلاد وجعل الاهالى فى الفقر المدقع فى اسوء حالة حتى وصل الامر الى الحد انك اذا كنت تذهب الى الارياف وتلقى النظرة على حالة الشعب كنت تتأثر الى اقصى الحد من حالهم السيئ ما كنت ترى شخصا فى ملابس كاملة وفى ايام الاسواق كنت ترى النساء يأتين الى السوق وفى ايديهن الحلى من الذهب والفضة وغلة والملابس الجاهزة او اثاث المنزل يعرضن هذه الاشياء للبيع لدفع الضرائب

وعلى وجوههن البغض والكراهية هكذا كانت حالة مصر الاقتصادية وسبب ذلك ايضا التدخل الاجنبى من بريطانيا وفرنسا فى شئون البلاد المالية وعنيت نظارتان نظارة بريطانية و اخرى فرنسية للاشراف على اموال مصر وبذا بدأت من اسوإ الى اسوإ .

وبالاضافة الى ذلك ساءت الحالة الاجتماعية لان الحالة الاقتصادية لها اثر بالغ فى الحالة الاجتماعية ففشت فى الشعب المصري عادات بذئية وانتشرت اخلاق سيئة من السلب والنهب والسرقة والكذب والخداع والغدر وغيرها من الاخلاق الفاسدة .

اما الحالة السياسية فلا تسأل عنها فانها كانت على اسوإ ما يرام تدخل اجنبى سافر فى الشئون المالية والسياسية وعدم استقرار وطمأنينة وبغض وكراهية للخديو اسماعيل والاجانب غير المصريين من الجراكسة والاتراك الذين كانوا يتمتعون برغد من العيش و الأوربيين الذين كانوا يمتصون خيرات البلاد و اهلها يتضورون من الجوع ويرتعشون من البرد لا يجدون ما يسدون به البرد القارس ولا شدة الحرارة من ابدانهم كل ذلك تسبب فى غليان صدور الناس بالحقد والغضب والكراهية ضد هؤلاء و هؤلاء . ولكن هل لكل شيئ حد واذا تجاوز الحد الاقصى فلا بد أن ينفجر . هكذا كانت حالة البلاد والسيد جمال الدين كان فى مصر يرى كل ذلك رأي العين فلم يكتف بالنهضة العلمية والادبية والدينية فحسب وانما انبرى الى الميدان وبدأ ينير عقول تلاميذهم بافكار نيرة ويحضهم على الكتابة فى الجرائد فى موضوعات تتعلق بحالة البلاد السياسية والنقد اللازع للحكام والاجانب من الانجليز خاصة كما بدأ هو بنفسه ويكتب فى الجرائد باسمه مرة وباسم مستعار مظهر بن وضاح واصبح سببانى اجراء جرائد مصر محروسة و مرآة الشرق كما حث جريدة مصر وهى تلميذه اديب اسحق باصدار جريدة اخرى ماعدا جريدة جريدة التجارة و اضطره كل

ذلك ان يلتحق بالجمعية الماسونية الاسكتلندية الذي يربط اعضاءه برباط متين حتى اصبح السيد من رؤسائها بعد وقت قصير لكن لما رأى السيد الافغاني انه لا يستطيع العمل مع امثال هؤلاء الاخوان الخاملين الخائفين استقال منها وانشاء محفلا وطنيا اخر وجمع فيه طلابه ومريديه . وبلغ عدد هؤلاء نحوا من ثلثمائة عضو وكان هو رئيسه واشتد حركة المطالبة بالحقوق وكان يلقنهم محبة الحرية ويحرضهم على المطالبة بالحياة الدستورية لمراقبة ملوكهم .(١) لذلك طلب توفيق باشا من الافغاني ان يقابله واكد له انه يحب الخير للمصريين وانه يرغب في النهضة بمصر ولكن ماذا يستطيع عمله وحده اذا كان الشعب خاملا جاهلا فقال جمال الدين : يسمح لي سمو امير البلاد ان اقول بحرية واخلاص ان الشعب المصري كسائر الشعوب لا يخلو من وجود الخامل والجاهل بين افراده ولكنه غير محروم من وجود العالم والعاقل فبالنظر الذي تنظرون به الى الشعب المصري و افراده ينظرون به لسموكم وان قبلتم النصح من هذا المخلص واسرعتم في اشراك الامة في حكم البلاد عن طريق الشورى ... يكون ذلك اثبت لعرشكم وادوم لسلطانكم(٢) واظهر توفيق بن اسماعيل انه يقدر هذه النصيحة ووعد ان يفصل للاصلاح اذا جاء دوره لانه في الوقت كان الاختيار التام لابيه اسماعيل وكانت هذه الصلة بين توفيق والافغاني سببا في ازدياد نفوذ توفيق اذ التف حوله رجال مصر من اصحاب المناصب الرفيعة و ارباب القلم الذين ينشرون اراءه السياسية والاصلاحية وفي هذا الوقت كانت مظالم اسماعيل وعدم تعقله في اجراءاته وصلت الى حد ان

---

(١) أ ــ مضامين جمال الدين ص ٢٠ ــ ٢٥

ب ــ نابغة الشرق جمال الدين الافغاني ص ٣٠

ج ــ تذكرة السيد جمال الدين ص ١٢٩ ــ ١٣٩

(٢) نابغة الشرق السيد جمال الدين الافغاني ص ٣٠

كل الشعب جعل يطلب عزل اسماعيل ويقال انه اقترح السيد على تلميذه محمد عبده ان يقتل اسماعيل وان محمد عبده اعترف بأن السيد جمال الدين كان حريصا على خلع اسماعيل وانه اقترح عليه ان يقتله وكان محمد عبده اراد انفاذ امر استاذه لكنه لم يفعل لانه قد جاء بناء بعزل اسماعيل من الاستانة فى ١٦ يونيو سنة ١٨٧٩م وفى اليوم نفسه جاء الى توفيق بناء بتوليته خديويا على مصر وجاء فى اول خطاب توفيق ما يدل على انه اراد ان يفى بوعده الذي قطعه على نفسه من قبل لجمال الدين وصحبه وهو ضرورة التعرض بالبلاد وسداد الديون ونشر التعليم وتحقيق الحكم النيابى لكن بعد مدة ظهر ان توفيق كان ضعيف الرأي والعزم والارادة وشديد التردد يخاف على عرشه ولم يعمل بما وعد بل قد طرد السيد جمال الدين من مصر (١).

ولم يكن طرد السيد الافغانى من مصر الا عن كيد من فئات ثلاث، طرد نجيانة من توفيق باشا وتحريض من الانجليز خوفا من جمال الدين على مصالحها فى مصر وشيوخ الدين الجامدين وعلى رأسهم الشيخ عليش الذي كان يعده الشعب المصري حينئذ من كبار العلماء الاولياء . ويحسن بنا ان ننقل كلام الاستاذ محمد عبده فى هذا الشأن حيث يقول :

قد صاحبته من ابتداء شهر محرم سنة ١٢٨٧هـ (٣ ابريل ١٨٧٠م) واخذت اتلقى عنه بعض العلوم الرياضية والحكمة والفلسفة والكلامية وادعو الناس الى التلقى عنه كذلك اخذ مشائخ الازهر والجمهور من طلبته يتقولون عليه وعلينا الاقاويل بل يزعمون ان تلقى تلك العلوم قد يفضى الى زعزعة العقائد الصحيحة وقد يهوي بالنفس فى ضلالات تحرمها خير الدنيا والاخري (٢).

(١) من حديث لمحمد عبده فى منزله فى ١٨ مارس ١٩٠٣م كتاب التاريخ المسري للاحتلال البريطاني مصر ص ٣٥٤ ـ

ومما يدل على ان شيوخ الازهر كانوا يحرضون تلاميذهم على السيد جمال الدين وتلاميذه كما قرر ذلك الاستاذ الامام ما قصه الاستاذ ابراهيم الهلباوي الذي كان زميلا للاستاذ الامام فى طلب العلم بالازهر على الاستاذ طاهر الطناحى مدير مجلة الهلال قال رحمه الله :

لعلك تعجب اذا قلت لك : اننى كنت من الد اعداء الشيخ محمد عبده و استاذه السيد جمال الدين الافغانى ولما وفد السيد على مصر سنة ١٨٧١م وكانت سنه لا تزيد على الثانية والثلاثين اخذ يلقى دروسا فى العلوم الدينية والادبية والفلسفية بروح جديدة واسلوب جديد لم نعهده فى الازهر فكان طبعيا ان ينقم عليه شيوخنا ويحرضوننا عليه وعلى اتباعه وكنت يومئذ من اشد الناس كرها لجمال الدين وتلاميذه وعلى رأسهم الشيخ محمد عبده وقد بلغ بى طيش الصبا ان توجهت الى استاذنا الشيخ عليش وكان من اعلام الازهر ومشاهير العلماء فزعمت له ان محمد عبده يصلى العصر بغير وضوء فارسل معى جمعا من الطلاب فوجدناه يصلى فقطعنا صلاته واخذناه عنوة الى الشيخ وهناك امر بتعزيره فانهلنا عليه ضربا موجعا وبعد سنين دخل علينا ذات ليلة ضابط من الجيش ومعه جندي وكنا نسكن غرفة فى ربع عنان وقال للجندي : من اعتدي عليك من هؤلاء المشائخ فقال الجندي : ان المعتدي عجمى فادركت انه يعنى جارنا السيد جمال الدين وذهبت معهما لادلهما عليه ولما وصلنا الى مسكن السيد سأله الضابط عن ضرب الجندي فاجابه : اخلع نعليك اولا وانا اقص عليك الحادث فامتثل الضابط وخلعنا نعالنا وجلسنا فاستدعى السيد جمال الدين تابعه اباتراب وامره ان يقص عليه الحادث فتبين ان الضارب هو ابوتراب وان الجندي كان

---

(٢) جمال الدين الافغانى ـ محمد ابوربة ص ٨٦

يلبس الملابس البلدية ويسير في الريح حاملا شيئا معه فظنه لصا واعتذر ابوتراب عما حدث وانتهز الضابط فرصة وجوده عند جمال الدين وسأله :

هل صحيح انه وجدت جماعة في عهد الرسول محمد صلى الله عليه وسلم تأبى الايمان بدين محمد ولا تقيم الشعائر الدينية اكتفاء بما تقوم به من سقاية الحجاج وعمارة المسجد الحرام .

فالتفت السيد الي وقال : اتحفظ القران يافتى .

فقلت نعم .

فقال اقرأ : اجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن امن بالله واليوم الاخر وجاهد في سبيل الله لا يستوون عند الله الخ الاية . (١) فقرأتها واعجب الضابط بهذا الجواب اما انا فقد ازالت هذه الحادثة كل ما كان في نفسي من السيد جمال الدين وامنت بأنه من افاضل العلماء وقد احببته واحببت الشيخ محمد عبده وسائر اتباعه وصرت تلميذ اللاول ثم تلميذ اللثاني وصديقا حميما الى ان توفاه الله . (٢)

هذه شهادة احد الطلبة النابغين الذين تخرجوا على جمال الدين بعد ان كان يتحرض شيوخه من اعدي الناس له .

هكذا اجتمعت قوي الشر ضد السيد جمال الدين واخرج من مصر الى بلاد الهند ومن اول الواشين لدي توفيق باشا خديو مصر كان هو قنصل انجلترا الحاكم حيث وشى لدي توفيق وقال ان السيد جمال الدين يعمل على استبدال الحكم الجمهوري بالحكم القائم وان

---

(١) التوبة (٩) : ١٩

(٢) جمال الدين الافغاني – محمد ابوريه ص ٨٦ ، ٨٧

من مصلحته ان يخرجه من البلاد فلم يلبث ان اصدر امره بنفيه بعد ان قضى ثماني سنوات في مصر وكان ذلك بقرار من مجلس النظار منعقدا برياسة الخديو وكان نفيه غاية في القسوة والغدر اذ قبض عليه ليلة الاحد السادس من رمضان سنة ١٢٩٦هـ ٢٤ اغسطس سنة ١٨٧٩م وهو ذاهب الى بيته وخادمه الامين ابوتراب وحجز في الضبطية ولم يمكن حتى من اخذ ثيابه وحمل في الصباح في عربة مقفلة الى محطة السكة الحديدية ومنها نقل تحت المراقبة الشديدة الى السويس وانزل منها الى باخرة اقلته الى الهند وسارت به الى بمباي (ميناء الهند) ولم تتورع الحكومة عن نشر بلاغ رسمي من ادارة المطبوعات بتاريخ ٨ رمضان سنة ١٢٩٦هـ ٢٦ اغسطس سنة ١٨٧٩م ذكرت فيه نفي السيد بعبارة جارحة ملوءها الكذب والافتراء بما لا يجدر بحكومة تشعر بشيء من الكرامة والحياء ان تسف اليه فهي قد نسبت اليه السعي في الارض بالفساد ويعلم الله انه لم يكن يسعى الا الى يقظة الامة وتحريرها من ربقة الذل والعبودية ويحسن ان نأتي بنفس نص القرار الذي صدر بنفي السيد من مصر ونشر في جريدة الاهرام بعددها الصادر في ٢٨ اغسطس سنة ١٨٧٩م ما نصه :

ورد الينا الاخطار الرسمي الاتي من ادارة المطبوعات نشرناه بامرها وبحرفه :

قد استقرت الحكومة بان هناك جمعية سرية من الشبان ذوي الطيش مجتمعة على فساد الدين والدنيا رئيسها شخص يدعى جمال الدين الافغاني مطرود من بلاده ثم من الاستانة العلية لما ارتكبه من امثال هذه المفسدة في ديارنا المصرية فالتزمت هذه الحكومة الحازمة ان تتخذ الطرق اللازمة في قطع عرق الفساد فأبعدت ذلك الشخص المفسد من الديار المصرية بأمر ديوان الداخلية ووجهته من الطريق السويسي الى الاقطار

الحجازية لا زالة هذا الفساد من هذه البلاد عبرة للمعتدين ولمن يتجاسر على مثل هذا من المفسدين .(١)

ومن المؤلم حقا ان يتقرر النفي ويصدر مثل هذا البلاغ من حكومة يرأسها الخديو توفيق باشا وهو على ما نعلم من سابق تقديره للسيد ومن وزرائها محمود سامي البارودي ناظر الاوقاف وقتئذ وقد كان من اصدق مؤيديه وانصاره .

ومما يوجب الدهش حقا ان نري محمود سامي البارودي يشترك في الامر الذي صدر بنفي السيد جمال الدين الافغاني وكان من اخلص انصار السيد . ومن الذين عاهدوه على العمل معه للوصول الى اغراضه التي كان يجاهد في سبيلها فهو بذلك قد نقض عهده مع استاذه وقد ذكر ذلك السيد جمال الدين في اس للامير شكيب ارسلان .

وعلى كل فقد ابعد السيد جمال الدين من مصر على اثر مؤامرة دبرها قنصل انجلترا ودعمها العلماء الرجعيون اعداء العلم والادب ونفذها الخديو توفيق خوفا من انجلترا من ناحية لانه كان لعبة في يد الانجليز وخوفا من جراءة السيد جمال الدين وكتاباته في الجرائد وخطبه في الاندية والمجالس من جانب اخر وهو في كل ذلك ينبه المصريين الى حقوقهم المغصوبة . ويدعوهم الى اليقظة التامة في جميع ميادين الحياة الدينية والاجتماعية والسياسية والفكرية والعلمية الشاملة . وينفرهم ضد التدخل الاجنبي الغاشم الذي يطمع في خيرات بلده ومص دماء اهله وهذا الاجنبي الغاشم [illegible] المكار الخداع هو بريطانيا العظمى كما تدعى ذلك وعلى كل ترك السيد جمال الدين بلاد مصر الحبيبة بعد ان مكث فيها ثماني سنوات كاملة وقد قام في هذه المدة باصلاحات كثيرة يحسن ان نذكرها بالاختصار

(١) جمال الدين الافغاني — محمد ابوريه ص ٩٩

وهى :

الخدمة الدينية :

من خدماته الدينية الجليلة فى مصر ان السيد جمال الدين انشا جمعية وطنية خيرية . فرع اليه الشباب فى مصر فكان لارشاداته اثر كبير فى تهذيب نفوسهم فغرسك فى قلوبهم حب الاسلام . والعمل على توحيد كلمة المسلمين وايقنوا ان اتباع نصائحه فيه حياة للامة الاسلامية فلبوا دعوته وقدروها حق قدرها والتف حوله شباب المسلمين فى مصر اذ كان يفتح لهم المشاكل بمفتاح السعادة الذي كان فى يده المباركة وانعقدت اول جلسة من جلسات الحزب الوطنى المصري برئاسته وكان هذا الحزب دقيق التنظيم للغاية فلم يكن للصوص مجال بين صفوفه وكان محرما على اعضائه ان يتخذوه وسيلة للشهرة او ان يتخلقوا بأخلاق الاجانب فكان الحزب بذلك ميزانا يزن الاشخاص ويفرق بين الغث والثمين وكان اعضاؤه بعيدين كل البعد عن العجب والانانية مستعدين كل الاستعداد لبذل كل مرتخص وغال فى سبيل رقى البلاد ورفعة شأنها وكان جمال الدين على رأسهم يدعوهم ويحمسهم وكان عدد اعضاء الحزب الوطنى المصري ثلاثمائة عضو وكان جمال الدين يطلع المجتمعين على حقائق ما فى دين الاسلام المبين وشريعة خير المسلمين من سمو ورفعة فى خطب نارية يلقيها بين الحين والحين . ويبرهن على ان الاسلام ارشد الناس عن طريق كتابه المبين والقران الكريم . الى ما فيه الرقى المادي والمعنوي للطبيعة البشرية .

وبين السيد أن اجدادنا واسلافنا بلغوا اعلى مراتب العز والسؤدد حينما تمسكوا به والموا بحقائقه وحققوا اهدافه . فلما انحرفوا عن السير فى هذا الطريق السوي

ونبذوا احكامه وراء ظهورهم سقطوا الى هذا الدرك من الحياة لأن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم وانه لا مجال للشكوى من الاوربيين واتهامهم بأنهم سبب انحطاطنا لان المسلمين لم يذلوا الا بعد انحرافهم عن الطريق القويم ثم بين ان الوسيلة المثلى لخلاص المسلمين مما ترد وا فيه انما هى التمسك بحبل الله المتين كما بين فى القران الكريم . [1]

وقد اعتلى السيد منبر الخطابة عند انعقاد الجلسة الخامسة عشر للحزب الوطن وافتتح كلامه بقوله : اللهم انك قلت وقولك الحق (والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وان الله لمع المحسنين) [2] وحيث ان دعوتى قد وجهت الى هذه النفوس الزكية التى اجتمعت هنا قلوبها طائعين مخلصين لوجهك الكريم فاللهم ارشدنى حسب قولك الحق الى سبيل الهداية

ايها السادة : اعلموا ان المدينة الانسانية الفاضلة وان الصراط المستقيم للسعادة لا يتحققان الا بالقران .

فالقران الكريم هو الدستور المقدس وهو خلاصة اشرف الاديان والبرهان القاطع لخاتم الاديان السماوية الى يوم القيامة وهو الذي يكفل السعادة فى الدارين والنجاة فى الحياة فواه لنا كيف غفلنا عن حقيقته .

وقد اخذ هذا الدستور بيد اسلافنا الى طريق السعادة والمجد ورفعهم الى السماكين رغم انهم لم يكونوا فى درجتنا من الحضارة فكيف تركناه وراءنا ظهريا . واكتفينا بتلاوته على القبور فى ليالى الجمع وجعلت تلاوته وسيلة يشغل الصائمون بها اوقاتهم وتيسلى بها الاطفال فى المكاتب واتخذ نا منه التعاويذ والنذور والقرابين وجعلناه مطية للايمان الكاذبة ووسيلة للتسول وزينة لرقاب الاطفال وقلائد العرائس ومعاصم الخباعة وحماية للمسافرين و سلاحا لمن اصابهم مس من الجن وزينة للحفلات واقواس النصر ورمزا للمصارعين وسلعة

للتجارة بين البلاد المختلفة ورأس مال لباعة الكتب وتبركا فى الانتقال من بيت لاخر والة فى يد الشحاذين من ارازل الرجال والنساء فى الطرق والشوارع ... فوا اسفاه ! ان سورة من القران هى سورة العصر لا تذيد عن ثلاث ايات قد ادت الى سعادة شد ذمة من اصحاب الصفة فاستطاع افرادها ان يحولوا بطحاء مكة التى كانت محطا للشرك ودار للاصنام الى بيت للتوحيد ومصلى للعبادة ... فواالهفتاه ان هذا الكتاب السماوي المقدس المنزل من قبل الذات الالهية والذي هو ذخيرة لكل السعادات قد انحط قدره وصار اقل فى الانظار من ديوان كليات سعدي وحافظ الشيرازيين وعمر بن الفارض والمثنوي لجلال الدين الرومى وصارت العناية به اقل من العناية بهما فلم يستفيدوا من مواعظه وادابه وحكمه رغم ان الافواه والعيون تتفتح عجبا عند سماع ابيات من الشعر فى الوقت الذي لا يأبه فيه انسان بالقران عند تلاوته ولا يحاول تدبر معانيه اي وحقك سبحانك اللهم ... انك القائل وقولك الحق نسوا الله فانساهم انفسهم [(١)] لقد نسيناك وحرمت مرآة قلوبنا من انعكاسات معرفة حقيقتك سبحانك اللهم لقد قلت وقولك الحق ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم [(٢)] وقد حولنا وجوهنا عن طريق طاعتك فاستبدلت عزتنا وسعادتنا ذلا وهوانا فعليكم بذكر الله الاعظم وبرهانه الاقوم فان نوره المشرق هوالذي به تخرج الهواجس وتتخلص من عتمة الوساوس وهو مصباح النجاة من اهتدي به نجا ومن تخلف عنه هلك وهو صراط الله القويم من سلكه هدي ومن اهمله غوي عليكم بالفوز مما انتشر من لالى مقالات صاحبه عليه السلام لقوله صلوات الله على قائله : اذا اراد الله بقوم سوءا اقل منهم العمل واكثر فيهم

---

(١) نابغة الشرق السيد جمال الدين الافغانى . ص ٣٢

(٢) العنكبوت (٢٩) : ١٩

(١) الحشر (٥٩) : ١٩ — (٢) الرعد (١٣) : ١١

الجدل وقوله عليه السلام :

ثلاث لا يغل بها قلب امرئ مسلم اخلاص العمل لله والنصيحة لولاة المسلمين ولزوم جماعتهم المسلمون تتكا فأ دماؤهم ويسعى بذمتهم ادناهم وهم يد على من سواهم".(١)

وقوله عليه السلام : لا يزال الامر فى امتى ما لم يتخلقوا باخلاق الفرس . واشباه هذه الغرر الزاهرة التى تتضمن واحدة منها سعادة الامم كلها والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته (٢)

وحينما نزل السيد من فوق المنبر وجد ان ثلث اعضاء الجلسة قد اغشى عليهم من فرط التأثر ووجد الباقين على وشك ان يفقدوا رشدهم فبكى السيد واخذ يردد قوله : اي وحقك اللهم مع نسيناك فانسيتنا انفسنا ويظل يردد هذا القول حتى يسقط ويفقد صوابه وهكذا ظل الحاضرون ثلاث ساعات بين بكاء وأنين واغماء . (٣)

ثم تقدم حسن عطايك خديو مصر الى السيد ورش على وجهه ماء معطرا فأفاق واختتم كلامه بقوله : يجب على كل مسلم يبغى نجاة الاسلام والمسلمين ان يعمل بأحكام القران ويطبقها تطبيقا دقيقا وان يقتدي بأسلافه من اهل الصدر الاول من المسلمين وان يجعل دأبه خلوص النية وصفاء الباطن وخدمة المجتمع والابتعاد عن البخل والحسد والطمع وان يلتزم بساطة العيش والعمل بالواجبات واجتناب المحرمات فهذه هى الوسيلة الناجحة التى اتبعها اسلافنا فنجوا . (٤)

وقد تحمس الناس وكان اول عمل عملوه انهم باعوا ما يملكون من اثاث وفرش ومن وسائل

---

(١) ابن ماجه - كتاب المناسك - ط كراتشي ، نور محمد ١٣٨١ هـ
(١) نابغة الشرق جمال الدين الافغاني . ص ٣١ . ٣٣
(٢) نفس المصدر ص ٣٣
(٣) المصدر السابق ص ٣٤ . ٣٥

الركوب والترف وتبرعوا بثمنها لصندوق الحزب الوطنى ينفق منها على المعوزين والمحتاجين والعجزة • وفى سبيل اصلاح الامة الاسلامية كما تعهد كل عضو من اعضاء الحزب ان يطيع الله ويطبق ما جاء فى القران وان يتلو حزبا منه كل يوم على الاقل وان يعمل فيه فكره بتدبير وامعان وان يسير على الاسس الاتية :

(١) ان يؤدي الفرائض والنوافل وأن يلزم صلوة الجماعة •

(٢) ان يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر •

(٣) ان يدعو الى الاسلام •

(٤) الا يجادل اهل الكتاب الا بالتى هى احسن •

(٥) ان يحسن الى الفقراء •

(٦) ان يسعف المحتاجين ويعينهم ما استطاع الى ذلك سبيلا •

(٧) ان يصل الرحم •

(٨) ان يعود المرضى •

(٩) ان يتفقد احوال اصحابه الغائبين •

(١٠) ان يرحب بالقادمين •

(١١) ان يؤتى الزكاة •

(١٢) ان يرشد الجاهل وينبه الغافل •

(١٣) ان يخلص نفسه من الخصال الرديئة ولا سيما العجب والانانية وحب الذات وما شابه ذلك •

(١٤) ان يعفو ويصفح عن اخطاء الاخرين •

(١٥) ان يكظم الغيظ .

(١٦) ان يتجنب اللهو واللغو .

(١٧) ان يحمل كل عضو من اعضاء الحزب دفترا يسجل فيه المواد السبع عشرة الاتية :

ا ـ الاحسان الى الفقير .

ب ـ الاستغفار عن الغريب

ج ـ تحية القادم .

د ـ تفقد امور الغائب .

هـ ـ الامر بالمعروف .

و ـ عيادة المريض .

ز ـ صلة الرحم .

ح ـ ارشاد الجاهل .

ط ـ تنبيه الغافل .

ي ـ مناقشة اهل الكتاب بالحسنى .

ك ـ التوبة عن الفسق .

ل ـ ازالة الرذيلة .

م ـ العفو عن الخطاء .

ن ـ كظم الغيظ .

س ـ هداية الكافر الى الاسلام .

ع ــ اداء الحق ٠ (١)

على ان يسجل كل منها في الدفتر على حسب هذا التسلسل وان يأخذ كل انسان نفسه بالعمل بها ٠ ثم يسجل الجميع هذا في سجل عام يضم جميع اعمال رجال الحزب الوطني حتى يعرف محصول الحزب حينما يعقد مؤتمره العام ٠ وقد قام اعضاء الحزب بتنفيذ هذه التعاليم ثم احصوا ما حصلوا عليه نتائج نوجدوه كالاتي :

١) تسعون الف تومان ايراني اي ما يساوي ١٨١٠٠٠ جنيه مصري في ذلك الوقت جمعت من التبرعات النقدية للاعضاء ٠

٢) بلغ عدد المرضى الذين عادهم اعضاء الحزب واعانوهم الفا وخمسمائة مريض ٠

٣) بلغ عدد الغائبين الذين تفقدوهم خمسمائة غريب ٠

٤) عدد الحاجات التي قضوها اثنتى عشرة الف حاجة ٠

٥) بلغ عدد الذين تابوا من شاربي الخمر وتاركي الصلاة خمسة وعشرين الفا ٠

٦) ترك جميع من كانوا في الادارات الانجليزية اعمالهم وانضموا الى المجاهدين من رجال الحزب الوطني ٠

٧) بلغ عدد الاكابر الذين تنازلوا عن ثرواتهم للحزب الوطني وتركوا حياة الترف خمسمائة

٨) بلغ عدد من عوضوهم من التجار المفلسين ٧٥ شخصا ٠

٩) بلغ عدد من مدوهم بالمعونة من ابناء السبيل ٢٠٦ شخصا ٠

١٠) بلغ عدد من اعتنق الاسلام من النصاري واليهود ١٢٠ شخصا ٠

١١) بلغت مجالس الدعوة للاسلام ٤٤ مجلسا ٠

---

(١) مضامين جمال الدين ص ٢١ ٠ ٢٢ ــ

١٢) بلغ عدد الحلول العقلية والاجتماعية التى اعطيت لمن طلبها ١٢٠ حلا .[١]

وعلى هذا النهج اخذت الخدمات الاجتماعية للحزب الوطن فى كل ناحية للحياة المدينة تتوسع وتقوي يوما بعد يوم .

وكل هذا اخاف الانجليز واذ نابهم وعملاءهم وزعزع كيانهم وجعلهم يكتبون تقارير ويدبرون المؤامرات للقضاء على الحزب الوطنى فى مهده . فهذا هو اللورد كرومه المستشار البريطانى قد ادرك ان نفوذ بريطانيا اخذ فى التقلص بدرجة عجيبة . وان تجارة الانجليز كسدت كسادا شنيعا ورأي المبشرون فى القارة الافريقية ان ما عمله الحزب الوطنى المصري يبلغ اضعاف ما فعلوه هم فى سنوات عديدة . واصيب الموظفون الانجليز بكثير من الفزع لانهم رأوا ان المصريين لا يريدون التعاون معهم . مما اصاب العمل بعقم شديد كما لاحظ اصحاب الشركات التجارية الانجليزية ذلك وان المصريين يعدونهم اعداء للاسلام والقران ولا يرغبون فى التعاون معهم مما اصاب تجارتهم بكساد عجيب فكتب اللورد كرومر فى تقريره الى حكومته ان الحزب الوطن الذي يمسك بزمامه جمال الدين الافغانى لو ظل يواصل نشاطه بهذه الطريقة فانه سوف يقضى على التجارة الانجليزية فى مصر و افريقية واسيا كما يقضى على النفوذ الانجليزي قضاء مبرما وبين ان وجود الحزب الوطن اشد عائق يقفه فى طريق هذه السياسة وانه يجب القضاء على الحزب قضاء مبرما .

وكتب فى تقرير اخر يقول : ان الحزب الوطنى هو اوضح مظهر لنهضة العرب منذ ثلاثة عشر قرنا من الزمان وهو يبرهن حقا على كيفية سيطرة العرب على ثلث المعمورة فى فى اقل من ربع قرن .

---

(١) نابغة الشرق السيد جمال الدين الافغانى ص ٣٦

وقال اعضاء المجلس الكنس : لم يدر بخلد شخص شيئ اعجب من ان سعمائة مليون من المسيحين المثقفين الاقوياء المجهزين بكل ما يلزم الانسان فى حياته يتقهقرون ويتراجعون امام اربعين شخصا يقودهم درويش ...

وكتب احد الاطباء فى مستشفى بورسعيد وكان ايرلندي الجنسية فى كتابه فلسفة المجتمعات يقول : كنت قد سمعت ان الاشياء يمكن ان تتضاعف الى مئات الاضعاف فاذا ضوعف مثقال من القمح حسب قواعد التضعيف الموجودة فى خانات الشطرنج فانها تحتاج الى ثلاثة الاف مخزن كما تحتاج فى حملها الى ٣٦٠ بعيدا اروان المن (نوع من الصبح يوزن به فى ايران) التبريزي اذا ضوعف حسب القاعدة الشطرنجية المذكورة فان الناتج يكون ٧٢٧ ٠٨٩ خروارا (وزن ايرانى يساوي سدس طنى) وهو يساوي مجموع محصول القمح فى العالم كله . ويحتاج فى حمله الى جميع الطرق الحديدية وسفن العالم كلها نعم قد سمعنا عن هذه القاعدة التصاعدية ولكننا لم نجدها اكثر من هذه النسبة التصاعدية التى نبحث فى مصر فان رجلا جاء اليها ثم انضم اليه واحد هو الشيخ محمد عبده ثم استطاع ان يكون حزبا بلغ عدده فى خلال تسعة اشهر ١٨٠ . ٢٠٠ عضو واصبح يملك رأس مال كبير فى المصاريف واصاب المصالح الاوربية بأضرار عجيبة ولو ظل هذا الحزب يتوسع بهذه الطريقة فانه سيشمل جميع سكان العالم بناء على هذه النسبة التصاعدية .

وكتب رئيس شركة انجليزية الى احد الصيارفة فى لندن يقول له :

اخى العزيز ! ان تغلب السياسة الاوربية اليوم فى مصر بهذه الصورة ستغلب غدا فى العالم كله فقد تقهقرت امام جماعة لا يملكون الا بساطة العيش والمثابرة فى العمل وحب النوع البشري .

وكتب احد الضباط البريطانيين الى قرينته يقول :

زوجتي العزيزة ان المجتمع الاسلامي تسوده نهضة وثابة تجعل الانسان يعتقد ان الدول الاوربية يجب ان تنفض يدها مما تحت ايديها من المستعمرات ويجب على الشعب البريطاني ان يجد له مأوى في مناطق القطب الشمالية او الجنوبية .

وكان لهذه الاقوال جميعها اثر في نفوس افراد الشعب البريطاني فأيقنوا ان بقاء الحزب الوطني المصري فيه قضاء عليهم فسارعوا بتنبيه حكومتهم الى ضرورة القضاء على الحزب الوطني المصري والتنكيل برئيسه قبل ان يستفحل شره ولذلك دبر الانجليز نسيج المؤامرات لنفي جمال الدين ثم محمد عبده من مصر وتخريب الحزب الوطني ووقع ما دبره الانجليز كما وقع القبض على كثير من اعضاء الحزب الوطني . ووظفوا بعضهم في دواوين الحكومة بمرتبات ضخمة وقضى على الحزب الوطني نحبه . وكان عمره لا يزيد على تسعة اشهر وبضعة ايام . واخذ الاوربيون يتنبهون بعد ذلك حتى لا تقوم في البلاد الاسلامية نهضات كهذه .(١)

اثره العلمي والادبي :

كان الادب العربي في نثره وشعره عند ما هبط السيد جمال الدين مصر – لا يخرج عن نثر سخيف و شعر بارد في الغزل والمديح والاستعطاف وما الى ذلك من الاغراض التي لم يكن الشعراء يحسنون غيرها ولم يكن يدرس في مصر من العلوم غير التي تدرس في الازهر

(١) نابغة الشرق السيد جمال الدين الافغاني ص٣١ – ٣٨ – وقد اخذ هو عن كتاب الشيخ محمد محلاتي الضروي الفارسي في كتابه : (كفتار خوش يار قلي) المطبوع في النجف الاشرف سنة ١٣٤٠هـ .

كالفقه والتوحيد والتفسير ونحوها . وكانت هذه العلوم تدرس فى هذا المعهد على الطريقة العتيقة التى الفها وهى تنحصر : فى المتن والشرح والحاشية والتقرير . ونقل ما فى الكتاب الى الرؤوس بغير فهم ولا ادراك . ولكن لم يكد السيد جمال الدين الافغانى يصل الى مصر ويعقد حتى انبعثت ثورة فى الادب والعلم . واهتدي اليه كثير من طلبة العلم واستوروا زنده قاوري . واستفاضوا بحره فغاصوا درا وقد وجه السيد عنايته لحل عقد الاوهام عن توائم العقول فنشطت بذلك الهاب و واستضاءت بصائر . وحمل تلامذته على العمل فى الكتابة وانشاء الفصول الادبية والحكمية والدينية فاشتغلوا على نظره وبرعوا وتقدم فن الكتابة فى مصر .

ويطيب لنا ان نسوق هذا كلمة لشاعر مصر الكبير الحافظ ابراهيم وهو من نوابغ تلاميذ الاستاذ الامام يخاطب بها رجال الادب فى عصره . ويبين فضل السيد جمال الدين على اللغة العربية واثره فى احياء ادابها :

قال رحمه الله : (١)

انى اراكم بين متفصح على اخيه ومتنبل على قرينه وليس هذا صنع من يريد ما تريدون تحاولون رد هذه الدولة الى شبابها بعد ان خلا من سنها ولو لم يتداركها الله بهذا الافغانى لقضت نحبها ولقيت ربها قبل ان يمتعها بكم ويمتعكم بها .

ادركها الافغانى ولم يبق فيها الا الذماء فنفخ فيها نفخة حركت من نفسها وشدت من عزمها ادركها وهى شمطاء قد نحفر منها بياض المشيب فى سواد الشباب فشاب قرناها قبل ان تشيب ناصية القرن الخامس عشر (الهجري) فسودت يده البيضاء ما بيضت من شعرها سود الليالى وتعهدها همه بصنوف العلاج حتى استقامت قناتها وبدا صلاحها وقد كان

---

(١) جمال الدين الافغانى ـ محمد ابوريه ص٨٢ . ٨٣
وقد اخذ هو عن كتاب (ليالى سطيح) ص ٦٢ـ ٦٤

الناس فى هذا العهد يدينون باللفظ ويكفرون بالمعنى فما زال بهم حتى ابصروا نور الهدي وخرجوا بفضله من ظلمات القرون الوسطى . وقام بعده نفر ممن تأدبوا عنه فكانوا كالسيوف فرجت للرماح ضيق المسالك فانفسح للمتأدبين المجال وجال كل جولته وتنبه الوجدان وتيقظ الشعور وتحرك الفكر حتى إنضى الى حركة النفس وظهر اثر جمال الدين فى النفوس العالية واصبحت تبتدر كلامه الاسماع الواعية فكان من ذلك ان انطوي اجل التقليد وان بعث الله على يديه ميت اللغة واحيى رفات الانشاء وغادر رحمه الله عليه مصر ولم يضع لنا كتابا نأخذ عنه او مؤلفا نغترف منه ولكنه ترك لنا رؤسا تؤلف وافكارا تصنف وكأنه احس بذلك حين احس بالموت فكان يقول وهو يجهد يحدث نفسه : خرجنا منها ولم ندع لنا اثرا ظاهرا بين السطور ولكن لم نغادرها حتى نقشنا ذلك الاثر على صفحات الصدور فان لم ترثوا عنا فى بطون الكتب فقد ورثتم عنا فى صدور الرجال فاذا حثوتم التراب على رجل الافغان فعليكم برجل مصر . (١)

ويقول الاستاذ عمر الدسوقي فى النهضة الادبية فى مصر او يرجع نصله الى السيد جمال الدين :

ولا نستطيع ونحن نتكلم عن الحياة العقلية فى عصر البارودي ان نغفل شخصية علمية كان لها اكبر الاثر فى حياة شاعرنا الاوهى شخصية السيد جمال الدين الافغانى فعلى الرغم من ان شخصيته السياسية طغت على شخصيته العلمية الا ان اثره فى الادب العربى الحديث اجل من ان يهمل .

دخل جمال الدين مصر فى سنة ١٨٧١م ومكث بها ثمانى سنوات كانت من خير السنين بركة على مصر . وعلى الشرق العربى والاسلامى . واخذ عقله المنظم الجبار يشع النور فى كل

---

(١) المصدر السابق ص ٨٣

مكان يحل فيه صاحبه فدروس منظمة يلقيها في بيته على صفوة مختارة من حوارييه امثال : محمد عبده وعبد الكريم سلمان وابراهيم اللقاني وسعد زغلول وابراهيم الهلباوي وكانت هذه الدروس في المنطق والفلسفة والتصوف : الى مجلس اخر باحد المقاهي ساعة كل يوم حيث يلتف حوله انما طه شتى من الراغبين في التزود من علمه وفكره • يجلسون اليه ويطرحون عليه اسئلة في مختلف الموضوعات وهو يجيب اجابة العالم المحقق لا يسأم من الكلام فيما ينير العقل ويطهر العقيدة او يذهب بالنفس الى معالي الامور او يستلفت الفكر الى النظر في الشئون العامة مما يمس مصلحة البلاد وسكانها فاستيقظت مشاعر وتنبهت عقول وخف حجاب الغفلة في اطراف متعددة من البلاد خصوصا في القاهره •

وفي هذه الحلقة انشئت مدرسة غير مقيدة بمنهج او كتاب ولكنها كانت روحا مشعة تبدد دياجير الغفلة وتحيي العزائم الميتة وتلهب الارادات الخامدة وتفتح الاذهان المغلقة وفيها تخرج البارودي والمويلحي ومحمد عبده وابراهيم اللقاني وسعد زغلول و على مظهر واديب اسحق وغيرهم • وفي هذه المدرسة العامة استعرضت احوال الامة الاجتماعية والسياسية وحقوقها وواجباتها وادواؤها ودواؤها وانتقد الحكام وبثت تعاليم الوطنية ونشت روح التذمر من الاجانب وتدخلهم في شئون البلاد مما كان له ابلغ الاثر فيما بعد •

ويحسب جمال الدين اخرا في الادب انه وجهه الى الاهتمام بالشعوب ومشكلاتها بعد ان كان كله يدور حول الامير وحاشيته فصرنا نسمع الكتاب والشعراء يدافعون عن الشعوب المظلومة التي تئن تحت نير العبودية والعسف لا تعرف كيف تراجع الحاكم في حكم ابرمه ولو كان ظالما ولا كيف تثور وتئن وتتوجع وتسمع شكاتها للعالم والحاكم سادر في غلوائه

يمتص دماءها ويسخرها لاهوائه وشهواته ولا يفكر في نفعها الا بمقدار ما يعود عليه هو من الفائدة ولقد كانت مصر تئن وتتوجع في هذا العصر من الضرائب القاسية والاستبداد والظلم والسخرة والجلد والفقر والجهل وصرنا نسمع الكتاب والشعراء في ذلك العصر يدعون الى الاخذ بنظام الشوري في الحكم حتى تشعر الامة ان مقدراتها بيدها وحتى تأمن جانب الحكام . وعبثهم بكنوزها وارزاقها بل مقامرتهم على استقلالها وحريتها . (١)

اما في مجال الصحافة فقد اتى السيد جمال الدين بالعجب العجاب حيث نفخ في تلاميذهم روح اليقظة والجرأة والشجاعة والتنبه لحقوقهم وحقوق الشعب المظلوم . والنقد على الامراء الطغاة المستبدين والحقد على الاجانب عامة والانجليز خاصة الذين كانوا يتدخلون في شئون البلاد المصرية السياسية والمالية ويأخذون خيرات البلاد المصرية الى بريطانيا وكانوا يفرقون بين اهالي البلاد ويريدون ان شعرهم بأن الخير كل الخير في ان يكونوا تحت رعاية الانجليز وعنايتهم . نبه السيد جمال تلاميذه الى كل ذلك وكان يكتب هو بنفسه في الصحف باسمه مرة وبالاسم المستعار مظهر بن وضاح مرة اخري وكان يبين الداء ويذكر له الدواء . كما انه اشار على تلاميذه ان ينشئوا جرائد ويكتبوا فيها مقالات . ومن هذه الجرائد التى انشئت باشارته وبفضل ارشاده جريدة مصر و مروسة و مرآة الشرق والتجارة و ابو نظارة مع الاشارة الى ان حلة الصحافة قبل مجيء السيد الى مصر لم تكن قابلة لأن تذكر حتى في عهد السيد كانت في الاول تصدر جريدتان صغيرتان من الاسكندرية وكان الهم منهما توصيل الاخبار الى الاوربيين فقط دون اي ساس للسياسة والصحافة الحرة

---

(١) نوابع الفكر العربي محمود سامي البارودي — عمر الدسوقي . دار المعارف — مصر ١٩٥٣م ص ١٦ . ١٧

لم يجربها احد . ولم يفكر فيها احد والافغاني هوالذي وجه الناس الى هذه الناحية وبدا التنقيد على السياسة الخارجية من الناحية نجليزية خاصة كما بداء لنقد على الخديو ايضا ونبه الشعب الى ان يطالبوا بحقوقهم المنصوبة ويستردوها بقوة الحلم والقلم والاباالطر التى يعرفها المستبد الغاشم والاجنبى المخادع . واول جريدة من هذا النوع كانت جريدة مصر عام ١٨٧٤م وكان صاحبها اديب اسحق ولم يتجاوز عمره ثماني عشرة سنة ولم تكن عنده مصاريف لذلك ماعدا احدي عشرة روبية ولكنه كان تلميذا للسيد الافغاني صاحب الارادة الصامدة والعزم القوي الذي لا يحول دونه اي حائل كما اصدر هو (اديب اسحق) جريدة ثانية باسم التجارة . وعلى قول جرجي زيدان بفضل هاتين الجريدتين بداءت الحركة واليقظة في الناس وانقشعت سحب الكسل والخمول وعدم الاحساس واخيرا منعت الحكومة هاتين الجريدتين وعلى كل فان اثر السيد الافغاني في الصحائف الحرة اثرخالد واثر بالغ واثر بكر من نوعه لم يكن له مثيل من قبل في بلاد مصر خاصة والشرق عامة .(١)

اثره السياسي :

لاشك ان السيد كان من ألد الاعدا للسياسة البريطانية وكان عدوا لدودا للانجليز وكان نشاء على حب الحرية والعدالة والمساواة وكان يمقت الاستعمار ويحاربه في كل مكان حل فيه . وكان جرئيا شجاعا ما كان يخاف في قول الحق لومة لائم . ولم يكن يرضى بالضيم وكان له مقصد سياسي خاص يعمل له ويضحى بكل مالديه من اجله .

وهذا المقصد كما يقول الاستاذ محمد عبده :

انه كان يسعى لانهاض احدي الدول الاسلامية من ضعفها وتنبيهها للقيام على

---

(١) مضامين جمال الدين الافغاني ص ٢٣ . ٢٤ —

شئونها حتى تلتحق بالدول القوية ليعود للاسلام شأنه والدين الحنيف مجده ويدخل في هذا تنكيس دولة بريطانيا في الاقطار الشرقية وتقليص ظللها عن رؤوس الطوائف الاسلامية وله في عداوة الانجليز شئون يطول بيانها ٠

جاء السيد الى مصر يحمل بين جنبيه نفسا كبيرة وروحا قوية ناقما على دول الاستعمار وخاصة انجلترا منددا باعمالها في الشرق التي تزدري بالانسانية وتذهب بالكرامة ٠

وكان المصريون وقتئذ قادمين على عهد بغيض استهدفت فيه البلاد للاخطار وعانى فيه الاهالي مرارة الاستبداد من فداحة الضرائب بسبب اسراف اسماعيل في القروض مما جاء عام ١٨٧٦م حتى كان للتدخل الاجنبي اليد الطولى في شئون مصر وبدأ المصريون يشعرون بخطر ذلك التدخل فثاروا على نظام الحكم واعلنوا سخطهم للحكومة وسياستها الخرقاء التي افضت الى امتهان كرامة البلاد وكانت نهضة وطنية حقة ظهرت بفضل مبادئ جمال الدين الوطنية وتعاليمه السياسية التي غرسها في تلاميذه فكانت بعد من اهم العوامل في تنشيط الروح القومية فتحرك الشعب ضد التدخل الاجنبي وانتشرت الصحف السياسية وزاد اقبال الناس عليها ثم بدت في مجلس شورى النواب روح اليقظة والمعارضة على يد نواب نفخ فيهم جمال الدين من روحه نذكر منهم عبد السلام بك المويلحي (باشا) النائب الوطني الجرئ ٠

ومن اهم الشخصيات السياسية التي تخرجت من مدرسة جمال الدين هذه هما سعد زغلول ومصطفى كامل وهما رجلا النهضة السياسية فيما بعد ٠

ولما رأي السيد هذه الحالة في مصر وكان يقول : (لا يجتمع الاسلام والذل في قلب واحد فمال الى تخليص البلاد من هذا الامر ورأي انه لابد من تكوين الجمعيات

الوطنية وبما انه لم يكن فى مصر جمعيات منظمة لها شهرتها العالمية مثل الجمعية الماسونية فدخل السيد فى هذه الجمعية الماسونية لتحقيق مقصده السياسى ولكن لما رأى فى اعضائهم الخمول والكسل والجبن فاستقال منها وكون محفلا وطنيا اخر كما ذكرنا من قبل ولما عظم شأن محفله واتسع نفوذه وتضاعف عدد المشتركين فيه داخل الانجلترا الخوف من هذا المحفل فاتصل قنصلها بالحكومة فسعت فى فشله وفضه كما ذكر ·

لم يكن هذا محبطا لامال جمال الدين فسرعان ما اجتمع بأعضاء محفله سرا · وانضم اليهم بعد ذلك كثير من الساسة والادباء واخذوا يتباحثون ويتناقشون اياما عديدة حتى قررأيهم على تأليف الحزب الوطنى فى اوائل سنة ١٨٧٩م (١٢٩٥هـ) وقد نقبى هذا الحزب فى طى الخفاء يرسم الخطط ويزيح الانباء فلما ظهر للسيد ان اسحصيل فملوع لامحالة كشف الغطاء عن مقاصده السياسية وظهر بحزبه الجديد فى الميدان السياسى وكان هذا لأول مرة فى تاريخ مصر يعرف فيه اسم الحزب الوطنى الحر ·

ولما ساء حال مصر بزيادة التدخل الانجليزي وبلغ السيل الزبى ذهب السيد جمال الدين مع على رأس وفد من اعضاء حزبه الى المسيو تريكو قنصل جنداك فرنسا ومكاتب (التيمس) وكلمهما بلسان خزب كبير قائلا :

ان فى مصر حزبا وطنيا يطلب الاصلاح ويسعى اليه وان الاصلاح فى مصر لا يتم الا على يد توفيق قاصدا بذلك خلع اسماعيل بعد ان عدلوا عن مؤامرة اغتياله وانتشر ذلك الخبر فى القاهرة وغيرها بسرعة البرق وتناقلته الجرائد فى حينه ·

ودخل فى ذلك الحزب كثير من العلماء والنواب نذكرمنهم :

الشيخ محمد عبده والسيد عبدالله نديم واحمد محمود وحسن الشريعى وسعدالله

حلمي وحسن السيد قنديل ومحمود البارودي الذي فتح ابواب داره للحزب وصرف ماله و مرتبه عليه . (١)

وخلاصة برنامج هذا الحزب :

١) يري الحزب الوطني المحافظة على العلاقات الودية الحاصلة بين الحكومة المصرية والباب العالي واتخاذ ذلك الباب ركنا يستند عليه في اعماله ويعتقد ان جلالة السلطان عبد الحميد امام المسلمين ولا يريد قطع هذه الصلات والعلاقات مادامت الدولة العلية في الوجود على انه يحافظ على امتيازات بلاده الوطنية بكل ما في وسعه ويقاوم من يحاول اخضاع مصر وجعلها ولاية عثمانية .

٢) هذا الحزب يخضع للجناب الخديوي الحالي ما دامت احكامه جارية على قانون العدل والشريعة ومادام ينفذ وعده في ارجاع الحكم الشوري واطلاق الحرية .

٣) رجال هذا الحزب يرون نظام المراقبة الثنائية وقتيا ويأملون قرب اليوم الذي تكون مصر فيه بيد المصريين .

٤) رجال هذا الحزب يتعجبون من الامتيازات واعفاء الاجانب من الضرائب وعدم خضوعهم لقانون البلاد مع تمتعهم بخيرها ويعملون لرفع هذا .

٥) الحزب يري ان اهم عمل للاصلاح هو تعميم التعليم في مصر . ونشر الثقافة وهذا كله لا يحصل الا بواسطة حرية المطبوعات وإبقاء مجلس شوري النواب .

٦) من مبادئ الحزب المطالبة باطلاق الحريات الكافية للنواب ليعمل باخلاص في جو هادئ ويريدون تقوية جيشهم وزيادة لأنه عد حامي زمارهم .

---

(١) التاريخ السري لاحتلال انجلترا مصر — (الترجمة العربية) مستربلنت — ص ١٤٤

٧) الحزب الوطنى حزب سياسة لا دين فانه مؤلف من رجال مختلفى العقيدة والمذهب وجميع النصارى واليهود وكل من يتكلم بلغة مصر لان الكل اخوان وحقوقهم فى السياسة والشرائع متساوية ٠

٨) امال هذا الحزب معقودة على اصلاح البلاد ماديا وادبيا ولايكون ذلك الا بحفظ الشرائع والقوانين وتوسيع نطاق المعارف واطلاق الحرية السياسية التى يعتبرونها حياة للامة ٠ (١)

هذا هو مختصر برنامج الحزب الوطنى القديم الذي اسسه السيد جمال الدين الافغانى هذا ما نعرفه عن السيد جمال الدين الافغانى فى مصر وتلك بعض اثاره التى استطعنا معرفتها وتمكنا من ذكرها ولكن ماثر السيد فى الواقع كثيرة وجهوده العلمى والادبى والفلسفة والدين والاجتماعى والسياسى عظيم لا يمكن ان يحصره حاجز ولا يستطيع ان يذكر جميعها مؤرخ وبالجملة فمصر الحديثة هى من غرس السيد جمال الدين او هى هدية الى ابناء مصر وهذه هى خدماته للشعب المصري فى ذلك العهد ٠ عهد الظلم والطغيان عهد الجهل والفقر عهد العبودية والذل عهد الخراب والدمار عهد الخذلان والتدهور عصر الانحطاط خلقيا واقتصاديا واجتماعيا وسياسيا عهد اليأس والقنوط عهد عدم الاطمئنان والسكون عهد التملق والتزلف عهد الاستبداد والانانية ٠ عهد اجتمعت فيه كل المفاسد التى شمر لها السيد عن ساقه واراد ازالتها حتى نفى من مصر ٠

حولته الاخري فى الهند

ابعد السيد الافغانى وخادمه ابو تراب من مصر الى الهند وكان مجيئه هذا

---

(١) جمال الدين الافغانى ـ باعث النهضة الفكرية فى الشرق ص١١٢ ـ

الى الهند فى المرة الثالثة على رأي الاكثرية وفى المرة الرابعة على رأي مولانا عبدالقدوس

وفى اواخر ١٨٧٩م وصل الى بومباي ومن هناك ذهب الى حيدراباد دكن وكان السيد يهتم بشئون البلاد الاسلامية عامة شئون افغانستان وايران ومصر وتركيا والهند خاصة الا ان حصة الهند كانت قليلة بالنسبة الى البلاد المذكورة الاخري ولا نعلم ماذا كان السيد الافغاني يكن فى صدره عند مجيئه الى الهند الا انه عند ما جاء الى الهند وجد الجو قد تغيره ان ثورة ١٨٥٧ كانت كلها قد خدت وشراراتها المندلعة كانت قد اصبحت رمادا او خمدت او صارت الى درجة لم يكن من الممكن العثور عليها ولذا اختار السكوت ولكن طبيعته الثورية لم تكن تتركه على الصمت والسكوت وكانت تدفعه الى العمل من وقت لاخر وعلى كل فان نشاطات السيد جمال الدين الافغاني فى الهند كانت تتعلق بالموضوعات التعليمية والاصلاحية وقد كتب عدة هى مقالات فى مجلة معلم شفيق و معلم والقى عدة محاضرات وكتب رسالة فى الرد على الدهريين وكل هذه المقالات كتبت فى اللغة الفارسية وبعد ذلك نشرت فى صورة مجموعة من الهند وايران ومن اشهرها كانت مقالتان : كانت احداها فى التعليم حيث جعل الافغاني فيها تقسيم العلوم الى الشرقية والغربية غير جائز واصروا الح على تحصيل كل امر مفيد . والثانية هى المقالة التى كتبها فى افكار سرسيد احمد خان وكانت له مقالة على اقتراح جامعة الاردو فى حيدراباد وقد كتب مقالات عديدة على هذا الموضوع .

ويقول الحافظ محمد عبدالقدوس :

ان جدي من الام مولانا عبدالحق المرحوم (جهانكيره بشاور) فى تلك الايام كان يقيم بحيدراباد دكن وكان يقول : ان السيد جمال الدين عند ما اتى الى حيدراباد

فغالبا اقام خارج المدينة فى مصر سالار جنك (رئيس العرب) واجتمع جميع الطلبة الافغانيين وذهبوا لزيارته وكان الافغانى مشهورا بينهم بالفلسفى اكثر من الافغانى وقد القى السيد الافغانى عليهم محاضرة قيمة ودلهم على الطرق التى يمكن ان يهاجم منها على الهند وبما ان الافغانى كايعتبر معتقلا بين العامة لذا لم يمكن الاتصال به مرة اخري لسوء التفهم والا لأمكن ان تأتى هذه اللقاءات بنتائج هامة اخري الفيا . (١)

ويظهر من هذه البيانات ان الافغانى وان لم يأخذ دولا سياسيا مباشرا الا ان قواه الفكرية كانت بالاستمرار مشغولة بها وكانت الفئات المبيدة للعناصر السياسية والعزة النفسية فى الهند فئتين : ونشأ فيه التنفر ضد هاتين الفئتين الفئة والجماعة الاولى كانت فئة السرسيد احمد خان واصحابه . وبما انه وجد الجونى الهند موائما اخذ القلم وكتب ضدها تفسير مفسر و شرحال اكموريا ورسالة الرد على الينشريين .

والفئة الثانية كانت فئة الولاة ولم يكتب السيد الافغانى ضدهم اي شيء فى الهند

اقام السيد الافغانى سنتين ونصف فى حيدراباد دكن وفى سبتمبر ١٨٨٢م (١٢٩٨هـ) اخذ فى حرارة شديدة الى كلكته واعتقل هناك وتذكر وجوه مختلفة لهذا الاعتقال الا ان القريب الى القياس انه حدثت الثورة العرابية فى مصر . وكان العرابى من اسرة الفلاحين فى مصر . وبدأ يترقى حتى صار وزير الحرب وبما انه كان من حزب الثورة لذا ارادت السياسة الانجليزية ان تزيل اثره وتبعده عن منصبه وبذلك حدث ضجة ضجة فى الجيش وفى الاخير قضى عليها بالقوة وكان عام ١٨٨٢م فترة قوة الحركة العرابية ويجوز ان العرابى قال مفتخرا ذات يوم بأنه يستطيع ان يحدث ثورة فى الهند ايضا ضد الانجليز

---

(١) مضامين جمال الدين الافغانى ص ٢٧ ـ ٢٨

وفهم من هذا ان الوطنيين المصريين يفكرون فى احداث الثورة فى الهند بواسطة جمال الدين ولذا كان من الضروري ضرب القيود على حركات السيد جمال الدين الافغانى فى الهند و جعله معتقلا فى كلكته . (١)

ط اثر السيد الاصلاحى الهند

قد ذكرنا ان السيد الافغانى اشتغل بالاصلاح التعليمى والدينى فى الهند وقد كتب مقالات عديدة نشرت فى مجلات شهيرة اذ ذاك ومنها رسالة رد النيشريه ولذا اريد ان اذكر الاسباب التى دعت السيد الى كتابة هذه الرسالة واهم المطالب التى كانت الرسالة المذكورة تشتمل عليها واليك هذا البيان كما ذكر الاستاذ محمد سلام مدكور فى كتابه :

امر جمال على ترك السياسة وعدم الاشتغال بها فاعتكف على الدراسة العلمية ووضع رسالة الرد على الدهريين التى دعاه الى تصنيفها حمية حاشت بنفسه عند ما راي حكومة الهند الانجليزية تمد فى الغى جماعة من سكان تلك البلاد اغراء لهم بنبذ الاديان وحل عقود الايمان وان كثيرا من العامة فتنوا بارائهم وخدعوا عن عقائدهم وكثر الاستفهام منه عن حقيقة ما تدعيه تلك الجماعة الضالة وممن ساله عن ذلك حضرة الفاضل مولوي محمد واصل من حيدراباد دكن من بلاد الهند فاجابه السيد جمال بخطاب وعده فيه بانشاء رسالة قيمة مدعمة بالحج معززة بالبراهين العقلية .... وهذا هو خطاب مولوي محمد واصل :

١٩ محرم سنة ١٢٩٨هـ

بعد ذكر رسوم المخاطبة .... قال :

يقرع اذننا فى هذه الايام صوت ينشر ينشر وانه ليصل الينا من جميع الاقطار الهند

(١) المصدر السابق ص ٢٩

فمن الممالك الغربية والشمالية اوده و بنجاب و بنجاله و السند و حيدراباد الدكن ولا تخلو بلدة او قصبة من جماعة يلقبون بهذا اللقب نيشري ويظهر لنا ان من تعلق عليهم هذا اللقب ينمو عددهم على امتداد الزمان خصوصا بين المسلمين ولقد سألت اكثر من لاقيت من هذه الطائفة :ما حقيقة النيشرية . وفى اي وقت كان ظهور النيشريين . وهل من قصد هذه الطائفة بمسلكها الجديد عندنا ان تقوم عماد المدنية ولا تعدو هذا القصد اولها مقاصد اخرى . وهل طريقتهم تنافى اصول الدين المطلق او هى لا تعارضه بوجه ما واي نسبة بين اثار هذا المشرب واثار مطلق الدين فى عالم المدنية والهيئة الاجتماعية والانسانية .

فان كانت هذه الطريقة من النحل القديمة فلم لم تنتشر بيننا ولم تعهد لها دعاة الا فى هذه الاوقات وان كانت جديدة فما الغاية من احداثها واي اثر يكون على الاخذ بها .

ولكن لم يفدن احد منهم عما سألت بجواب شاف كاف ولهذا التمس من جنابكم العالى ان تشرحوا حقيقة النيشرية والنيشريين بتفصيل ينفع الخلق والسلام . (١)

وهذا خطاب السيد جمال جوابا على الخطاب السابق :

محبى العزيز :

النيشر اسم للطبيعة وطريقة النيشر هى تلك الطريقة الدهرية التى ظهرت ببلاد اليونان فى القرن الرابع والثالث قبل الميلاد ومقصد ارباب هذه الطريقة محو الاديان ووضع اساس الاباحة والاشتراك فى الاموال والابضاع بين الناس عامة . وقد كدحوا لاجرا مقصدهم هذا وبالغوا فى السعى اليه وتلونوا لذلك فى الوان مختلفة وتقلبوا فى مظاهر متعددة

---

(١) جمال الدين الافغانى باعث النهضة الفكرية فى الشرق ص١١٨ . ١١٩ ـ

وكيفما وجدوا في امة افسدوا اخلاقها وعاد عليهم سعيهم بالزوال .

وايما ذاهب ذهب في غور مقاصد الاخذين بهذه الطريقة تجلى له ان لا نتيجة لمقدماتهم سوى فساد المدنية وانتقاض بناء الهيئة الاجتماعية الانسانية اذ لاريبة في ان الدين مطلقا هو سلك النظام الاجتماعي ولن يستحكم اساس للتمدن بدون الدين البتة واول تعليم لهذه الطائفة اعدام الاديان وطرح كل عقد ديني .

واما عدم شيوع هذه الطريقة وقلة سلاكها مع طول الزمن على نشأتها فسببه ان نظام الالفة الانسانية وهو من اثار الحكمة الالهية السامية كانت له الغلبة على اصولها الواهية وشريعتها الفاسدة وبهذا السر الالهي انبعثت نفوس البشر لمحو ما ظهر منها ومن هذا لم يسبق لهم ثبات قدم ولم تقم لهم قائمة امر في وقت من الاوقات .

ولتفصيل ما ذكرنا نتقدم لانشاء رسالة صغيرة ارجو ان تكون مقبولة عند العقل العزيزي لذلك الصديق الفاضل وان تنال من ذوي العقول الصافية نظرة الاعتبار . (١)

جمال الدين الحسيني الافغاني

كتب السيد جمال الدين هذه الرسالة التي وعدبها . ووضح فيها مذاهب الحكماء والفلاسفة في حقيقة الوجود ثم تكلم عن النيشريين وحقيقة امرهم وما هم فيه من تضليل و جهالة وخرافة واوهام ثم بين فضل الاديان واحقيتها ومميزة الاسلام على سائر الاديان وان سعادة الانسان لاتتم الابه . ولا همية هذه الرسالة وفوائدها بما فيها من المباحث القيمة والاراء الحكمية الغراء ينبغي تقديم خلاصة لبعض مباحثها حتى لاعطاء صورة مجملة من هذه الرسالة من ناحية . وفكرة وجيزة عن مقدرة السيد جمال الدين الافغاني وقوة حججه

(١) المصدر السابق ص ١١٩ . ١٢٠

وسحر بيانه وشدة تأثيره ورسوخ عقيدته كما ذكر محمد سلام مدكور في كتابه :

قال السيد الافغاني :

انقسم حكماء اليونان في القرنين الرابع والثالث قبل الميلاد الى فئتين :

١) ذهبت الاولى الى وجود ذات مجردة عن المادة والمدة مخالفة للمحسوسات في لوازمها منزهة عن اللواحق الجسمانية وعوارضها واشتهرت هذه الطائفة (بالخالله) ومنهم : فيثاغورس وسقراط وافلاطون وارسطو وغيرهم .

٢) ذهبت الثانية الى نفي كل موجود سوي المادة والماديات وعرفت هذه الطائفة بالماديين والعرب تقول عنهم (الطبيعيون) وفي الفرنسية (الناتوريون) وفي الانكليزية (الينشريون) .

ثم فند السيد رأي هؤلاء ورد عليهم بأن الرادع للنفس والمانع لها من تجاوز حد الاعتدال انما يكون بأحد امور اربعة نلخص ثلاثة منها ونذكر الرابع لاهميته :

١ـ المدافعة الشخصية . وهذه ضراب . وقتال يؤدي الى انقراض النوع الانساني .

٢ـ شرف النفس : فهي صفة متغايرة بتغاير البلاد فكثير من الامور خسة عند البعض وهي بعينها عفة رفعة وشرف عند الاخرين .

٣ـ الحكومة وهي لا تكف الا العدوان الظاهر .

٤ـ الاعتقاد بالالوهية : اذن لم يبق للشهوة قامع ولا للاهواء رادع الا الايمان بأن للعالم صانعا عالما بمضمرات القلوب ومطويات الانفس سامي القدرة واسع الحول والقوة مع الاعتقاد بانه قد قدر للخير والشر جزاء يوفاه مستحقه في حياة بعد هذه الحياة وفي الحق ان هاتين العقيدتين وازعان قويان يكبحان النفس عن الشهوات ويمنعانها

عن العدوان ظاهره وخفيه وحاسمان صارمان يمحوان اثر الغدر . وهما افضل وسيلة في تعزيز وسيلة لاحقاق الحق والتوقيف عند الحد . وبدونهما لا تقرر هيئة للاجتماع الانسا ولا تلبس المدنية سربال الحياة .. ولو خليت القلوب منها لسكنتها شياطين الرذائل .

من اين لمنكر الجزاء ان يكف نفسه عن خيانة او يترفع بها عن كذب وغدر وتملق .. او اي حامل يحمله على المعاونة والرحمة والمروءة . وعلوا لهمة الخ من الاخلاق التي لا غنى للهيئة الاجتماعية عنها . ولئن وجد في احد الجاحدين شيئ من مكارم الاخلاق بمقتضى الغريزة لكان ابتر ناقصا لفقد ما يمده من سائر صفات الكمال .

واول تعاليم (النيشريين) ابطال هذين الاعتقادين :

(١) الله (٢) الحياة الابدية . وهما اساس كل دين . واخر تعاليمهم الاباحة والاشتراك فهم الساعون في نسف بناء الانسانية يطلبون ضعضعة اركان المدنية وفساد الاخلاق البشرية ويقوضون بذلك ما رفعه العلم وشادته المعرفة فيهلكون الامم باطفاء حرارة الغيرة واخماد ريح الحمية هؤلاء جراثيم اللؤم والخيانة صحبتهم صيد وتوددهم مكر ومواصلتهم غدر وصداقتهم خيانة ودعواهم للانسانية حبالة اسراء الشهوات لااحساس لهم بالعار الابن فيهم لا يأمن من ابيه والبنت لا امان لها من كليهما .

قد يوجد بين الناس من تروقه رقطة جلود هذه الافاعي وانتظام الرقش فيها فيلتبس عليه امرهم فيصغى لزخرف قولهم ويظن ان هؤلاء القوم من طلاب التمدن او من الراغبين في بث المعارف فذلك المغرور بمظاهر هذه الطائفة لا محالة يبكى عليه ويضحك منه فالضحك عجبا من غروره والبكاء حزنا على ضلاله .

فتبين مما قررناه ان الدين وان انحطت درجته بين الاديان وهي اساسه . افضل من طريقة الدهريين وامس بالمدنية ونظام الجمعية الانسانية واجمل اثرا في عقد روابط المعاملات بل في كل شأن يفيد المجتمع .

فلم تبق ريبة ان الدين هو السبب الفرد لسعادة الانسان فلو قام الدين على قواعد الامر الالهي الحق ولم يخالطه شيء من اباطيل من يزعمونه ولا يعرفونه فلا ريب انه يكون سببا في السعادة التامة والنعيم الكامل ويذهب بمعتقديه في جوار الكمال الصوري المعنوي ويصعد بهم الى زروة الفضل الظاهري والباطني ويرفع اعلام المدنية لطلابها بل يفيض على المتمدنين من ديم الكمال العقلي والنفسي ما يظفرهم بسعادة الدارين .(١)

وكان السيد جمال يرى لسعادة الامم امورا لاتتم الابها فالامة التي تسير على نهجها وتعمل بها هي السعيدة والا فيكون الشقاء حليفها وقد اوضح هذه الامور في نهاية كتابه :

الرد على الدهريين وهاك خلاصتها :

الاول صفاء العقول من كدر الخرافات وصداء الاوهام فان عقيدة لو تدنس بها العقل لقامت حجابا كثيفا يحول بينه وبين حقيقة الواقع .

واول ركن بنى عليه الدين الاسلامي صقل العقول بصقال التوحيد وتطهرها من لوث الاوهام فمن اهم اصوله الاعتقاد بان الله منفرد بتصريف الاكوان . متوحد في خلق الفواعل والافعال وان من الواجب طرح كل ظن في انسان او جماد علويا كان او سفليا بأن له في الكون اثرا بنفع او ضر او اعطاء او منع او اعزاز او اذلال .

---

(١) جمال الدين الافغاني باعث النهضة الفكرية في الشرق ص ١٢٠ ـ ١٢٢

واغلب الاديان الموجودة لا تخلو من هذه الاوهام ان شئت فاضرب بنظرك الى ديانة برهما في الهند ودين بوذة في الصين ودين زرادشت وكثير من الاديان .

الثاني : ان تكون نفس الامم مستقبلة وجهة الشرف طامحة الى بلوغ الغاية منه بأن يجد كل واحد من نفسه انه لائق بأية مرتبة من مراتب الكمال الانساني ماعدا رتبة النبوة فانها بمعزل عن الطمع وانما يختص الله بها من شاء من عباده ولا يذهب وهم احد من الاحاد الى انه ناقص الفطرة منحط المنزلة فاقد الاستعداد بشيء من الكمالات .

ان دين الاسلام فتح ابواب الشرف في وجوه الانفس وكشف لها عن غايته واثبت لكل نفس صريح الحق في اي فضيلة وفضل وانبأ كل ذي نطق بوفرة استعداد لأيّ منزل من منازل الكرامة ومحق امتياز الاجناس وتفاضل الاصناف وقرر المزايا البشرية على قاعدة الكمال العقلي والنفس لاغير فالناس انما يتفاضلون بالعقل والفضيلة وقد لا نجد من الاديان ما يجمع اطراف هذه القاعدة .

الثالث : ان تكون عقائد الامة وهي اول رقم ينقش في الواح نفوسها مبنية على البراهين القويمة والادلة الصحيحة وان تتحامى عقولهم مطالعة الظنون في عقائدها وتترفع عن الاكتفاء بتقليد الاباء فيها فان معتقدا لاحت العقيدة في مخيلته بلا دليل ولا حجة قد لا يكون موقنا فلا يكون مؤمنا . هذا والاخذ في عقائده بالظن ينصب عقله على متابعة الظنون والقانع بان اباءه كانوا على مثل عقيدته فاولى به ان يكون عليها يلتقي مع سابقه في مضارب الوهم وفجاج الظن .

فان كان لا بد من الاستئناس بقول اوربي فهذا كيزو الفرنساوي صاحب تاريخ سيفليزاسيون اي التمدن الاوربي قال : ان من اشد الاسباب اثرا في سوق اوربا الى

تمدنها ظهور طائفة فى تلك البلاد قالت ان لنا حقا فى البحث عن اصول عقائدنا وطلب البرهان عليها ولوكان ديننا هو الدين المسيحى وعارضها كثير من رؤساء الدين ومنعوها ما ادعت من الحق محتجين عليها بان بناء الدين على التقليد فلما اخذت تلك الطائفة قوتها وانتشرت افكارها فصلت عقول الاوربيين من علة البلادة ثم تحركت فى مداراتها الكريمة وترددت فى المجالات العلمية وكدحت لاستحصال اسباب المدنية .

ان الدين الاسلامى يكاد يكون متفردا من بين الاديان بتقريع المعتقدين بلا دليل وتوبيخ المتبعين للظنون . هذا الدين يطالب المتدينين ان يأخذوا بالبرهان فى اصول دينهم وكلما خاطب خاطب العقل وكلما حاكم حاكم الى العقل . تنطق نصوصه بان السعادة من نتائج العقل والبصيرة وقلما يوجد من الاديان ما يساويه او يقاربه فى هذه المزية واظن غير المسلمين يعترفون لهذا الدين بهذه الخاصة الجليلة .

الرابع : ان يكون فى كل امة طائفة يختص عملها بتعليم سائر الامة ولا يألون جهدا فى تبيين طرق السعادة لهم ثم طائفة اخرى تقوم على النفوس تتولى تهذيبها وتكشف عن الاوصاف الفاضلة وتفضح ستور الرذائل . وتشتد فى الامر بالمعروف والنهى عن المنكر وان من اهم الاركان الدينية فى الديانات الاسلامية هاتين الفريقتين نصب المعلم ليؤدي عمل التعليم واقامة المؤدب الامر بالمعروف الناهى عن المنكر ولتكن منكم امة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر [١] فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا فى الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم لعلهم يحذرون . [٢] وقد برز دين الاسلام على غالب الاديان فى العناية بهذين الامرين .

---

(١) ال عمران (٣) : ٤

(٢) التوبة (٩) . ١٢٢

فان قال قائل ان كانت الديانة الاسلامية على ما بينت فما بال المسلمين على ماترا من الحال السيئة والشأن المحزن فجوا به : ان المسلمين كانوا كما كانوا . يبلغو بدينهم ما بلغوا والعالم يشهد بفضلهم واكتفى الان من القول بهذا النص الشريف :[1] ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم .[2]

هذا ما كتبه السيد جمال الدين وهو فى الهند فى الرد على الدهريين خدمة للدين الاسلامى واذا اطلع اي شخص على هذه الرسالة الرد على الدهريين عرف ان السيد جمال الدين كان عالما جليلا ومسلما حقا . وعلم ان غيرته الدينية كانت فوق كل شيئ لا يخاف فيها احدا ولا يماري فيها أحدا وانما يعمل لاعلاء كلمة الحق سرا وعلانية وقد كرس حياته لذلك اهكذا كان اثره الديني فى الهند وبالاضافة الى ذلك كانت له خدمات اصلاحية اخرى كثيرة وما جري له من المناقشات مع العلماء والادباء وغيرهم فى مواضيع مختلفة . هذا وكان لهذ السيد قد كتب كتابا اخر باسم الخلافة فى الهند ولكن الحكومة الانجليزية فى الهند قد صادرته ولم يخرج الى الان وذلك لما فيه من الهجوم على السياسة البريطانية فى الشرق ولما فيه من تحريض الناس على التخلص من حكمهم .

عودته الى افغانستان (مرة رابعة) :

فى اواخر عام ١٨٨٢م (١٢٩٨هـ) انتهت الحركة المصرية (حركة عرابى باشا) والان رفعت القيود عن السيد الافغانى وصار حرا يستطيع ان يذهب الى حيث يشاء . وكان

---

(١) المصدر السابق ص ٢٢ـ ١٢٥

(٢) الرعد (١٣) : ١١

يبحث الان عن بلد جديد يذهب [illegible] اليه ويزرع فيه بذوره . ويقوم فيه باعماله الا ان قبل القيام بذلك اراد السيد جمال الدين ان يذهب الى حيث ولد ونشأ فاراد الذهاب الى افغانستان . فغادر الهند ووصل الى كابل ومكث اربعة اشهر تقريبا هناك و اثنا ذلك حمل الامير عبد الرحمن خان على الحكومة الدستورية وقدم اليه خدماته للاصلاح . قد اكرمه الامير عبد الرحمن خان اكراما بالغاء ولكنه قال له في شأن تجربة الاصلاحات ان افغانستان بلد صغير ومتخلف جدا الى الان . ولذا أري من الافضل ان تقوم باصلاحاتك في البلاد المتقدمة . وبعد اربعة اشهر رجع السيد الافغاني الى الهند ومرب بهوبال وغيره من البلاد الهندية وسافر الى لندن . [1]

ويقال انه قبل الذهاب الى لندن ذهب الى امريكا كما قال المستد ولسن اذ يقول في كتابه : الحركات الحديثة [2] ان جمال الدين سافر ايام كان في الهند الى امريكا ليتجنس بالجنسية الامريكية ولكنه لم يقم بها طلا ولكن لا يمكن التسليم بهذه الرواية لان مستر براون وهو الذي كان صديقا حميما للسيد لم يشر الى سفره الى امريكا في ترجمته له في كتابه الثورة الفارسية ويقول مستر بلنت وهو صديق ايضا للسيد جمال الدين في كتاب التاريخ السري ولقد ذهبت عبثا كل الجهود التي بذلتها لمعرفة مقر السيد جمال الدين في امريكا حيث قيل لي انه ذهب اليها بعد ان قضى عامين يتجول في الهند . [3]

ويمكن التقريب بين هذه الاقوال بأن نقول ان حالات السيد جمال الدين لمدة عدة شهور اصبحت مجهولة ولذا ظن البعض انه ذهب الى امريكا ولكن الاقرب الى الصواب انه

---

(١) مضامين جمال الدين الافغاني ص ٢٠
(٢) الحركات الحديثة س ج . ولسن ص ٧١
(٣) التاريخ السري . مستر بلنت . ص ١٢٠

ذهب في ذلك الوقت الى افغانستان كابل كما ذكر مولانا عبد القدوس في كتابه : مضامين جمال الدين الافغاني وبذلك يمكن ملأ الفراغ والله اعلم بالصواب .

رحلته الى لندن :

بارح السيد جمال الدين بلاد الهند في منتصف سبتمبر ١٨٨٣م بعد ان قضى ما يقرب من ثلاث سنوات منها سبعة اشهر في كلكتا التي كانت من اشد ايام السيد الافغاني حيث كان في معزل عن الحياة العامة . لم تكن رسائله تصل اليه نحبها . وانقطع عنه البريد وحرم تراد الصحف اليومية . وشخص مثل جمال الدين من الصعب عليه ان يقضى وقتا دون الاطلاع على الصحف والجرائد اليومية واخبار العالم الاسلامي فمرت عليه تلك الايام وكانه في شبه مقبرة نائية عن الاحياء .

اطلق سراح السيد بعد ان احتل انجلترا مصر عام ١٨٨٢م بعد ان اخمدت الحركة العرابية بالقوة . وبعد اطلاق السراح سافر السيد عن طريق البحر الى لندن ولما وصل السيد الى بورسعيد كتب الى الاستاذ الامام محمد عبده مكتوبا اخبره فيه بسفره وذكر له المدنية التي سينزل بها . وكان الاستاذ الامام محمد عبده قد حكم عليه بالنفي من القطر المصري وملحقاته لمدة ثلاث سنوات . كما حكم على كثير من تلاميذ السيد بالنفي من سنة الى عشرين سنة ولم يكن لهم جرم الا الاتهام بالاشتراك في الثورة العرابية . والعصيان . وكان من هؤلاء ابراهيم اللقاني بك والشيخ امين ابو يوسف وهما من تلاميذ السيد الافغاني . وقد سافرا مع كثير من اصحابه من الازهريين وغير الازهريين الى سوريا في ١٣ صفر ١٣٠٠هـ ٤ ديسمبر سنة ١٨٨٢هـ . وقد قام الاستاذ الامام محمد عبده في بيروت ونص الخطاب

الذي ارسله السيد جمال الدين الى الاستاذ الامام محمد عبده :

٢٣ سبتمبر ١٨٨٣م (١٢٩٩هـ)

الى الشيخ الفاضل الكامل ... الشيخ محمد عبده اطال الله بقاءه الابتهاج بجميل الصنع جزاء تفيض به جامعة الكون على النفوس كلما قامت بوظائف الوجود . والحمد شهادة تبعث ملكوت وحدانية الهيئة على بثها متشخصات الطبيعة في مشهد العالم تخليد للجزاء وتعظيما للأجر فلك بجميل صنعك مع العارف [1] الجزاء الاولى وانا احمدك على البر والمعروف اداء للشهادة وأشكر صنوك الفاضل الكامل الشيخ سعد الزغلول والافندي الكريم الذي انسان اسمه الزمان .

واذكر كلا بالخير في مشهد العالم قياما بفريضة الشكر على الصنع الجميل والعمل الصالح . وانا الان في بورط سعيد اذهب الى لندره ترسل جواب هذا الخطاب الى ادارة جريدة الشرق والغرب او الى مستدبلنت ان اخبار العالم وحوادثه كانت انقطعت عني منذ سبعة اشهر ولذا لا ادري مستقر العارف الان اخبره بسفري والتفصيل في مكتوب اخر يصلك من لندره ان شاء الله .

سلم على كل من عرفنا ، واعترف بنا وسلمنا له والسلام . [2]

جمال الدين الحسيني الافغاني

يظهر ان السيد الافغاني كتب هذا الخطاب في الباخرة وفي وقت غير متسع فلم

---

(١) العارف : هو ابوتراب خادم السيد الذي جاء معه من الافغان ولازمه ولقبه السيد بالفيلسوف الامي .

(٢) جمال الدين الافغاني ــ باعث النهضة الفكرية في الشرق . ص ١٣٩

الاتساع ومع ذلك ينم هذا الخطاب عن مقدرة السيد الادبية والفلسفية فانك تري في طيات هذا الخطاب ادبا رائعا واسلوبا متينا . وفلسفة واضحة واخلاقا حميدة لا تراه ينس فضل الفاضل ومعروف المحسن ويقوم بشكر المنعم خير شكر . كما يظهر منه ان خادمه ابو تراب لم يكن معه في ايام سفره في الهند عامة وكلكتا خاصة . وفي جملة واحدة من هذا الخطاب بيان لما اصابه في كلكتا من انقطاعه عن العالم الاسلامي حيث لم يكن يسمح له بقراءة الجرائد من قبل الحكومة الانجليزية في الهند .

وصل السيد الافغاني الى لندن وقام بها اياما قلائل فلم يطب له المقام فيها لان الانجليز عملوا على اضطهاده وتعذيبه ولا يتصور ان يتركوه في بلدهم دون ان يمسوه بسوء ويتركوه يعمل ما يشاء لان السيد لم يغير رأيه في الانجليز وانه عدو لهم اينما كان واينما كانوا حربه ضدهم دائمة وبغضه لهم ثابت سواء أكان في بلاد الانجليز او خارج بلادهم . لانه لم يكن عدوا لذات الانجليز وانما كان عدوا لاعمال الانجليز وسياستهم وما يرتكبونه من الهمجية والبربرية في شأن بقية اقوام العالم وخاصة الشرقيين وبالاخص المسلمين .

وحينما كان السيد في لندن لقى الفيلسوف الكبير هربرت سبنسر فسأل الفيلسوف الانجليزي السيد جمال قائلا ما هو العدل .

فاجابه السيد جمال الدين قائلا :ـ يوجد العدل عند ما تتعادل القوي (١)

ولعلك تستغرب عن هذا الجواب . لان الفيلسوف الانجليزي لم يسأل عن وجود العدل وانما سأل عن حقيقة العدل وما هيته .

والجواب هو على خلاف السؤال . فما السبب يا تري في هذا الرد من قبل فيلسوف

(١) المصدر السابق ص ١٤٠

الشرق فيلسوف الاسلام من مثل السيد جمال الدين الافغاني مع ما يعرف من السرار اللغة العربية وادا بما وفصاحتها وبلاغتها وعمقها .

اذا نظرت فهذا الجواب ليس مخالفا . وانما السيد رد عليه هذا الرد لعدة اسباب منها انه لفت نظر الفيلسوف الانجليزي الى انه لا ينبغي له ان يسأل عن حقيقة العدل وهو انجليزي وانما كان ينبغي له ان يسأل عن كيفية وجود العدل ومنها انه انجليزي والامة الانجليزية معروفة بالظلم على الغير وعلى الضعيف خاصة واذا كانت تؤمن بالعدل ففي داخل البلاد الانجليزية فقط لا غيره فالجواب الفلسفي العميق عن العدل وحقيقته وكنهه لا يفيده بشيء وانما هو ينتظر هذا الجواب .

وبالتالي اثبت السيد الافغاني بهذا على انه رجل عمل وانه داهية في السياسة وانه سريع البديهة قوي الحجة مشتعل الذكاء بعيد المرمى .

نعم يوجد العدل عندما تتعادل القوي ! اما اذا تفاوتت فيسقط العدل ولا يبقى له وجود اما اذا تفاوتت فلا شك في ان يلتهم القوي الضعيف . اما اذا تفاوتت فتبدو الا في ثوب التوحش اما اذ تفاوتت فالحق للقوة . (١)

هكذا كان السيد يعرف دخائل الانجليز وما يرمى اليه الانجليز من الكلام : وعلى اثر ذلك سافر السيد الى باريس .

رحلته الى باريس :

جاء السيد الافغاني الى باريس عاصمة فرنسا وبداء حياة جديدة وعزم عزما جديدا صميما لخدمة الاسلام والمسلمين والشرق والشرقيين وكتب مقالات عديدة زلزلت اقدام الدول

(١) المصدر السابق ص ١٤٠

الاوربية عامة والحكومة البريطانية خاصة حيث انتقد السيد السياسة البريطانية انتقادا شديدا في معاملتهم مع المصريين واخلالهم مصر دون اي مبرر وقابل بعض العلماء والفلاسفة من امثال مانوتو و ارنست رينان وقد دار بين السيد الافغاني و رينان حوار شديد في الصحف الفرنسية الشهيرة وذلك في موضوع العلم والاسلام وكانت المناقشة والمحاورة تدور بينهما حول صلاحية الاسلام للاصلاح وقابليته للمدنية الحديثة ونشاء هذا الحوار على اساس محاضرة القاها رينان في السربون على الاسلام والعلم وذكر فيها ان الاسلام يحول دون التقدم العلمي وان الاسلام هو سبب تاخر المسلمين في ميدان العلم وهنا انبري له السيد جمال الدين ودافع عن الاسلام دفاعا مبنيا على الحقائق والبراهين واثبت ان الاسلام هو الدين الذي يدعو الى العلم والتفكر وهو دين يخاطب العقل وهو دين لا يساوي بين العالم والجاهل وانما يفضل العالم على الجاهل وقد فتح الصحف الشهيرة في باريس لحيه ابوابها لهذا الحوار والمقالات السيد الاخري . واخيرا اقتنع رينان ولم يتمكن الا ان يعترف بفضل جمال الدين وعلمه وسعة افقه وتبحره فهذا رينان يقول :

يخيل الى من حرية فكره ونبالة شيمه وصراحته وانا اتحدث اليه انني اري وجها لوجه احد من عرفتهم من القدماء الفلاسفة واني اشهد ابن سينا او ابن رشد او احد من عرفتهم من اساطين الحكمة الشرقين الذين ظلوا خمسة قرون يعملون على تحرير الانسانية من الاسار . (١)

---

(١) الف ــ المصدر السابق ص ١٤٢

ب ــ الاسلام والتجديد في مصر (ترجمة عربية) ارمس ص ١١

ج ــ مقام جمال الدين الافغاني ص ١٠٩

د ــ درس اللغة والادب ــ محمد مهدي ص ٧٣

العروة الوثقى :

جاء السيد جمال الدين الافغانى الى باريس وبدأ فى العمل وفكر فى انشاء جريدة تخدم الاسلام والمسلمين فطلب لذلك تلميذه محمد عبده الذي كان منفيا فى سوريا فجاءه محمد عبده وكان من قبل قد كون السيد جمال الدين جمعية سرية من مسلمى الهند ومصر و شمال افريقيا وسوريا وغيرها من البلاد الاسلامية وكان مقر هذه الجمعية باريس وكان السيد قد اختير رئيسا لهذه الجمعية على اتفاق من الاعضاء وكان لهذه الجمعية قانون ومنشور يشتمل على بنود كثيرة الا انه لم يطبع خشية ان يعرفه من ليس من اعضائها وانما كان محفوظا فى الصدور . والجمعية كان لها يمين يقسمه الاعضاء ونص اليمين هو الاتى :

اقسم بالله العالم بالجزئى والكلى والجلى والخفى القائم على كل نفس بما كسبت الاخذ لكل جارحة بما اجترحت لاحكمن كتاب الله تعالى فى اعمالى واخلاقى بلا تأويل ولا تضليل ولأجيبن داعيه فيما دعا اليه ولا اتقاعد عن تلبيته فى امر ولا فى نهى ولأدعون لنصرته ولأقومن بها ما دمت حيا لا افضل على الفوز بها مالا ولا ولدا .

اقسم بالله مالك روحى ومالى القابض على ناصيتى المصرف لاحساسى ووجدانى النا صر لمن نصره الخاذل لمن خذله لأبذلن ما فى وسعى لاحياء الاخوة الاسلامية لانزلنها منزلة الابوة والنبوة الصحيحتين ولأعرفنها كذلك لكل من ارتبط برابطة العروة الوثقى وانتظم فى عقد من عقودها ولأراعينها فى غيرها من المسلمين الا ان يصدر عن احد ما يضر بشوكة الاسلام فانى ابذل جهدي فى ابطال عمله المضر بالدين واخذ على نفسى فى اثره مثل ما اخذ عليها فى المدافعة عن شخصى .

اقسم بهيبة الله وجبروته الا لقطك اقدم الاما قدم الدين ولا اوخر الا ما اخره

الدين ولا اسعى قد ما واحدة اتوهم فيها ضررا يعود على الدين جزئيا كان او كليا والا اخالف اهل الحل العقد الذين ارتبطت معهم بهذا اليمين في شيئ يتفق راي اكثرهم عليه وعلى عهد الله وميثاقه ان اطلب الوسائل لتقوية الاسلام والمسلمين عقلا ودرد بكل وجه اعرفه وما جهلته اطلب علمه من العارفين لا ادع وسيلة حتى احيط بها بقدر ما يسعه امكاني الوجودي واسائل نجاح العمل وتقريب الامل وتاييد القائم بامره والناشر لواء دينه . (١)

وعلى رتبة هذه الجمعية جمعية العروة الوثقى انشاء السيد جمال الدين مجلة باسمها صار هو مدير لها والاستاذ محمد عبده رئيس التحرير لها وكان يعاونهما مرزا محمد باقر الايرانى حيث كان متمكنا من فى اللغة الانجليزية فكان يترجم للجملة المقالات المهمة من الصحف الانجليزية ومرزا محمد باقر هذا كان ذا حظ كبير من الذكاء وسرعة الحفظ وقوة الذاكرة كان حافظا للكتاب المقدس مستحضرا الايات القران ملما بلغات كثيرة وكان مسلما فتنصر وصار داعية للنصرانية مع جماعة من المبشرين وكان قد عرفه السيد الافغانى من قبل فى تغور ثغر بوشير فى الخليج الفارس وجادله مرة فبدرت منه كلمة طعن فى النبى صلى الله عليه وسلم . فامر السيد جمال الدين من معه من الافغانيين بضربه فضربوه وطردوه فلما عاد السيد جمال الدين الى باريس واشتغل مع الشيخ محمد عبده باصدار العروة الوثقى ارسل اليهما مرزا محمد باقر بطاقة استئذان فدخل وذكر ما كان من ارتداده عن دينه . ثم عودته اليه وتكفيره عن ذنبه بالدعاية للاسلام وعرض على السيد استعداده لخدمته فى ادارة

---

(١) الف) تاريخ محمد عبده ج ١ ص٢٨٧ـ

ب) جمال الدين الافغانى باعث النهضة الفكرية فى الشرق ص ١٤٥ . ١٤٦

ج) نابغة الشرق ـ السيد جمال الدين الافغانى ص ٥٦

جريدة العروة الوثقى فاشتغل فيها مترجما عن اللغة الانجليزية التي كان يتقنها نثرا ونظما .

ويقال ان المساعدة المالية لنشر مجلة العروة الوثقى كانت تأتي من حيدراباد دكن .(١)

وقد صدر العدد الاول منها في ١٥ من جمادي الاولى ١٣٠١هـ ١١ مارس ١٨٨٤م وكان مكتوبا على رأس المجلة العبارة الاتية :

العروة الوثقى

لاانفصام لها

جريدة سياسية ادبية تصدر يوم الخميس .

مدير السياسة	المحرر الاول
جمال الدين الحسيني الافغاني	الشيخ محمد عبده
ترسل الجريدة الى جميع الجهات	من شاء ان يبعث الينا بتحارير او رسائل
الشرقية	في اي موضوع كان رغبة نشره في الجريدة
قد عينت اجرة البريد خمسة فرنكات	او التنبيه على امرمهم فليرسلها الى ادارة
في السنة لمن تسمح بها نفسه	الجريدة بهذا العنوان .

وهذه صورة ما كتب في فاتحة العدد الاول :

العدد الاول من

---

(١) مضامين جمال الدين الافغاني ص٣١

العروة الوثقى

لاانفصام لها

يوم الخميس في ١٥ من جمادي الاولى سنة ١٣٠١هـ .(١)

منهج العروة الوثقى واهدافها :

ستاتي في خدمة الشرقيين على ما في الامكان من بيان الواجبات التى كان التفريط فيها موجبا للسقوط والضعف وتوضيح الطرق التى يجب سلوكها لتدارك ما فات والاحتراس من غوائل ماهوات .

وستتبع ذلك البحث في اصول الاسباب ومنا شئ العلل التى قصرت بهم الى جانب التفريط والبواعث التى دفعت بهم الى مهامه حيرة هيمت فيها السبل واشتبهت بها المضارب وتاه فيها الحزيت . وضل المرشد حتى لا يدري السالكون من اين تجمعهم الطوارق المفزعة والمزعجات المدهشة والمدهشات القاتلة .

وتكشف الغطاء ما استطاعت عن الشبه التى شغلت اوهام المترفين ولبست عليهم مسالك الرشد وتزيح الوساوس التى اخذت بعقول المنعمين حتى اورثتهم اليأس من مداواة علاتهم وشفاء ادوائهم وظنوا ان زمان التدارك قد فات . وان العناية بلغت حدها .

وتحاول اشراب الافهام ان لا حاجة في الوصول الى نقطة الخلاص المرغوبة الى قطع دائرة عظيمة تصورها يوجب فتورالهم وانحطاط العزائم وان تجهل تلك الدائرة الواسعة انما

---

(١) أ ـ جمال الدين الافغاني ـ عبدالقادر المغربي ص ١٥

ب ـ نابغة الشرق السيد جمال الدين ص ٥٨

ج ـ جمال الدين الافغاني ـ محمد ابوريه ص ١٠٣

عرض من الادبار على المطلوب وهو تحت الجنح ويكفى فى الوصول اليه عطفة نظر وقطع بعض خطوات قصيدة قصيدة .

وان الظهور فى مظهر القوة لدفع الكوارث انما يلزم له التمسك ببعض الاصول التى كان عليها اباء الشرقيين واسلافهم وهى ما تمسكت به اعز دولة اوروبية وامنعها ولا ضرورة فى ايجاد المنعة الى اجتماع الوسائط وسلوك المسالك التى جمعها وسلكها بعض الدول الغربية الاخري ولا ملجئ للشرقى فى بدايته ان يقف موقف الاوربى فى نهايته بل ليس له ان يطلب ذلك وفيما مضى اصدق شاهد على ان من طلبه فقد او قر نفسه وامته وقرا اعجزها واعوزها .

وتنبه بان التكافوء فى القوي الذاتية والمكتسبة هو الحافظ للعلاقات والروابط السياسية فان فقد التكافوء لم تكن الرابطة الاوسيلة القوي لا تبلاع الضعيف وتجعل اهاب الوداد المرقش بالوان الملاطفة المذبح باشكال المجاملة مشفافا ينم عما وراءه وتنقب عن المسالك الدقيقة التى يسري بها الطامعون فى دياجيرا لغفلات .

ويهتم بدفع ما يرمى به الشرقيون عموما والمسلمون خصوصا من التهم الباطلة التى يوجها اليهم من لا خبرة له بحالهم ولاوقوف على حقائق امورهم وابطال زعم الزاعمين ان المسلمين لا يتقدمون الى المدنية ماداموا على اصولهم التى فازبها اباؤهم الاولون ولا تهن فى تبليغ الشرقيين ما يمسهم من حوادث السياسة العمومية وما يتداوله السياسيون فى شئونهم مع اختيار الصادق وانتقاء الثابت .

وتراعى فى جميع سيرها تقوية الصلات العمومية بين الامم . وتمكين الالفة فى افرادها وتاييد المنافع المشتركة بينها والسياسات القويمة التى لا تميل الى الحيف والا جحاف

بحقوق الشرقيين ٠

ومع كل هذا فهذه الجريدة تتبع سير الداعين اليها والحاملين عليها لا تظهر اذا ادبحوا ولا تتجد اذا غوروا وتذهب مذاهب الرشد وتصيب بحول الله مواقعه عند من سبق فى ازلى علم الله هدايته والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم ٠

وترسل الى الذين تحرف اسماؤهم مجانا بدون مقابل ليتداولها الامير والحقير والغنى والفقير ٠ ومن لم يصل الينا اسمه فما عليه الا ان يكتب الى [illegible] ادارة الجريدة بالاسم المعروف به ومحل اقامته على النهج الذي يريده والله الموفق ٠(١)

وينبغى ان نذكر مختصرا لفاتحة العدد الاول فى جريدة العروة الوثقى :

بسم الله الرحمن الرحيم

ربنا عليك توكلنا واليك انبنا واليك المصير هذا ما [illegible] تمده العناية الالهيه من قول الحق متعلقا باحوال الشرق وعلى الله المتكل فى نجاح العمل ٠

خفيت مذاهب الطامحين ازمانا ثم ظهرت بداءت على طرق ربما لا تنكرها الانفس ثم التوت اوغل الاقوياء فى الامم فى سيرهم بالضعفاء حتى تجاوزوا بيداء الفكر وسحروا الباهم حتى اذ هلوهم عن انفسهم ٠ وخرجوا بهم عن محيط النظام وبلغوا بهم من الضيم حدا لا تحتمله النفوس البشرية ٠

البعد

ذهب اقوام الى ما يسوله الوهم ويغري به شيطان الخيال فظنوا ان القوة الاهد

~~ولن يقل عطاها يدوم اهل السلطان على الكثرة العديدة وان اتفقت لحاذها ٠~~

---

(١) العروة الوثقى (المجلد الخنم) الطبعة الاولى ـ للبستانى ٠ القاهره ١٩٥٧م ص ٧ ٠ ٨

والذي يحكم به العقل الصريح ويشهد به سير الاجتماع الانساني من يوم علم تاريخه الى اليوم • ان الامم الكبيرة اذا عراها ضعف الافتراق في الكلمة اوغفلة عن عاقبة لا تحمد او ركون الى راحة لا تدوم او افتتان بنعيم يزول ثم صالت عليها قوة اجنبية ازعجتها او نبهتها بعض التنبيه فاذا توالت عليها وخزات الحوادث واقلقتها الامطار فزعت الى استبقاء الموجود ورد المفقود ولم تجديدا من طلب النجاة من اي سبيل وعند ذلك تحس بقوتها الحقيقية وهي ما تكون بالتئام افرادها والتئام احادها وان الالهام الالهي والاحساس الفطري والتعليم الشرعي يرشدها الى ان لا حاجة لها الى ما وراء هذا الاتحاد وهو ايسر شيء عليها •

ان النفوس الانسانية وان بلغت من فساد الطبع والعادة ما بلغت اذا كثر عديدها تحت جامعة معروفة لا تحتمل الضيم الا الى حد يدخل تحت الطاقة ويسعه الامكان فاذا تجاوز الاستطاعة كرت النفوس الى قواها واستأسد ذئبها وتنمر ثعلبها والتمست خلاصها ولن تعدم عند الطلب رشادا •

ربما تخطيء مرة فتكون عليها الدائرة لكن ما يصيبها من زلة الخطأ يلهمها تدارك ما فرط والاحتراس من الوقوع في مثله فتصيب اخرى فيكون لها الظفر والغلبة •

ان مجاوزة الحد في تعميم الاعتداء تنسى الامم ما بينها من الاختلاف في الجنسية والمشرب فتري الاتحاد لدفع ما يعمها من الخطر الزم من التحزب للجنس والمذهب وفي هذه الحالة تكون دعوة الطبيعة البشرية الى الاتفاق اشد من دعوتها اليه للاشتراك في طلب المنفعة •

ابعد هذا ياخذنا العجب اذ احسسنا بحركة فكرية في اغلب انحاء الشرق في هذه

الايام . كل يطلب خلاصا ويبتغى نجاة وينتحل لذلك من الوسائل والاسباب ما يصل اليه فكره وان العقلاء فى كثير من اصقاعه يتفكرون فى جعل القوى المتفرقة قوة واحدة يمكن لها القيام بحقوق الكل .

بلغ الاجحاف بالشرقيين غايته ووصل العدوان فيهم نهايته وادرك المتغلب منهم نكايته . وخصوصا المسلمين منهم ولم تبق طبقة من الطبقات الا وقد مسها الضر من افراط الطامعين فى اطماعهم .

لقد ركبوا الشطط وغرهم ما وجدوا من تفرق الكلمة وتشتت الاهواء وهو انفذ عواملهم واقتلها وما علموا انه وان كان ذريع الفتك الا انه سريع العطب وما اسرع ان يتحول عند اشتداد الخطوب الى عامل وحدة يسدد لقلوب المعتدين .

ان الحالة السيئة التى اصبحت فيها الديار المصرية لم يسهل احتمالها على نفوس المسلمين عموما . ان مصر تعتبر عندهم من الاراضى المقدسة ولها فى قلوبهم منزلة لا يحلها سواها نظر الموضعها من الممالك الاسلامية ولأنها باب الحرمين الشريفين . فان كان هذا الباب امنيا . كانت خواطر المسلمين مطمئنة على تلك البقاع والا اضطربت افكارهم وكانوا فى ريب من سلامة ركن عظيم من اركان الديانة الاسلامية .

ان الرزايا الاخيرة التى حلت بأهم مواقع الشرق جددت الروابط وقاربت بين الاقطار المتباعدة بحدودها . المتصلة بجامعة الاعتقاد بين ساكنيها فأيقظت افكار العقلاء وحولت انظارهم لما يكون من عاقبة امرهم . مع ملاحظة العلل التى ادت بهم الى ما هم فيه فتقلبوا فى النظر وتواصلوا فى طلب الحق . وعمدوا الى معالجة الحق وعلل الضعف راجين ان يسترجعوا ما فقدوا من القوة ومؤملين ان تمهد لهم الحوادث سبيلا حسنا يسلكونه لوقاية

الدين والشرف وان فى الحاضر منها لنهزة تغتنم . واليها بسطوا اكفهم . ولا يخالونها تفوتهم ولئن فاتت فكم فى الغيب من مثلها والى الله عاقبة الأمور .

تألفت عصابات خير من اولئك العقلاء لهذا المقصد الجليل فى عدة اقطار خصوصا البلاد الهندية والمصرية وطفقوا يتحسسون اسباب النجاح من كل وجه ويوحدون كلمة الحق فى كل صقع لا ينون فى السعى ولا يقصرون فى الجهد ولو افضى بهم ذلك الى اقصى ما يشفق منه حى على حياته .

ولما كانت بدايتهم تستدعى مساعدة من يضارعهم فى مثل حالهم رأوا ان يعقدوا الروابط الاكيدة مع الذين تيملمون من مصابهم ويحبون العدالة العامة ويحامون عنها من اهالى اوربا .

ولما كان نيل الغاية على وجه ابعد من الخطر واقرب الى الظفر يستدعى ان يكون للداعى فى كل قلب سليم نفثة حق ودعوة صدق طلبوا عدة طرق لنشر افكارهم بين من خفى عنه شأنهم من اخوانهم واختاروا ان يكون لهم فى هذه الايام جريدة بأشرف لسان عندهم . وهو اللسان العربى وان تكون فى مدينة حرة كمدينة باريس ليتمكنوا بواسطتها من بث ارائهم وتوصيل اصواتهم الى الاقطار القاصية تنبيها للغافل وتذكيرا للذاهل .

فرغبوا الى السيد جمال الدين الحسينى الافغانى ان ينشئ تلك الجريدة بصفة بحيث تتبع مشربهم وتذهب مذهبهم فلبى رغبتهم بل ادى حقا واجبا عليه لدينه ووطنه و كلف الشيخ محمد عبده ان يكون رئيس تحريرها فكان ما حمل الاول على الاجابة حمل الثانى على الامتثال وعلى الله الاتكال فى جميع الاحوال . (١)

---

(١) جمال الدين الافغانى – محمد ابورية ص ١٠٦ – ١٠٩ –

صدرت جريدة العروة الوثقى بلغة القران الكريم وبدأت في عملها الايجابي الفعال فكانت شواظا من نار على الاستعمار والبغاة وكانت تلقى النور المبين على جوانب الاسلام . لتظهره للعالمين مطهرا مما الحق به ودس عليه ونسب اليه . دينا ارتضاه الله لعباده رحمة وخيرا واهلا لخير حضارة اخرجت للناس .

وادركت بريطانيا الخطر الكامن وراء سطور تلك الجريدة والخطر المدمر لسياستها الفاضح لفظائعها واهدافها . فاعلنت الحرب الشاملة عليها وكان من نذر هذه الحرب ان منع دخول اعدادها في البلاد الاسلامية واخذت تتعقب الاحرار الذين ترسل اليهم و قامت الحكومة المصرية من جانبها بمؤازرة حليفتها الاستعمارية فحددت عقوبات لمن يضبط ملتبسا بجريمة قراءتها . ولذا احتجبت عن الظهور في شهر ذي الحجة سنة ١٣٠١هـ ١٨٨٤م وكان ما صدر من هذه الجريدة ثمانية عشر عددا .

لا شك ان جريدة العروة الوثقى والقائمين بنشرها خدموا الاسلام والشرق بل الانسانية كلها . ولو قرأنا اعداد العروة الوثقى بامعان النظر لوجدنا فيها علاجا ناجحا لادواء الفرد والمجتمع لأن فيها روح الحقيقة الحرة وان طريق استدلالاتها مؤكدة و مركبة من المقدمات الحقة ويظهر من اعداد العروة الوثقى ان السيد في عصره كشف امراض الشرق بل امراض الانسانية كلها . ووصل في تحليلاته الفلسفية الى تشخيص المعالجة الناجحة وانه بحث ما يلزم للحياة الاجتماعية وهو البحث عن الاسباب والعلل وانه اخذ الافكار الصحيحة من المعلومات والتجارب وكان فكره وذكاؤه من مواهب الله تعالى الذي يجعل من البشر الانبياء والرسل والنوابغ ويعطى الحكمة من يشاء . ولو تعمقنا في افكار السيد وخطاباته وندواته وكتاباته نفهم انه يفكر وينطق ويتكلم هو ينطق عما يهم الناس ويؤيد الحق

للحق ووقف حياته لخدمة البشر والاسلام والشرق ولاثبات ما ذكر ينبغي ان تقرأ مقالات جريدة العروة الوثقى .(١)

وعلى سبيل المثال نذكر مقالة واحدة فقط لنعرف مدى ما يقوم به السيد للاسلام والمسلمين وهذه المقالة هي :

رأي السيد في :

القضاء والقدر :(٢)

يبين السيد الافغاني في هذه المقالة ان عقيدة القضاء والقدر في الحقيقة هي الوسيلة الوحيدة للنجاة والسعادة . ونص المقالة هو :

مضت سنة الله في خلقه بأن للعقائد القلبية سلطانا على الاعمال البدنية . فما يكون في الاعمال من صلاح او فساد فانما مرجعه فساد العقيدة وصلاحها على ما بينا في بعض الاعداد الماضية ورب عقيدة واحدة تأخذ باطراف الافكار فتتبعها عقائد ومدركات اخرى ثم تظهر على البدن باعمال تلائم اثرها في النفس . ورب اصل من اصول الخير وقاعدة من قواعد الكمال اذا عرضت على الانفس في تعليم او تبليغ شرع يقع فيها الاشتباه على السامع فتلتبس عليه بما ليس من قبلها او تصادف عنده بعض الصفات الرديئة او الاعتقادات الباطلة فيعلق بها عند الاعتقاد شيء مما تصادفه وفي كلتا الحالتين يتغير وجهها ويختلف اثرها وربما تتبعها عقائد فاسدة مبنية على الخطأ في الفهم . او على خبث الاستعداد . فتنشأ عنها اعمال غير صالحة وذلك على غير علم من المعتقد كيف اعتقد ولا كيف يصرفه اعتقاد

---

(١) نابغة الشرق السيد جمال الدين الافغاني ص ٥٩ . ٦٠

(٢) العروة الوثقى (المجلد الضخم) ص ٤٩ـ ٥٨

والمغرور بالظواهر يظن ان تلك الاعمال انما نشأت عن الاعتقاد بذلك الاصل وتلك القاعدة ومن مثل هذا الانحراف فى الفهم وقع التحريف والتبديل فى بعض اصول الاديان غالبا بل هو موطء البدع فى كل دين على الاغلب وكثيرا ما كان هذا الانحراف وما يتبعه من البدع منشأ لفساد الطباع وقبائح الاعمال حتى انقضى بمن ابتلاهم الله به الى الهلاك وبئس المصير وهذا ما يحمل بعض من لا خبرة لهم على الطعن فى دين من الاديان او عقيدة من العقائد الحقة استنادا الى اعمال بعض السذج المنتسبين الى الدين او العقيدة .

من ذلك عقيدة القضاء والقدر التى تعد من اصول العقائد فى الديانة الاسلامية الحقة كثر فيها لغط المغفلين من الافرنج وظنوا بها الظنون وزعموا انها ما تمكنت من نفوس قوم الاوسلبتهم الهمة والقوة وحكمت فيهم الضعف والضعة ورموا المسلمين بصفات ونسبوا اليهم اطوار ثم حصروا علتها فى الاعتقاد بالقدر فقالوا : ان المسلمين فى فقر وفاقة وتأخر فى القوة الحربية والسياسية عن سائر الامم وقد فشا فيهم فساد الاخلاق فكثر الكذب والنفاق والخيانة والتحاقد والتباغض وتفرقت كلمتهم وجهلوا احوالهم الحاضرة والمستقبلة وغفلوا عما يضرهم وما ينفعهم وقنعوا بحياة يأكلون فيها ويشربون وينامون لا ينافسون غيرهم فى فضيلة ولكن متى امكن لأحد هم أن يضر اخاه لا يقعد فى الحاق الضرر به فجعلوا بأسهم بينهم والامم من ورائهم تبتلعهم لقمة بعد اخرى رضوا بكل عارض واستعدوا لقبول كل حادث وركنوا الى السكون فى كسور بيوتهم يسرحون فى مدحاتهم ثم يعودون الى مأواهم الامراء فيهم يقطعون ازمنتهم فى اللهو واللعب ومعاطاة الشهوات وعليهم فروض وواجبات تستغرق فى ادائها اعمارهم ولا يؤدون منها شيئا يصرفون اموالهم فيما يقطعون به زمانهم اسرافا و تبذيرا مع نفقاتهم واسعة ولكن لا يدخل فى حسابها شيء يعود على ملتهم بالمنفعة

يتخاذلون ويتنافرون ويتوطون المصالح العمومية بمصالحهم الخصوصية فرب تنافر بين اميرين يضيع امة كاملة كل منهما يخذل صاحبه ويستعدي عليه جاره فيجد الاجنبي فيهما توهنا فيه ضعفا قاتلا فينال من بلادهما مالا يكلفه عددا ولا عدة شملهم الخوف وعمهم الجبن والخور يفزعون من الهمس ويألمون من اللمس قعدوا عن الحركة الى ما يلحقون به الامم فى العزة والشوكة وخالفوا فى ذلك اوامر دينهم مع رؤيتهم لجيرانهم بل الذين تحت سلطتهم يتقدمون عليهم ويباهونهم بما يكسبون واذا اصاب قوما من اخوانهم مصيبة اوعدت عليهم عادية لا يسعون فى تخفيف مصابهم ولا ينبعثون لمناصرتهم ولا توجد فيهم جمعيات ملية كبيرة لا جهرية ولاسرية يكون فى مقاصدها احياء الغيرة وتنبيه الحمية ومساعدة الضعفاء وحفظ الحق من بغى الاقوياء وتسلط الغرباء .

هكذا نسبوا الى المسلمين هذه الصفات وتلك الاطوار وزعموا ان لا منشأ لها الا اعتقادهم بالقضاء والقدر وتحويل جميع مهماتهم على القدرة الالهية وحكموا بأن المسلمين لو داموا على هذه العقيدة فلن تقوم لهم قائمة ولن ينالوا عزا ولن يعيدوا مجدا ولا يأخذون بحق ولا يدفعون تعديا ولا ينهضون بتقوية سلطان أو تاييد ملك ولا يزال بهم الضعف يفعل فى نفوسهم ويركس من طباعهم حتى يؤدي بهم الى الفناء والزوال (والعياذ بالله) يفنى بعضهم بعضا بالمنازعات الخاصة وما يسلم من ايدي بعضهم يحصده الاجانب .

واعتقد اولئك الافرنج انه لا فرق بين الاعتقاد بالقضاء والقدر و بين الاعتقاد بمذهب الجبرية القائلين : بان الانسان مجبور محض فى جميع افعاله وتوهموا ان المسلمين بعقيدة القضاء يرون انفسهم كالريشة المعلقة فى الهواء تقلبها الرياح كيفما تميل ؛ ومتى رسخ فى نفوس قوم انه لا خيار لهم فى قول ولا عمل ولا حركة ولا سكون وانما جميع ذلك بقوة جابرة

وقدرة فاسدة فلا ريب تتعطل قواهم ويفقدون ثمرة ما وهبهم الله من المدارك والقوي وتمحى من خواطرهم داعية السعي والكسب واجريهم بعد ذلك ان يتحولوا من عالم الوجود الى عالم العدم ·

هكذا ظنت طائفة من الافرنج وذهب مذهبها كثيرون من ضعفاء العقول في المشرق ولست اخشى ان اقول : كذب الظان واخطاء الوهم وبطل الزاعم وافتروا على الله والمسلمين كذبا لا يوجد مسلم في هذا الوقت من سني و شيعي وزيدي و اسماعيلي و وهابي وخارجي يري مذهب الجبر المحض ويعتقد سلب الاختيار عن نفسه بالمرة بل كل من هذه الطوائف المسلمة يعتقدون بأن لهم جزء اختياريا في اعمالهم ويسمى بالكسب وهو مناط الثواب و العقاب عند جميعهم وانهم محاسبون بما وهبهم الله من هذا الجزء الاختياري ومطالبون بامتثال جميع الاوامر الالهية والنواهي الربانية · الداعية الى كل خير الهادية الى كل فلاح وان هذا النوع من الاختيار وهو مورد التكليف الشرعي وبه تتم الحكمة والعدل ·

نعم كان بين المسلمين طائفة تسمى بالجبرية ذهبت الى ان الانسان مضطر في جميع افعاله اضطرارا لايشوبه اختيار وزعمت ان لا فرق بين ان يحرك الشخص فكه للاكل والمضغ وبين ان يتحرك بفقفقة البرد عند شدته ومذهب هذه الطائفة يعده المسلمون من منازع السفسطة الفاسدة وقد انقرض ارباب هذا المذهب في اواخر القرن الرابع من الهجرة ولم يبق لهم اثر وليس الاعتقاد بالقضاء والقدر هو عين الاعتقاد بالجبر ولا من مقتضيات ذلك الاعتقاد ما ظنه اولئك الواهمون ·

الاعتقاد بالقضاء والقدر مؤيده الدليل القاطع بل ترشد اليه الفطرة وسهل على من له فكر ان يلتفت الى ان كل حادث له سبب يقارنه في الزمان وانه لا يري من سلسلة

الاسباب الا ما هو حاضر لديه ولا يعلم ما فيها الا مبدع نظامها وان لكل منها مدخلا ظاهرا فيما بعده بتقدير العزيز العليم وارادة الانسان انما هي حلقة من حلقات تلك السلسلة وليست الارادة الا اثرا من اثار الادراك والادراك انفعال النفس بما يعرض على الحواس وشعورها بما اودع في الفطرة من الحاجات ولظواهر الكون من السلطة على الفكر والارادة مالا ينكره ابله فضلا عن عاقل وان مبدأ هذه الاسباب التي ترى في الظاهر مؤثرة انما هو بيد مدبر الكون الاعظم الذي ابدع الاشياء على وفق حكمته وجعل كل حادث تابعا لشبهه كأنه جزاء له خصوصا في العالم الانساني .

ولو فرضنا ان جاهلا ضل عن الاعتراف بوجود اله صانع للعالم فليس في امكانه ان يتملص من الاعتراف بتأثير الفواعل الطبيعية والحوادث الدهرية في الارادات البشرية فهل يستطيع انسان ان يخرج بنفسه عن هذه السنة التي سنها الله في خلقه هذا امر يعترف به طلاب الحقائق فضلا عن الواصلين وان بعضا من حكماء الافرنج وعلماء سياستهم التجأوا الى الخضوع لسلطة القضاء . واطالوا البيان في اثباتها ولسنا في حاجة الى الاستشهاد بارائهم .

ان للتاريخ على فوق الرواية عن بالبحث فيه العلماء من كل امة وهو العلم الباحث عن سير الامم في صعودها وطبائع الحوادث العظيمة وخواصها وما ينشأ عنها من التغيير والتبديل في العادات والاخلاق والافكار بل في خصائص الاحساس الباطن والوجدان وما يتبع ذلك كله من نشأة الامم وتكون الدول او فناء بعضها واندراس اثره .

هذا الفن الذي عدوه من اجل الفنون الادبية واجزلها فائدة بناء البحث فيه على الاعتقاد و بالقضاء والقدر والاذعان بأن قوي البشر في قبضة مدبر للكائنات . ومصرف

للحادثات ولو استقلت قدرة البشر بالتأثير ما انحط رفيع ولا ضعف قوي، ولا انهدم مجد ولا تقوض سلطان ٠

الاعتقاد بالقضاء والقدر اذا تجرد عن شناعة الجبر يتبعه صفة الجرأة والاقدام وخلق الشجاعة والبسالة ويبعث على اقتحام المهالك التى ترجف لها قلوب الاسود وتنشق منها مرائر النمور هذا الاعتقاد يطبع الانفس على الثبات واحتمال المكاره ومقارعة الاحوال ويحليها بحلى الجود والسخاء ويدعوها الى الخروج من كل ما يعز عليها بل يحملها على بذل الارواح والتخلى عن نضرة الحياة كل هذا فى سبيل الحق الذي قد دعاها للاعتقاد بهذه العقيدة ٠

الذي يعتقد بأن الاجل محدود والرزق مكفول والاشياء بيد الله يصرفها كما يشاء كيف يرهب الموت فى الدفاع عن حقه واعلاء كلمة امته او ملته والقيام بما فرض الله عليه من ذلك وكيف يخشى الفقر مما ينفق من ماله فى تعزيز الحق وتشييد المجد على حسب الاوامر الالهية واصول الاجتماعات البشرية ٠

امتدح الله المسلمين بهذا الاعتقاد مع بيان فضيلته فى قوله الحق : (الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم ايمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء ٠ واتبعوا رضوان الله والله ذو فضل عظيم) (١) ٠

اندفع المسلمون فى اوائل نشأتهم الى الممالك والاقطار يفتحونها ويتسلطون عليها فادهشوا العقول وحيروا الالباب بما دوخوا الدول وقهروا الامم وامتدت سلطتهم من جبال بيرنى

---

(١) ال عمران (٣) : ١٧٣

الفاصلة بين اسبانيا وفرنسا الى جدار العين مع قلة عدتهم وعددهم وعدم اعتيادهم على طلف الاهوية المختلفة وطبائع الاقطار المتنوعة ارغموا الملوك واذلوا القياصرة والاكاسرة في مدة لا تتجاوز ثمانين سنة ان هذا ليعد من خوارق العادات وعظائم المعجزات ٠

ومروا بلادا ودكدكوا اطوادا ٠ ورفعوا فوق الارض ارضا ثانية من القسطل وطبقة اخري من النقع وسحقوا رؤس الجبال تحت حوافر جيادهم واقاموا بدلها جبالا وتلالا من رؤس النابذين لسلطانهم وأرجفوا كل قلب وارعدوا كل فريصة وما كان قائدهم وسائقهم الى جميع هذا الا الاعتقاد بالقضاء والقدر ٠

هذا الاعتقاد هوالذي ثبتت به اقدام بعض الاعداد القليلة منهم امام جيوش يغص بها الفضاء ويضيق بها لبسيط الغبراء فكشفوهم عن مواقعهم وردوهم على اعقابهم ٠

بهذا الاعتقاد لمعت سيوفهم بالمشرق وانقضت شهبها على الحيارى في هبوات الحروب من اهل المغرب وهوالذي حثهم على بذل اموالهم وجميع ما يملكون من رزق في سبيل اعلاء كلمتهم لا يخشون فقرا ولا يخافون فاقة هذا الاعتقاد هوالذي سهل عليهم حمل اولادهم ونسائهم ومن يكون في حجورهم الى ساحات القتال في اقصى بلاد العالم كانما يسيرون الى الحدائق والرياض وكأنهم اخذوا لانفسهم بالتوكل على الله امانا من كل غادرة واحاطوها من الاعتماد عليه بحصن يصونهم من كل طارقة وكان نساؤهم واولادهم يتونون سقاية جيوشهم وخدمتها فيما تحتاج اليه لا يفترق النساء رهبة ولا تخش الاولاد مهابة ٠

والاولاد عن الرجال والكهول الا بحمل السلاح ولا تأخذ ...

هذا الاعتقاد هوالذي ارتفع بهم الى حد كان اسمهم يذيب القلوب وبه و افلاذ الاكباد حتى كانوا ينصرون بالرعب يقذف به في قلوب اعدائهم فينهزمون بجيش الرهبة قبل ان يشيموا بروق سيوفهم ولمعان اسنتهم بل قبل ان تصل الى تخومهم اطراف حجافلهم ٠

بكائي على السابقين ونحيبي على السابقين · اين انتم يا عصبة الرحمة واولياء الشفقة · اين انتم يا اعلام المروءة وشوامخ القوة · اين انتم يا ال النجدة وغوث الضيم يوم الشدة اين انتم يا خير امة اخرجت للناس تامرون بالمعروف وتنهون عن المنكر اين انتم ايها الامجاد الانجاد القوامون بالقسط الاخذون بالعدل الناطقون بالحكمة المؤسسون لبناء الامة الا تنظرون من خلال قبوركم الى ما اتاه خلفكم من بعدكم وما اصاب ابناءكم ومن ينتحل نحلتكم انحرفوا عن سنتكم وجاروا على طريقكم فضلوا عن سبيلكم وتفرقوا فرقا واشياعا حتى اصبحوا من الضعف على حال تذوب لها القلوب اسفا وتحترق الاكباد حزنا اضحوا فريسة للامم الاجنبية لا يستطيعون ذودا عن حوضهم الا يصيح من من يراد حكم صائح منكم ينبه الغافل ويوقظ النائم ويهدي الضال الى سواء السبيل (انا لله وانا اليه راجعون)

اقول وربما لا اخشى راهما ينازعني فيما اقول انه من بداية تاريخ الاجتماع البشري الى اليوم ماوجد فاتح عظيم ولا محارب شهير بنشأ في اوسط الطبقات ثم رقي بهمته الى اعلى الدرجات فذللت له الصعاب وخضعت الرقاب وبلغ من بسطة الملك ما يدعو الى العجب و يبعث الفكر لطلب السبب الا كان معتقدا بالقضاء والقدر سبحان الله الانسان حريص على حياته شحيح بوجوده على مقتضى الفطرة والجبلة فما الذي يهون عليه اقتحام المخاطر وخوض المهالك ومصارعة المنايا الا الاعتقاد بالقضاء والقدر وركون قلبه الى ان المقدر كائن ولا اثر لهول المظاهر ·

اثبت لنا التواريخ ان كورش الفارسي (كيخسرو) وهو اول فاتح يعرف في تاريخ الاقدمين ما تسنى له الظفر في فتوحاته الواسعة · الا لانه كان معتقدا بالقضاء والقدر فكان لهذا الاعتقاد لا يهوله هول ولا توهن عزيمته شدة وان اسكندر الاكبر اليوناني

كان ممن رسخ في نفوسهم هذه العقيدة الجليلة . وجنكيزخان التتري صاحب الفتوحات المشهورة كان من ارباب هذا الاعتقاد . بل كان نابليون الاول بونا برت الفرنساوي من اشد الناس تمسكا بعقيدة القضاء وهى التى كانت تدفعه بعساكره القليلة على الجماهير الكثيرة فيتهيأ له الظفر وينال بغيته من النصر .

فنعم الاعتقاد الذي يطهر النفوس الانسانية من رذيلة الجبن وهو أول عائق للمتدنس به عن بلوغ كما له في طبقته ايا كانت نعم اننا لا ننكر ان هذه العقيدة قد خالطها في نفوس بعض العامة من المسلمين شوائب من عقيدة الجبر وربما كان هذا سببا في رزيئتهم ببعض المصائب التى اخذتهم الحوادث في الاعصر الاخيرة ورجاؤنا في الراسخين من علماء العصر ان يسعوا جهدهم في تخليص هذه العقيدة الشريفة من بعض ماطرأ عليها من لواحق البدع ويذكروا العامة بسنن السلف الصالح وما كانوا يعملون وينشروا بينهم ما اثبته ائمتنا رضى الله عنهم كالشيخ الغزالي وامثاله من ان التوكل والركون الى القضاء انما طلبه الشرع منا في العمل لا في البطالة والكسل وما امرنا الله ان نهمل فروضنا وننبذ ما اوجب علينا بحجة التوكل عليه فتلك حجة المارقين عن الدين . المائدين عن الصراط المستقيم ولا يرتاب احد من اهل الدين الاسلامي ان الدفاع عن الملة في هذه الاوقات صار من الفروض العينية على كل مؤمن مكلف وليس بين المسلمين و بين الالتفات الى عقائدهم الحقة التى تجمع كلمتهم وترد اليهم عزيمتهم وتنهض غيرتهم لاسترداد شأنهم الاول الادعوة خير من علمائهم وان جميع ذلك موكول الى ذمتهم .

اما ما زعموه في المسلمين من الانحطاط والتأخر فليس منشأ هذه العقيدة ولا غيرها من العقائد الاسلامية ونسبته اليها كنسبة النقيض الى نقيضه بل اشبه ما يكون بنسبة

الحرارة الى الثلج والبرودة الى النار نعم حدث للمسلمين بعد نشأتهم نشوة من الظفر وثمل من العز والغلب وفاجأهم وهم على تلك الحال صدمتان قويتان صدمة من طارف الشرق وهى غارة التتر من جنكيزخان واحفاده . وصدمة من جهة الغرب وهى زحف الامم الاوروبية باسرها على ديارهم . وان الصدمة فى حال النشوة تذهب بالرأي وتوجب الدهشة والسبات بحكم الطبيعة وبعد ذلك تداولتهم حكومات عدة متنوعة و وسد الامر فيهم الى غير اهله وولى على امورهم من لا يحسن سياستها فكان حكامهم وامراؤهم من جراثيم الفساد فى اخلاقهم وطباعهم وكانوا مجلبة لشقائهم وبلائهم فتمكن الضعف من نفوسهم وقصرت انظار الكثير منهم على ملاحظة الجزئيات التى لا تجاوز لذة الانية واخذ واخذ كل منهم بناصية الاخر يطلب له الضرر ويلتمس له السوء من كل باب لا لعلة صحيحة ولا داع قوي وجعلوا هذا ثمرة الحياة فال الامر بهم الى الضعف والقنوط وادي الى ما صاروا اليه .

ولكن اقول — وحق ما اقول — ان هذه العلة لن تموت ما دامت هذه العقائد الشريفة اخذة ما خذها من قلوبهم ورسومها تلوح فى اذهانهم وحقائقها متداولة بين العلماء الراسخين منهم وكل ما عرض عليهم من الامراض النفسية والاعتلال العقلى فلا بد ان تدفعه قوة العقائد الحقة . ويعود الامر كما بدأ وينشطوا من عقالهم ويذهبون مذاهب الحكمة والتبصر فى انقاذ بلادهم وارهاب الامم الطامعة فيهم وايقافها عند حدها وما ذلك ببعيد والحوادث التاريخية تؤيده فانظر الى العثمانيين الذين نهضوا بعد تلك الصدمات القوية (حروب التتر والحروب الصليبية) وساقوا الجيوش الى ارجاء العالم واتسعت لهم ميادين الفتوحات ودوخوا البلاد وارغموا انوف الملوك ودانت لسلطانهم الدول الافرنجية حتى كان السلطان العثمانى يلقب بين الدول بالسلطان الاكبر .

ثم ارجع البصر تجد هذه في نفوسهم وحركة في طباعهم احدثها فيهم ما توعدتهم به الحوادث الاخيرة من رداءة العاقبة وسوء المنقلب : حركة سرت في افكار ذوي البصيرة منهم في اغلب الانحاء شرقا وغربا وتألفت من خيارهم عصبات للحق كتبت على نفسها نصرة العدل والشرع . والسعي بغاية الجهد لبث افكارها وجمع الكلمة المفترقة وضم الاشتات المتبددة وجعلوا من اصغر اعمالهم نشر جريدة عربية لتصل بما يكتب فيها بين المتباعدين منهم وتنقل اليهم بعض ما يضمره الاجانب لهم وانا نري عدد الجمعية الصالحة يزداد يوما بعد يوم . نسأل الله تعالى نجاح اعمالها وتأييدها مقصدها الحق ورجاؤنا من كرمه ان يترتب على حسن سعيها اثر مفيد للشرقيين عموما وللمسلمين خصوصا .

فهذه المقالة القضاء والقدر هي مقالة واحدة من المقالات الكثيرة التي كتبت ونشرت في هذه الجملة (العروة الوثقى) ورأينا فيها انه كيف يعالج السيد الافغاني اصعب الموضوعات واعوصها علاجا صحيحا يبين ان هذه العقيدة ليست سببا في تأخر المسلمين عن الامم الاخري في التقدم وليست هذه العقيدة هي عائقا من العوائق دون التطور والتقدم والازدهار كما يزعم الاعداء وانما بين بوضوح تام لامراء فيه بأن سبب تأخر المسلمين هو تركهم لهذه العقيدة وعدم الاعتقاد بها اعتقادا صحيحا وتمسكهم بخرافات واوهام لا تمت الى هذه العقيدة بشيئ . وقال : ان المسلمين كانوا في عزة وجاه حينما كانوا مستمسكين بها ومن يوم تركوا الاعتقاد بها بدأوا ينهارون يوما بعد يوم وقد ضرب لذلك امثلة كثيرة اثبت منها ما يقول اثباتا ورضا لا يدع اي مجال للشك . ولم يبين السيد الافغاني هذا الامر في اسلوب معقد غير واضح وانما اتى بذلك في اسلوب ادبي رائع فيه متانة التركيب وقوة البيان وسلامة اللغة وفصاحة اللسان وبلاغة الكلام وحسن الانسجام مما يجعلك تؤمن

بأن السيد كان بحق صادقا فيما يقول ويكتب ٠

ويقول العلامة رشيد رضا تلميذ الاستاذ الامام محمد عبده في شأن مجلة العروة الوثقى :[(١)]

اتفق لي ان كنت اقلب في اوراق والدي رحمه الله فرأيت عددين من (جريدة العروة الوثقى) فقرأتهما بشوق ولذة فعلا في نفسي فعل السحر فطفقت ابحث عن سائر الاعداد فوجدت بعضها عند والدي ووجدت الباقي عند استاذي الشيخ حسين الطرابلسي فاستنسخت الجميع وقرأته المرة بعد المرة فانتقلت بذلك الى طريق جديد في فهم الدين الاسلامي وهو انه ليس روحانيا اخرويا فقط بل هو دين روحاني جسماني اخروي دنيوي من مقاصده هداية الانسان الى السعادة في الارض بالحق ليكون خليفة الله في تقرير المحبة والعدل ٠

وقد تأثر السيد رشيد رضا من الافكار العالية الموجودة في هذه الجريدة الغراء (العروة الوثقى) في ثوب جميل من الالفاظ في غاية الدقة والعمق والخلابة والطلاوة حتى كان الانسان يدهش ولم يكن يستطيع ان يفرق في انها مجلة دينية او ادبية او سياسية وفي الواقع كانت جريدة شاملة تخدم الاسلام والدين الحنيفي الاعز بأي اسلوب اتفق و اقتضاء المقام ٠ تأثر السيد رشيد رضا حتى كتب الى السيد جمال الدين خطابا من غير معرفة سابقة في سنة ١٣١٠هـ (١٨٩٣م) عبر فيه عن حبه للسيد جمال الدين وتقديره اياه واعماله ونص الخطاب :

---

(١) تاريخ محمد عبده — رشيد رضا ج ١ ص ٨٥

انى منذ لاحت على مخايل التمييز ما نمى الى خبراته وانتهى ولا ابتل واسمى من خبر سيدي جمال الدين • نبأ عظيم غرس فى قلبى حبة الحب والشغف وسقاها بماء الحياة فنبتت نباتا حسنا وامتدت اغصانها وتشعبت افنانها حتى لم تذر فى ارض الجسم ذرة من دقائقه الا وجذورها راسخة فيها شجرة طيبة اصلها ثابت وفرعها فى السماء تؤتى اكلها كل حين باذن ربها جنيت منها غرة حب الحكمة واقتطف الناس منها ثمار الثناء على حكيم الحكماء اعزه الله تعالى •

ولم تزل تنمو بنموي حتى كانها من عناصر جسدي وتقوي بقواي العاقلة حتى كانها من مقومات ماهيتي وهى الان ارسخ الملكات فى نفسى لا اتبوأ مجلسا ولا افيض فى كلام الاد ذكر الجمال (١) فاتحته او ختامه •

فلله انت من ذي نفس ذكية وروح قدسية ماهبت نفحة من معارفها فى جو قوم الا ونفخت فى رمم محهم روح الفضل ولا تدفقت مواد فضائلها فى ارض امة الا وجرفت منها ادران الجهل بل اقول لاتبثث من ذلك الذهن المشتعل بالانوار ذرات الفكر فى قطر من الاقطار الاتكون منها فى سماء العقل من كواكب العرفان ما هو ابهد من النظام الشمس فى عالم الحس والعيان وعلى هذا فى فما اجداكم بقول القائل :

ابدا تحن اليكم الارواح　　　ووصالكم ريحانها والراح (٢)

نري انه كيف تأثر السيد رشيد رضا بالسيد الافغانى ولم يكن هذا التأثر بذات شخصه من حيث هو هو او من حيث هو افغانى لا — كلا — وانما تأثر بافكاره واعماله وخدما

---

(١) يريد بالجمال — السيد جمال الدين الافغانى —

(٢) المصدر السابق ص ٨٥

الدينية والادبية والسياسية علوم .

ولم يكن هذا التأثر الذي ابداه فى خطابه اثرا وقتيا او على طريق المجاملة مع السيد الافغانى وانما هو تأثر ثابت . انار له الطريق وهداه الى صواب وازال منه حجاب الغفلة . وجعله يفكر من جديد تفكيرا سديدا فى حقائق الاشياء تفكيرا مبنيا على اصول وحقائق ثابتة تفكيرا يوجهه الى الطريق الجديد فى فهم الدين على وجهه الصحيح كما فى القران الكريم والاحاديث النبوية الشريفة خاليا عن الخرافات والاوهام والبدع . تفكيرا يجعل الانسان يختار له مسلكا قويما قديما فى الحياة الانسانية التى تقتضى منه ان يعمل كل الخير للبشرية ويدعوا المسلم ان يجد ويجتهد ويعمل لخلاص الانسانية من ذل العبودية والمسكنة الى العزة والمنعة ويرفع بالمسلم الى مقامه الارفع الذي يقتضيه له الاسلام . المقام الذي حدده له القران الكريم حيث يقول : وانتم الاعلون ان كنتم مؤمنين .[1]

كنتم خير امة اخرجت للناس[2] و فان حزب الله هم الغالبون .[3]

هذه هى تعاليم السيد جمال الدين الافغانى التى تؤخذ من هذا الخطاب الصغير . وحقا كان السيد جمال الدين يستحق هذا التقدير والاحترام .

ذهابه الى لندن :

حينما كان السيد جمال الدين يقيم فى باريس ويكتب فى الجرائد مقالات ذات شأن ويصدر جريدة العروة الوثقى كانت قد حدثت من قبل فى السودان ثورة

---

(١) ال عمران (٣) : ١٣٩

(٢) ال عمران (٣) : ١١٠

(٣) المائدة (٥٦) : ٥

مهدية عام ١٨٨١م (١٢٩٧هـ) قام بها محمد احمد السوداني و كان ممن له علاقة بالسيد جمال وتعاليمه وسبب الثورة ان التوفيق باشا خريو مصر كان قد عين حاكما من قبله على السودان وكان ظالما لم يكن همه الا جمع المال بأي وسيلة كانت وقد شدد على الناس حتى ضاقوا ذرعا وهنا انبري محمد احمد في الميدان وقام بالحركة الثورية ضد الطغيان وبدأت قوته تزداد يوما بعد يوم . وقد أخاف ذلك الانجليز علي مصر حيث ايقنوا ان هذه الحركة الثورية اذا نجحت في السودان فسوف تمتد الى مصر وبذلك ستخرج مصر من أيدي الانجليز . ولهذا ارسلت انجلترا في يناير ١٨٨٤م (١٣٠٠هـ) الجنرال غوردون . لاخماد هذه الثورة واخذ معه حبشيا وقد وصل الى الخرطوم الا ان اصحاب المهدي قتلوا جميع افراد الجيش الانجليزي وحوصر الجنرال غوردون في الخرطوم . ولم تكن تصل قوات انجليزية اخري لمساعدة الجنرال غوردون . واخيرا استولى اصحاب المهدي على الخرطوم وقتل الجنرال غوردون . مع ان السيد جمال الدين كتب من قبل في جريدة العروة الوثقى عن السودان والاوضاع الدائرة فيها كما كان قريبه مستند بلغت الى سوء مخيلة الجنرال غوردون اذا لم تقم انجلترا بالصلح مع محمد احمد المهدي على اساس الشروط التي قدمها السيد ومنها ان تبقى مصر للمصريين وتخرج الجيوش الانجليزية منها ولكن لم يسمع الى كلام السيد في هذا الوقت .

ولما اشتد امر المهدي السوداني وبدأ يلفت انظار الناس اليه خاف الانجليز سوء العاقبة هذا من جانب ومن جانب آخر يقال ان السيد جمال الدين كتب في ٩ نباير ١٨٨٥م (١٣٠١هـ) خطابا الى شخص باسم ابراهيم ذكر فيه اذا لم تكن انجلترا مستعدة للعلم في شأن مصر فاني سوف اذهب الى افغانستان واقوم بحركة ضدهم .

وقد وقع نظر مستد بلنت على هذا الخطاب وفى ١٦ يوليو قابل مستر اندلف تشرشل واقنعه على اللقاء مع السيد جمال الدين الافغاني وكان اندلف تشرشل قد عين حديثا وزيرا لشئون الهند . واخيرا بعد اخذ ورد كثير ذهب السيد جمال الدين ومعه تلميذه و صاحبه محمد عبده الى لندن ولقى بمستر رندلف تشرشل وجرت محارثات بينهما وقد اقنع السيد تشرشل بان الروس اشد خطرا للانجليز بالنسبة الى المسلمين . وينبغى لانجلترا ان تقوم بالاتحاد مع افغانستان وايران وتركيا ومصر وبقية البلاد العربية . وقد اقنع مستر رندلف تشرشل على ذلك . (١) وتباحث معه ومع اللورد سالسبري امر السودان ايضا ولكن اخيرا باءت المفاوضات بالفشل كعادة الانجليز فى الخلف بالوعد وفى اثناء الكلام عرض اللورد لله سالسبري على السيد الافغان ان بريطانيا تري فيه مقدرة كاملة و تريد ان تجعله سلطانا على السودان .

فماذا كان رد جمال الدين عليه . كان رده على اللورد ان قال :

تكليف غريب وسفه فى السياسة سمح لى يا حضرة اللورد ان اسألك : هل تملكون السودان حتى تريدوا ان تبعثوا اليه بسلطان :

مصر للمصريين والسودان جزء متم لها وصاحب الحق الخليفة الاعظم حى يرزق ولديه من القوة ما يدلل كل صعب وفتنة ثم استطرد يقول له : ان الاصلاح وما تنويه بريطانيا

---

(١) الف ــ مضامين جمال الدين الافغانى ص ٣٥

ب ــ حياة جمال الدين افغانى ــ مرزا اديب (اردو) لاهور ط ٣ ــ ١٩٥٩ م ص ٦٦ ــ

ج ــ جمال الدين الافغانى ــ محمد ابوريه ص ١٢١

ان تفعله وما تريده هناك من عمل فعلى سبيل الاستطراء والتطفل الفت نظرها ونظر كبير رجالها حضرة اللورد • الى ايرلاندة وما تعانيه من ضروب البلاء فيما تنشده لنفسها من طلب الاستقلال ليتسنى لها معه الاصلاح الحقيقي لبلادهم فلما ذا لا تجيبون سؤالهم وتصلحون امرهم وهم اقرب اليكم من حبل الوريد • وبينكم وبينهم من الجامعات ما هو معدوم لكم في مصر والسودان وغيرهما من ممالك الشرق • (١)

ترى ما ذا كان عند ذلك بهت اللورد سالسبري وفوجئ بجواب لم يكن في حسبانه كان بحسب السيد جمال الدين كاناس اخرين الذين يرضون بمثل هذه الامور كان يتوقع ان السيد جمال الدين سيشكره على ذلك • ويعتبره منا كبيرا عليه من قبل بريطانيا العظمى و اخيرا ودع السيد دون ان يتمكن هذا الانجليزي العجوز الداهية في المكر والخداع من ان يخدع السيد جمال الدين ويوقعه في الفخ الانجليزي البغيض •

السيد في روسيا

يئس السيد جمال الدين من السياسة البريطانية وتأكد لديه انه لا يمكن التفاهم (ب) مع الانجليز في مسألة مصر والسودان ولا في مسئلة ايران وتركيا و افغانستان فاراد الذهاب الى روسيا لعله يقوم هناك بعمل مثمر ضد الانجليز فعاد الى باريس في اواخر ١٨٨٥م (١٣٠٢هـ) ذهب الى روسيا ولكن لم يعرف حالات هذا السفر تماما ولم ينجح السيد فيما كان يريد من الاتحاد بين روسيا والدول الاسلامية ضد الانجليز الا ان هذا

---

(١) الف ــ جمال الدين الافغاني ــ محمد ابورية ص ١٢٢ــ

ب ــ نابغة الشرق ــ جمال الدين الافغاني ص ٧٢

ج ــ العروة الوثقى ــ دار العرب ص ٣٥

السفر قد اتى بنتيجة حيث سمح للمسلمين فى روسيا بطبع القران الكريم والكتب الدينية الاسلامية الاخري وعادا لسيد الى باريس.[١]

السيد فى ايران :

خرج السيد الافغانى من باريس ووصل فى يونيو ١٨٨٦ الى بوشهر واقام عند حاجى خان وزير المسقط وتعرف بالشخصيات الايرانية. وفى هذا الاثناء جاءه تلغراف من قبل الشاه ناصرالدين قاجار يدعوه الى ايران . وكان ذلك عام ١٣٠٢هـ (١٨٨٦م) ولما وصل الى طهران استقبل استقبالا رائعا من قبل الحكومة وعند ما لقى الشاه لأوّل مرة قال له الشاه ما ذا تطلب منحما فأجاب السيد : اذنين صاغتين [٢] فتعجب الشاه من جرأته . فأدناه اليه وعينه وزيرا محرب على وعد ان يرقيه فيما بعد الى منصب رئيس الوزراء.

مكث السيد جمال الدين مدة وجيزة فى طهران حتى زاغ صيته بين الناس وبدأ الناس من العلماء والادباء والامراء يلتفون حوله لما لمسوا فيه من علم غزير و ادب جم و اطلاع واسع . وخبرة فى شئون الحياة واصلاح مشئون البلاد ومعرفة اخلاق الامم ومعرفة الادواء والدواء . وكانت هذه الشهرة تزداد يوما بعد يوم وبدأ الناس يطلبون الى السيد ان يقوم بما يفيد ايران . وهنا زاد قلق الشاه واوجس من السيد خيفة فى نفسه . كما القى فى ذهنه ان السيد جمال الدين لو بقى فى ايران مدة اخري لخرج ايران من يد الشاه فينبغى

(١) الف ــ مضامين جمال الدين الافغانى ص ٣٦

ب ــ حياة جمال الدين افغانى مرزا اديب ص ٦٧

(٢) الف ــ مضامين جمال الدين ص ٣٧

ب ــ نابغة الشرق جمال الدين الافغانى ص٧٣

ابعاد السيد من ايران بأي طريقة كانت وادرك السيد ذلك فلم يرض ان يبقى اكثر من ذلك فطلب من الشاه الاذن (١) بالخروج من ايران فسمح له الشاه بالخروج فخرج من ايران الى روسيا ٠

ذهابه الى روسيا مرة الاخري

خرج خرج السيد الافغاني من ايران وذهب الى روسيا واقام في عاصمتها بطرسبورج (لينن جراد الحالية) بعد ان زار موسكو ٠ ولقى هناك كل تجلة واكرام لما عرف اهل روسيا من شأن جمال الدين وهناك تعرف بأعاظم رجالها من العلماء والادباء والسياسيين ونشر في جرائدها مقالات كثيرة في سياسة الافغان والفرس والدولة العلية والروسية ٠ والانكليزية كان لهادوي شديد في ميدان السياسة ٠

واثناء اقامة السيد في بطرسبورج تباحث مرارا مع وزير خارجية روسيا زينويف يثير الحرب بين روسيا وانجلترا وبذلك سيتمكن من تحريرا لبلاد الاسلامية من الاستعمار البريطاني ٠ ولكن وزير خارجية روسيا اظهر عدم ميل الروس الى خوض معركة اخري ولم يفهم او لم يحاول ان يفهم الوزير المذكور ما يريده جمال الدين ويقول السيد نفسه بعد مقابلته لزينويف كلما ارميه الى الهواء يقع كالقطة فوق الارض (٢) اي على يديه ورجليه يقصد من

---

(١) الف ـ نابغة الشرق جمال الدين الافغاني ص٧٣ ٠ ٧٤

ب ـ جمال الدين الافغاني محمد ابوريه ص ١٢٤

ج ـ جمال الدين الافغاني ـ باعث النهضة الفكرية في الشرق ص ١٧١

د ـ حياة جمال الدين افغاني مرزا اديب ص ٦٨ ٠ ٧٩

ويقول محمد عبدالقدوس في كتابه : (مضامين جمال الدين افغاني) ان الشاه

ذلك ان زينوف لا يتغير رأيه .

(و) واثناء اقامة السيد في روسيا رغب القيصر في رؤية السيد جمال الدين و

دعاه الى قصره . وفي ضمن المباحثات معه سأله عن احوال ايران وعن سبب خلافه مع

الشاه فأخذ السيد يقص عليه كيف يستبد الشاه بأمر رعيته وكيف ينفق باسراف وسفه ثم

كيف لا يريد ادخال الحكم الدستوري في بلاده . فقال له القيصر : انني اري الحق مع

الشاه اذ كيف يرضى اي ملك من الملوك ان يتحكم فيه فلاحو مملكته فقال السيد له :

اعتقد يا جلالة القيصر . انه خير لعرش الملك ان يكون ملايين الرعية اصدقاء له

بدلا من ان يكونوا اعداء . يترقبون الفرص ويكمنون في الصدور سموم الحقد ونيران الكره(١)

هذه الجرأة العجيبة اوقعت ريبة في قلب القيصر وطلب الى حاشيته الحار

هذا الرجل واثناء اقامة السيد الافغاني في روسيا لمدة سنتين (٢) او اربع سنوات (٣) زار

شاه ايران روسيا . وطلب اللقاء بالسيد ولكن السيد ابى ولم يرغب في المقابلة .

السيد في المانيا وباريس

ثم خرج السيد جمال الدين من روسيا وذهب الى ميونخ من بلاد الالمان لاول مرة

= امر الحاج محمد حسن امين الضرب ان يقول لجمال الدين ان يخرج من ايران وقد اعلن الى السيد هذا الامر وقبل ذلك بكل سرور . ص ٣٧

(٢) نابغة الشرق جمال الدين الافغاني ص ٧٤

(١) الف) نابغة الشرق جمال الدين الافغاني ص ٧٥

ب) خاطرات . المخزومي ص ٣٠

(٢) كما يقول الاستاذ عبدالقدوس في كتابه : مضامين جمال الدين (اردو) ص ٣٧ =

و وصل الشاه هناك و اراد اللقاء بالسيد جمال الدين ولكنه ابى عن ذلك واخيرا قابله بناء على توسط بعض كبار رجال الالمان . والح الشاه عليه بالذهاب الى ايران واعتذر السيد وقال انه يريد الذهاب الى باريس لمشاهدة معرضها (١٨٨٩) ولكن الشاه الح عليه واخيرا رضى بالذهاب الى ايران . ويقال انه قبل الذهاب الى أيران ذهب الى روسيا بناء على طلب امين السلطنة (مرزا على اصغرخان) لازالة هى شبهات روسيا فى حق امين السلطنة

السيد فى ايران مرة اخري

ذهب السيد الى ايران عام ١٨٨٩ م (١٣٠٥هـ) ولما وصل طهران لقى من الناس نفس المخاوفة والاجلال والاكرام كما لقى فى المرة السابقة . وقد اتى السيد الافغانى الى ايران هذه المرة على امل ان يتقلد منصب رئيس الوزراء كما وعده بذلك الشاه فى لقاء انه السابقة ودعاه بالحاح و احرار ولكنه رأي ان الحالة تغيرت وتبدلت وكان رئيس الوزراء قد افهم الشاه ان اشراك السيد جمال الدين فى امور الدولة سوف يكدر عيش الشاه نفسه . وان الوقت لم يحن لتاسيس الحكم الدستوري وان العمل على الاصلاحات التى يقدمه جمال الدين فيه فائدة ولكن ضررها اكبر من نفعها .

= (٣) كما يقول محمد ابورية فى كتابه جمال الدين الافغانى ص ١٣٤ — و سعيد الافغانى فى كتابه نابغة الشرق جمال الدين الافغانى ص ٧٥ ويمكن التوفيق بين الرأيين بان فى رأي مولانا عبد القدوس ذهب جمال الدين من باريس الى روسيا ثم الى ايران ثم الى روسيا ثم الى ايران . وفى رأي الاخرين ذهب رأسا من باريس الى ايران ثم روسيا ثم ايران . يحتى ذهب مرة الى روسيا ومكسره اربع سنوات وعند مولانا مرتين اقام سنتين فى المرة الاولى وسنين فى المرة الثانية . كما ذهب الى روسيا مرة ثالثة ايضا عند مولانا .

اقام السيد جمال الدين عند الحاج محمد حسن على ان تأتيه دعوة من طرف قبل الشاه . ولكن دون جدوي واخرا كتب خطابا الى الشاه يذكره فيه بأنه قد وفيت بوعدي وحضرت الى ايران بعد اتمام جميع الامور فاذا كنت قائما بوعدك فسوف احضر وان كان هذا الوعد مثل الوعد السابق فالرجاء السماح لي بالذهاب والعودة من هنا وقد كتب الشاه في الرد بأني قائم على وعدي . وعليك بالاقامة في بيت رئيس الوزراء . ولكن السيد فضل الاقامة في بيت الحاج محمد حسن بعد الاعتذار اللائق .

وكان رئيس الوزراء من احقد الناس على جمال الدين الافغاني لانه كان يخاف على منصبه منه ولذا كان يسعى بكل جهده ان يوقع الخلاف بين الشاه وبين السيد جمال الدين وكان في نفس الوقت متصرفا الى منح الامتيازات الاقتصادية الى كل من انجلترا و روسيا . كانت الشركة البريطانية قد حصلت على مقاولة تمهيد الطريق العام من الاهواز الى طهران و مقاولة المعاون منحت الى تجار اوربا وكان الانجليز قد حصلوا على الاذن بانشاء البنك . وهكذا مقاولات الاشياء الاخري كل هذه كانت تجري وكان السيد جمال الدين يري هذا وقد حدث ان قال له الشاه ذات مرة : ايصح ان اكون يا حضرة السيد وانا ملك ملوك الفرس (شاهنشاه) كاحد افراد الفلاحين فقال السيد .

اعلم يا حضرة الشاه ان تاجك وعظمة سلطانك وقوائم عرشك ستكون بالحكم الدستوري اعظم وانفذ واثبت مما هي الان . والفلاح والعامل والصانع في المملكة يا حضرة الشاه انفع من عظمتك ومن امرائك واسمح لاخلاص ان اوديه صريحا قبل فوات وقته لاشك يا عظمة السلطان انك رأيت وقرأت عن امة استطاعت ان تعيش دون ان يكون على رأسها ملك ولكن هل رأيت

ملكا عاش دون امة و رعية ٠ (١)

وقد بدأ الخلاف يزداد يوما بعد يوم بين الشاه وبين السيد جمال الدين و كان السبب الرئيسي في ذلك هو رئيس الوزراء لأنه هو الذي كان يسعى لهذا واخيرا ادرك السيد جمال الدين ان مرحلة النضال قد اشتدت فخرج من بيت الحاج محمد حسن واتجه الى مقام يعتبره الايرانيون مقاما مقدساء ومن دخله كان امنا ٠ وهذا المقام هو مقام شاه عبد العظيم وهو على مسافة ١٢ ميلا من طهران ٠

ذهب السيد الافغاني الى مقام شاه عبد العظيم وذهب اناس كثيرون من العلماء والمريدين والوجهاء والاعيان ولم يسكت السيد وانما بدأ يخطب في الناس ويستحثهم على الاصلاح وفي اثناء ذلك كتب رسالة طويلة الى الشاه بين فيها الحقائق كلها ولكن لم يأت اليه الرد منه وعلى كل مكث السيد في هذا المقام سبعة اشهر وفي هذه الفترة قد ألهب نار اليقظة في الايرانيين ضد اعمال الشاه واعمال رئيس وزرائه مرزا على اصغرخان وما لها من المضار في شئون البلاد الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والدينية ٠ وقد وصل كل ذلك الى الشاه والى رئيس الوزراء وكان كل منهما يتحين فرصة للخلاص من جمال الدين ٠ واخيرا وجدت هذه الفرصة حيث كان السيد مريضا شديدا فارسل الشاه خمسمائة فارس وقبضوا على السيد وكبلوه بالسلاسل وهو يرتعش من شدة البرد والحمى وحملوه على البردون واوصلوه الى خانقين ٠ وكان ذلك في اواخر ١٨٩٠ او في اوائل ١٨٩١م (٢) (١٣٠٧هـ)

---

(١) الف ــ نابغة الشرق جمال الدين الافغاني ص ٧٦

ب ــ خاطرات جمال الدين الافغاني ٠ محمد المخزومي ٠ دار الفكر الحديث لبنان

(٢) الف ــ جمال الدين الافغاني ــ باعث النهضة الفكرية في الشرق ص ١٧٥ ج ٢ ١٩٦٠ ص ٢١

وقد قص السيد الافغاني قصته بنفسه حيث قال :

و اما قصتي وما فعله هذا الكنود الظلوم معي . فمما يفتت اكباد اهل الايمان ويقطع قلوب ذوي الايقان . ويقضي بالدهشه على اهل الكفر وعباد الاوثان ان ذلك اللئيم امر بسحبي وانا متحصن بحضرة عبد العظيم عليه السلام . في مشده المرض على الثلج الى دار الحكومة بهوان وصغار وفضيحة لا يمكن ان يتصور دونها في الشناعة (هذا كله بعد النهب والغارة) ثم حملني زبانيته الاوغاد وانا مريض على برذون مسلسلا في فصل الشتاء وتراكم الثلوج والرياح الزمهريرية وساقتني جحفلة من الفرسان الى خانقين وصحبني جمع من الشرطة .(١)

هكذا قام الشاه بهذا العمل الهمجي في حق اكبر شخصيات العالم السيد جمال الدين وكان مرزا على اصغرخان شريكا معه في هذه الجريحة الشنيعة التي مرت بالسيد الافغاني الا انها بقيت ابدا الدهر علامة سوداء في تاريخ الشاه ناصرالدين قاجار و تاريخ رئيس وزرائه مرزا على اصغرخان وكل من يقرأ تاريخ السيد الافغاني ويقرأ هذه القصة يقف برهة من الزمن يفكر في عقلية هذا الشاه الذي يدعي الامبراطورية وهذا العمل الصبيا ني الذي لا يصدر عن ادنى شخص اذا كان ذا عقل سليم . وخاصة في حق شخص اعزل ادنى مثل جمال الدين في حق عالم جليل ومصلح كبير لا يقول الا الحق ولا يدعوا الا الى الحق

ب ـ نابغة الشرق . جمال الدين الافغاني ص٧٧

ج ـ حياة جمال الدين افغاني ـ مرزا اديب ص ٧٨ . ٧٩

د ـ مضامين جمال الدين افغاني ص ٣٦

(١) الف ـ نابغة الشرق جمال الدين الافغاني ص ٧٧

ب ـ تاريخ بيداري ايرانيان (يقظة الايرانيين) ناظم الاسلام الكرماني ايران ص ٩٢

ولا يريد الا الخير كل الخير للاسلام والمسلمين • بل للعالم اجمع • ثم يثوب القارئ الى نفسه ويقول : ان هذا هو شاًن ملوك الشرق اسود على الشرقيين العزل وثعالب امام الاوربيين •

السيد في البصرة :

اخذ السيد الافغاني كما ذكرت الى خانقين الى الحدود العثمانية اذ داك ومن هناك ذهب السيد الى بغداد ومن بغداد الى البصرة • وعند ما وصل الى البصرة وكان واليها هدايت باشا وكان رجلا تقيا بطلا بارا ورعا فاكرم وفادة السيد واحترمه وقد مكث السيد فترة من الزمن احوالى سبعة اشهر • وبداًء السيد في الجهاد ضد الشاه ناصرالدين قاجاره وكان السيد قد بذر بذورا في اراضى ايران ونفخ روح اليقظة في نفوس الايرانيين وبداًء يعمل ويريد ان يري ثمرة مجهوداته التى بذلها في ايران وكان يفكر في ان تجلع الشاه وقد صادف ان الشاه كان قد منح في ٧ مارس ١٨٩٠م (١٣٠٦هـ) مقاولة التحباك الايرانية في جميع البلاد للشركة الانجليزية • وكانت الشركة قد بداًت العمل براًس مال مائة مليون • (١)

استغل السيد هذه الفرصة وكتب رسالة مفصلة ابى المجتهد الاعظم الحاج مرزا محمد حسن الشيرازي بين فيها مفاسد الشاه التى تجر الشعب الايرانى الى الافلاس والذل والمسكنة والرسالة طويلة مليئة بالحقائق ويحسن ان ناًتى بها كلها كما نعرف مدي قوة جمال الدين الافغانى الكلامية في هذه الرسالة وما الم بنفسه من قبل هذا الشاه الكنود

---

(١) مضامين جمال الدين الافغانى ص ٤٠

الظالم فى حقه وحق الايرانيين والرسالة هى :

رسالة من السيد جمال الدين الافغاني الى الحاج مرزا محمد حسن المجتهد الاعظم بايـران

بعد

بسم الله الرحمن الرحيم ـ حقا اقول : ان هذا الكتاب خطاب الى روح الشر المحمدية اينما وجدت وحيثما حلت وضراعة تعرضها الامة الى نفوس زاكية تحققت بها وقامت بواجب شئونها كيفما نشاءت . وفى اي قطر بنخت . الا وهم العلماء فاحببت عرضه على الكل وان كان عنوانه خاصا .

حبر الامة بارقة انوار الائمة دعامة عرش الدين واللسان الناطق عن الشرع المبين جناب الحاج الميرزا محمد حسن الشيرازي صان الله به حوزة الاسلام ورد كيد الزنادقة اللئام لقد خصك الله بالنيابة العظمى عن الحجة الكبري واختارك من العصابة الحقة وجعل بيدك ازمة سياسة الامة بالشريعة الغراء وحراسة حقوقها بها وصالة قلوبها عن الزيغ والارتياب فيها واحال اليك من بين الانام (وانت وارث الانبياء) مهام امور تسعد بها الطائفة دارها الدنيا وتحظى بالعقبى ووضع لك اريكة الرسالة العامة على الافئدة والنهى . اقامة لدعامة العدل . واشارة لمحجة الهدي وكتب عليك بما اولاك من السيادة على خلقه حفظ الحوزة والزود عنها والشهادة دونها على سنن من مضى وان الامة قاصيها ودانيها وحاضرها وباديها ووضيعها وعاليها قد اذعنت لك بهذه الرياسة السامية الربانية جاثية على الركب خارة على الاذقان تطمح نفوسها اليك فى كل حادثة تعروها تطل بصائرها عليك فى كل مصيبة تمسها وهى تري ان خيرها وسعدها منك وان فوزها و

ونجاتها بك وان امنها وامانيها فيك ..

فاذا لمح منك غض طرف او نبت بجانبك لحظة وامهلتها وشأنها لمحة ارتجفت افئدتها ولعف واختلت مشاعرها وانتكثت عقائدها وانهدمت دعائم ايمانها نعم لا برهان للعامة فيما دانوا . الا استقامة الخاصة فيما امروا فان وهن هؤلاء في قريضة او قعدبهم الضعف عن اماطة منكر لا عتور اولئك الظنون والاوهام . ونكص كل على عقبيه مارقا من الدين القويم حائدا عن الصراط المستقيم .

وبعد هذا وذاك وذلك اقول : ان الامة الايرانية بما دهمها من عراقيل الحوادث التي اذنت باستيلاء الضلال على بيت الدين وتطاول الاجانب على حقوق المسلمين ووجوم الحجة الحق ـ اياك اعنى ـ عن القيام بناصرها وهو حامل الامانة والمسئول عنها يوم القيامة قد طارت نفوسها شعاعا وطاشت عقولها . وتاهت افكارها ووقفت موقف الحيرة (وهي بين انكار واذعان وجحود وايقان) لا تهتدي سبيلا وهامت في بيداء الهواجس في عتمة الوساوس ضالة عن رشدها لا تجد اليه دليلا واخذ القنوط بمجامع قلوبها وسد ابواب رجائها وكادت ان تختار ايا سامنها الضلالة على الهدي وتعرض عن محجة الحق وتتبع الهوي . وان احاد الامة لا يزالون يتساءلون شاخصة ابصارهم عن اسباب قضت على حجة الاسلام (اياك اعنى) بالسبات والسكوت وحتم عليه ان يطوي الكشح عن اقامة الدين على اساطينه واضطره الى ترك الشريعة واهلها الى ايدي زنادقة يلعبون بها كيفما يريدون ويحكمون فيها بما يشاءون حتى ان جماعة من الضعفاء زعموا ان قد كذبوا وظنوا في الحجة ظن السوء وحسبوا الامر احبولة الحازق واسطورة المذق . وذلك لانها تري (وهو الواقع) ان لك الكلمة الجامعة والحجة الساطعة وان امرك في الكل نافذ وليس لحكمك في الامة

منابذ وانك لو اردت تجمع احاد الامة بكلمة منك (وهي كلمة تنبثق من كيان الحق الى صدور اهله) فذهب بها عدو الله وعدوهم ٠ وتكف عنهم شر الزنادقة وتريح ما حاق بهم من العنت والشقاء وتنشلهم من ضنك العيش الى ما هو ارغد واهنى فيصير الفقه الدين باهله منيعا حريزا والاسلام بحجته رفيع المقام عزيزا ٠

هذا هو الحق انك رأس العصابة الحقة وانك الروح الساري فى احاد الامة فلا يقوم لهم قائم الابك ولا تجتمع كلمتهم الا عليك لو قمت بالحق نهضوا جميعا ولهم الكلمة العليا ولو قعدت تثبطوا وصارت كلمتهم هى السفلى ولربما كان هذا السير والدوران حيثما غض حبر الامة طرفه عن شئونهم وتركهم هملا بلا راع وهمجا بلا رادع ولا داع يقيم لهم عذرا فيما ارتابوا خصوصا — لما رأوا ان حجة الاسلام قد ونى فيما اطبقت الامة خاصتها وعامتها على وجوبه واجمعت على خطر الاتقاء فيه خشية لغو به الا وهو حفظ حوزة الاسلام الذي به بعد الصيت وحسن الذكر والشرف الدائم ٠ والسعادة التامة ومن يكون اليق بهذه واحري بها ممن اصطفاه الله تعالى فى القرن الرابع عشر وجعله برهانا لدينه وحجة على البشر ٠

ايها الحبر الاعظم ٠ ان الملك قد وهنت سريرته فساءت سيرته وضعفت مشاعره فقبحت سريرته وعجز عن سياسة البلاد وادارة مصالح العباد فجعل زمام الامور كليها و جزئيها بيد زنديق اثيم غشوم ثم بعد ذلك زنيم ٠ يسب الانبياء فى المحاضر جهرا ولا يذعن لشريعة الله امرا ٠ ولا يري لرؤوساء الدين وقرا ٠ يشتم العلماء ويقذف الاتقياء ويهين السادة الكرام ٠ ويعامل الوعاظ معاملة اللئام وانه بعد رجوعه من البلاد الافرنجية قد خلع العذاب وتجاهر بشرب العقار وموالاة الكفار ومعاداة الابرار هذه هي

لعنه اعماله الخاصة فى نفسه · ثم انه باع الجزء الاعظم من البلاد الايرانية ومنافعها لاعداء الدين · المعارف والسبل الموصلة اليها والطرق الجامعة بينها وبين تخوم البلاد و الخانات التى تبنى على جوانب تلك المسالك الشاسعة التى تتشعب الى جميع ارجاء المملكة وما يحيط بها من البساتين والحقول · نهر الكارون والفنادق التى تنشأ على ضفتيه الى المنبع ويستتبعها من الخبائن والمروج والجادة من الاهواز الى طهران · وما على اطرافها من العمارات والفنادق والبساتين والحقول والتنباك وما يتبعه من المراكز و محلات الحرث وبيوت المستحفظين والحاملين والبائعين انى وجد وحيث نبت وحكر العنب للخمور · وما تستلزمه من الحوانيت والمعامل والمصانع فى جميع اقطار البلاد والصابون والشمع والسكر ولوازمها من المعامل والبنك وما ادراك ما البنك هو اعطاء زمام الاهالى كلية بيد عدو الاسلام واسترقاقه لهم واستملاكه اياهم وتسليمهم له بالرياسة والسلطان ·

ثم ان الخائن البليد اراد ان يرضى العامة براهين برهانه نحبق قائلا : ان هذه معاهدات زمانية ومقاولات وقتية لا تطول مدتها ازيد من مائة سنة !! يا لله من هذا البرهان الذي سوله لخرق الخائنين وعرض الجزء الباقى على الدولة الروسية حقا لسكوتها (لو سكتت) : مرداعة رشت ونهر الطبرستان والجادة من الانزلى الى الخراسان وما يتعلق بها من الدور والفنادق والحقول · ولكن الدولة الروسية شمخت بأنفها واعرضت عن قبول تلك الهدية وهى عازمة على استملاك الخراسان والاستيلاء على آذربايجان ومازندران الا انها لم تتخل هذه ولم تنفسخ هذه المقاولات القاضية على تسليم المملكة تماما بيد ذاك العدو الالد هذه هى النتيجة الاولى لسياسة الاخرق ·

وبالجملة ان هذا المجرم قد عرض اقطاع البلاد الايرانية على الدول بيع المزاد وانه يبيع ممالك الاسلام ودور محمد وآله عليهم الصلاة والسلام للاجانب ولكنه لخسة طبعه

ودناءة فطرة لا يبيعها الا بقيمة زهيدة ودراهم معدودة (نعم هكذا يكون اذا امتزجت اللئامة والشدة والخيانة والسفه) وانك ايها الحجة ان لم تقم بناصر هذه الامة ولم تجمع كلمتها ولم تنزعها بقوة الشرع من يد هذا الاثيم لاصبحت حوزة الاسلام تحت سلطة الاجانب (يحكمون فيها بما يشاؤون ويفعلون ما يريدون) واذا فاتتك هذه الفرصة ايها الحبر و وقع الامر وانت حي لما ابقيت ذكرا جميلا بعدك في صحيفة العالم واوراق التاريخ . وانت تعلم ان علماء الايران كافة والعامة باجمعهم ينتظرون منك (وقد حرجت صدورهم و ضاقت قلوبهم) كلمة واحدة يرون سعادتهم بها ونجاتهم فيها . ومن خصه الله بقوة كهذه كيف يسوغ له ان يفرط فيها ويتركها سدى .

ثم اقول للحجة قول خبير بصير ان الدولة العثمانية تبتهج بنهضتك على هذا الامر وتساعدك عليه لانها تعلم ان مداخلة الافرنج في الاقطار الايرانية والاستيلاء عليها تجلب الضرر الى بلادها لا محالة وان وزراء الايران وامراءها كلهم يبتهجون بكلمة تنبس بها في هذا الشأن لانهم باجمعهم يمقتون هذه المستحدثات طبعا ويسخطون من هذه المقاولات جبلة ويجدون بنهضتك مجالا لابطالها وفرصة لكف شر الشره الذي رضي بها وقضى عليها .

ثم ان العلماء وان كان كل صدع بالحق وجبه هذا الاخرق بسوء اعماله ولكن ردعهم للزور وزجرهم عن الجناية ونهيهم المجرمين ما قرت كسلسلة المحدثات قرارا ولاجمعتها وحدة المقصد في زمان واحد .

وهؤلاء لتماثلهم في مدارج العلوم وتشاكلهم في الرياسة وتساويهم في الرتب غالبا عند العامة لا ينجذب بعضهم الى بعض ولا يصير احد منهم لصقا للاخر ولا يقع بينهم

تاثير الجذب وتاخر الانجذاب حتى تتحقق هيئة وحدانية وقوة جامعة يمكن بها دفع الشر وصيانة الحوزة كل يدور على محوره وكل يردع الزور وهو في كره (هذا هو سبب الضعف عن المقاومة وهذا هو سبب قوة المنكر والبغى) وانت وحدك ايها الحجة بما اوتيت من الدرجة السامية والمنزلة الرفيعة علة فعالة في نفوسهم وقوة جامعة لقلوبهم وبك تنضم القوى المتفرقة المشاردة وتلتئم القدر المتشتة الشاذة وان كلمة منك تاتي بوحدانية تامة يحق لها ان تدفع الشر المحدق بالبلاد وتحفظ حوزة الدين • وتصون بيضة الاسلام فالكل منك وبك واليك وانت المسئول عن الكل عند الله وعند الناس •

ثم اقول : ان العلماء والصلحاء في دفاعهم فرادى عن الدين وحوزته وقد قاسوا من عظة ذاك العتل شدائد ما سبق منذ قرون لها مثيل وتحملوا لصيانة بلاد المسلمين عن الضياع وحفظ حقوقهم عن التلف كل هوان وكل صغار وكل فضيحة •

ولا شك ان حبر الامة قد سمع ما فعله اولاء الكفر واعوان الشرك بالعالم الفاضل الصالح الواعظ الحاج الملا فيض الله الدربندي وستسمع قريبا ما صنعه الجفاة الطغاة بالعالم المجتهد النقي البار الحاج السيد على اكبر الشيرازي وستحيط علما بما فعله بحماة الملة والامة من قتل وضرب وكي وحبس ومن جملتهم الشاب الصالح الميرزا محمد رضا الكرماني الذي قتله ذلك المرتد في الحبس والفاضل الكامل البار حاج سياح والفاضل الاديب الميرزا فروغي والاريب النجيب الميرزا محمد عليخان والفاضل المتفنن اعتماد السلطنة وغيرهم •

واما قصتي وما فعله ذاك الكنود الظلوم معي • فمما يفتت اكباد اهل الايمان ويقطع قلوب ذوي الايقان ويقضي بالدهشة على اهل الكفر وعباد الاوثان ان ذاك اللئيم امر بسحبي وانا متحصن بحضرة عبد العظيم (ع) في شدة المرض على الثلج الى دار الحكومة

بهوان وصغار وفضيحة لا يمكن ان يتصور دونها في الشناعة (هذا كله بعد النهب والغارة) (انا لله وانا اليه راجعون) .

ثم حملني زبانيته الاوغاد وانا مريض على برذون مسلسلا في فصل الشتاء وتراكم الثلوج والرياح الزمهريرية وساقتني جحفلة من الفرسان الى خانقين وصحبني جمع من الشرطة ولقد كاتب الوالي من قبل والتمس منه ان يبعدني الى البصرة علما منه انه لو تركني تركني ونفسي لأتيتك انها الحبر وثبت لك شأنه وشأن الامة وشرحت لك ما حاق ببلاء الاسلام من شر هذا الزنديق ودعوتك ايها الحجة الى عون الدين وحملتك على اغاثة المسلمين ... وكان على يقين اني لو اجتمعت بك لا يمكنه ان يبقى على دست وزارته المؤسسة على خراب البلاد وهلاك العباد واعلاء كلمة الكفر ... ومما زاده لؤما على لؤمه ودناءة على دناءته انه دفعا لثورة العامة وتسكينا لهياج الناس نسب تلك العصابة التي ساقتها غيرة الدين وحمية الوطن الى المدافعة عن حوزة الاسلام وحقوق الاهالي (بقدر الطاقة والامكان) الى الطائفة البابية كما اشاع بين الناس اولا (قطع الله لسانه) اني كنت (غير) مختون (وا اسلاماه) ما هذا الضعف . ما هذا الوهن كيف امكن ان صعلوكا (غير) ذي نسب ووغدا خسيس الحسب قدر ان يبيع المسلمين وبلادهم بثمن تجسر دراهم معدودة ويزدري بالعلماء ويهين السلالة المصطفوية ويبهت السادة المرتضوية البهتان العظيم ولا يد قادرة تستأصل هذا الجذر الخبيث شفاء لغيظ المؤمنين وانتقاما لال سيد المرسلين عليه وعلى اله الصلاة والسلام .

ثم لما رأيت نفسي بعيدا عن تلك الحضرة العالية امسكت عن بث الشكوى . ولما قدم العالم المجتهد القدوة الحاج سيد على اكبر الى البصرة . طلب مني ان اكتب الى

الحبر الاعظم كتابا ابث فيه هذه الغوائل والحوادث والكوارث فبادرت اليه امتثالا وعلمت ان الله تعالى جد سيحدث بيدك امرا والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .[1]

(جمال الدين الحسين)

كتب السيد الافغاني هذه الرسالة وارسلت الى المجتهد الاعظم بايران وياتري ما ذا كان اثرها :

ان هذه الرسالة بعد ان يقراءها القاري ويقف عند كل جملة وكل فقرة من فقراتها ليحس في نفسه شيئا غريبا ممزوجا من الاسى والحيرة والغيرة والحماس والشدة يفتكر انه معه مخاطب بها .

جعل السيد في هذه الرسالة يذكر المجتهد الاعظم بما عليه من المسئولية امام الله تعالى وامام الناس ويبين له حالة البلاد السيئة وما يقوم به الشاه ورئيس الوزراء من اعمال ونيئة غير اسلامية . ويبين فيها حاله وما اسيئ اليه من الطرد من الايران شرطردة وما قيل في شاءنه .

ذكر السيد كل ذلك في لهط اسلوب يكاد يفتت الاكباد ويحير العقول ويقدر الانسان ان هذه الكلمات تخرج من القلب فلا بداءن عنه تدخل الى القلب فتوءثر فيه .

اثرت هذه الرسالة في المجتهد الاعظم محمد حسن الشيرازي نجم العلماء و

---

(١) تاريخ بيداري ايرانيان (يقظة الايرانيين) ناظم الاسلام كرماني ص١ ايران ١٩٤٦ ص ٨٨ـ ٩٢
الكتاب بلغة فارسية وهذا المكتوب و مكتوب اخر كتبه السيد الى علماء الايران باللغة العربية .

اتفقوا جميعا على تحريم تدخين التنباك في ايران كيفما كان وفي اي صورة كان · واصدر الفتوي لا تذيد سطرا واجرا وارسل هذه الفتوي الى العلماء والوعاظ فاذا عوها وانصرف الناس عن تدخين التنباك وكانت الفتوي هي :

بسم الله الرحمن الرحيم · من اليوم يعتبر استعمال التبغ (التنباك) في اي صورة كان خروجا على امام الوقت ·

ولم يترك الناس تدخين التنباك فحسب وانما اقفلت المخازن ابوابها · رابي المقهدون بيعه وامتنع الطالبون والمستهلكون عن شرائه وعمد كل مدخن الى نارجيلة جيلته فهشمها والى ما عنده من التمباك فنبذه مكانا قصيا حتى في قصر الشاه غاب التنباك حيث ان الشاه طلب نارجيلة وهو في مجلس وزرائه فتقدم اليه رئيس الخدم مندهشا معتذر و قال للشاه : لقد صدرت يا مولاي فتوي حجة الاسلام بالتحريم فلم تبق في القصور الملكية نرجيلة ولاتمباك ·

فقال الشاه هل استأذنت مني قبل الاقدام على هذا العمل · فقال رئيس الخدم بكل جرأة وشجاعة وصدق تام لقد امر الشرع فلا حاجة بنا الى استئذان السلطان ·

بعد صدور هذه الفتوي ـ وكانت المظاهرات من قبل ـ قد حصلت وكان سجن من سجن وعذب من عذب · وكانت البلاد بركانا من النار ضد اعمال الشاه ورئيس الوزراء وكان الناس يطالبون بالحكم النيابي ـ حدثت ضجة كبيرة وانتشر الغضب في الناس ضد الاجانب حتى في اواخر ديسمبر ١٨٩١م (ضعف ٨ ـ ١٣٠٧هـ) انذرت الامة الايرانيه حكومة الشاه وطالبت بالغاء وفسخ امتياز التنباك والافستكون النتيجة وخيمة بالنسبة للاجانب واختارت الحكومة جميع الطرق من الحيلة واستعمال القوة والتهديد وايذاء الزعماء حتى ان الشاه هدد بنفسه المجتهد الاعظم ولكن المجتهد الاعظم لم يزدد الاتمسكا بفتواه ·

واخيرا اضطر الشاه والغى مقاولة وامتياز التنباك فى يناير ١٨٩٢م (٨ـ ١٣٠٧هـ) فكانت هذه صدمة قوية للشاه و رئيس وزرائه الظلوم . وصدمة عنيفة ومؤلمة للنفوذ الانجليزي فى الايران . وهذا الالغاء كلف الايرانيين بتضحيات كثيرة من الانفس ودفع التعويضات المالية لشركة مستر تالبوت الا انه اعاد القوة والاعتماد الى نفوس الايرانيين وكل هكذا كان بفضل جمال الدين الافغانى . (١)

رحلته الى لندن للمرة الاخيرة :

مكث السيد فترة من الزمن فى البصرة وكان يقوم بما يقوم به ضد شاه ايران (ناصرالدين قاجار) ولما شفى وصح جسمه . اراد الذهاب الى جزيرة العرب لكن والى البصرة قد اخره كل يحلم راي السلطان عبد الحميد فى هذا الامر . ايسمح له بالذهاب ام لا . وجاء الامر بعدم السماح له بالسفر ثم عاد وطلب الاذن بالسفر الى انجلترا والوالى سمح له بذاك بعد ان جاءت الموافقة من قبل السلطان وقد اسرع السيد جمال الدين فى مغادرة البصرة خوفا من منعه ووصل الى لندن عاصمة بريطانيا .

كان السيد جمال الدين من الشخصيات المعروفة لدي حكومة بريطانيا واهاليها فلقى اكراما بالغا وبدأ يحضر النواري والمجالس ويتكلم فيها ويخطب فى المناسبات وكان جل همه التنديد بشاه ايران ومفاسده ومفاسد وزيره الخائن لبلاده . وكان يقصد من وراء

---

(١) الف ـ مفاهيم جمال الدين الافغانى ص ٢١
ب ـ حياة جمال الدين افغانى . مرزا اديب ص ٨٢
ج ـ جمال الدين الافغانى باعث النهضة الفكرية فى الشرق ص ١٨٠ ـ ١٨١
د ـ نابغة الشرق جمال الدين الافغانى ص ٧٨

ذلك خلاص ايران من ذلك الشاه الفاسق وحاشيته الخائنة من جانب واصلاح حال ايران من جانب اخر . وكان يكتب مقالات عديدة فى جرائد انجليزية مختلفة الا انه عنى اكثر بجريدة القانون لملكم خان سفير ايران السابق الذي رفع صوته قبل الكل ضد مقاولة التنباك ولذلك كان قد ابعد عن وظيفته . حيث كان السيد يكتب مقالات كثيرة فيها منددا بالشاه وبأعماله . ثم انشأ جريدته الخاصة ضياء الخافقين وكانت تنشر باللغتين العربية والانجليزية .

بدأ السيد يكتب فيها عن بلاد فارس و مصر . وكانت لهجته فى شأن شاه ايران قاسية جدا وكان يبين سوء حالة ايران الاقتصادية والسياسية والاجتماعية فى زمن الشاه (ناصر الدين قاجار) و وزيره الاخرف (مرزا على اصغرخان) وقد كتب فى العدد الاول الذي صدر فى فبراير ١٨٩٢م (١٣٠٨هـ) تحت عنوان احوال فارس الحاضرة كلا ما نذكر منه ما يأتى :

ان لصراخ الفارسى دويا فى افاق الارض ... الحكومة قهرت الشرع فأبادته و كرهت النظام المدنى فمحته وازدرت بناموس العقل والفطرة فلا يسود فيها الا الهوس ولا يأمر الا الشره ولا يقوم بالامر الا القهر والزور ولا يحكم الا السيف والكيد والسوط يلزها سفك الدماء وتباهى بهتك الاعراض وتعجب باستيلاب اموال الارامل والايتام فلا امان فى تلك البلاد وان قاطنيها لا يرون وسيلة لصون الحياة من انياب الظلم الا الفـرار فهرب خمس الايرانيين الى الممالك العثمانية والبلاد الروسية لانه لاحد فى الاقطار الايرانية للضرائب والجبايات وان الحكومة لا تدع عملا شنيعا وفعلا فظيعا وامرا بشعا الا ويرتكبونه يعلقون النساء بشعورهن وقد ويضعون الرجال مع الكلاب العاقرة فى الجوالق ويسمرون

الاذان على الواح من الخشب ويديرون ذلك المظلوم بتلك الهيئة المحزنة فى الازقة والاسواق وان اهون العذاب عندهم الكى والضرب بالسياط .

اليست هذه الامة الايرانية التى سادت الامم فى زمانها . اليست هذه هى الامة الفارسية التى احيت العلوم فى العالم الاسلامى واقامت الديانة على دعامة الحق بقوة براهينها وقومت اللغة العربية بعالى تصانيفها اسفا على هذه الامة كيف ابادها الجور وبددها الظلم حتى سقطت عن عداد الامم العظيمة وكان ان يندرس رسمها وينطمس اسمها .

اين العلماء واين حملة القران واين حفاظ الشرع والقائمون بأمر الامة واين نصراء الحق والعدل .. (١)

وقد نشر فى العدد الثانى منها الرسالة التى كان قد كتبها السيد جمال الدين ابان وجوده فى البصرة الى العلماء المجتهدين فى ايران . وهذه الرسالة هى :

بسم الله الرحمن الرحيم - حملة القران . وحفظة الايمان ظهراء الدين المتين ونصراء الشرع المبين جنود الله الغالبة فى العالم وحججه الدامغة لضلال الامم . جناب الحاج الميرزا محمد حسن الشيرازي وجناب الحاج الميرزا حبيب الله الرشتى . وجناب الحاج الميرزا ابى القاسم الكربلائى وجناب الحاج الميرزا جواد الاقا التبريزي وجناب الحاج السيد على اكبر الشيرازي . وجناب الحاج الشيخ هادي النجم ابادي وجناب الميرزا حسن الاشتيانى وجناب السيد الطاهر الزكى صدر العلماء وجناب الحاج اقا محسن العراقى

---

(١) الف - جمال الدين الافغانى - باعث النهضة الفكرية ص ١٨٣ . ١٨٤

ط ب - نابغة الشرق جمال الدين الافغانى ص ٧٩

ج - حياة جمال الدين افغانى . مرزا اديب ص ٨٥

د - مضامين جمال الدين افغانى ص ٤١ . ٤٢

هـ -

وجناب الحاج الشيخ محمد تقي الاصفهاني وجناب الحاج الملا محمد تقي البجنوردي ·
وسائر هداة الامة ونواب الائمة من الاحبار العظام والعلماء الكرام اعز الله بهم الاسلام
والمسلمين وازغم انوف الزنادقة المجتهدين امين ·

طالما تاقت الامم الافرنجية الى الاستيلاء على البلاد الايرانية حرصا منها وشدها
ولكم سولت لها امانيها خدعا تمكنها من الولوج في ارجائها وتمهد فيها سلطانها · على
عزة من اهلها تحاشيا من المقارعة التي تورث الضغائن فتبعث النفوس على الثورة كلما سنحت
لها الفرص وقضت بها الفطرات ولكنها علمت ان بلوغ الارب — والعلماء في عز سلطانهم
ضرب من المحال لان القلوب تهوي اليهم طرا والناس جميعا طوع يدهم يأتمرون كيفما امروا
ويقومون حيثما قاموا لامرد لقضائهم ولا دافع لحكمهم وانهم لا يزالون يدأبون في حفظ حوزة
الاسلام لا تأخذهم فيه غفلة ولا تعروهم عزة ولا تميد بهم شهوة فخنست وهي تتربص
بهم الدوائر · وتترقب الحوادث ايم الله انها قد اصابت فيما رأت لان العلامة لو لا
العلماء وعظيم مكانتهم في النفوس لالتجاءت بطيب النفس الى الكفر واستظلت بلوائه خلاصا
من هذه الدول الذليلة الجائرة الخرقى التي قد عدمت القوة وفقدت النصفة وانفت المجاملة
فلا حازت منها شرفاء ولا صانت بها لنفسها حقا ولا انشرح منها صدورها فرحا ·

ولذا كلما ضعفت قوة العلماء في دولة من الدول الاسلامية وثبت عليها طائفة من
الافرنج ومحت اسمها وطمست رسمها ·

ان سلاطين الهند وامراء ما وراء النهر جدت في اذلال علماء الدين فعاد
الوبال عليهم سنة الله في خلقه · وان الافغانيين ما صانوا بلادهم عن اطماع الاجانب وما
دفعوا هجمات الانجليز مرة بعد اخرى الا بقوة العلماء وقد كانت في نصابها ·

ولما تولى هذا الشاه (الحاربد الطاغية) الملك ٠ طفق يستلب حقوق العلماء تدريجا ويخفض شأنهم ويقلل نفوذهم كلمتهم حبا بالاستبداد بباطل اوامره ونواهيه وحرصا على توسيع دائرة ظلمه وجوره فطرد جمعا من البلاد بهوان ونهنه فرقةعن اقامة الشرع بصغار وجلب طائفة من اوطانها الى دار الجور والخرق (طهران) وقهرها على الاقامة فيها بذل فخلا له الجو فقهر العباد واباد البلاد وتقلب في اطوار الفظائع وتجاهر بانواع الشنائع وصرف في اهوائه الدينية وملاذه البهيمية ما مصه من دماء الفقراء والمساكين عصرا ٠ وتزح من دموع الايتام قهرا ٠ (باللاسلام) ٠

فاذا اشتد جنونه بجميع فنونه فاستوزر وغدا خسيسا ليس له دين يردعه ولا عقل يزجره ولا شرف نفس يمنعه وهذا المارق ما قعد على دسته الا و قام بابادة الدين ومعاداة المسلمين وساقته دناءة همته الارومة ونزالة الجرثومة الى بيع البلاد الاسلامية بقيم زهيدة ٠

فحسبت الافرنج ان الوقت قد حان لاستملاك الاقطار الايرانية بلا كفاح ولا قتال وزعمت ان العلماء الذين كانوا يذبون عن حوزة الاسلام قد زالت شوكتهم ونفد نفوذهم فهرع كل فاغرا فاه يبغي ان يسرط قطعة من تلك المملكة فغار الحق وغضب على الباطل فدمغه فخاب مسعاه وذل كل جبار عنيد ٠

اقول الحق : انكم يا ايها القادة قد عظمتم الاسلام بحزيمتكم واعليتم كلمته وملأتم القلوب من الرهبة والهيبة وعلمت الاجانب طرا ان لكم سلطانا لا يقادم وقوة لا تدفع وكلمة لا ترد وانكم سياج البلاد وبيدكم ازمة العباد ٠ ولكن قد عظم الخطب الان ٠ وجلت الرزية لأن الشياطين قد تألبت جبر اللكسر وحرصا على الوصول الى الغاية وازمعت على اغراء ذاك المارق الاثيم على طرد العلماء كافة من البلاد وابانت له ان انفاذ الاوامر انما هو

بانقياد الجيوش . وان القواد لا يعصون للعلماء امرا ولا يرضون بهم شرا فيجب لاستتباب الحكومة استبدالهم بقواد الافرنج وارت لذاك البليد الخائن رياسة الشرطة وقيادة فوج القزاق غوذجا (كنت واضرابه) وان ذاك الزنديق وزملاءه في الالحاد يجدون الان في جلب قواد من الاجانب والشاذ لجنونه المطبق قد استحسن هذا واهتز به طربا لعمرالله لقد تحالف الجنون والزندقة وتعاهد العته والشره . على محق الدين واضمحلال الشريعة وتسليم دار الاسلام الى الاجانب بلا مقارعة ولا مناقرة .

يا هداة الامة انكم لو امهلتم هذا الفرعون الذليل ونفسه وامهلتموه على سديد جنونه وما اسرعتم بخلعه عن كرسي تحيه لقضى الامر فعسر العلاج وتعذر التدارك .

انتم نصراء الله في الارض ولقد تمحصت بالشريعة الالهية نفوسكم عن اهواء دينة تبعث على الشقاق وتدعو الى النفاق وتيسر الشيطان بقذفات الحق عن تفريق كلمتكم فانتم جميعا يد واحدة يذودها الله عن صياصي دينه الحصينة ويذب بقوتها القاهرة جنود الشرك واعوان الزندقة وان الناس كافة (الا من قضى الله عليه بالخيبة والخسران) طوع امركم . فلو اعلنتم خلع هذا (المارية) لاطاعكم الامير والحقير واذعن لحكمكم الغني والفقير (ولقد شاهد تم في هذه الازمان عيانا فلا اقيم برهانا) خصوصا وان الصدور قد حرجت وان القلوب قد تفطرت من هذه السلطة القاسية الحمقى التي ما سدت ثغورا ولا جندت جنودا ولا عمرت بلادا ولا نشرت علوما ولا اعزت كلمة الاسلام ولا اراحت يوما ما قلوب الانام . بل دمرت واقوت واقفرت واذلت ثم بعد ضلت وارتدت وانها سحقت عظام المسلمين وعجنتها بدمائهم فحلت منها اللبنات بنت بها قصورا لشهواتها الدينة . هذه اثارها في هذه المدة المديدة والسنين العديدة تعسا لها وتبت يداها .

واذا وقع الخلع (وتكفيه كلمة واحدة ينبعث بها لسان الحق غيرة على دينه) فلاريب ان الذي يخلف هذا (الطاغية) لا يمكنه الحيدان عن اوامركم الالهية ولا يسعه الاالخضوع بعتبتكم عتبة الشريعة المحمدية كيف لا وهو يري عيانا ما لكم من القوة الربانية التى تقلبون بها الطغاة عن كرسى غيها وان العامة متى سعدت بالعدل تحت سلطان الشرع اذدادت بكم ولعا وخامت حولكم هياما وصارت جميعا جندالله وحزبا لاوليائه العلماء ·

ولقد وهم من ظن ان خلع هذا (الجائرة) لا يمكن الابهجمات العساكر و طلقات المدافع والقنابر ليس الامر كذلك لان عقيدة ايمانية قد رسخت فى العقول وتمكنت من النفوس وهى ان الراد على العلماء راد على الله (هذا هو الحق وعليه المذهب) فاذا اعلنتم (يا حملة القران) حكم الله فى هذا الغاصب الجائر وابنتم امره تعالى فى حرمة اطاعته لا نفض الناس من حوله · فوقع الخلع بلا جدال ولا قتال ·

ولقد اراكم الله فى هذه الايام اتماما لحجته ما اولاكم من القوة التامة والقدرة الكاملة وكان الذين فى قلوبهم زيغ فى ريب منها من قبل اجتمعت النفوس بكلمة منكم على ارغام هذا الفرعون الذليل واماته الرذيل (مسالة التنباك) فحجبت الامم من قوة هذه الكلمة وسدعة نفوذها وبهت الذي كفر قوة انعمها الله عليكم لصيانة الدين وحفظ حوزة الاسلام · فهل يجوز منكم اهمالها وهل يسوغ التفريط فيها حاشا ثم حاشا ·

قد ان لمقو الوقت لاحياء مراسم الدين واعزاز المسلمين فاخلعوا هذا (الطاغية) قبل ان يفتك بكم ويهتك اعراضكم ويثلم سياج دينكم ليس عليكم الا ان تعلنوا على رءوس الاشهاد حرمة اطاعته فاذا يري نفسه ذليلا فريدا يفر منه بطانته وينفر منه حاشيته وينبذه العساكر ويرجمه الاصاغر ·

انكم يا ايها العلماء والذين قاموا معكم لتأييد الدين بعد اليوم فى خطر عظيم قد كسرتم قرن فرعون بعصا الحق وجدعتم انف الحارية بسيف الشرع فهو يتربص فرصا تساعده على الانتقام شفاء لغيظه ومرضاة لطبيعته التى فطرت على الحقد واللجاج فلا تمهلوه اياما ولا تكتموه ان يقبض زماما اعلنوا خلعه قبل اندمال جرحه ٠

وحاشاكم ايها الراسخون فى العلم ان ترتابوا فى خلع رجل سلطانه غصب وافعاله فسق واوامره جور وانه بعد ان مص دماء المسلمين ونهش عظام المساكين وترك الناس عراة حفاة لا يملكون شيئاً حكم عليه جنونه ان يملك الاجانب بلادا كانت للاسلام عزا وللدين المتين حرزا وساقته سورة السفه الى اعلاء كلمة الكفر والاستظلال بلواء الشرك ٠

ثم اقول : ان الوزراء والامراء وعامة الاهالى وكافة العساكر وابناء هذه الطاغية ينتظرون منكم جميعا (وقد فرغ صبرهم ونفد جلدهم) كلمة واحدة حتى يخلعوا هذا الفرعون الذليل ويريحوا العباد من ضره ويصونوا حوزة الدين من شدة قبل ان يحل بهم العار ولات حين مناص ٠ والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ٠ (١)

جمال الدين الحسينى

ترى هذه المقالة وقوتها فى اثارة العواطف واحداث الثورة ثورة العلماء وثورة الاهالى ضد الطاغية الشاه ناصر الدين قاجار وكيف يدعو العلماء الى خلعه عن كرسى عرشه وبقية المقالات التى كان يكتب السيد جمال الدين لوحده فى هذه الجريدة (ضياء الخافقين)

---

(١) الف ـ تاريخ بيدارى ايرانيان ١٩٤٦ ص ٩٢ ـ ٩٦
ب ـ جمال الدين الافغانى ـ باعث النهضة الفكرية فى الشرق ص ١٨٥
ج ـ نابغة الشرق جمال الدين الافغانى ص ٧٩

حقا انها كانت مقالات كلها براكين وكلها مليئة بما تسبب قتلا وتقلب عرشا وتسقط حكما و تسبب فى ثورات متتالية ضد الطغاة وفيها جراءة وفيها اقدام وهذه الجريدة لم تقل عن جريدة العروة الوثقى الا ان قذائفها كانت موجهة الى البلاد الاوربية وقذائف جريدة ضياء الخافقين كانت موجهة الى الشاه ناصرالدين قاجار ومستشاريه من الداخل والخارج وقد كان لهذه الجريدة دوي فى الشرق والغرب . واهتز شاه ايران وخاف على عرشه و الح على سفيره فى لندن ان يمنع السيد جمال الدين عما يكتب فى شأن الشاه والايران باي طريقة كانت وقد سلك السفير جميع الحيل واراد ان يسترضي السيد جمال الدين وقدم اليه مبلغا من المال ولكن قد اخطأ هذا لأن السيد جمال الدين لم يكن ممن يرضى بالمال ويترك المبادئ التى وضعها لنفسه واخيرا منعت الحكومة الانجليزية على الحاج من الشاه جريدة ضياء الخافقين عن الصدور . هكذا كان السيد فى لندن وهكذا كان اثر هذه الجريدة وحقا انها كانت ضياء الخافقين منعت من الاصدار الا انها قد فعلت ما فعلت واحدثت الضجة الكبرى التى زلزلت عرش الشاه حتى انتهت اخيرا بقتل الشاه عام ١٨٩٦م (٣ـ١٣١٢هـ) .

جولة السيد فى تركيا المرة الاخيرة : (٩ـ١٣٠٨هـ ١٨٩٢م)

حينما كان السيد جمال الدين فى لندن جاءته الدعوة من قبل الخليفة عبد الحميد

---

(١) الف ـ مضامين جمال الدين افغانى ص ٤٢

ب ـ جمال الدين الافغانى باعث النهضة الفكرية فى الشرق ص١٨٥ . ١٨٦ـ

ج ـ نابغة الشرق جمال الدين الافغانى ص ٨٠

د ـ حياة جمال الدين افغانى (اردو) رضا همدانى ـ لاهور ص١ ٣ـ١٩٦٢م ص ٨٩ . ٩٠ ـ

يدعوه فيها ان يأتي الى تركيا . وقد اعتذر كثيرا الا ان الرسائل والتلغرافات كثرت وازداد الحاح السلطان عبد الحميد واستعمل في ذلك رجل تركيا الشهير ابوالهدي الذي كان من الد اعداء السيد فيما سبق . وكتب هو ايضا الى السيد . وقال انه قد ان الاوان لنشر افكار السيد كما اشار عليه صديقه ملكم خان ايضا بالذهاب الى تركيا واخيرا ذهب السيد الى الاستانه في ١٨٩٢م (٩ - ١٣٠٨هـ) ولما وصل الى المنياء وجد الياور السلطاني في استقبال وسأل السيد عن صناديقه . فقال السيد . ليس معي غير صناديق الثياب و صناديق الكتب فطلب الياور ان يدله عليها فاشار السيد الى صدره وقال صناديق الكتب الياور ان يدله عليها فاشار السيد الى صدره وقال صناديق الكتب هاهنا واوماء الى جنبه وقال : هذه هي صناديق الثياب .

وصل السيد الى الاستانه ورجب به اكرم ترحيب من قبل الخليفة ومن قبل الامراء والعظماء من قبل الاهالي . وانعم عليه السلطان بمسكن فاخر مفروش مزين باثاث لائق و عربة خاصة للتنزه وقرر له راتبا شهريا قدره خمسة سبعون دينارا تركيا . وكان يقربه اليه وكان السيد كلما اراد زيارة السلطان يذهب اليه ويدخل عليه دون ان يحول امامه اي شيئ وكانا يتبادلان الاحاديث في المواضع المختلفة لساعات طوال .

كانت حالة تركيا في هذا الوقت سيئة وكانت الخلافة العثمانية تسمى بالرجل المريض . كانت الفتن الداخلية تدبر وكانت الحكومات الخارجية تحاول السيطرة على جزء من اجزائها . فكان كل من السيد جمال الدين والسلطان عبد الحميد يفكر في خطة ينفذها كان السيد يحاول بالاستمرار لتوحيد المسلمين ولم شملهم وجعلهم تحت رائية سلطان واحد وبذلك وحده كان يري ان المسلمين سوف يعودون الى ما كانوا عليه من القوة والهيبة

وسوف تخلص البلاد الاسلامية من براثن الاستعمار الاوربى . وتعود للاسلام شوكته وللدين الاسلامى غلبته .

وكان الخليفة قد علم بذلك وكان يريد ان يستغل السيد الافغانى ويعمل للجامعة الاسلامية وبذلك سيبقى عرشه سالما وتبقى الخلافة فى يده .

وقد حدث فى احد الاجتماعات الخاصة بين السيد والخليفة بأن خاطب السلطان السيد وقال له : ارجو منك ان تبذل جهدا بالغا حتى نتمكن بوحدة الاراء و مساعدتكم ان نكون اتحادا واتفاقا قويا ثابت الاركان بين الشعوب والامم الاسلامية وبفضل ذلك سوف يمكن لامم الجامعة الاسلامية ان تمديدا لمودة والاخاء بعضها الى بعض . وتنهض بالصناعة والعلوم فى ظل الاستقلال القومى والاتحاد الاسلامى وتسترجع بذلك تلك القوة العظيمة السابقة للمسلمين (ايام الخلافة الراشدة وايام الامويين وايام هارون الرشيد والمامون) .

ولما كان الهدف الاسمى الذي يرمى اليه السيد جمال الدين والغاية القصوى لامانيه الاصلاحية من بدء حياته السياسية والاجتماعية ان يواصل جهاده لتحقيق هذا الغرض الذي اشار اليه السلطان . فقبل السيد هذا الاقتراح بسرور بالغ وتعهد للخليفة انه سيبذل قصاري جهده ويضحى بكل ما يملك فى هذا السبيل . ونهض منذ تلك الساعة بعزم قوي وارادة راسخة كالجبل لتنفيذ هذه المهمة العظمى .

وبعد عدة جلسات خاصة دارت فيها اراء متعددة بين السيد والسلطان فى الاستانه بشأن هذه الوحدة . اقترح السيد فى ضمن خططه : ان تنتخب حكومة كل بلد اسلامى مثلا . ويختار كل شعب اسلامى شخصا من اكبر علمائه . ليجتمعوا فى الاستانه

فى موءتمر عال باسمه الموتمر الاسلامى الاعلى وكان غرض السيد من تكوين هذا الموءتمر هو ايجاد التعاون بين المسلمين لنهضتهم وتكاملهم واستعادة السلطان والقوة الاسلامية وعظمته من جديد فان اعتدت دولة اوروبية على مملكة اودولة اسلامية . اصدر هذا الموءتمر الاسلامى الاعلى امرا و قرارا بالجهاد المقدس لكافة المسلمين فى العالم فينهضون لمحاربة تلك الدولة . بقوة السلاح فضلا عن قطع العلاقات التجارية والاقتصادية معه ا . (١)

وبعد ان تم الاتفاق على ما سبق اخبر السيد به الى خواص رفاقه واتباعه .

وقد القى السيد خطابا موءثرا فى هذا الشاءن واطلع الحاضر من على حقيقة اهدافه وخطابه هو :

الديانة الاسلامية فى الوقت الحاضر هى بمثابة سفينة وربانها محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم وركاب تلك السفينة المقدسة كافة المسلمين خاصتهم وعامتهم .

وفى وقتنا الحاضر اشرفت هذه السفينة على الغرق فى بحر السياسة العالمية كما تعرضت لخطر الطوفان ولحل الحوادث الديلوما سية والدسائس الدولية توءدي الى اغراق هذه السفينة . وتحطيمها فما حيلة ركابها . وهى مشرفة على الغرق وما هو تدبيرهم . فهل يجب على ركاب هذه السفينة ان يبذلوا جهدهم . لحراستها وانقاذها من الطوفان والغرق . ام يظلوا مختلفين فيما بينهم متبعين اغراضهم الشخصية واهواءهم الذاتية . (٢)

فاجاب الحاضرون : انه يجب على كل مسلم وطنى ان يبذل كل ما فى وسعه لحفظ

---

(١) نابغة الشرق جمال الدين الافغانى ص ٨١ . ٨٢

(٢) مضامين جمال الدين الافغانى ص ٤٣ . ٤٤

بيضة الاسلام · ونجاة هذه السفينة المقدسة · اتعهدوا جميعا ان يبذلوا كل انواع المساعدة والايضنوا بالتضحية فى سبيل تحقيق اراء السيد السامية · واخيرا توحدت كلمة السيد و مخلصيه وتلاميذه و زملائه فى القيام للعمل لاجل الوحدة الاسلامية ·

وقد تقرر ان تكتب رسائل مفصلة فى هذا الشأن الى شخصيات كبيرة وعلماء اجلاء فى بلاد اسلامية مختلفة يدعون فيها الى العمل للوحدة الاسلامية وقد تم ذلك وارسلت خمسمائة رسالة بلغات مختلفة الى كافة البلاد الى الهند ومصر والجزائر و طرابلس و بلاد الشام والحجاز وسائر الاقاليم الاسلامية الاخري · وقد عزم السيد على ايفاد ستة اشخاص من اصحابه و مريديه يتكلمون لغات شرقية الى الاقطار المعنية · ليدعوا الناس الى هذه الاهداف السياسية · اهداف وحدة المسلمين · ولم تمض فترة حتى جاءت الردود الطيبة على تلك الرسائل وقبل جميع الطبقات فى العالم الاسلامى سواء اكانوا من العلماء ام من غيرهم وتقبلوا هذه الدعوة الطيبة السامية قبولا حسنا كما ارسل بعضهم هدايا و تحفا تاريخية بواسطة السيد جمال الدين الافغانى فيلسوف الاسلام الى جلالة السلطان عبدالحميد كما ارفق بعضهم برسالته الادعية والتعاويذ للسلطان العثمانى — ماعدا الشاه ناصرالدين قاجار فانه لم يعجب بهذا الامر وكان يعمل على خلافه ·(١)

وامر السيد ان تترجم كل تلك المراسلات من الالسنة المختلفة الى اللغة التركية و ان يرفق اصل كل منها بترجمته وقدمها الى حضرة السلطان عبدالحميد وقد سر السيد سرورا بالغا بهذا النجاح الاولى فى عمله لخدمة الاسلام · وقرأ السلطان عبدالحميد كل

---

(١) الف) مضامين جمال الدين الافغانى ص ٤٣
ب) نابغة الشرق جمال الدين الافغانى ص٨٤

تلك الرسائل فى دقة وهنأ السيد على ما حصل من التوفيق على يديه . واستولت عليه الحيرة والتعجب من نفوذ كلمة السيد ونفاذ امره فى هذا الامر الخطير . فقال السيد : الان وقد وفقنا بعون الله ومساعدة حضرتكم فى الحصول على الشطر الاعظم من مقصودنا فيجب علينا ان نبدأ المرحلة الثانية : اي دور التنفيذ ثم قال السلطان : من المصلحة تحويل هذا الغرض المهم الى الباب العالى . والصدارة العظمى وان تجعل شيخ الاسلام متحدا ومتفقا معك فى هذا الشأن فقبل السيد ثم بعد ان حولت خطة وحدة الاسلام والمسلمين الى شيخ الاسلام والصدر الاعظم تغير لون موضوع الاتحاد الاسلامى بسبب الخلافات والمؤامرات التى قد نشأت وزادت الخلافات والمؤامرات يوما بعد يوم . وفى غضون هذه الاحوال انتهز اعضاء حزب الفتاة بتركيا الفرصة للمطالبة بالحكم النيابى .

هذا من ناحية ومن ناحية اخري لم يعجب الشاه ناصرالدين قاجار بهذه الفكرة كما بينت وبنه سفيره فى ايران ان يقبض على اصحاب السيد جمال الدين الايرانيين بأي طريقة كانت ويرسلهم الى ايران وقد تمكن السفير من ذلك وقبض على اصحاب السيد الايرانيين فى هذا الامر واخذ الموافقة من السلطان بتسفيرهم الى ايران وفعلا سفروا الى الايران .

ولما علم السيد جمال الدين بذلك ذهب الى السلطان واعلمه بأنهم رفقاؤه فى هذا الامر . امر الوحدة الاسلامية وقد طلب السلطان ان يرد هؤلاء الا ان الامر قد خرج من اليد ووعد السفير الايرانى انهم سوف يردون بعد ايام الا ان الوفاء لم يتم وقد قتل هؤلاء الناس .

بعد هذا ترك السيد مجهوداته لأنه ما كان يرضى ان يري اصحابه يقتلون بهذا الشكل . وقد جرت الظروف الاخري طبيعية كما كانت من قبل بين السيد والسلطان كان

السيد يذهب الى لقاء السلطان ويدخل عليه دون اذن سابق • وكان مقبولا لدي السلطان الا ان بعض الظروف قد حدثت و سببت الفتور بين السيد و بين السلطان وكل ذلك بسبب الدسائس والمكايد التى كانت تدبر ضد السيد فهذا ابو الهدي كان يتربص بالسيد الدوائر واستغل فرصة كان خديوي مصر عباس حلمى قد جاء الى الاستانه وفى وقت العصر صدفة قابل السيد الافغانى والسيد عبد الله نديم مع الخديو وتباحثوا لوقت قصير وقد كبر ابو الهدي و الجواسيس هذا الامر واوقعوا فى ذهن السلطان عبد الحميد ان جمال الدين يريد ان يجعل الخديو عباس خليفة المسلمين فتأوجس السلطان خيفة الا ان هذا الامر قد زال بعد ان وضح السيد الامر للسلطان كما حدث انه حصل خلاف و تشاجر بين ابن السلطان الاكبر و بين خادم المدينة المنورة سيد عبد الله • وخاف عبد الله من بطش ابن السلطان • وذهب الى السيد جمال الدين و امنه ولم يرده على طلب من السلطان و قال انه فى مأمنى لا يمكن لايه قوة فى العالم ان تأخذه منى • وخوفا من انتقام السلطان سلمه الى خديو مصر كان اذ ذاك فى الاستانه واخذه معه الى مصر • (١)

كما حصل ان تقدم سفير ايران برسالة خاصة الى السلطان عبد الحميد ليردع جمال الدين عن الطعن فى الشاه ناصر الدين قاجار • ورجا السلطان بعبارة غاية فى اللطف و كمال الدعة ان يتناسى ما مضى ويكف لسانه عن الشاه ويعفو عنه • وكان فى يد جمال الدين سبحة فجمعها لكفه وقال بصوت جهوري : وامتثالا لاشارة اميرالمؤمنين فانى من الان قد عفوت عن الشاه ناصر الدين • (٢)

---

(١) الف ـ حياة جمال الدين افغانى ـ مرزا اديب ص ٩٧

ب ـ مضامين جمال الدين افغانى ص ٤٤

(٢) خاطرات المخزومى ص ٣٤

فاعظم الحاضرون هذا القول ، فى هذه اللهجة ولكن جمال الدين لم يبال باعظامهم ولا بما تقولوه لاعتقاده انه يحق له ان يعفو وانه قد عفا عن الشاه ٠

كما حدث ان فى اول مايو اوفى ١١ مارس ١٨٩٦م (١٣١٣هـ) ذهب الشاه ناصرالدين قاجار الى حضرةعبدالعظيم فى يوم ذكراه ٠ وقد قتل على باب المزار من يد مرزا رضاخان كرمانى وكان من اتباع السيد ومن مريديه كما قال فى استحوا بانه انه لم يكن احد يعلم بهذه الخطةعدا السيد جمال الدين مع انه لم يقل بان السيد امره بذلك ٠ (١)

ولما جاء بنبأ اغتيال الشاه لم يخف السيد جمال الدين ارتياحه وسروره بل يقال انه اظهر سروره وجعل يمدح قاتل الشاه ٠ وقال : قد تحقق الان ان الامةالفارسية لم تحت وانها امةلم تنقطع منها الامال لأن الامة التى يقوم من ابنائها من ياخذ بثارها ويفتك بالطاغى الذي على رأسها لا تكون قد فقدت جراثيم الحياة ولما وقع فى يده مجلة (الايلوستراسيون) التصويرية التى تصدر بفرنسا وجد فيها صورة (رضا اقاخان) مصلوبا معلقا وحوله الناس ينظرون فهتف السيد من صميم قلبه وقال :

علو فى الحياة وفى الممات لحق انت احدي المعجزات

انظر كيف علقوه عاليا عليهم حتى يكون ذلك رمزا الى انهم كلهم كانوا من دونه ٠ (٢)

وكما حصل ان السلطان اراد الصلح بين السيد وبين ابى الهدي ولكن دون جدوي لأن السيد جمال الدين كان يعرف حق المعرفة ان اباالهدي لا يمكن الاعتماد عليه ولذا انكر بتاتا الصلح معه ٠

---

(١) الف) مضامين جمال الدين الافغانى ص٤٥
ب) نابغةالشرق جمال الدين ص ٨٥
(٢) جمال الدين الافغانى باعث النهضة الفكرية فى الشرق ص ١٩٣

وكما حدث في تلك الايام ضجة من حزب الفتاة التركي مطالبا بالحقوق والنظام النيابي وغير ذلك .

كل هذه الاسباب قد اجتمعت وسببت للسيد المشاكل وجعلت الجو مكدرا بين السيد والسلطان بعد ان كان صافيا . وعينت الجواسيس من قبل السلطان على السيد جمال الدين واشتد في المراقبة وصار السيد محبوسا في قفص من الذهب يظهر اليه انه حر طليق في قصره الا انه كان في الواقع محبوسا تحت نظر السلطان ورقابة جواسيس وكان هؤلاء الجواسيس يتبعون السيد كالظل كانوا يقيدون كل صغيرة وكبيرة حتى الهمسة تخرج من لسانه . ثم يوصلونه الى السلطان . والسلطان كان يستمع الى كل ما يقال ويزداد خوفه ووهمه ويحيل الى صدق ما يقال في حق السيد جمال .

وكان هذا الخوف يزداد يوما بعد يوم لان السلطان عبد الحميد كان يعرف السيد حق المعرفة وما كان له من نفوذ وسلطان على الشبان والمتنورين في العالم الاسلامي خاصة ولما اشتدت المراقبة الى اقصى الحد وضاق بها السيد ذرعا واحس بمرارة العزلة ارسل الى مستشار السفارة الانجليزيه سند (فيس موريس) في تركيا يطلب اليه ان يمكنه من الاخراج من الاستانة فلما بلغ ذلك السلطان ارسل اليه رسولا يلتمس منه العدول عن رغبته باسم الاسلام . وان لايلجاء الى حماية دولة اجنبية لان ذلك يمس كرامة الخليفة . فتاثر السيد وثارت حميته الاسلامية ورضى بما هو فيه من السجن والمراقبة الشديدة واخبر المستشار الانجليزي بانه عدل عن السفر . (١)

---

(١) الف ـ جمال الدين الافغاني باعث النهضة الفكرية في الشرق ص ١٩٢

ب ـ نابغة الشرق جمال الدين الافغاني ص ٨٧

كما كان السيد من قبل حاول الخروج من الاستانه ولكن السلطان كان قد لاطفه بعد ذلك وقال له : (الا يفرق بين وبينك الا القضاء المحترم) .

ويؤيد ذلك ما قاله السلطان عبدالحميد فى مذكراته حيث يقول : كنت اعرف جمال الدين الافغانى عن قرب . كان فى مصر وكان رجلا خطرا اقترح على ذات مرة — وهو يدعى المهدية — ان يثير جميع مسلمى اسيا الوسطى وكنت اعرف انه غير قادر على هذا وكان رجل الانجليز ومن المحتمل جدا ان يكون الانجليز قد اعدوا هذا الرجل لاختباري رفضت فورا فاتحد مع بلند .

استدعيته الى استانبول عن طريق ابن الحدلي الصيادي الحلبى الذي كان يلقى الاحترام فى كل البلاد العربية. قام بالتوسط فى هذا كل من منيف باشا حامى الافغانى القديم وعبدالحق حامد جاء الى استانبول ولم اسمح له مرة اخري بالخروج منها .[1]

ويتضح الخلاف بين السيد و بين السلطان مما كتب السلطان نفسه فى مذكراته حيث يقول :

وقعت فى يدي خطة اعدها فى وزارة الخارجية الانجليزية كل من مهرج اسمه جمال الدين الافغانى وانجليزي يدعى بلند . قالا فيها باقصاء الخلافة عن الاتراك واقترحا على الانجليز اعلان الشريف حسين امير مكة خليفة على المسلمين كنت اعرف جمال الدين الافغانى هذا عن قرب . كان فى مصر . وكان رجلا خطر اقترح على ذات مرة وهو يدعى المهدية . ان يثير جميع مسلمى اسيا الواسطى وكنت اعرف انه غير قادر على هذا وكان رجل الانجليز .[2]

(١) مذاكرات السلطان عبد الحميد — محمد حرب عبد الحميد — القاهره ص٦٧ ١٩٨٠

وننقل عبارة اخري للسلطان عبدالحميد ثم نعلق على ما قال فى هذين الموضعين فى ضوئها يصدر السلطان عبدالحميد جمال الدين حيث يقول : عالم مشهور فى قصر يلدز . (١)

يتضح من كلام السلطان عبدالحميد نفسه انه كان يحب جمال الدين الافغانى فى الاول ولكن حبه هذا لم يكن مبنيا على حبه لشخصته وذاته وانما كان حبه هذا مبنيا على امل وطمع فى ان يستغل السيد جمال نفوذه واثره و مقدرته فى تدعيم اركان خلافته وفى الوصول الى توحيد المسلمين تحت راية واحدة فى ظل خليفة واحد وكان يطمع ان يكون هو ذاك الخليفة طول حياته وان تبقى فى الاتراك فيما بعده ولكن لما علم بأن الخطة تدبر لاقصاء الخلافة عن يده وذكر صراحة ان جمال الدين هو الذي اعدها . فتغيرت الظروف وتبدل حبه فى البغض وحاول ان يمنع السيد من الخروج من الاستانه الى بلد خارجى اخركما ذكر بكل وضوح فى مذكراته . وقد نجح فى محاولاته ولم تكن محاولاته هذه الاخونا من السيد الافغانى .

ومهما كان الا ان الخليفة كان ضعيفا اذنا صاغية لكل ما يقال ضد السيد و يصغى الى ما يقوله الجواسيس واعداء السيد ويصدق ذلك ويزيد ذلك فى ريبه وشبهاته ومخاطره ويقلق ذلك باله ويلجأ الى ما يلجأ اليه الغريق ولكن السيد لم يكن من هذا النوع كان السيد جريئا مقدا ما لا يدبر خطة ولا يريد خديعة ولم يكن ابدا رجل الانجليز وانما كان من اكبر الاعداء للانجليز وسياسة الانجليز كرس حياته للجهاد ضد الانجليز وكان

---

(٢) مذاكرات السلطان عبدالحميد ـ محمد حرب عبدالحميد ـ القاهره (فى ١٨ مارت ١٣٣٢ . ص ٦)

(١) نفس المصدر ص ٨

من اهدافه ان يري المسلمين قد اتحدوا • واصبحوا قوةعظمى كما كانت • وان يري رايةدولة بريطانيا قد نكست • فكيف بالخليفة يظن بالسيد هذه الظنون •

بينما كان السيد تحت مراقبة شديدة اصيب بمرض السرطان • وكان الدكتور جميل يعالجه • واجريت له عمليات جراحية الا ان العمليات لم تنجح واخيرا فاض روح السيد جمال الدين داعية الاسلام الى ربه وكان ذلك في صبيحة يوم الثلاثاء ٥ شوال ١٣١٤هـ (٩ مارس ١٨٩٧م) انا لله وانا اليه راجعون • ودفن في مقبرة شيخلر مزارلغى بمحله ماشقة قريبا من نشان طاش • (١)

ورثاه الاستاذ مصطفى المخزوى بالابيات التاليةارتجالا :

جمال الدين اردته المنون — فعم الخطب فالدينا رهين
امام بالعلوم والاخلاق — وفي شرع الامين هو الامين
هو العلم الذي عمرت بذكري — فضائله المحافل والحصون
حفيد محمد وكفاه فخرا — وهل بعد الكتاب يراد دين
على خير الخلائق من اله — تحيات يطيب بها الحزين
وال البيت ما نظمت مرات — وما حرقت ماقيها العيون
تحيط ضريح من احيا المعالي — ومن في جنة المولى مكين (٢)

---

(١) مضامين جمال الدين الافغاني ص ٤٦
حياة جمال الدين الافغاني ـ رضا همداني ص ١٠٥ • ١٠٦
حياة جمال الدين • مرزا اديب ص ١٠٦
جمال الدين الافغاني ـ محمد ابوريه ص ١٦٢
خاطرات ـ المخزومي ص ٣٩
تاريخ بيداري ايرانيان ـ ناظم الاسلام كرماني ص ٧٨ =

سبب موته ودفنه :

امر غامض غير واضح وفى كل منها كلام و اقوال منهم من يقول انه مات موتا طبيعيا بمرض السرطان الذي اصيب به ودفن بكل احترام واشترك فى عد جنازته اناس كثيرون ومنهم من يقول انه مات بسبب السم مباشرة اوغير مباشرة ودفن كما يدفن شخص مسكين غير معروف لم يشترك فى جنازته غير عدة اشخاص ولا يمكنني ان ابدي الراى القاطع فى ذلك الا انني اذكر بعض الاقوال فى هذا الشأن وعلى القارئ ان يقضى بعد ذلك :

يقول محمد ابوريه :

وقالت جريدة المقطم الصادرة فى ١٨ مارس سنه ١٨٩٧ (شوال ١٣١٤هـ) نقلا عن صديق يوثق بروايته قال : رأي الطبيب هارون صباح الثلاثاء ٩ الجاري ان ساعة وفاة السيد قد دنت فقصد جواج كوتشى صديقه الامين و ايقظه من نومه قائلا : ادرك السيد فقد حضرته منيته وقد تركته وهو يحتضر فأسرع جورج افندي الى منزله فوجده فى حالة النزع وليس عنده غير خادمه فلما رآه امسك بيده ولكنا اشتدت عليه الحشرجة حول عينيه اليه كأنه يرتاح لوقوع عينيه على عينيه ثم اسلم الروح فى الساعة السابعة والدقيقة الثالثة عشر من صباح ذلك اليوم وابلغ جورجى افندي المابين خبر وفاته فى الحال فصدرت الارادة الى حسن باشا ضابط بشكطاش بضبط اوراقه وسائركتبه فحضر و معه بعض الجواسيس ودققوا فى البحث والتفتيش وضبطوا كل ما عنده وفى الساعة العاشرة اي بعد وفاته باقل من ثلاث ساعات . امر بدفن جثته فى مقبرة بجهة نشان طاش اسمها (شيخلر مزارلغى)

---

(٢) خاطرات ـ المخزومى ص ٤٠

فارسل جورجي افندي كوتش صديقه الامين الى اصدقائه يخبرهم بوفاته فلم يحضر احد منهم غير سهل باشا بن فضل باشا الملا باري وعلى قبودان راغب المصري ثم حمله اربعة من حمالي الاستانة على اكتافهم وسار بعض رجال البوليس خلفهم يخفرونهم ودفن كما يدفن اقل انسان في بلاد ال عثمان ... (١)

وقال السيد رشيد رضا :

وقد كتب الينا بعض العارفين ما يؤيد رواية المقطم في الجملة . (٢)

ويقول محمد سلام مدكور :

وبالجملة فقد مكث السيد جمال الدين خمس سنوات في الاستانه بين مظاهر عطف السلطان ودس رجال القصر وكثيرا ما شعر السيد بهذا الدس وطلب التصريح له بالسفر فمنعوه بظاهر المحبة وباطن التعذيب ومات جمال الدين في قصره مسموما ففاضت روحه الكريمة وذهبت الى بارئها تسبح في ملكوته اللانهائي في ٩ مارس ١٨٩٧م . (٣)

ويقول ايضا :

نعم مات السيد جمال ولكن سرعان ما جحد فضله وانكرته حكومة تركيا مما جعلها تأمر بدفنه من غير احتفال او تشييع حتى انها اصدرت امرا سلطانيا الى الصحف التابعة للدولة العلية بالاتكتب في شأنه شيئا وتكتمت خبره على الصحف بل صادرت الحكومة في سوريا جميع الجرائد المصرية والمجلات التي ابنته . (٤)

---

(١) جمال الدين الافغاني ــ محمد ابوريه ص ١٦٣

(٢) تاريخ الامام محمد عبده ج ١ ص ٩٤

(٣) جمال الدين الافغاني ــ باعث النهضة الفكرية في الشرق ص ٢٠٣

(٤) نفس المصدر ص ٢٠٤

ويقول الاستاذ محمد مهدي :

مات جمال الدين يوم الثلاثاء ٩ مارس سنة ١٨٩٧م الساعة ١٢ والدقيقة ١٣ اثر اوجاع مضنية وعقب موته ارسل السلطان بعض موظفي قصره ليستحوذوا على اوراقه ومؤلفاته ويؤكد اكثر الايرانيين وغيرهم ممن ترجموا لجمال الدين ان موته لم يكن طبيعيا وانه لقح في شفته بمادة سامة سببت له حالة مرضية تشبه السرطان ويقولون ان ذلك من كيد ابي الهدي . وامر السلطان بدفنه لساعتين من وفاته فسير نعشه بين جموع عديدة من الشرطة مخافة فتنة مباغتة من انصاره الذين كانوا في ريب من اسباب موته .(١)

ويقول جرجي زيدان :

فقدم الاستانه سنة ١٨٩٢ فطابت له فيها الاقامة لما لاقاه من التفات الحضرة السلطانية واكرام العلماء ورجال السياسة وما زال فيها معززا مكرما وجيها محترما حتى داهمه السرطان في فكه اواخر سنة ١٨٩٦م (١٣١٣هـ) وامتد الى عنقه فتوفاه الله في ٩ مارس سنة ١٨٩٧م (١٣١٤هـ) واحتفل بجنازته ودفن في مدفن (شيخلر مزار لغي) قرب نشان طاش .(٢)

ويقول الدكتور تشارلز ادمز :

وكانت وفاته في ٩ مارس سنه ١٨٩٧م بعد ان داهمه السرطان في فكه وامتد منه الى عنقه واحتفل بجنازته ودفنه في مقبرة المشائخ بالاستانة .(٣)

---

(١) دروس اللغة العربية (انتشارات دانشكاه تهران رقم ٥٢) ج ١ محمد مهدي ص ٧٦ -

(٢) مشاهير الشرق ج ٢ ص ٦٤

(٣) الاسلام والتجديد في مصر (الترجمة العربية) الدكتور تشارلز ادمز ص ١٤

ويقول مرزا لطف الله خان :

وبما ان الحكومة التركية لم تسلم السيد الافغانى الى الايران فاتفق سفير الايران فى تركيا والمندوب الخاص ناصر الملك الذي كان قد عين من قبل حكومة الايران لجلب السيد الافغانى . وفى ١٣١٤هـ (١٨٩٧م) تمكنا من قتل السيد الافغانى بمشروب مسموم.[١]

ويقول الاستاذ سعيد الافغانى :

وبعد عدة اشهر ظهرت عليه اعراض مرض السرطان فى فمه فأجريت له عملية جراحية اخفقت ويقال انها اخفقت عن قصد وتوفى فى صبيحة يوم الثلاثاء ٩ مارس سنة ١٨٩٧م (فى ٥ شوال سنة ١٣١٤هـ) انا لله وانا اليه راجعون .

وقد شيعت جنازته بالاحتفال اللائق .[٢]

ويقول محمد عمارة :

فيظل يكتب عنه المخزومى هذه (الخاطرات) حتى تدركه المنية فى ٩ مارس سنة ١٨٩٧م فيدفن فى شيخلر مزارلغلى قرب نشان طاش بعد عمر وفكر ونضال احدث فى الحياة والاحياء مالا تحدثه الزلازل والاعاصير .[٣]

ويقول تلميذه الوفى الامام محمد عبده :

فقدم الاستانه سنة ١٨٩٢م فطابت له فيها الاقامة لما لاقاه من التفات الحضرة

---

(١) شرح حال و اثار سيد جمال الدين اسدابادي معروف بافغانى — مرزا لطف الله برلين — المانيا ١٩٢٦م ص ٧٤

(٢) نابغة الشرق جمال الدين الافغانى ص ٨٧

(٣) الاعمال الكاملة لجمال الدين الافغانى محمد عمارة القاهره ص ١٨

السلطانية واكرام العلماء ورجال السياسة . وما زال فيها معززا مكرما وجيها محترما حتى حتى داهمه السرطان في فكه اواخر العام الماضي وامتد الى عنقه فتوفاه الله في ٩ مارس ١٨٩٧م واحتفل بجنازته ودفنه في مدفن شيخلر مزارلغي قرب نشان طاش . (١)

ويقول مولانا عبد القدوس :

ان موته نسب الى التسمم ولكن لا توجد ادلة قاطعة لاثبات ذلك والقريب الى القياس انه مات موتا طبيعيا بسبب المرض ولم يحلم بشأن جنازته اصليت بالاحترام والعظمة ام بالخمول . (٢)

يقول مرزا اديب :

اشتهر في ذلك الوقت انه قد دس الى السيد الافغاني السم وقال بلنت صراحة انني على يقين بأن مرضه المهلك تسبب من السم كان له اعداء كثيرون . (٣)

كما يقول : ان ابا سعيد كتب في جريدته اخبار جهان :

ان السلطان (عبد الحميد) كان يخاف من حرية السيد وكان السيد قد تعود الخلال في اسنانه فأرسل اليه السلطان عددا كثيرا من الخلال المسمومة وقد اصيب السيد من استعمالها بالمرض وقد فسد فكه الاسفل ومات من هذا المرض واذيع انه مات من مرض السرطان . (٤)

---

(١) مقدمة الرد على الدهريين ـ محمد عبده ـ القاهرة ص ١٦

(٢) مضامين جمال الدين ص ٤٦

(٣) حياة جمال الدين الافغاني ـ مرزا اديب ص١٠٦ ، ١٠٧

(٤) حياة جمال الدين الافغاني ـ مرزا اديب ص ١٠٦ ، ١٠٧

ويقول العلامة عبدالله العمادي :

يقال انه مات مسموما ولكن لا تعد توجد ادلة قطعية لذ لك .[١]

هذه قليل من الكثير والاكثرية على ان السيد جمال الدين الافغانى مات مسموما الا ان المصدر قد اختلف فيه منهم من يعزون ذلك الى الخليفة ومنهم من يعزونه الى ابى الهدي ومنهم من يعزون ذلك الى المؤامرة الايرانية من السفير والمندوب الخاص ولكن لا يمكننا ان ننفى ذلك او نثبت ذلك . وانما الامر يحتاج الى الدقة والبحث اكثر والله اعلم.

مات السيد جمال الدين وفاضروحه الى خالقه بعد ان كرس حياته لخدمة الاسلام والمسلمين ولم يتوان فيها ولم يخف فيها الجبابرة الملوك والرؤساء العظام ولم يبال قح بما كان يقال فى حقه من قبل الجامدين والمتزمتين من المشائخ والمدعين للعلم وهم فى الواقع ليسوا بعلماء وتحمل سبيلها ما تحمل من المشاق والمصائب . ونفى فى سبيلها من بلد الى بلد وعذب من قبل الملوك ولكن السيد كان سيدا كان من سلالة حسين رضى الله عنه حفيد النبى صلى الله عليه وسلم ـ الذي استشهد فى سبيل الحق .. الذي ضحى بنفسه و اولاده فى سبيل الحق ولم يرض بالذل والهوان ولم يرض بترك المبادئ السامية مبادئ الاسلام القويمة .. فكذلك كان السيد جمال الدين سلك مسلك جده والقى بنفسه فى المهالك وقدم نفسه لغضب جبابرة الملوك فى سبيل اعلاء كلمة الحق .. فى سبيل عظمة الاسلام .. فى سبيل توحيد المسلمين وجمع شملهم تحت راية الاسلام ترفرف على ربوع العالم الاسلامى فى عزة ومنعة وجلال .. وتمنى السيد ان يستشهد فى سبيل الاسلام

---

(١) مقام جمال الدين افغانى ـ چودهري محمد اقبال سليم كاهندري كراچى ص ١٢٢

لانه كان يعتبر ذلك اسمى درجة من درجات العظمة عند الله سبحانه وتعالى .

مات السيد وفاض روحه الى ربه ولم تحت رسالته ولم تمت تعاليمه ولم تمت اهدافه وانما بقيت حية تجيش بها صدور المسلمين من يوم ان انتقل الى جوار ربه وستبقى الى الابد كما هى الان تعمل عملها وتحدث الحركات التحريرية الدينية تلو الحركات وكلما حدثت حركة اصلاحية دينية تذكر الناس السيد الافغانى العظيم موقظ الشرق والمسلمين خاصة من نوم الغفلة من نوم الكسل من نوم الجهل من نوم التفرقة من نوم الخيانة من نوم الوهم والظن من نوم الجبن واليأس .

توفى السيد الافغانى وبقى قبره مجهولا مدة من الزمن الى ان جاء سائح امريكى وقام ببناء قبره . الا انه لم يبق مجهولا فى القلوب هو بل ترك الناس فى حالة من الحزن العميق وبدأوا ينعون السيد نعيا يفتت الاكباد . ويذكر العالم بذلك الانسان العظيم فى حياته العظيم بعد الممات ويحسن ان نأتى ببعض كلمات التأبين .

كلمات التابين لبعض الكبار المعاصرين :

ابنه الشيخ محمد عبده فقال :

.. والدي اعطاني حياة يشاركني فيها علي و محروس . السيد جمال الدين اعطاني حياة اشارك بها محمدا و ابراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام . والاولياء والقد يسين عليهم الرضوان مارثيته بالشعر لاني لست بشاعر ومارثيته بالنثر لاني لست الان بناثر رثيته بالوجدان والشعور لاني انسان اشعر و افكر . (١)

---

(١) جمال الدين الافغانى باعث النهضة الفكرية فى الشرق ص ٢٠٦

وهذا نعي جريدة المؤيد للشيخ على يوسف باشا فى العدد الصادر فى ١٥ مارس سنة ١٨٩٧م (١٣١٤هـ) نذكر بعضا منه :

نعت الينا اخبار الاستانة المغفور له الاستاذ الفاضل الفيلسوف الشهير السيد جمال الدين الافغانى توفى رحمه الله فى الساعة السابعة والدقيقة الثالثة عشر من صباح يوم الثلاثاء الماضى حيث كان يحوده كثير من الحاشية والخدم فى منزله الخ . (١)

كتب الشيخ ابراهيم اليازجى الكاتب اللغوي الشهير فى الجزء الثانى من مجلة البيان الصادرة فى اول ابريل سنة ١٨٩٧م قال :

هذا جمال الدين امسى نازلا   جدثا تضمن منه اي دفين
قدر به عم البكاء على امرئ   فقدت به الدنيا جمال الدين

نعت الينا خطيط ابناء الاستانة انسان عين الفضائل والكمال ومجمع اشعة الحكمة بل قطب دائرة العلوم على الاجمال رحلة البلغاء وقدوة العارفين وقاضى علوم الدنيا والدين . السيد جمال الدين الحسينى الافغانى فكان لمنعاه يوم اشتد وقعه على القلوب والمحاجر وطال فى وصفه انين الاقلام فامدتها بالدموع عيون المحابر وكيف لا وهو خطيب الشرق الذي رن فى المنافقين صدي خطابه وامامه الذي انبثقت انوار اليقين من سماء محرابه واستاذ علومه التى ما نفثت الحكمة تتدفق بين نواده ولسانه وتطلع شموس البلاغة بين خاطره وبيانه وتجري مناهل العرفان بين اقلامه وبنانه .

قضى رحمه الله فى التاسع من الشهر الغابر بعلة السرطان وقد تشبث منه الفك والنحر ودب فى مجري الفصاحة منه ولا عجب يدب السرطان فى البحر . فقبض ذلك اللسان

---

(١) نفس المصدر ص ٢٠٦

على تدفق عبابه الى ان نقله الله الى جواره ٠ (١)

وقالت مجلة الهلال لصاحبها جورجي زيدان ما ملخصه :

قد تمر القرون وتتوالى الاجيال والناس على ما ساقتهم اليه الحاجة فى شئون معاشهم لا يفقهون غثها من سمينها ولا يدركون مبداءها ولا مصيرها حتى تتمخض الطبيعة فتلد من ابنائها افرادا يميطون على اسرارها اللثام فيري الناس من ورائه شرائع ونواميس كانوا عنها غافلين اولئك هم اقطاب العلم و انوار العالم ومنهم الفلاسفة الطبيعيون الذين مذقوا استار الجهل وكشفوا غوامض الطبيعة فمهدوا سبل الاختراع والاكتشاف ومنهم الفلاسفة العقليون الذين استطلعوا اسرار الحكمة المستترة وراء تلك النواميس وبينوا ما اودعه الخالق فى خليقته من الفوائد العقلية والروابط الادبية ٠

ولكن الطبيعة لا تجود بواحد من اولئك الافراد الاكل بضعة قرون فيسير الناس على خطواته اجيالا ٠ حتى اذا كادوا يرجعون الى غيهم جادت عليهم باخر ينفث فيهم روح جديد فينتبهون من رقادهم ويعودون الى رشدهم ريثما يأتيهم ثالث ٠

هكذا كان شأن العالم فى بدء عمرانه ومن اولئك الفلاسفة سقراط وافلاطون و من تقدمهم ٠ وجاء بعدهم من فلاسفة اليونان والرومان والفرس والعرب وغيرهم من علماء المعقول والمنقول ممن ممن لا نزال نستضيئ بنبراسهم ٠

ولكن لله فى خلقه حكمة لا تدركها العقول ٠ فقد ينبغ فى بعض الاجيال افراد توفرت فيهم قوي الفلاسفة ومواهب رجال الاعمال فتحيط بهم بيئات لا تصلح لنماء ما يغرسون فيذهب سعيهم هباء منثورا ٠

---

(١) المصدر لسابق ص ٢٠٨

ولما كان الانسان لا يقدر العمل الابنيـــة ما يترتب عليه من الفائدة كان نصيب كثير من عظماء الارض جهل الناس حق قدرهم واغفال التاريخ ذكرهم كما هو شأننا بفقيـــد الشرق الفيلسوف الخطيب السيد جمال الدين الافغاني رحمه الله فقد نشأ قطبا من اقطاب الفلاسفة وعاش ركنا من اركان السياسة ولكنه مات ولم يتم عملا ولا الف كتابا على ان ذلك لا يحط من مقامه وقد رأينا اعظم فلاسفة اليونان سقراط قدمات ولم يدون شيئا من كلامه . ولكن تلامذته حفظوا فلسفته ودونوها فتوارثها الاجيال خلفاعن سلف فعسى ان لا تحرم من مريدي الاستاذ وتلامذته من يفعل مثل ذلك .(١)

نقل جثمان السيد من اسطنبول الى كابول :

وبعد مرور اكثر من اربعين سنة على وفاة السيد الافغاني طلبت الحكومة الافغانية من حكومة تركيا الاذن بنقل جثمان السيد الى افغانستان وقد لبت تركيا هذا الطلب ونقل جثمان السيد الى افغانستان ودفن في كابول العاصمة .

وبما ان كثيرا من اهالي اقليم الحدود الشمالي الغربي بباكستان قد شاهدوا منظر نقل جثمان السيد وبعضهم اشتركوا في صلاة الجنازة عليه في مدينة بشاور فرأيت ان اتصل ببعضهم وانقل كلامهم وقد اجريت محادثة شفوية في هذا الشأن مع سيادة محمد زبير صاحبزاده رئيس جامعة بشاور الحالي . وقد افادني بكلام قيم وهاك نصها قال :

كنت اذ ذاك طالبا بالسنة الثانية بالكلية الاسلامية ــ بشاور وكان الموسم موسم

---

(١) الف ــ جمال الدين الافغاني ــ محمد ابوريه ص٢٢٦ . ٢٢٧

ب ــ تاريخ الامام محمد عبده ــ رشيد رضا ج ١ ص ٩٦

الشتاء وكان الشهر ديسمبر ١٩٤٤م والوقت كان حوالي الساعة العاشرة صباحا حيث وصلت السيارة بنعش السيد الافغاني الى حرم الكلية الاسلامية وكان معه السيد عبدالرحيم خان سفير افغانستان حينذاك في بغداد الغد العراق . وكان قد صلى عليه في بشاور والسيارة التي وضع فيها نعشه كانت كحليه وكتب على جانب منها الاية :

لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا انه هو الغفور الرحيم . (١)

وعلى جانب اخر منها كتبت الاية :

كل شيئ هالك الاوجهه له الحكم واليه ترجعون . (٢)

والقماش الذي لف فيه جثمانه كان برتقالي اللون ورديا ووضع في وسط الصندوق من الصلب .

وكان الوزير الاعلى لهذا الاقليم حينذاك سردار اورنك زيب خان وقد تكلم هو ولم يتكلم السفير الافغاني قال سردار اورنك زيب خان : ان سفير افغانستان (عبدالرحيم خان السفير في العراق) قال :

انه رأي السيد الافغاني في المنام ثلاث مرات فحكى ذلك لوالدته وقال لها : اني رأيت في المنام ميتا اسمه جمال الدين الافغاني ويقول لي : اني دفنت في بلد اجنبي ويطلب مني نقل جثمانه الى بلد الافغان . فقالت والدتي : ان الناس يستجيبون الى كلام الاحياء وعليك ان تستجيب الى كلام الميت ولن اهبك لبني ان لم تجب الى مطالبته ولم تنقل جثمانه الى ارض الافغان فأخذ السفير الاذن من الحكومة الافغانية والتركية ونقل جثمانه

---

(١) الزمر (٣٩) : ٥٣

(٢) القصص (٢٨) : ٨٨

من تركيا الى كراتشي بالطائرة . ومن كراتشي بالقطار الى بشاور ومن بشاور في سيارة افغانية رسمية الى كابول عاصمة افغانستان .(١)

واجريت محادثة شفوية اخري مع حضرة الاستاذ محمد طه اشرف رئيس قسم اللغة العربية بجامعة بشاور ونص ما قاله :

جمال الدين الافغاني رحمة الله عليه

جثمان السيد الافغاني قد نقل من اسطنبول وكان ذلك في ديسمبر ١٩٨٠م . وقد استقبل في محطة القطار بالصدر من قبل جمع غفير ثم اخذ في صورة الموكب الى جانب غرب ميدان بالاحصار حيث صلى عليه المفتي عبدالرحيم بوبلزي واشترك جمع غفير من اهالي بشاور في الجنازة وقد اشتركت انا ايضا في صلاة الجنازة وكان ذلك بين الساعة الثامنة والتاسعة صباحا تقريبا ثم نقل الى عمارة الافغان في سوق قصه خواني بشاور ومن هناك اخذ في السيارة الرسمية الى افغانستان .(٢)

واجريت محادثة ايضا مع الاديب الكبير فضل حق شيدا وافادني بكلمات : نقل جثمان السيد الافغاني بواسطة سفير افغانستان في العراق من تركيا الى كراتشي بالطائرة وكان ذلك في ديسمبر ١٩٤٤م ومن هناك بالقطار الى بشاور وعند وصول

---

(١) جرت هذه المحادثة في حوالى الساعة العاشرة صباحا من يوم السبت ١٠ ذي القعده ١٤٠٠هـ سبتمبر ١٩٨٠م بمكتب السيد رئيس جامعة بشاور ـ باكستان

(٢) جرت هذه المحادثة في الساعة الواحدة والنصف ظهرا من يوم الاربعاء ٢١ ذي القعده ١٤٠٠ هـ المطابق ١ ـ ١٠ ـ ١٩٨٠م في مكتبة قسم اللغة العربية بجامعة بشاور ـ باكستان

جثمانه الى بشاور كان قد حضر بالاف من الناس من القريب والبعيد لمشاهدته والحكومة الافغانية كانت قد ارسلت سيارة خاصة لنقله وعند ما وضع نعش السيد فى السيارة نثرت فوقه الازهار والورود . وكان المنظر غريبا بديعا وارتفعت اصوات . يحيى جمال الدين الافغانى وعند ما كانت الاصوات ترتفع كان يخيل الى الناس ان السيد جمال الدين ما زال حيا بعد مرور نصف القرن على وفاته .

مكث النعش ليلة واحدة فى بشاور ثم نقل الى تورخم على حدود افغانستان وكان كبار الناس من هذه المنطقة فى تشييعه . ومن تورخم دخل جثمانه الى بلده الحبيب (افغانستان) .

وبمسافة عدة اميال من كابول استقبل رسميا من قبل الحكومة . ودخل السيد الى كابول فى موكب عظيم ودفن فى مكان يقع حاليا فى جانب من جامعة كابول . وبنيت عليه قبة وهكذا دفن السيد فى موطنه .(١)

---

(١) جرت هذه الحادثة فى الساعة الثامنة والنصف صباحا من يوم السبت ٢٤ ذي القعدة ١٤٠٠ هـ (٤ ـ ١٠ ـ ١٩٨٠ م) فى بيت الاديب الكبير فضل حق شيدا وكان مريضا جدا ولكنه حيا لجمال الدين تكرم بالكلام وقد الف كتابا بعنوان : سيد جمال الدين افغانى فى لغة بشتو وذكر فيه نقل جثمان السيد الافغانى من تركيا الى افغانستان باسلوب ادبى رائع ويقول فى صفحة ٤١ منه : وكان ذلك المنظر الجميل موجبا لتاليف هذا الكتاب .

المقصد الرابع

شخصيته العبقرية

عقليته — علومه ومطالعاته

اكله — عاداته

ضحكه — اماله ومقاصده

مسكنه — سلوكه

مجلسه وخطابه — فلسفته

اخلاقه

ذكاؤه

حليته :

كان اسر اللون بما يشبه اهل الحجاز . ربعة ممتلىء البنية . اسود العينين . ناقد اللحظ مهجذب النظر مع قصر فيه . وكان خفيه العارضين مسترسل الشعر بجبة و سراويلات سوداء تنطبق على الكاحلين وعمامة صغيرة بيضاء على زي علماء الاستانه والحلية لها اثر في شخصية الفرد لا ينكر .

اكله :

كان قليل الاكل لم يكن يتناوله الامرة واحدة في اليوم ؟ وكان يدخن نوعا خاصا من السيجار الافرنجي .

مسكنه :

في اخر ايامه كان يسكن في قصر في نشان طاش بالاستانة وقبل مرضه الاخير كان يقيم معظم نهاره في منزله وفي وقت الاصيل كان يركب العربة للتنزه في كاغد خانه بضواحي الاستانة . وكان ينام قليلا قليلا من الغلس الى الضحى .[1]

مجلسه وخطابه :

كان اديب المجلس كثير الاحتفاء بزائريه على اختلاف طبقاتهم متواضعا الى اقصى الحد مع الصغار ومتكبرا على الكبار اذا احس في ذلك تزلفا .

وكان ذا عارضة وبلاغة لا يتكلم الا اللغة الفصحى بعبارات واضحة جلية الا

---

(١) مشاهير الشرق جرجي زيدان ج ٢ ص ٦٤

اذا كان السامع عاميا فكان يخاطبه بلغة العامة . وكان خطيبا مصقعا لم يقم في الشرق اخطب منه . وكان قليل المزاح رزينا كتوما قد يخاطب عشرات من الناس في اليوم فيبحث مع كل منهم في موضوع يهمه فاذا خرج جليسه كان خروجه اخر عهده بذلك الموضوع حتى يعود هوالله بشأنه . (١)

اخلاقه :

كان حر الضمير صادق اللهجة عفيف النفس رقيق الجانب وديعا مع انفة وعظمة ثابت الجأش . قد يساق الى القتل فيسير اليه سير الشجاع الى الظفر . وكان راغبا عن حطام الدنيا لا يدخر مالا ولا يخاف عوزا ومما رواه الاديب اسحاق ان جمال الدين لما بعد عن مصر انزل في السويس خالي الجيب فأتاه السيد النقادي قنصل ايران في ذلك الثغر ومعه نفر من تجار العجم قدموا له مقدارا من المال على سبيل الهدية او القرض الحسن . فرده وقال لهم : احفظوا المال فانتم اليه احوج ان الليث لا يعدم فريسة حيثما ذهب وكان مقداما جاثا على الاقدام فلا يخرج جليسه من بين يديه الاو قد قام في نفسه محرض على العلى منشط على السعي في سبيلها ولكنه على فضله لا يخلو من حدة المزاج ولعلها كانت من اكبر الاسباب لما لاقاه من عواقب الوشاية . (٢)

ذكاؤه :

كان ذكيا فطنا حاد الذهن سريع الملاحظة يكاد يكشف حجب الضمائر ويهتك

---

(١) المصدر السابق ص ٦٥

(٢) الف ـ المصدر السابق ص ٦٥

ب ـ مقدمة الرد على الدهريين ص ١٧

استار السرائر دقيق النظر فى المسائل العقلية قوي الحجة ذا نفوذ عجيب على جلسائه فلا يباحثه احمد الا شعر بانقياد الى برهانه وربما لا يكون البرهان بحد ذاته مقنعا ·

وكان مع ذلك قوي الذاكرة حتى قيل انه تعليم اللغة الفرنساوية او بعضها — وصار يقدر على الترجمة منها ويحفظ من مفرداتها شيئا كثيرا فى اقل من ثلاثة اشهر بلا استاذ الا من علمه حروف هجائها يومين ·(١)

علومه ومطالعاته :

كان واسع الاطلاع فى العلوم العقلية والنقلية وخصوصا الفلسفة القديمة وفلسفة تاريخ الاسلام والتمدن الاسلامى وسائر احوال الاسلام وكان يعرف اللغات الافغانية والفارسية والعربية والتركية والفرنساوية جيدا مع الالمام باللغتين : الانجليزية والروسية· وكان كثير المطالعة لم يفته كتاب كتب فى اداب الامم وفلسفة اخلاقهم الا طالعه واكثر مطالعاته فى اللغتين العربية والفارسية ·(٢)

عاداته :

كان السيد لا يتم بأمر الدنيا ولم يتزوج وكانت حياته بسيطة جدا ويرتدي دائما احسن الملابس ويلبس على الاكثر الملابس الافغانية · فى بلاد الافغان والهند و مصر واوروبا ويلف حول قلنسوته قماشا ابيض دليلا على شرفه ورغم انه قنى شطرا كبيرا

---

(١) الف — مشاهير الشرق جرجى زيدان ج ٢ ص ٦٦

ب — مقدمة الرد على الدهريين · محمد عبده ص ١٨

(٢) الف — المصدر السابق نفس الصفحة

ب — مقدمه الرد على الدهريين ص ١٨

من عمره في اوروبا فانه لم يأخذ بعاداتها وتقاليدها وكان يظل يتناول الشاي بكثرة ويدخن وكان ملما بأغلب العلوم .

وكان حريصا مدة اقامته في الاستانة على نظافة ملابسه وملتزما لشرائط الصحة فكان يقلل من تناول الطعام وكانت رغبته في الحوامض فوق ميله الى الحلو وكان يأكل بيده بينما كان اضيافه يتناولون طعامهم (بالشوكة والسكين) اذ لم يأبه بعادات اهل زمانه و ادابهم في هذا الباب . (١)

آماله ومقاصده :

انها انحصرت في مطلب رئيس واليه وجه كليته وصرف افكاره واخذ على نفسه السعي مدة حياته ولا نكون مبالغين اذا قلنا ان كل ما اصابه من البلاد انما اصابه في سبيله وهو: انها في دولة اسلامية من ضعفها وتنبيهها للقيام على شئونها حتى تلتحق الامة بالامم الراقية والدولة بالدول القوية وحل العقول من قيود الاوهام وتوحيد وجهة الشرقيين فيعود لهم مجدهم وفي هذا المطلب والمسعى من قصد وامال . قد انقطع جمال الدين عن المألوف في العالم فلم يتخذ زوجة ولا التمس كسبا . (٢)

سلوكه :

كان السيد جمال الدين على مذهب الامام ابي حنيفة ومع انه لم يكن قائلا با لتقليد الا انه كان مواظبا على سنن مذهبه وفرائضه مواظبة تامة وكان متمسكا باصول مذهبه

---

(١) خاطرات ـ المخزومي ص٤٠

(٢) نفس المصدر ص٤٠ . ٤١

وفروعه اشد التمسك كان يميل الى مسلك السادة الصوفية كما قطع فى اول حياته شوطا كبيرا فى مجال التصوف وكان السيد شديد الحمية والغيرة على دينه لم يكن يتحمل اوفى كلام يمس دينه . وكان فى كل ذلك عمليا والادلة والامثلة على ذلك كثيرة تشاهد فى حياته و كان معروفا بهذا بين اتباعه ومريديه فى مصر وغيرها . ويقول تلميذه الامام محمد عبده :

اما مذهب الرجل فحنفى وهو وان لم يكن فى عقيدته مقلدا لكنه لم يفارق السنة الصحيحة مع ميل الى مذهب السادة الصوفية وله مواظبة شديدة على اداء الفرائض فى مذهبه وعرف بذلك بين معاشريه فى مصر ايام اقامته بها ولا يأتى من الاعمال الا ما يحل فى امامه فهو اشد من رأيت فى المحافظة على اصول مذهبه وفروعه اما حميته الدينية فهى مما لا يساويه فيها احمد يكاد يلتهب غيرة على الدين واهله .(١)

والواقع ان حياته واعماله الجليلة كلها خير دليل على هذا واما ما قال البعض وطعنوا فى عقيدة السيد واتهموه بالزندقة والالحاد فهؤلاء ساقطون عن درجة الانسانية وهم اما امراء وملوك واما الجامدون المتزمتون ممن يدعون العلم وفى الواقع هم عملاء للطماعين .(٢)

فلسفته :

بعد مطالعة كلام السيد وارائه واقواله فى الموضوعات المختلفة نصل الى ان نقول ان فلسفة السيد كانت واقعية مبنية على الحقائق ولم تكن فلسفة خيالية فحسب . و كان يستوحى فى جميع ارائه من الدين الاسلامى الصحيح وبالاحري كانت مستقاة من الاسلام

(١) جمال الدين الافغانى باعث النهضة الفكرية فى الشرق مذكور ص ٢٢٠

(٢) خاطرات ص ٤٠

وكانت فلسفته مزيجة من تلك الاراء الحكمية وبعض الاراء الصوفية وذلك لاتصال النزعات والاراء الصوفية بالفلسفة فى عصر جمال الدين . وفى هذا الصدد يستحسن ان نأتى بكلام الفيلسوف الكبير والعالم الجليل الاستاذ صلاح الدين السلجوقى المرحوم .[١] وذلك لتوضيح هذا الامر توضيحا كاملا حيث قال :[٢]

اما الفيلسوف جمال الدين فقد كانت المسائل الاجتماعية عنده هى مستقر او مصدر فكرته الى حد انه كان يحاول ان يجعلها عقلا مقياسا للامور الطبيعية ايضا . فمثلا عند ما يرد فى محاضرته (الرد على الدهريين) على ان المادة مركبة من ثلاثة اشياء (ميتير فورس اينتلجانس) اي مادة وقوة و ادراك يقول :

وبعد هذا سأ سألهم كيف اطلع كل جزء من اجزاء المادة مع انفعالها على مقاصد سائر الاجزاء وبأية الة افهم كل منها باتبها ما ينويه من مطلبه واي برلمان (مجلس النواب) او اي سنات (مجلس الشيوخ) عقد للتشاور فى ابراع هذه المكونات الحالية التركيب البديعة التاليف وأنى لهذه الاجزاء ان تعليم وهى فيه فى بيضة العصفور ضرورة ظهورها فى هيئة طير يأكل الحبوب فمن الواجب ان يكون له منقار وحوصلة لحاجته فى حياته اليهما واذا كانت فى بيض الشاهين والعقاب فمن اين لها العلم بأنها تقوم طيرا يأكل اللحوم .

---

(١) كان سفيرا بمصر لافغانستان . وقد عاصرته وقابلته اثنا وتحلمى فى الازهر من عام ١٩٥٦ – ١٩٦١

وكان من اعرف الناس بالسيد لكونه افغانيا .

(٢) جمال الدين الافغانى – محمد ابوريه ص ٢٤٩

فلا بد له من منسر و مخلاب يصول بهما في الصيد لا قتناصما يحتاج اليه من حيوان ثم ينسر لحمه ليأكله . (١)

وهذا الرد مع انه اجمل ما يكون بالعبادة واتقن ما يكون في الفكر حجة لها شكل اجتماعي بديع يصور الكون في صورة مجلس النواب والشيوخ ولا يتصور النظام الابهما . (٢)

ويستمر السيد صلاح الدين السلجوقي فيقول :

وكان الهدف والغرض من الاخلاق والسياسة عنده هو الكمال بالمعنى الذي كان يفكر فيه الشيخ ابوعلي بن مسكويه ومولانا جلال الدين الرومي (البلخي) وبالطريقة التي اشار اليها هيجل و كومت لا بالاصول التي ذهب اليها لامارك و داروين . وهوعبارة عن الانكشاف الروحي وتصعير الغرائز والتخلق بأخلاق الله .

فالسيد في تلك الناحية كان صوفيا . . . . ومن العجيب ان السيد كان مطلعا على كل مناهج المدارس الفكرية والطبيعية والاجتماعية التي وجدت في اوربا خلال القرنين السابع عشر والثامن عشر حتى التي وجدت في العصر الحاضر بروحها و جوهرها ومؤداها وكان قد درس الطبيعيات والبيالوجيا والتاريخ الطبيعي الحديث والنشوء والارتقاء كما اطلع ايضا على ما تدرسه المدارس السياسية على اختلافها (الدمقيرا طية والاشتراكية والشيوعية) وكان جرحه وتعديله ونقده ورده بفكرة اجتماعية يبعثها الدين ويسيرها العقل ويقودها الكمال الانساني .

فالسيد كان في دينه موحدا وفي سياسته داعيا بالوحدة وكان يربط بين اجزاء

---

(١) المصدر السابق ص ٢٤٩

(٢) ايضا ص ٢٥٠

الكون بعقيدة وجود الله الذي هو اصل الوجود ومنبع الشعور ومصدر الارادة وهذه كانت فكرته الصوفية وبهذه العقيدة كان يربط بين الروح والجسم والمادة والمعنى وبين النظام الطبيعي والنظام الادبي . (١)

ويقول الاستاذ السلجوقي ايضا :

فالصوفي بطريقة وحدة الوجود التي كان السيد يسلكها يري الوجود الحقيقي في الله سبحانه وتعالى ويري المادة والقوة والشعور في كل صفاته ويري ان الكون مرآة لوجوده وان اجزاء الكائنات مظاهر لاسمائه الحسنى . (٢)

هكذا كانت فلسفة السيد جمال الدين الافغاني مزيجا من الاراء الفلسفية والاراء الصوفية وكانت فلسفة اخلاقية مستقاة من الدين الاسلامي . ولذلك تري السيد جمال الدين في دعوته الشاملة يدعو الى الفضائل لان الفضائل تدعو الى السعادة التامة وتدعو الى الشرف والعلا والمجد والعزة وتهذيب النفس بجميع الكمالات . وكان يدعو الى نبذ الدنايا والصفات الذميمة لانها تقد تدعو الى الاباحة وفساد الاخلاق والدمار وانتشار الفوضى و الانحلال وسوء المغبة في كل شيئ .

وعلى كل فان السيد كان شخصا عظيما . وكان عبقريا في كل شيئ . كنت تري الى ناحية منه فكنت تراه عبقريا فيها فاذا نظرت اليه من ناحية اخري وجدته عبقريا فيها ايضا و هكذا كان عبقريا في جميع اموره .

---

(١) المصدر السابق ص ٢٥١

(٢) جمال الدين الافغاني ـ محمد ابوريه ص ٢٥١ . ٢٥٢

المقصد الخامس

رسالة السهد

رسالة السيد :

كانت رسالة قصد السيد في السامية الحياة هي الجامعة الاسلامية (توحيد المسلمين) وكانت رسالته هو العمل المتواصل للوصول الى هذا الهدف العظيم ٠

الجامعة الاسلامية وجدت منذ جاء الاسلام ومنذ بعث محمد عليه الصلاة والسلام وقد استمرت هذه الجامعة الاسلامية تويد لها سلطانها واثارها في العالم الاسلامي وبفضل ذلك كان المسلمون في قوة وازدهار حتى رفرفت راية الاسلام في اكثر بقاع الارض ٠٠ وبفضلها كانت الدولة الاسلامية قوية يهاب منها حتى تفككت عرى الجامعة واشتغل المسلمون بأمور تافهة وتركوا تعاليم الاسلام الصافية وبذلك ضعفت شوكتهم ودهن عزمهم وطمع فيهم الاجانب واصبحوا دويلات تناوئ بعضها البعض حتى هاجمهم التتار ومزقتهم شر ممزق و بذلك زالت دولتهم وضعفت قوتهم وصاروا الى ما صاروا اليه من سوء الحال ٠

واثناء ذلك نشأت حركات دينية في صور الطرق الدينية المتعددة ٠ وكل كانت تريد خدمة الاسلام الا انها لم تنجح لان خططها لم تكن مبنية على اصول صحيحة وهكذا كان الحال حتى جاء القرن التاسع عشر وبدأ سير الجامعة الاسلامية سيرا منظما على خطط مقررة اذ كان للجامعة الاسلامية اسان قامت عليهما وهذان الاسان هما :

الطرق الدينية الحديثة النظام كالطريقة السنوسية والدعوة التي قامت بها فرقة من جلة العظماء واكابر المفكرين الحكماء يرأسها السيد جمال الدين الافغاني ٠ (١)

---

(١) حاضر العالم الاسلامي ــ لوتروب ستودارد القاهره ــ ج ١ (عربي ترجمه) ص ١٠٤

فالطريقة السنوسية اخذت فى الاصلاح الروحى والنفسى والخلق . لان خطته التى كان ينوي القيام بها بعد اكتمال العدد التى يجاهد فى سبيلها السيد السنوسى له انما هى افتتاح جميع البلاد الافريقية . ثم سائر الاقطار الاسلامية ثم جعل العالم الاسلامى من اقصاه الى اقصاه له مملكة واحدة على راسها خليفة واحد . وهذه المملكة العظمى يرتبط بعضها ببعض بالجامعة الاسلامية الكبيري . الا ان السيد السنوسى يري ان تحرر المسلمين التحرر السياسى من ربقة السيطرة الغربية النصرانية يجب ان يسبقه انتشار التجدد الروحانى والدعوة الاخلاقية فى المسلمين ولذا كان يعمل بجهد واخلاص للوصول الى هذه الغاية بتهذيب اخلاق اتباعه وترقيتها وتربية نفوسهم تربية صحيحة وتنشئتم على الفضائل الاسلامية العليا ولم يكتف بهذا فحسب وانما بداء يجد فى تحسين حالتهم الاقتصادية وتوفير وسائل الكسب فبذلك كثرت فلاحة الواحات الخصبة فى بلاد شمال افريقيا عامه وليبيا خاصة وتحت الزراعة واحتفرت الابار الحديثة وابتنيت الانزال على طريق القوافل . وشرع فى انشاء وسائل التجارة وغير ذلك .

وبنى السيد السنوسى زوايا كثيرة فى مختلف البلدان واشهرها زاوية جغبوت فى الصحراء الليبية قريبا من السودان وزاوية البيضاء على راس الجبل الاخضر فى ولاية البرقة بمسافة ثلمائة كيلومترا تقريبا من بنغازي . كما انشاء مدارس لتحفيظ القران الكريم والعلوم الدينية . هذه كانت الطريقة السنوسية التى انشاءها محمد بن على السنوسى الكبير .(١)

فكانت رسالة السيد جمال الدين رهدفه الاول والاخير هى الدعوة الاسلامية

---

(١) المصدر السابق ص ١٠٥ـ ١٣٤

الكبري (الجامعة الاسلامية) التى عرفت به من بعده . وهاك ما قال لو ثروب ستوارد فى هذا :

كان جمال الدين سيد النابغين الحكماء . و امير الخطباء . و داهية من اعظم الدهاة . وامع الحجة قاطع البرهان ثبت الجنان متوقد العزم شديد المهابة كأن فى ناسوته اسرار المغنطيسية فلهذا كان المنهاج الذي نهجه عظيما . وكانت سيرته كبيرة تبلغ من علو المنزلة فى المسلمين ما قل ان يبلغ مثله سواه . وكان سائحا جوابا طاف العالم الاسلامى قطرا قطرا وجال غربى اوربه بلدا بلدا فاكتسب من هذه السياحات الكبري . ومن الاطلاع العميق والتبحر الواسع فى سير العالم والامم علما راسخا واكتنه اسرارا خفية . و استبطن غوامض كثيرة فاعانه ذلك عونا كبيرا على القيام بجلائل الاعمال التى قام بها . وكان جمال الدين بعامل سجيته وطبعه وخلقه داعيا مسلما كبيرا . فكأنه على وفور استعداده ومواهبه انما خلقه الله فى المسلمين لنشر الدعوة فحسب فانقادت له نفوسهم وطافت متعاقدة من حوله قلوبهم فليس هناك قطر من الاقطار الاسلامية وطئت ارضه قدما جمال الدين الا وكانت فيه ثورة فكرية اجتماعية لا تجنونارها ولا يتبدد اوارها .

وكان يختلف عن السنوسى منهاجا فجمال اركب على السياسة وشئونها . وذاك على علوم الدين وترقيتها غير ان السيد جمال الدين الافغانى كان اول مسلم ايقن بخطر السيطرة الغربية المنتشرة فى الشرق الاسلامى . وتمثل عواقبها فيما اذا طال عهدها . وامتدت حياتها ورسخت فى تربة الشرق وادرك شؤم المستقبل وما سينزل بساحة الاسلام والمسلمين من النائبة الكبري اذا لبث الشرق الاسلامى على حال مثل حاله التى كان عليها فهب جمال يضحى نفسه ويفنى حياته فى سبيل ايقاظ العالم الاسلامى . وانذاره بسوء

العقبى . ويدعوه الى اعداد ذرائع الدفاع لساعة يصيح فيها النفير . فلما اشتهر شأن جمال خشيت الحكومات الاستعمارية امره وحسبت له الف حساب . ففتنه بحجقانه هائج المسلمين . ولم تخف دولة جمالا وتضطهره مثل ما خافته واضطهرته الدولة البريطانية . . . وانشاء يسيح فى مختلف البلدان حتى وصل القسطنطينية فتلقاه عبدالحميد بطل الجامعة الاسلامية بالمبرة والكرامة وقربه منه ورفع منزلته فسحر جمال السلطان الداهية بتوقد ذكائه ونفسه الكبيرة . فقلده السلطان رياسة العمل فى سبيل الدعوة للجامعة الاسلامية ويغلب ان ما نا له السلطان عبدالحميد من النجاح فى سياسته فى سبيل الجامعة الاسلامية انما كان على يد جمال الدين المتوقد الهمة المشتعل العزم . (١)

هذه هى كانت رسالة السيد الافغانى فى لحياة ولاجلها خرج من افغانستان وطاف ببلاد العالم ولم يقعد عنها حتى انتقل الى جوار ربه فطوبى لها من رسالة عظيمة ورسالة القران التى تهدي الناس الى الحق . وترشد هم الى ما فيه فلاحهم فى الدنيا والاخرة .

---

(١) المصدر السابق ص ١٣٥ ـ ١٣٦

المقصد السادس

أساتذة السيد :

السيد صفدر (والده)

قاضي بشر

السيد فقير باشا

محمد حسن (حافظ دراز)

فضل مالك النقشبندي

علي منلا خان

اساتذة السيد :

ان دراسة السيد الافغانى غير معلومة بالتفصيل الا ان المؤرخين ذكروا اسماء بعض اساتذة السيد وذكر السيد البعض بنفسه وهؤلاء هم :

١ـ السيد صفدر (والد جمال الدين الافغانى)

(واظنه العالم المنطقى الذي شرح كتاب القاضى المبارك فى المنطق)

٢ـ قاضى بشو فى منطقة كونر من افغانستان .

٣ـ العلامة سيد فقير بادشاه (من سادات كنر) افغانستان .

(الذي له تعليقات على كتاب القاضى المبارك)

٤ـ مولانا محمد حسن المعروف ب (حافظ دراز) البشاوري . بشاور

٥ـ مولانا فضل مالك النقشبندي . بشاور

٦ـ مولانا محمد نسيم كاكاخيل ـ بشاور (١)

٧ـ الاستاذ على منلاخان (وقد اعتز به السيد كثيرا) (٢)

هؤلاء العلماء من اساتذة السيد جمال الدين وكل واحد كان من الشخصيات المعروفة فى بلاده . فالسيد فقير بادشاه كان من سادات كنر ومن الشخصيات الشهيرة فى افغان فى العلم والحسب والنسب وكان من نفس اسرة السيد جمال الدين .

---

(١) الف ـ جمال الدين الافغانى ـ محمد ابورية ص ٢٤٨

ب ـ مضامين جمال الدين افغانى (اردو) مولانا عبد القدوس ص ١٠

ج ـ تذكرة السيد الافغانى ـ عبد الحليم اثر (بشتو) ص١٣

(٢) خاطرات ـ المخزومى ص٢٣٣ . ٢٣٥ . ٢٣٨ . ٢٤٠ . ٢٤١ ـ

وقاضي بشد كان من قضاة هذه القرية المشهورة من قرى كنر . ومولانا محمد حسن المعروف (حافظ دراز) ومولانا فضل مالك النقشبندي ومولانا محمد نسيم كاكاخيل فكلهم كانوا من مشاهير علماء في عصرهم بمدينة بشاور . وكانت هي اقرب مدينة الى افغانستان . وهي مدينة تاريخية كبيرة تقع في اقليم الحدود الشمالي الغربي بباكستان .

تأثره بالشيخ العالم على ملاخان :

ومع الاسف لم يذكر السيد جمال الدين اسم ابي واحد من اساتذته ماعدا الاستاذ على ملاخان فان السيد جمال الدين ذكر اسم هذا الاستاذ الجليل مرارا في دروسه و حلقات درسه امام اصحابه وتلاميذه ولم يذكر اسم هذا الاستاذ فحسب وانما كان يذكر اسم هذا الاستاذ مفتخرا به كل الافتخار . يذكره في معضلات من المسائل وكان يقول : ان استاذي على ملاخان قال كذا في هذه المسألة وها انا ذا اتي ببعض الاقتباسات مما قال في شأن استاذه هذا . والحكاية ان السيد كعادته كان يلقي الدروس على اتباعه ومريديه وذات يوم قال في الاستانه لاحد المتلبسين بلباس العلماء . من عمة كالبرج وجبة كالخرج يا هذا اضعتم حقائق الدين بين سوء معقولاتكم وعدم تفهم منقولاتكم .

وكان السبب في هذا ان الرجل دخل الى مجلس جمال الدين وجلس في مكان رفيع فيه . من غير ان يدعى اليه فتركه السيد اجلالا لطيلسانه وعملا بعادته باحترام زائريه ولما كان البحث في ذلك المجلس دائرا على ما قالته المعتزلة . وما سببه اجتهاد القدرية والجبرية اندفع الشيخ المعمم مقاطعا لكل بحث وقول متصديا لشرح تلك الخلافات و النظريات التي عجزت عندها الفطاحل . وتجردت لها فحول علماء الكلام فتركه جمال الدين

يخوض ويهرف بما لا يعرف مظهرا له ارتياحا لكي يفرغ جعبته ويستنفد ما عنده . فطمع الشيخ واول صولة صالها على جار الله الزمخشري فطعنه به ما شاء ان يطعن ... الى ان قال :

هذا الرجل الزمخشري كل من قرأ كتابه الكشاف يخرج عن عداد اهل السنة ويكون من الملحدين .

فتنفر عند ذلك جمال الدين الصعداء وظهرت على وجهه علائم الامتعاض و التأثر على خلاف المعهود فيه مع زائريه فقال :

يا حضرة الشيخ هل لك ان ترشد الى مواقف الذلل التي ارتكبها جار الله الزمخشري فنتجنبها والى ما ارتكبه من الشطط الذي ادى به على زعمك الى الالحاد قال الشيخ : يكفي انه من المعتزلة وانه من المدافعين في تفسيره عن مذهب الجبرية . ويكفي لتكفيره ان العلامة ابن خلدون قال في مقدمته : يجب ان لا يقرأ كتاب التفسير للزمخشري وكل عالم يخالف ابن خلدون في اجتهاده هذا يكون مارقا من الدين مضلا ومضللا للمسلمين

عند ذلك وقف السيد تجاه الشيخ ووجه اليه عدة اسئلة طالبا الجواب وبدأ الشيخ يرد بما لا يرضي ولا يقنع وتأتى من ادلته انه من كبار المدرسين في المدرسة السليمانية ثم اتى السيد بأدلة باهرة . لم يتمكن الشيخ من الاجابة عليها . حتى قال له السيد : كنت فيما مر في حياتي وفي اول نشأتي اتعاهد جريي وراء العلماء للاستفادة من منقولاتهم ومعقولاتهم امر على مقامات اغربها وادهشها لقد انني عند ما كنت استفيد جملة من شيخي يهجم على الغرور فاتهجم على استاذي بتنقيد كلماته ولو من قبيل الصرف والنحو الذي تعلمته وعهدي ان ذلك فيه حديث فاخطئه احيانا بالعلمية والعجمة ووزن الفعل ...

ثم كانت تأخذني عزة الغرور من الجهل فاستكبر عن سؤاله عما جهلته من مثل

الفرق بين مذهب القدرية والجبرية والمعتزله . حتى اذا كنت يوما في حلقة درسه وكان احد رفاقي يشاكلني اذ ذاك في الغرور فخلط بحضرة استاذنا بين مذهب الخوارج والقدرية والجبرية والمعتزلة وجعلهم شيئا واحد غير مميز بين فرقة واخري . قال الاستاذ بلهجة ناصح : اولادي الاعزاء خذوا العلم ممن ادبه العلم فاحنى ظهره اجلالاله وانخفض بصره بساطع نوره وخفف صوته خشية ان يسكته من هو اعلم منه وفوق كل ذي علم عليم وبداء الاستاذ يشرح المعتزلة شرحا وافيا ثم شرح مذهب الجبرية شرحا دقيقا ... (١)

وبداء السيد يسدد الكلام الى ان وصل الى ان قال الاستاذ على منلاخان :

اما القضاء والقدر فيجب التنبه فيهما الى معنى التعريفات اذ كثيرا ما يظنون القضاء والقدر شيئا واحدا بالمعنى والمبنى وخيرالتعاريف : ان القضاء هو ما قدره الخالق سبحانه جملةفي اللوح المحفوظ بالتعينات الازليه . والقدر ما تنزل على الارض بالتدريج من ذلك المجموع واحدا فواحدا . حادثا فحادثا بشخص معلوم في زمن محدود بسبب معين كموت زيد في المرض الفلاني بالعلة الفلانية (٢) هذا ما قاله استاذنا واظن ان كل ذلك يا حضرةالشيخ هو من منسياتك في السليمانية .

ثم اتى الشيخ المذكور بكلام غير مقبول . واتى له السيد بكلام مفحم لم يتمكن الشيخ من الرد الصحيح المبنى على الادلة والبراهين الى ان قال له السيد :

ايها الشيخ المحترم ! ان موقفك اليوم كان عين موقفي تجاه استاذنا على منلاخان اذ كانت تشد اليه الرحال لحل المشكلات والمعضلات من اقطار الهند وبلاد الافغان الى

---

(١) خاطرات ــ المخزومي ص ٢٣٣ ــ ٢٣٤

(٢) نفس المصدر ص ٢٣٥

لاذكر لك ما قاله وما اجاد به و افاد فى هذا الموضوع الخطير .[(١)]

هذا بعد ان اختار الشيخ وطلب من السيد التوضيح وقد بداء السيد وذكرله كل ما اجاد به استاذه حتى قال له فى : هذا يا حضرة الشيخ ما قاله استاذنا على منلاخان واليه انتهت الرياسة فى المعقول والمنقول ومع ذلك لم يسلم من تصلف وتعنت بعض تلاميذه ...[(٢)]

الى ان قال له الشيخ : يا حضرة السيد ! ان اقوال مولانا استاذكم على منلاخان التى انسرت بها عقولنا و شرحت بها صدورنا لهما خير ما سمعته للان واعظم ماتاثرت به نفسى .[(٣)]

هذا هو استاذه على منلاخان مرة يصفه بالناصح الكريم واخري يبين مقامه فى العلم و ثالثة يجعله ملجاء لحل المشكلات والمعضلات فى اقطار الهند و بلاد الافغان ورابعا يجعله من الرؤساء فى المعقول والمنقول فهذه هى صفات عظيمة فى شان استاذ عظيم لتلميذ عظيم على لسان التلميذ الوفى السيد جمال الدين الا ان السيد لم يذكر بلد استاذه وكلما قال هو انه يشد اليه الرحال لحل المشكلات والمعضلات من اقطار الهند وبلاد الافغان ويظهر من هذا ان هذا العالم الجليل كان قريبا من بشاور اوعلى وجه التقريب بين بشاور و لاهور . ويظهر من الاسم ان هذا الاستاذ العظيم كان بختونيا (افغانيا) والله اعلم بالصواب .

---

(١) خاطرات المخزومى ص ٢٣٨

(٢) نفس المصدر السابق ص ٢٤٠

(٣) نفس المصدر السابق ص ٢٤١

المقصد السابع :

تلاميذ السيد المترجم لهم :

الامام محمد عبده .
الشيخ عبدالكريم سلمان .
ابراهيم اللقانى .
السيد الوفا القونى .
سعد زغلول باشا .
عبدالله نديم .
ابراهيم المويلحى .
محمد المويلحى .

حفنى ناصف
الشيخ نجيف
الشيخ عبدالرحمن قراعة
ابراهيم الهلباوي
اديب اسحق
ابوخطوة
محمود سامى البارودي

تلاميذ السيد :

كان للسيد تلاميذ كثيرة في اكثر البلاد التي نزل بها السيد الا ان اكثرهم كانوا من البلاد العربية ومن هؤلاء التلاميذ :

الشيخ محمد عبده . الشيخ عبدالكريم سلمان . ابراهيم اللقاني . السيد الوفا القوني . سعد زغلول . عبدالله نديم . قاسم امين . ابراهيم المويلحي . محمد المويلحي . حفني ناصف . الشيخ نجيت . الشيخ عبدالرحمن قراعة . ابراهيم لهلباوي . ابراهيم العجمي الصحفي المعروف . الحاج احمد شفيق . اديب اسحق . سليم النقاش . سعيد البستاني . سليم العنجوري . خليل اليازجي . محمد المخزومي . برهان الدين ابوخطوة . محمود سامي البارودي وغيرهم كثيرون .

وهؤلاء التلاميذ هم الذين قاموا بخدمة العلم والادب والاسلام والوطن بعد السيد جمال الدين وقد نفخ فيهم روحا لم تخمد وانما تركوا اثارا خالدة ابد الدهر .[1]

ويحسن ان نذكر تراجم بعض هؤلاء التلاميذ في الصفحات التالية :

التراجم بشيء من التفصيل لاشهر تلاميذ السيد .

الاستاذ الامام محمد عبده :

ولد سنة ١٢٥٨هـ (١٨٤٢م) وتوفي ١٣٢٣هـ (١٩٠٥م) .

ولد في قرية صغيرة من قرى مصر (محلة نصر) ووصل بجده واستعداده إلى ارقى

---

(١) الحكيم الثائر جمال الدين الافغاني . محمد سلام مدكور ١٩٦٢م القاهره ص٣٠

صاحب حق منصب الافتاء فى مصر .

اولا دخل كتاب القرية ، ثم ارسله والده الى الجامع الاحمدي فى طنطاء اقام فيه ثلاث سنوات، ثم ذهب الى الازهر والتحق به فقضى فيه عامين لم يستفد فيهما شيئا، وذلك لسوء طريقة التعليم كما يقول هو، فاختار لنفسه طريقة خاصة فاستلذ به العلم ، وبينما كان كذلك جاء السيد جمال الدين الى مصر عام ١٢٨٨هـ (١٨٧١م). فتتلمذ عليه وتخرج على يديه وصار من العلماء الكبار بفضله ، وتقلب فى بعض المناصب العلمية بين تدريس فى المدارس الاميرية، وتحرير فى الوقائع المصرية، وكتابة الدوائر الرسمية ، حتى كانت الثورة العرابية واتهم بالاشتراك فيها ، ونفى الى سوريا، واقام بها مدرسا ، ثم ذهب منها الى باريس بناء على دعوة استاذه السيد جمال الدين للاشتراك فى اصدار مجلة العروة الوثقى ، وهناك تعلم شيئا من اللغة الفرنسية ، ولما عفى عنه عاد الى القاهرة وتولى القضاء ثم مستشارا فى محكمة الاستئنا ف وعضوا فى مجلس ادارة الازهر وفى ١٣١٧هـ (١٩٠٠م) عين مفتيا للديار المصرية، وما زال فى هذا المنصب حتى توفى ١٣٢٢هـ (١٩٠٥م)

وكان يحمل لواء الاصلاح الدين فى العالم الاسلامى ، وقضى حياته فى تنقية الدين من الشوائب والخرافات التى طرات عليه ، وحاول لتقريب المسلمين من اهل التمدن الحديث يستفيدوا من المدينة الحديثة وسعى الاصلاح طرق التعليم ، وكان هو السبب فى انشاء مدرسة القضاء الشرعى ، وكان صريحا فى فتاواه الدينية ، وكان حرا فى تفسيره للقران الكريم ، وقال فى مرضه الاخير :

ولست ابالى ان يقال محمد	ابل او اكتظت عليه لمأتم
ولكن دينا قد اردت صلاحه	احاذر ان تقضى عليه العمائم (١)

ويكفى لعظمة الشيخ محمد عبده ما قال السيد جمال الدين لتلاميذه عند ما كان يرحل من مصر ١٨٧٩م :

« لقد تركت لكم الشيخ محمد عبده وكفى به لمصر عالما ». (١)

الشيخ عبدالكريم سلمان :

تتلمذ على السيد جمال الدين وكان هو والاستاذ الامام اكثر تلاميذ الحكيم ملازمة له ولقد تشرب بمشرب السيد جمال . ثم تلميذا للامام بعد نفى السيد من مصر فنهج منهجه وعمل معه فى تحرير الوقائع المصرية سنة ١٨٨٠ م (١٢٩٦هـ) ثم رئيسا لها فى سنة ١٨٨٢م (١٢٩٨هـ) ثم عين عضوا فى المحكمة الشرعية العليا ثم مفتشا اول فيها الا انه اثر الحوادث التى تلت الحركة العرابية اراد ان يتنصل من خلطته . ومن الانتساب الى استاذه ليكون فى ما من . من انتقام الحكام . ولكنه كان يعود الى حظيرة الامام الحينة بعد الحينة . ويظهر هذا من موقفه منذ ايام اصلاحاته فى الازهر . فقد وقف الى جانبه وامده بالتشجيع والتأييد . (٢)

ابراهيم اللقانى :

هو من رجال المحاماة والادب المحدودين ولقد برع فى الادب وفاق غيره ووصل

---

(١) الف مشاهير الشرق — جرجى زيدان ج ١ ص٣٠٠ — ٣٠٢
ب — جمال الدين الافغانى باعث النهضة الفكرية فى الشرق ص٣٣٦ ، ٣٣٧ —

(١) الاسلام والتجديد فى مصر — ادمز — (الترجمة العربية) ص ٢٠
(٢) الف — جمال الدين الافغانى باعث النهضة الفكرية فى الشرق ص ٢٣٧
ب — الاسلام والتجديد فى مصر — ادمز ص ١٦٦

فى المحاماة ما لم يصله سواه فى زمنه، وكان من قادة النهضة التى يتركزت حول جمال الدين و باعث روحها، ومن اقدر كتابها وخطبائها وقد حوكم اثر الثورة العرابية ونفى من مصر ؛ فذهب مع الامام محمد عبده الى بيروت و اقام بها الى ان سمح له بالعودة الى وطنه وفى اخر ايامه حال المرض بينه وبين ان يساهم فى شئون البلاد ؛ فلم يبلغ ما يستحق من الشهرة والمجد . (١)

السيد الوفا القونى :

كان السيد وفا عالما جليلا ، وتلميذا للحكيم، مخلصا مجيدا، ثم تتلمذ على الامام، و اشترك معه فى تحرير الوقائع المصرية، وعمل فى صفه على خطة السيد جمال الدين عاملا بها مدافعا عنها، حتى عاجلته المنية . (٢)

سعد زغلول باشا :

درس سعد زغلول باشا فى الازهر على الشيخ محمد عبده، ثم حضر بعد ذلك دروس السيد جمال الدين مع من حضرها من تلاميذ الامام ؛ ولكنه كان فى اول عهده بالدرس فلم يكن مهيئا للاستفادة الى حد كبير من الدروس العالية التى كان يقرؤها السيد جمال فى الفلسفة والتوحيد اضف الى هذا ان حضوره هذه الدروس لم يطل عهده ولم يمكث وقتا طويلا لأن السيد جمال الدين اضطر الى الخروج من مصر فى سنة ١٨٧٩م (١٢٩٥هـ) منفيا الى الهند . ومع هذا فقد افاده الاتصال بجمال الدين فى نواح اخرى فنجاحه فى الخطابة و

---

(١) الف ٠ ب ـ نفس المصدرين ص ٢٣٨ ٠ ص ٢٠١

(٢) جمال الدين الافغانى ـ باعث النهضة الفكرية فى الشرق ص ٢٣٧

السياسة انما يرجع الى المبادئ التى تلقنها من السيد جمال الدين ، ولقد عمل سعد زغلول باشا فى الوقائع المصرية واشتغل بالمحاماة ثم بالقضاء ، ثم عين مستشارا ، وتنقل فى المناصب العالية من وزارتى المعارف والحقانية وعين رئيسا للنواب و رئيسا للوفد المصري الذي عمل على تكوينه ثم رئيسا للوزارة ولقد نفى الى خارج القطر . (١)

عبدالله نديم :

هو عبدالله بن مصباح بن ابراهيم وينتهى نسبه الى ادريس الاكبر من اسباط الحسن بن على ، ولد بالاسكندرية سنة ١٢٦١هـ (١٨٤٣م) فحفظ القران الكريم قبل ان يبلغ التاسعة ، ثم ادخله ابوه مدرسة جامع الشيخ ابراهيم باشا فأتقن الفقه الشافعى و الاصول والمنطق وعلوم الادب اللسانية وهو فى سن المراهقة واخذ يقول الشعر فى هذا العمر .

وكان جريئا مقداما حريصا على العلم والادب مع ذكاء وصحة طبع فلما اتصل بالسيد جمال الدين اعجبه مجلسه ، وأولع بحديثه فتمسك بتعاليمه ومبادئه طوال حياته و برع فى الخطابة حتى اصبح فيما بعد خطيب الثورة العرابية كما كان كاتبا قديرا ، وشاعرا بليغا ، وزجالا بارعا ، ومؤلفا نافعا .

اشتغل بالتجارة ثم عاد الى الادب والسياسة فاتصل بجمعية (مصر الفتاة) و كتب فى جريدتى (مصر) و (التجارة) ثم ترك الجمعية هو وصاحبا الجريدتين لانها سرية واسسوا الجمعية الخيرية الاسلامية وكتب فى جريدة "المحروسية" و "العصر الجديد" اللتين اصدرهما سليم نقاش عقب مصادرة (مصر التجارة) ثم انشاء جريدة (التنكيت ،

(١) جمال الدين الافغانى ـ باعث النهضة الفكرية فى الشرق ص ٢٣٩

التبكيت) وهى جريدة اسبوعية ثم استبدلها بالطائف وكانت سياسية محضة · ولقد نفى الى يافا مع علماء الامام بسبب الثورة العرابية ثم عفى عنه فعاد الى القاهرة · وانشاء مجلة الاستاذ الا انها صودرت ونفى هو الى يافا ثانيا ثم جاء الى الاسكندرية بأمر السلطان ثم سافر الى الاستانة وهناك التقى بأستاذه فاعجب به السيد جمال وقد اكسبته تلك الحوادث خبرة بالسياسة وقوة وكان السيد يقول عنه ما رأيت مثل النديم طول حياتى فى توقد ذهنه وصفاء قريحته وشدة عارضته ووضوح دليله ووضعه الالفاظ وضعا محكما بازاء معانيها الى خطب اعد اوكتب مات عو بمرض السل الرئوي سنة ١٨٩٦م واحتفل بتشييع جنازته احتفا لا رسميا وسار بها كبار المشيعين يتقدمهم السيد جمال الدين الافغانى · وكان ذلك بالاستانه · وفى موته اقوال لا داعى الى ذكرها هنا ·(١)

ابراهيم المويلحى : (١٢٦٢هـ ــ ١٣٢٣هـ) (١٨٤٦م ــ ١٩٠٦م)

كان من تلاميذ السيد جمال الدين · وفى الاول اشتغل بالتجارة ولكن ميله الى الادب كان كثيرا وكان له السيد فى انشاء المطبعة باسم الجمعية التى كانت تعرف باسم جمعية المعارف · وبسبب تلمذته للسيد الافغانى اتصل بالحركة السياسية والحركة التى ظهرت فى عهد اسماعيل كان له فيها دور فعال · وكان عضوا فى مجلس النواب وكان دائما يقظا لاعمال مجلس النواب الا ان اسماعيل باشا اماله ولما ابعد اسماعيل من مصر ·

---

(١) الف ــ مشاهير الشرق ــ جرجى زيدان ج ٢ ص ١٠٥ · ١٠٦
ب ــ جمال الدين الافغانى ــ باعث النهضة الفكرية فى الشرق ص ٢٤٢ · ٢٤٣
ج ــ جمال الدين الافغانى ــ محمد ابوريه ص ١٦٠ · ١٦١

وذهب الى ايطاليا طلب اليه ابراهيم المويلحى فذهب اليه بناء على دعوته واشتغل عنده سكرتيرا خاصا له . وقام هناك بانشاء جرائد مختلفه مثل الاتحاد الانباء وكان من يساعد جمعية العروة الوثقى . وقيل انه اشترك فى الكتابة فى مجلتها وبعد ذلك ذهب الى الاستانة وعين هناك عضوا فى مجلس المعارف . وكان ذلك عام ١٨٨٥م (١٣٠١هـ) ومكث هناك تسع سنوات واثناء ذلك التقى بأستاذه الجليل السيد جمال الدين الافغانى ثم جلد عاد الى مصر وبدأ يكتب مقالات رائعة فى الادب والسياسة والاجتماع ثم قام بانشاء مجلة مصباح الشرق وما زال هكذا يخدم الادب عامة والصحافة العربية خاصة وهذه المجلة الاسبوعية كانت من المجلات الادبية السياسية والاجتماعية الرائعة واخيرا توفى فى ٢٩ يناير ١٩٠٦م (١٣٢٣هـ) .[1]

محمد المويلحى :

محمد المويلحى بك هو ابن المرحوم ابراهيم المويلحى بك . درس الادب على والده ولم يكد يصل الى البلوغ حتى اتصل بالسيد جمال الدين وتلميذه الشيخ الامام محمد عبده وقد استفاد من هذين الاستاذين الجليلين ايما استفادة فى الادب والسياسة و الاجتماع وقد تعلم اللغة التركية واجادها اجادة تامة كما تعلم بعض اللغات الاوربية ايضا . وكانت استفادته فى الادب تفوق باقى النواحى . ولذا برع فى الادب وصار من الاعلام فيه وكان كلامه صافى الديباجة فصيح اللفظ متين السجع بليغا رزينا يكتب فيبهر ومن اهم ما ترك لنا من اثاره الادبية الرائعة هو كتابه عيسى بن هشام وقد نشره منجما

---

(١) الف ـ جمال الدين الافغانى . باعث النهضة الفكرية فى الشرق ص ٢٤٠ . ٢٤١

ب ـ مشاهير الشرق ج ٢ ص ١١٣ ـ ١١٨

فى صحيفة مصباح الشرق وهى الصحيفة التى كان يحررها مع والده ٠ وله وكتاب اخر هو كتاب علاج النفس واخيرا توفى عام ١٩٣٠م ٠[(١)] (١٣٤٧هـ) ويكفيه فخرا انه عندما الف كتابه عيسى بن هشام وارسل الى السيد ليطلع عليه ٠ فكتب اليه السيد جمال الدين الخطاب التالى تشجيعا له على الاعمال الادبية الراقية ولاهمية كتاب السيد الى محمد المويلحى رأينا الاتيان به بالنص وهو :

حبيبى الفاضل

تقلبك فى شئون الكمال يشرح الصدور الحرجة من حسرتها وخوضك فى فنون الاداب يديج قلوبا علقت بك امالها وليس بعد الارهاص الا الاعجاز ٠ ذلك يومئذ التحدي ولقد تمثلت اللطيفة الموسوية فى مصر كرة اخري وهذا توفيق من الله تعالى فاشدد ازرها وابرم بما اوتيت من الكياسة والحذق امرها حتى تكون كلمة الحق هى العليا ٠

ولا تكن كالذين غرتهم انفسهم بباطل اهوائها وساقتهم الظنون الى مهواة شقائها ٠ وحسبوا انهم يحسنون صنعا ويصلحون امرا ٠ وكن عونا للحق ولو على نفسك ولا تقف فى سيرك الى الفضائل عند عجبك لانهاية للفضيلة ولاحد للكمال ولا موقف للعرفان وانت بعزيزتك السامية اولى بها من غيرك ٠ والسلام ٠[(٢)]

جمال الدين الحسينى الافغانى

حفنى ناصف (١٨٥٦ــ ١٩١٩م) (١٢٧١هـ ــ ١٣٣٩هـ)

درس حفنى ناصف فى الازهر واثناء ذلك اتصل بالسيد جمال الدين الافغانى

---

(١) جمال الدين الافغانى باعث النهضة والفكرية فى الشرق ص ٢٤١

(٢) جمال الدين الافغانى باعث النهضة الفكرية فى الشرق ص ١١٤ ٠ ١١٥

وتلميذه الشيخ محمد عبده وقد برز في ميدان الادب وقد استفاد من هذين الاستاذ ين الكبيرين استفادة كاملة حيث يقول هو بنفسه : كنا نجد في انفسنا من سماع خطب السيد جمال الدين الافغاني ان الواحد منا جديد باصلاح مديرية او اصلاح مملكة .

وقد بذل حفني ناصف مجهودا جبارا في خدمة الادب العربي ولم يتوان دقيقة في هذا الميدان . وكان قد اختير سكرتيرا لوفد العلماء المصريين الذين ندبوا للاشتراك في مؤتمر المستشرقين المنعقد فينا عام ١٨٨٦م (١٣٠٠هـ) وقدم بحثا قيما الى هذا المؤتمر ثم تولى مناصب هامة في وزارة التعليم بصفة المفتش الرئيس كما تولى القضاء في المحاكم الاهلية واشتغل استاذا للبلاغة في مدرسة الحقوق وللادب العربي في الجامعة المصرية التي انشئت سنة (١٩٠٩ـ ١٩١٠م) (١٣٢٦ـ ١٣٢٧هـ) وقد الف كتبا عديدة في النحو والبلاغة والانشاء وكانت قد قررت في المدارس المصرية كما طبعت له محاضرات في الادب العربي التي كان قد القاها في الجامعة المصرية وكان بالحق علما من اعلام الادب ولم يكتف بهذا فحسب وانما ربى اولاده ايضا على حب الادب والتوسع فيه وكان حقا من بلغه باعث النهضة الادبية العربية الحديثة في مصر ويكفي ان الشاعرة والاديبة المصرية الكبيرة باحثة البادية كانت بنته . (١)

الشيخ نجيت :

كان قد درس في الازهر ثم اصبح من تلاميذ السيد جمال الدين الافغاني وكان زميلا للشيخ محمد عبده . وقد تقلد مناصب كثيرة ولما توفي الشيخ محمد عبده فعين الشيخ

(١) الف ـ الاسلام والتجديد في مصر . ادمز ص ٢٠٣ . ٢٠٤
ب ـ جمال الدين الافغاني باعث النهضة الفكرية في الشرق ص ٢٣٩

نجيت مفتيا للديار المصرية . وكان عالما كبيرا فى مختلف العلوم الشرعية وكان قد عمر حوالى مائة سنة وخلال هذه المدة كان يشتغل بالعلم ويظهر انه لم يكن له دور فعال فى حركة الاصلاح . وقد اخرج عام ١٩٢٩م (١٣٤٦هـ) كتابه حقيقة الاسلام واصول الحكم . ردا على كتاب علی عبد الرازق عن الخلافة . (١)

الشيخ عبد الرحمن قراعة :

هو عالم كبير وقد كان تلميذا للسيد جمال الدين الافغانى . وتلميذه الشيخ محمد عبده . وقد تولى المناصب العالية حتى وصل الى منصب الافتاء . وكان الشيخ محمد عبده ينظر اليه نظرة خاصة حتى قال مرة فى وصفه انه اصغر اخوته و اكبر ابنائه وقد اشترك معه فى حركة الاصلاح وقضى اكثر حياته فى خدمة العلم والدين . (٢)

ابراهيم الهلباوي :

اتصل الهلباوي بالسيد جمال الدين وتتلمذ عليه وكان صاحب مقدرة وذكاء حيث جعل الشيخ محمد عبده يختاره لان يعاونه فى تحرير الوقائع المصرية مع من اختاره الشيخ محمد عبده وقد شارك الامام فى الجمعية الخيرية ايضا وكان له فى ذلك دور ايجابى فعال وكان يناصر قاسم امين فى قضية المرأة المصرية والدفاع عنها .

وبقى الهلباوي يقوم بدوره فى النهضة العلمية والادبية حتى عهد الاحتلال حيث تغير قليلا ومال الى الانجليز الا انه سرعان ما ادرك الحقيقة وعاد الى خطته الاولى

---

(١) المصدرين السابقين ص ١٩٩ . ص ٢٣٨

(٢) ايضا ص ١٩٩ . ٢٠٠ ص ٢٣٨

وبداء مع من كانوا ينادون بالدستور ، وبجانب هذا كان من كبار المحامين وكان نقيبا للحامين في مصر.[١]

اديب اسحق : (١٨٥٦ـ ١٨٨٥م) (١٢٧١ـ ١٣٠١هـ)

ولد في دمشق في ٢١ يناير عام ١٨٥٦م (١٢٧١هـ) وتلقى انمبادئ الاولى من العلوم وتعلم شيئا من العربية والفرنسية ، وقد نظم الشعر وهو دون العاشرة ولظروف ولظروف عائلية ترك الدراسة واشتغل موظفا ، واثناء ذلك تعلم اللغة التركية وفي الخامسة عشر من عمره جاء الى بيروت ، وتعرف فيها بجماعة من الادباء والشعراء ، واشتغل في الجمرك الا انه كان مائلا الى الادب فتولى تحرير جريدة "التقدم" ثم دخل جمعية "زهرة الاداب" حتى عين رئيسا لها يلقى فيها الخطب البليغة ، وينظم القصائد الرائعة وفي عام ١٨٧٥م (١٢٩١هـ اشترك مع سليم الخوري في انشاء "الاد هار" وقام بعمل ادبي رائع بالتعريب من الفرنساوية و اشترك مع صديقه سليم نقاش في تاليف بعض الروايات والتعريب وفي هذه الايام قدر له ان جاء الى القاهرة فلزم حلقة السيد جمال الدين الافغاني ، واخذ عنه دروسا في الفلسفة الادبية والعقلية والمنطق . فتاقت نفسه الى انشاء جريدة فانشاء جريدة "مصر" ثم "التجارة" وبعد الغائهما من قبل الحكومة ذهب الى باريس واعاد فيها جريدة "مصر" وسماها "القاهرة" وكتب فيها فصولا متناهية إلى البلاغة ، وحضر المجتمعات الكثيرة واطلع على المخطوطات العربية في باريس ، وهناك في باريس من شدة البرد اصيب بمرض الصدر ، وعاد الى بيروت ثم جاء الى مصر وعين ناظرا لقلم الانشاء والترجمة بنظارة المعارف ، وعين ايضا سكرتير المجلس النواب ، وبسبب الحوادث العسكرية في مصر سافر الى بيروت وفي بيروت تولى تحرير "التقدم" للمرة الثالثة . وفي اثناء ذلك اشتد عليه المرض وجاء الى القاهرة استشفاء بهوائها ، ثم عاد الى الاسكندرية ثم ذهب الى بيروت حتى وافاه الموت عام ١٨٨٥م (١٣٠١هـ) ، وكان عمره حوالى ثلاثين عاما .[٢]

---

(١) المصدرين السابقين ص ٢٠٢ ، ٢٤٠

(٢) الف ـ مشاهير الشرق ج ٢ ص ٧٥ ـ ٧٨

=

ابو خطوة :

كان من علماء الازهر درس اولا فى الازهر وتتلمذ على السيد جمال الدين ٠ وتقلد مناصب عديدة ٠ من قاضيا فى المحاكم الشرعية ٠ ومدرسا فى الازهر وصار واحدا من علماء المذاهب الاربعة الكبار الذين اعلنوا بكل صراحة تأييدهم لاشهر فتاوي الامام ٠ وساندوه فيها وهى الفتوي الشهيرة المعروفة بفتوي الترنسفال التى كانت سببا فى اثارة المعارضة وفى الحقيقة كان الشيخ ابو خطوة ساعدا قويا للامام محمد عبده ٠ وذلك بعد ان توفى السيد جمال الدين حكيم الشرق ٠ وحكيم الاسلام ٠ وانتقل زمام حركة النهضة الشاملة فى مصر الى العالم الجليل والمصلح الدينى الكبير والمفتى الاعظم وتلميذ السيد جمال الوفى الاستاذ الامام محمد عبده الذي كان يفتخر به السيد فى جميع المجالات من الدين والادب والسياسة والاجتماعية ٠ وحقا كان الشيخ محمد عبده تلميذا وفيا للسيد جمال ٠ وحقا كان خلفا صالحا للسيد وحقا كان وارثا لعلمه وفضله ٠ وكان يحق لكل واحد من الاستاذ والتلميذ ان يفتخر بالاخر ٠ وكان حقا تلميذا وفيا للسيد بمعنى الكلمة حيث كان يقول ما يقول فى شأن استاذه معتزا بما تعلم منه من العلوم ٠ ومعتزا بما وهبه من [illegible] (٢ تنين: [illegible] الاخلاق تطوى للاستاذ والتلميذ ٠ وحقا كان ابو خطوة خير تلميذ للا

محمود سامى البارودي : (١٢٥٥ ــ ١٣٢٢هـ) (١٨٤٠ ــ ١٩٠٤م)

ولد فى سرايه بباب الخلق فى القاهره ٠ وتلقى المبادئ الاولى من العلوم فى

ب ــ جمال الدين الافغانى باعث النهضة الفكرية فى الشرق ص ٢٤١ ــ

(١) جمال الدين الافغانى ــ باعث النهضة الفكرية فى الشرق ص ٢٣٧

المدارس الحربية . وكان من الصغر يميل الى الادب والشعر . فرغب فى اداب اللغة العربية فاحرز منها شيئا كثيرا . وصار من الشعراء المجيدين مع قلة الشعراء النابغين فى ذلك الوقت . ففى الواقع هو من اقوي اركان النهضة الشعرية الاخيرة بمصر . وهو يعد الزعيل الاول فى هذا الميدان . وذهب الى الاستانه وكان يتكلم اللغة التركية فانتظم فى كتابة السد بنظارة الخارجية وقد تبحر فى ادب اللغة التركية وشعرها وتعلم الفارسية ولما ذهب اسماعيل باشا الى الاستانه عام ١٨٦٣م (١٢٧٩هـ) رجع معه ودخل فى الخدمة العسكرية فترقى الى رتبة بكهة بكباشى ثم الى رتبة قائمقام ثم الى رتبة امير الاي واشترك فى اخماد ثورة كريد عام ١٨٦٨م (٤-١٢٨٣هـ) وبعد العودة الحق بالحرس الخديوي (الياوران) ثم عين كاتب السد الخاص للخديو ثم عاد الى العسكرية والظفر و اشترك ~~[illegible]~~ فى حرب بين الدولة العلية والروس عام ١٨٧٧م (١٢٩٣هـ) وترقى بعد الرجوع الى رتبة لواء وفى عام ١٩٧٩م (١٢٩٥هـ) عين مديرا للشرقية وفى عهد توفيق باشا عين وزير للاوقاف . وبعد الثورة العرابية نفى الى جزيرة سرانديب بسيلان وبقى مدة هناك وفى الاخير عاد الى مصر وتوفى فى ١٢ ديسمبر ١٩٠٤م (١٣٢٢هـ) وقد كف بصره .

ولا ننس انه كان قد تتلمذ على السيد جمال الدين الافغانى حينما كان السيد فى مصر من عام ١٨٧١م الى عام ١٨٧٩م (١٢٨٧-١٢٩٥هـ) ويقول فى ذلك الاستاذ عمر الدسوقى :

ولا نستطيع ونحن نتكلم عن الحياة العقلية فى عصر البارودي ان نغفل شخصية علمية كان لها اكبر الاثر فى حياة شاعرنا الاوهى شخصية السيد جمال الدين الافغانى

فعلى الرغم من ان شخصيته السياسية طغت على شخصيته العلمية الا ان اثره في الادب العربي الحديث اجل من ان يهمل ٠

ويقول ايضا الى مجلس اخر باحدا لمقاهي ساعة كل يوم حيث يلتف حوله اغاط شتى من الراغبين في التزود من علمه وفكره يجلسون اليه ويطرحون عليه اسئلة في مختلف الموضوعات ٠ وهو يجيب اجابة العالم المحقق لا يسأم من الكلام فيما ينير العقل او يطهر العقيدة او يذهب بالنفس الى معالي الامور او يستلفت الفكر الى النظر في الشئون العامة مما يمس مصلحة البلاد وسكانها فاستيقظت مشاعر وتنبهت عقول ٠ وخف حجاب الغفلة في اطراف متعددة من البلاد خصوصا في القاهرة ٠

وفي هذه الحلقة انشئت مدرسة غير متيدة بمنهج او كتاب ولكنها كانت روحا هان مشعة تبدد دياجير الغفلة وتحيى العزائم الميتة وتلهب الارادات الخامدة وتفتح الاذ المغلقة وفيها تخرج البارودي والمويلحي ومحمد عبده وابراهيم اللقاني وسعد زغلول وعلى مظهر واديب اسحق وغيرهم ٠

هكذا تتلمذ البارودي على السيد الافغاني ٠ وبالاضافة الى السياسة كان البارودي محبا للادب مطبوعا على الشعر وشعره من الطبقة الاولى بين شعراء العصر بمصر ٠ وكلهم يعترفون له بالتقدم والفضل وله منظومات رنانة ومنها ما جري مجري الامثال ٠ (١)

هكذا كانت تلاميذ السيد جمال الدين وهذه تراجم مختصرة عن حياتهم وكل كان دعامة من دعامات العلم والادب والسياسة والدين ٠ وترجمة كل واحد كانت تطلب

---

(١) الف ـ مشاهير الشرق ـ جرجي زيدان ج ٢ ص ٣٢٣ ـ ٣٢٧

ب ـ محمود سامي البارودي ـ عمر الدسوقي ـ مصر ص ١٦ ٠ ١٧

صفحات بل مجلدات ضخمة لان كل واحد منهم كان صورة مصغرة للسيد الافغاني . وكل واحد كان يحاول ان يمشي في طريق اخذ من استاذه الحكيم الجليل وفي الواقع خلق السيد الافغاني في مدة ثماني سنوات اخيرة التي قضاها في ربوع مصر جيلا من التلاميذ اخذوا في النهضة العلمية والادبية والسياسية والاجتماعية التي وضع اساسها السيد بيده المباركة في ارض مصر وتربتها الصالحة لتنبت فيها هذه البذور ... بذور النهضة المباركة في جميع الميادين وتكبر وتقوم على سوقها .. ثم تكبر وتكبر فتاتي بثمارها يانعة ناضجة وقد قام هذا الجيل كل بما خلق له وجهزله وادي رسالته خير قيام وادىٔ الواجب نحو بلاده وابنائه خير اداء . ولا زالت اثارها تاتي كل يوم وتظهر في كل مناسبة . ولايمكن ان يسير ركب النهضة الدينية والادبية والسياسية الى الامام الا والسيد قائد هذا الركب ولا يمكن لكاتب او مؤرخ او اديب ان يكتب او يتكلم الا يذكر في الاول ذلك الشخص الكبير والفيلسوف العظيم والسياسي العظيم والخطيب المصقع . الا وهو السيد جمال الدين بصورة الحقيقة الكلية التي اخذ منها كل حسب استعداده . وليس هذا مبالغة مني وانما هو الواقع . خذ اي كتاب في التاريخ عن النهضة الدينية والادبية واليقظة السياسية في البلاد العربية والاسلامية عامة والمصرية خاصة تجد القائد هو السيد جمال الدين ومعه او بعده تلاميذه . وليس هذا في مصر فحسب وانما له تلاميذ في كل من ايران . وتركيا وغيرهما من البلاد الا ان الاثر الذي تركه في مصر لم يتركه في اي بلد اخر . وان قام في كل بلد اسلامي بل غير اسلامي بعمل جليل خلد ابد الدهر . وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء .

المقصد الثامن

مؤلفات السيد ورسائله :

تتمة البيان في تاريخ الافغان

الرد على الدهريين

العروة الوثقى

القضاء والقدر

مباحثاته مع الرينان

مقالاته على المذهب البابي

مقالاته في ضياء الخافقين

مقالات جماليه

خاطرات

مقالاته في ادنبرا ريويو

رسائله الى الشخصيات والاصدقاء

مؤلفات السيد الافغاني :

ان السيد جمال الدين الافغاني قد جعل نصب عينيه خدمة الدين الاسلامي واختار لذلك اصعب الطرق/صعب وعر المسالك ولذا كنت تراه ينفى من بلد الى بلد . و يؤتى بالعراقيل امامه . وما كان عنده متسع من الوقت لتأليف الكتب ومع ذلك قد الف بعض الكتب نأتي بذكرها بالاختصار .

تتمة البيان في تاريخ الافغان :

كتب السيد الافغاني هذا الكتاب في تاريخ الافغان وفي تاليفه استفاد من المراجع الفرنسية بالاضافة الى المراجع الاخري . ونشر في الاول عام ١٩١٠ من مصر . وقد ترجمه ابو المحاسن محمودعلى خان عام ١٣٤٢هـ (١٩٢٥م) ونشر من مطبعة صوفي بلاهور .

وفي هذا الكتاب قد ذكر التحقيق في افغان واصله وذكر الاراء المتعددة المختلفة ثم ابدي رأيه فيه وذكر الحروب التي دارت في افغانستان من قديم الزمان . وذكر عادات واخلاق الافغانيين وبعض الشخصيات الشهيرة من القواد والعلماء والمشائخ . ونظام الحكم وغير ذلك بالتفصيل . لايمكن ان يذكرها الا اذا كان الكاتب والمؤلف افغانيا من صميمه ويمكن معرفة ذلك معرفة صحيحة بعد الاطلاع على هذا الكتاب من اوله الى اخره وتصفحه تصفحا دقيقا ويعرفه بالدقة جيدا اذا كان القارئ ايضا افغانيا بجتونيا ادرك عادات واخلاق و تقاليد الافغانيين وعاش بين ظهرانيهم ويمكن الرجوع الى المقالة الملخص الذي ذكرته في هذه الرسالة . (١)

---

(١) مقام جمال الدين الافغاني (اردو) ص ٢٥٨

الرد على الدهريين :

كتب السيد هذه الرسالة رد نيجريان في اللغة الفارسية حينما كان في حيدر اباد دكن بالهند بعد ما نفى من مصر . وذلك بناء على طلب من مولوي محمد واصل وكتبه في الرد على جماعة الدهريين الذين قاموا بدعاية تعاليم الدهرية بناء على تشجيع من قبل الانجليز الذين كانوا يريدون ان يبعدوا المسلمين عن اسلامهم بأي طريقة كانت . ثم ترجمها الى اللغة العربية الشيخ محمد عبده بارشاد من السيد جمال الدين . ونشرت مع مقدمة للشيخ محمد عبده من مصر .

ويتضمن رد السيد جمال على الدهريين ثلاثة امور رئيسية :

١ـ بيان ضرورة الدين للمجتمع .

٢ـ بيان خطر انتشار المذهب الطبيعي على المجتمع

٣ـ مزية الاسلام كعقيدة ودين على الاديان .

وقد شرح السيد جمال الدين هذه الامور الثلاثة شرحا وافيا يعرف به القارئ مدي سعة افق السيد وتبحره العلمي وتمكنه من الفلسفة . ويعرف مدي غيرته على الدين الاسلامي ويعتبر هذه الرسالة من اكبر خدمات السيد الدينية في القرن التاسع عشر وسيأتي تفصيل هذا في بابه تحت عنوان خدمات السيد الدينية ان شاء الله تعالى .(١)

العروة الوثقى :

اصدر السيد الافغاني في معية الشيخ محمد عبده هذه المجلة من باريس ولم يصدر

---

(١) الف ـ المصدر السابق ص ٢٥٩

ب ـ مضامين جمال الدين الافغاني ـ مولانا عبد القدوس ص ٢٨

منها الاثنانية عشرعددا ولم يكتب في اخر المقال اسم الكاتب . ولذا لا يمكن القول بالتأكيد بأن هذا المقال للسيد وذلك للشيخ محمد عبده . وقد صدرت من مصر في صوره كتاب في مجلد ضخم من دار العرب للبستاني عام ١٩٥٧م (١٣٧٥هـ) .

وعلى كل فان جميع الافكار في هذه المجلة هي من مفكورة السيد جمال الدين . اما الالفاظ فبعضها للسيد وبعضها للشيخ محمد عبده وهذه مجلة كلها قنابل وقذائف و شواظ من النار على السياسة البريطانية في الشرق . وفيها ايقاظ وتنبيه للشرقيين عامة و المسلمين خاصة عن نوم الغفلة ودعوتهم الى التوحيد والعودة الى القران الكريم وتعاليمه الصافية والعمل بما فيها ومن اعداد القوة لمقاومة الاعداء وارهابهم كي تعود للاسلام شوكته وعظمته من جديد كما كانت زمن الخلفاء الراشدين . وعلى الاقل زمن العباسيين في عصرهم الذهبي الاول . ولكونها على هذا النوع من الاثارة خاف الانجليز على سلطانهم وحاولوا المصادرتها وقد نجحوا في هذه المحاولة وصودرت الا ان الاعداد التي كانت قد صدرت ايقظت المسلمين من النوم ولا زالت توقظهم و ستوقظهم الى الابد .(١)

<u>القضاء والقدر :</u>

رسالة مختصرة نشرت من مصر مع مقدمة مختصرة وترجمة وجيزة وفي الاول كتبها السيد ونشرها في مجلة العروة الوثقى .

وقد القى السيد الضوء على عقيدة القضاء والقدر وبين كيف ان هذه العقيدة و العمل بها صافية عن الشوائب سبب للدعم والقوة والجرأة والاقدام والعمل المتواصل .

---

(١) المصدر السابق ص ٢٥٨ . ص ٢٩

وان من ترك العمل بها صار الى الذل والمسكنة والخضوع والفقر والعبودية والاحتقار .[١]

مباحثاته مع رينان :

هذه مجموعة ما دارت بين السيد وبين الفيلسوف الفرنسي رينان في " الاسلام والتمدن " و" الاسلام والعلم " ونشرت هذه باسم " الاسلام والعلم " مع تصانيف رينان كما قام حسن افندي عاصم بترجمة مقال رينان و ردود السيد الى اللغة العربية ونشرت في مصر وترجمها الى الاردية قاضي احمد ميان اختر جوناكرهي و [illegible] نشرت باسم الاسلام من مطبعة المعارف اعظم كره عام ١٩٣٥م (١٣٥٣هـ) .[٢]

مقالاته على المذهب البابي :-

وهي مجموعة المقالات التي كتبها السيد على المذهب البابي وتوجد في دائرة المعارف المطبوعة في بيروت عام ١٨٨١م (١٢٩٧هـ) .[٣]

مقالات السيد في ضياء الخافقين :

اصدر السيد جمال الدين هذه الرسالة ضياء الخافقين . ايام كان في لندن للمرة الاخيرة وكانت تصدر باللغة العربية واللغة الانجليزية وكتب السيد جمال الدين فيها مقالات عديدة لم تنشر في صورة كتابية الى الان .

وكانت هذه المقالات اكثرها ضد الشاه ناصر الدين قاجار وكان السيد يبين فيها

---

(١) المصدر السابق . ص ٢٥٩

(٢) ايضا ص ٢٥٩

(٣) ايضا ص ٢٥٩

مفاسده فى ايران وسوء حالة ايران ويهاجم على الشاه ويدعو الى خلعه . وكانت اشد من اختها العروة الوثقى لان السيد هو الذي كان يكتب المقالات العربية بنفسه وكانت لهجته فيها قاسية جدا على الشاه واعوانه وحاشيته وكان فيها الرسالة الشهيرة التى ارسلها من قبل السيد الى جماعة من كبار علماء ايران ودعاهم فيها الى خدمة الاسلام وانقاذ اهل ايران من الظلم وسوء الحال وخلع الشاه ناصرالدين قاجار الظالم الذي اذل اهل ايران وظلم الناس وحملهم مالا يطيقون من الضرائب و وكان لهذه الرسالة وامثالها اثر كثير فى اثارة الناس ضد الشاه والمطالبة بالنظام الدستوري والحقوق .(١)

مقالات جمالية :

وهى مجموعة المقالات التى كتبها السيد فى اللغة الفارسية ايام كان فى الهند بعد نفيه من مصر عام ١٨٧٩م (١٢٩٥هـ) ونشرت فى مجلات مختلفة فى الهند .

عام ١٨٨٢م (١٢٩٨هـ) نشر عبدالغفور شهباز مجموعة منها باذن من السيد الافغانى من مطبعة ربن كلكتا .

خاطرات :

وهى مجموعة اقوال واراء السيد جمال الدين الافغاني حيثما كان فى الاستانه من عام ١٨٩٢ الى عام ١٨٩٧م (١٣١٠ــ ١٣١٤هـ) . قد جمعها تلميذه الخاص محمد باشا المخزومى . وهى من اقوال السيد وافكاره وارائه بالنص والفصل لم يغير ولم يحور منه شيئ وهى مشتملة على امور ادبية رائعة . ودينية ثابتة وفيها جراءة صادقة وحكمة بالغة

(١) المصدر السابق ص ٢٥٩

وفي الحقيقة هي تعتبر من اهم اعمال السيد ويقول محمد المخزومي في شائنها :

ان مواضيعه تحررت في الاستانة وان تلك الافكار والاقوال لم تحور ولم يطرأ عليها ادنى تغيير يعلم خطرها كذلك لا بد للمطالع ان يري مواضيع الكتاب غير متسلسلة والسبب في ذلك انها لم تكن في موضوع او مطلب واحد بل هي احاديث بعضها بني على الحوادث وبعضها اتى على سبيل السؤال والاستفهام والبعض الاخر على سبيل الجدل مع اخر . ومنها ما هو عفو و بغير مقدمة . فاتتنا الجميع على علاتها وكيفية صدورها .(١)

مقالاته في ادنبرا ريوير :

نشر للسيد جمال الدين بعض المقالات في مجلة ايدنبرا ريوير بريطانيا وكانت في اللغة الانجليزية .

رسائل السيد جمال الدين :

كان للسيد مراسلات كثيرة مع الناس وقد كتب رسائل عدة في هذا الشأن الى الملوك والسلاطين والى الأصدقاء والعلماء والتلاميذ وعلى سبيل المثال نبحث من بعضها .

يقول ناظم الاسلام الكرماني : قد حصلت على مجموعة من رسائل السيد جمال الدين الافغاني عند العلامة محمد طباطبائي وخمس رسائل كتبها الى اشخاص عديدة .(٢)

كتب رسالة واحدة الى اقا محمد طباطبائي . ورسالته الى الشاه ناصرالدين قاجار . ورسالة الى احد اصدقائه الايرانيين ورسالة الى المرزا محمد حسن المجتهد

---

(١) خاطرات ـ المخزومي ص ١

(٢) تاريخ بيداري ايرانيان ـ ناظم الاسلام كرماني ص٦٣

الاعظم فى الايران . ورسالة الى جملة من العلماء الافاضل فى الايران . واود ان اذكر نبذة عن كل واحدة :

رسالة من السيد جمال الدين الى السيد محمد طباطبائي :

من لندن الى سامراء – العالم الخبير والفاضل البصير والمحقق التحرير جناب اقا كوچك (كوتشك) ادام الله وجوده . ان الامة قد احدقت بصرها الى نفوس عظيمة تقوم بناصرها . وتنقذها من ورطة مهالكها . ومن يكون اليق بهذه الوظيفة منك . وانت عزيز العقل ذكى الفطرة . عالى الهمة نامى النسب اخبرك ان تحفظ ثبات العلماء فى البلاد الايرانية قد اعلى كلمة الاسلام وعزز شأنه وانار برهانه وكل الافرنج قد هابوا من هذه القوة التى طالما كانوا يزعمون انها قد زالت كلية وايقنوا ان للدين املا لا يخشون فى سبيله شوكة الجبابرة جزاهم الله عن الاسلام خيرا والسلام عليكم .(١)

(جمال الدين الحسينى)

الرسالة التى كتبها السيد الى ناصرالدين قاجار من حضرة عبد العظيم كانت باللغة الفارسية وبين السيد جميع الامور التى قام بها بعد لقائه بالشاه فى ميونخ المانيا واصرار الشاه عليه بالمجيئ الى الايران .(٢)

ورسالة من السيد الى احد اصدقائه وقد كتب هذه الرسالة وهو فى الاستانة . وهى فى اللغة الفارسية انقل ترجمة بعض منه الى العربية :

اكتب الى عزيزي هذه الرسالة . وانا محبوس و محروم من لقاء الاحباء ليس لى امل

(١) المصدر السابق . ص ٦٤
(٢) ايضا ص ٨٣ – ٨٦

النجاة ولا امل الحياة لا اتاءلم من الجس ولا اتنفر من الموت ... (١)

اما الرسالة الرابعة والخامسة فكانت الرابعة فى شاءن مساءلة التنباك والخامسة فى اشارة العلماء الى خلع الشاه ناصرالدين قاجار وقد ذكرنا بالنص فيما سبق . (٢)

رسالته الى الشيخ محمد عبده :

كتب السيد هذه الرسالة الى الشيخ محمد عبده حينما كان السيد ذاهبا الى لندن من الهند . وقد ذكرناها فيما سبق . وصورتها الفوتغرافية موجودة . (٣)

رسالته الى محمد مويلحى :

قد ذكرناها فيما سبق وصورتها الفوتغرافيه موجودة . (٤)

رسالته الى الجمعية الماءسونية :

متن الرسالة :

يقول مدرس العلوم الفلسفية بمصر المحروسة جمال الدين الكابلى الذي مض من عمره سبعا وثلاثين سنة . باءنى ارجو من اخوان الصفا واستدعى من خلان الوفا . اعنى

---

(١) المصدر السابق ص ٨٧

(٢) ايضا ص ٨٨ ــ ٩٦

(٣) الف ــ جمال الدين الافغانى باعث النهضة الفكرية فى الشرق ص ١٣٧

ب ــ حياة سيد جمال الدين افغانى (فارسي) خوكيانى ــ كابل ص ٤٠

(٤) الف ــ حياة سيد جمال الدين افغانى ــ خوكيانى ص ٤١

ب ــ جمال الدين الافغانى ــ باعث النهضة الفكرية فى الشرق ص ١١٥

ارباب المجمع المقدس الماسون الذي هو عن الخلل والزلل مصون ان يمنوا على ويتفضلوا الى بقبولي في ذلك المجمع المطهر . وبادخالي في سلك المنخرطين في ذلك المنتدي المفتخر ولكم الفضل ١٢٩٢هـ ربيع الثاني يوم الخميس ٢٢

(جمال الدين الكابلي)(١)

رسائل الى الشاه ناصرالدين قاجار .

اربع رسائل كتبها السيد الافغاني الى الشاه ناصرالدين قاجار في اوقات متفرقة وهي بالفارسية واذكر خلاصة كل واحدة :

١ـ يطلب السيد في هذه الرسالة اذنا من الشاه بالسفر الى انجلترا وذلك بعد ان جاء الى ايران على طلب منه .(٢)

٢ـ يذكر فيها السيد الشاه بانه قد جاء الى ايران على عهده حسب وعده مع الشاه . ويذكر له امور الواشين والمعاملة التي يمكن ان يلقاها . ويطلب رأي الشاه في الامر .(٣)

٣ـ يبدي السيد في هذه الرسالة شكره للشاه على بقائه على عهده ووعده مع

---

(١) الف ـ الصورة الفوتغرافية لهذا موجودة في مذاكرات عبدالحميد محمد حرب ص ٢٠٧ـ
وهو اخذ عن (كتاب سيد جمال الدين مشهور به افغاني ـ طهران ١٢٨٣هـ)
ب ـ ولا يخترعه القاري لقراءة هذه الرسالة الموجهة الى الملأ الماسونية انه كان متأثرا عن الماسونية اذ شخصية السيد الفذة تأبى التأثر بمثل هتافات الماسونيين .

(٢) شرح حال وآثار سيد جمال الدين اسد ابادي ـ لطف الله خان ص٤٤

(٣) ايضا ص ٤٧

السيد . ويحتذر عن النزول عند الصدر الاعظم ويفضل البقاء عند الحاج محمد
حسن احد اصدقاء السيد الافغاني . (١)

٤ــ رسالة طويلة كتبها السيد من حضرة عبد العظيم ذكر فيها جميع ما قدم به من الامور بعد مقابلته مع الشاه في ميونخ طلبه منه المجيئ الى ايران وذهاب السيد الى الروسيا على طلب من الصدر الاعظم الذي الذُكات مع الشاه في رحلته الى ميونخ ... (٢)

رسائل السيد الى مستر ولفرت بلنت :

هي عدة رسائل كتبها السيد الى صديقه الخاص مستر بلنت واصل رسائل غير موجود لدي الا ان عندي ترجمتها بالاردية . ولا هميتها السياسية اود ان اذكر ترجمة كل رسالة الى العربية وهي :

ــ (١) ــ

باريس ٢١ ابريل ١٨٨٤م

صاحب المقام العالي

وصلت رسالتكم . واشكرك على ذلك وارد عليه باقصى السرعة . مع اني لم اعلم في مدي عشر سنوات التي اقمت فيها بمصر ان مستر غوردون من حماة الحرية و احباء الاسلام . ولكن لكثرة ثقة اعتمادي على كلامك ومراعاة له ابدي الاسف الشديد على ما ال اليه امره من العاقبة الوخيمة وابدي الاسى الشديد ممن صميم القلب على وقوعه في حالة خطرة تشتد يوما بعد يوم .

(١) شرح حال و اثار سيد جمال الدين اسد ابادي لطف الله خان ص٤٩
(٢) تاريخ بيداري ايرانيان ــ ناظم الاسلام كرماني ص ٨٣ــ ٨٦

ولا اخفى عنك ان المهدي السوداني وزملاءه الكبار واكثرهم تلاميذي ــ كانوا يعتمدون على وكان من السهل لي ان انقذ غوردون باشا من هذا المأزق الذي وقع فيه على شرط ان لم تقع حرب اخيرة بين جريهام وبين عثمان رغنا ولكن بعد هذه الحرب الشديدة التي اريق فيها دماء عربية كثيرة انا على وثوق تام ان المهدي واصحابه قد وصلوا الى النتيجة ان من الضروري لحصول الاراضي التي خرجت من ايديهم واسترجاع الوقار ان يستولى على الخرطوم او يقبض على مستد غوردون او يقتل هو .

وعلى كل فاذا كتبت الي في شأن مبادئ الصلح كتابا مفصلا في اللغة الفرنسية اي الشروط التي تريد الفصل فيها والتي تكون قابلة للعمل لديك فسوف لن اقصر في اداء الخدمة التي استطيع القيام بها في الظروف المحاضرة . كما لن اقصر في البحث عن الوسائل التي ينبغي اتخاذها لانقاذ غوردون . منتظر الرد : جمال الدين الحسيني الافغاني(١)

ــ ٢ ــ

باريس ٢٨ ابريل ١٨٨٤م

صاحب السيادة

وصلت رسالتك الان . وقد قرأتها بالدقة التامة . واكتب ردها الان بأقصى السرعة .

لا يمكنك الاغفال عن المكانة والاهمية التي توجد للمسلمين عامة في دعوة المهدي الروحية . كما لا بد من ان تعليم ما يريده المسلمون من كلمة المهدي عندهم المراد من

(١) مقام جمال الدين الافغاني ص٢٣٥

هذا اللفظ هو مفهوم انقاذ المسلمين من غير المسلمين وخارج عن فهمي بانه كيف يمكن ان يتصالح مع المهدي صلحا وكيف يمكن ايقافهم من الاقدام بحيث يسمح للانجليز بالبقاء في مصر

واذا كان القصد من مبادئ الصلح ان يبقى السودان للمصريين . وينفذ غوردون باشا مع اصحابه المسيحيين وتجلى القوات الانجليزية من مصر فمن الممكن أن يقضى في هذا الامر بالطريقة الحسنة جدا . مع انه ليس بسهل تماما . بذلك يمكن وقف الهجوم المهدي الى وقت خاص وتحديده في مكان معين وينبغي لذلك ان يكون وفد من اكثرية المسلمين وبعض الانجليز ويرسل في خدمة المهدي ويرشد المسلمون ان يقولوا اننا جئنا من قبل الشعب الاسلامي في مصر لامن حكومة مصر . لأنهم اذا ارسلوا من قبل الحكومة المصرية فأنا على يقين تام انهم لن ينجحوا في مهمتهم . لأن المهدي يكره الحكومة الانجليزية وبما انهم سيكونون ممثلين من قبل الحكومة الانجليزية فلن ينظر في طلباتهم وعن طريق الشيخ المرغني جعلنا على مسند قوي في ذلك . اما الاعضاء الانجليز في هذا الوفد فمن المعلوم انهم سيكونون من كبار الشخصيات في حكومتهم . وعلى كل فان الاعضاء سواء اكانوا مسلمين او مسيحيين يكونون اعضاء لهذا الوفد . فاذا بت في ارسال هذا الوفد . وفي الظروف التي لهم ابينها لك بكل جرأة وصراحة .فأنا على يقين انك ستكون اول عضو مرشح في هذا الوفد . لانه لا يمكن للمسلمين الحصول على شخص اخر مثلك في حمايتهم ومساعدتهم .

اما المسلمون الذين يلزم ارسالهم فسوف اذكر اسماءهم وانت تبدي تلك الاسماء في عين الموقف الذي قد بت فيه باتخاذ الخطة اللازمة .

انت تستفسرني عن تعيين الشخص المناسب بدل توفيق باشا وجوابي على ذلك انه في الوقت المناسب ليس من الصعب عليك معرفة الشخص الذي يجلس مكانه على كرسي الحكم .

وذلك الشخص سيكون الذي يطلبه الشعب المصري لا غير .(١)

صديقك المخلص

جمال الدين الحسيني الافغاني

— ٣ —

باريس ٧ مايو ١٨٨٤م

صاحب السيادة

قد جئت الان من ايطاليا وكنت ذهبت الى معرض ميورن ايضا وقد وصلت اليوم صباحا رسالتان منكم . قد قرأتها قراءة دقيقة .

يعلم من رسالتك الاخيرة انك لا تهتم كثيرا بأمر غوردون وقد انتقشت مرة اخري عظمتك الروحية ووفاؤك في على قلبي . واني اشكرك على انك تريد ارسال مجموعة المراسلات في شأن جندال غوردون وقد اثبتت بذلك غو ان جندال غوردون لم يكن حامي الحرية و محافظ الاسلام وأؤكد لك ان اسمك الكريم سوف ينتقش ويرتسم في قلب كل مسلم خاصة وقلب كل عربي او شرقي على وجه العموم وذلك لأن الدور الذي تقوم به في هذا الشأن يستحق كل شكر وتقدير وأنا على امل وطيد انك سوف تستمر في هذا الطريق طبق عدلك وانصافك الخاصين وان الله تعالى سيجزيك على هذا الجهد الذي تبذله .

ويرجى من فضلك ان تبلغ تحياتي الصادقة الى ما دام بلنت . وكن على يقين تام ان خدماتي تحت امركم في كل وقت .(٢)

---

(١) مقام جمال الدين الافغاني (اردو) ص ٢٣٥ — ٢٣٧

(٢) المصدر السابق ص ٢٣٧ . ٢٣٨

مخلصك :

جمال الدين الحسيني الافغاني

— ٤ —

باريس ١٢ مايو ١٨٨٥م

بعد التحية — لست ممنونا لك فحسب على مساعيك البارزة التى اضطرت الحكومة بسببها الى اخلاء البلاد السودانية لا ليس كذا . وانما كن على يقين تام ان جميع المسلمين وخاصة العرب يشكرونك من صميم القلوب على عملك الجليل هذا . ويعترفون بنشاطك وجرأتك وسوف يكتب اسمك فى احرف الاحجار الثمينة وسوف يزين بجميع القلوب الاحترام والتقدير .

ولكن الى الان قد بقى امر واحد . وهو ان تقول للحكومة انه كيف اخلاء هذه البلاد دون عمل المعاهدة مع المهدي وعلى من ستعود مسئولية وقف . وسد الحملات المهدية . وايضا ان الحكومة كيف تستطيع ان تجيز سد الطرق التجارية الايلزم على الحكومة الحالة التى وافقت فيها على اخلاء السودان ان ترسل شخصا معتمدا عليه الى المهدي لتنسيق شروط الصلح . وتحمى مصر من حملاته . وبذلك توقف اراقة الدماء وتفتح الطرق التجارية ومن رأيي ان هذا الامر لو وضع امام البرلمان ، لوافق جميع الاعضاء عليه .

اري هذا امرا سهلا وانه سوف يحتاج اليك بعد فى تكميل هذا الامر ، وذلك بعد البت فى شأن المصاريف اللازمة . ولكن دون الصلح مع المهدي لا يمكن ابدا ان يتم هذا الامر . وهذا هو الكلام الذي اري من اللازم ابلاغه اليك .

تحية اليك والى بيجومك المحترمة .(١)

---

(١) المصدر السابق ص ٢٣٩

صديقك :

جمال الدين الحسيني الافغاني

ـ ٥ ـ

باريس ١٧ يوليو ١٨٨٥م

صاحب المعالي

انا اري ان الوزارة الحالية مثل الوزارة السابقة في السياسة العلمية في قضية مصر والسودان . لا يمكن ان يزول الجوع بالوعود العذبة الطيبة الهينئة . كما اعلم ان قضية مصر مقصورة و منحصرة على قضية افغانستان وان قضية افغانستان تماما في يدي انا ولذلك عزمت على ان اذهب في الاسبوع القادم الى افغانستان وسوف يتم من ذهابي قصدك ايضا ان شاء الله تعالى . وسوف اخبرك عن اجراءاتي والشرط ان تجعله في نفسك الى الوقت الذي نصل فيه الى نتيجة مثمرة ولي امل ان تستمر المراسلة بهذه الصورة . وفي الغالب ان اغادر يوم الثلاثاء . (١)

صديقك المخلص :

جمال الدين الحسيني الافغاني

ـ ٦ ـ

باريس ١٨ يوليو ١٨٨٥م

صاحب المعالي

يوم الجمعة ١٧ يوليو قد ارسلت لك رسالة اخبرتك فيها عن عزمي و ارادتي . و

---

(١) المصدر السابق ص ٢٤٠

اليوم ١٨ يوليو وصلت رسالة من زوجتكم الكريمة طلب مني فيها ان اجيئ مرة اخري الى لندن لست افهم ماالذي سوف يترتب على مجيئ من الفائدة ٠ اتى عندك دون اي فائدة ونتيجة لك اولى ٠ نعم يكون فيه تعب لي ولكم جميعا ٠ فما فائدة ذلك ٠ واذا كنت ايضا غيرعالم بالظروف الراهنة ٠ ولا يكون لك اعتماد على الوزارة الحالية فالرجاء ان تكتب الى لا تنفذ ارادتي اي اذهب الى افغانستان كما كتبت في رسالتي السابقة ٠٠٠ (١)

مخلصك :

جمال الدين الحسيني الافغاني ٠

رسالة من السيد الى السيد هادي جان ٠

كانت رسالتك بستانا خصبا بالمعاني والالفاظ مليئا باشجار خضرة مزهرة بازهار من مختلف الالوان ولكن مع الاسف كل الاسف ان الطرق التي كانت تحت هذه الاشجار كانت مليئة بالقبور والاموات ونبضانات الدماء والاعضاء الفاسدة بحيث لم يكن من الممكن النظر اليها ٠ وكان تصورها موجبا للتنفر وكانت الروائح الكريهة التي كانت تنبعث منها كانت تمنع الشامة من نشق نكهة هذه الاكمام والنورات ٠ (٢)

رسالة من السيد الى لطف الله :

نورالبصر لطف الله :

ان رسالتك التي كانت تنم عن حسن طبيعتك وطهارة سيرتك وكمال ذاتك واستعداد

---

(١) المصدر السابق ص ٢٤٠

(٢) المصدر السابق ص ٢٤١ صحيح

(وهادي جان هذا ابن عمة السيد الافغاني على زعم لطف الله) ولااعتقد ان هذا

فطرتك . قد وصلت الى وقد سررت جدا . وخاصة من العبارات التى كانت مزينة بتشبيهات اينقة واستعارات بديعة . مع الارتباط وحسن الانسجام الى الغاية طوبى لك .

ان الادب زينة للشباب والكمال حلية لهم وهنا اكتفى بذلك . ليس هناك حد لدرجات الكمال . ولكن مع ذلك القناعة بحد ما يعتبر خمولا وكسلا .

قد كتبت انك تريد المجيء الى باريس للقائى لماذا تريد اللقاء بى . ينبغى لك ان تكون مطيعا وامتثل الامر . هذا الوقت غير مناسب . واذا وجدت وقتا مناسبا سوف ادعوك ولو عملت خلاف امري . وجئت الى هنا فبعزة الحق انك مع كونك فى باريس لن تري شكلى .

بلغ تحياتى الى الاصدقاء الاحياء . وعليك بمطالعة مكارم اخلاق ناصري .(1)

جمال الدين الحسينى

رسالة اخري للسيد جمال الدين الى الشيخ محمد عبده :

كتب السيد من الاستانه رسالة الى الاستاذ الامام محمد عبده . ردا على رسالته وهاك نموذجا منها :

تكتب ولا تمضى وتعقد الالغاز من اعدائى وما الكلاب كثرت او قلت . انك فى افاق مكفهرة لا يميز فيها الخبيث من الطيب ولا الشريف من الذميم . ولا الاثين من الكيس واما الموت ولا ينفعك الحذر من الاول . ولو كنت حريصا على مقامك ولا ينجيك الخوف من الثانى فلا تضيق على نفسك . فكن فيلسوفا يرى العالم العوبة ولا تكن صبيا هلوعا .(2)

---

(1) المصدر السابق ص ٢٤١ . ٢٤٢

وهو من ايران ويدعى انه ابن اخت السيد الافغانى . وهذا غير صحيح ولذا يشك فى الكلام المنقول عنه فى بعض المواضع .

انظر الى هذه العبارة الموجزة تجد فيها ما يعجبك من الجراة الفائقة والصراحة التامة · والتجربة الصادقة والحسن الدقيق والنصيحة الغالية · والهمة العالية التى تري الدنيا كلها شيئا تافها لا يستحق اهتماما بالغاو ينبغي للانسان ان يكون عالى الهمة لا يخاف من اشياء فانية ·

هذا وللسيد مقالات كثيرة اخري غير ما ذكرت ورسائل عديدة لم اتمكن من العثور عليها · وهذه التى ذكرتها فيها كفاية لمن كان له قلب وكان صاحب نظر غاير وسيأتى التفصيل على بعض من هذا فى مكانه ·

الرسائل التى ارسلها الى مستر بلنت خير دليل على ما يقوم به السيد من السياسة الفعالة فى شئون مصر والسودان · وكيف ربط بين قضية مصر والسودان و بين قضية افغانستان وكيف يبين السياسة الانجليزية المبنية على التعدي والمكر والحيلة وهذه المكتوبات تدل على رسوخ قدمه فى المجال السياسى وحل القضايا الاسلامية حلا يرضى المسلمين ومدي تفهمه للامور فهما جيدا · والكلام فى هذه المكتوبات يدور حول الجنرال غوردون الذي ارسل الى السودان لاخماد ثورة المهدي ، فبدل ان يخمد هذه الثورة وقع فى مأزق شديد حتى راح اخيرا ضحيته كما يترشح منها الصداقة الوطيدة التى توجد بين السيد جمال الدين الافغانى وبين مستر بلنت وصداقة السيد مع بلنت لم تكن مبنية على شيئ اخر ماعدا مصلحة المسلمين لأن بلنت كان ممن ينادي بالحرية ويساعد فى المسألة الشرقية عامة و مسألة السودان و مصر خاصة ، وكانت له فى هذا المجال محاولات كثيرة ، وهذا يظهر من رسائله

---

(٢) جمال الدين الافغانى باعث النهضة الفكرية فى الشرق ص١٩٥

هذه واضحا حيث كان يتصل بكبار الشخصيات الانجليزيه من امثال سالسبري وتشرشل (١) وغيرهما ممن كان لهم علاقة ·

بهذه الامور مباشرة ومجهوداته التى قد بذلها فى هذا الشأن تستحق كل تقدير واحترام ·(٢)

---

(١) المراد به (تشرشل) الاب · لا ابنه الشهير ·

(٢) هكذا يقال بأن "بلنت" كان يحب العرب والمسلمين وترى هذا كثيرا فى كتابه الاخفى الى اشك فى هذا لانه يظهر بغضه للاتراك حيث يقول فى التاريخ السري لاحتلال انجلترا مصر ص١٤٣ :"وقد حملتنى كراهتى للاتراك على الانضمام للوطنيين" وهكذا يذكر كثيرا :"حبى للعرب وبغضى للاتراك" لماذا يكره الاتراك ؟ اليسوا مسلمين ؟ وفى رأيي هو يريد ان يوقع ويوهن الخلافة ·

المقصد التاسع

خدمات السيد الدينية

حلقات الدرس

تكوين الجمعيات

اقوال كبار المفكرين

الرد على الدهريين

العروة الوثقى

خاطرات السيد

خدمات السيد الدينية :

ان رسالة السيد جمال الدين الافغاني في الواقع كانت دينية بحتة . كان هدفه الاول والاخير هو توحيد كلمة المسلمين . وجمع شملهم واسترجاع قوتهم وكونهم قوة فعالة لهم شأنهم ومكانهم في المجال الدولي وذلك طبق ما يطلب منهم الاسلام . الا ان الطرق التي اختارها السيد للوصول الى هذا الهدف الاسمى تختلف . والجبهات التي كافح ضدها السيد جمال الدين متباينة . وذلك للظروف التي كانت مسيطرة على الجو الاسلامي في عصر السيد لان الجبهات التي كافح ضدها السيد كانت جبهات داخلية وخارجية ففي الداخل كانت الخرافات والبدع قد انتشرت في بقاع العالم الاسلامي وغطت التعاليم الاسلامية الصافية بلباس الاوهام والخرافات وكان سبب ذلك امراء الشرق واولائك الاشخاص الذين يدعون العلم وما هم بعلماء في الواقع . والذين يدعون انهم مشائخ الطرق الدينية وما هم بمخلصين في ذلك وانما اتخذوا ذلك متجرا لهم يتجرون به وبذلك ادخلوا في الاسلام من التعاليم الهدامة والعقائد الباطلة لا تمت الى الاسلام بادنى صلة وانما تسبب ضعفا للاسلام وتدعو المسلمين الى الخمول والكسل والتواكل والذل والمسكنة والرجعية والتزمت واليأس والقنوط والرضا بالخضوع والعبودية لغير الله . والجبهة الثانية هي الاستعمار الاوربي عامة والاستعمار البريطاني خاصة . لأن الاستعمار البريطاني . كما يقول السيد الافغاني من الد أعداء الاسلام وهو استمرار للحروب الصليبية المتقدمة . يريد ان ينال من الاسلام . ويحط من شأنه وقدره بين المسلمين ولا يتوانى في اختيار اي طريق يمكن من شأنه اضعاف الاسلام والمسلمين فالاستعمار البريطاني ليس استعمارا اقتصاديا او سياسيا فحسب وانما هو استعمار

ديني وفكري وعقائدي يريد من ورائه استمرار نفوذه في العالم الاسلامي . ولذلك تري الاستعمار الاوربي يحاول لزعزعة المسلمين في عقيدتهم بارسال البعثات التبشيرية .... وانشاء المستشفيات والنوادي . وفتح المدارس الخاصة . وايعاز الى بعض المسلمين ضعفاء العقيدة ان يؤلفوا جمعية خاصة ~~....~~ تخدم الاستعمار الغربي وتعمل له باسم الاسلام او باعلان حركة جديدة دينية منحرفة عن الجادة . والغرض من كل هذا هو النيل من الاسلام وحط شأن المسلمين وايقاع التفرقة بينهم . ودقوف كل فرقة في وجه الاخري تناوءها وتعاديها لا لشيئ اساس وانما لقشور فقط .

ولذا نري السيد يكافح في الداخل . وفي الخارج يكافح في الداخل للاصلاح الديني بتطهير الدين الاسلامي وذلك بنبذ الخرافات والبدع والاوهام الشائعة والدخيلة في تعاليمه السامية . وتوضيح القران الكريم والاحاديث النبوية الشريفة توضيحا صحيحا بعيدا عن تلك الشوائب والريب التي هي بعيدة عن الاسلام وفي الخارج يكافح الاستعمار الغربي ويدعو الى توحيد المسلمين واعداد القوة وطرد الاجنبي الغاشم من بلاده . ذلك الاجنبي الغاشم الذي لا يريد ان يأخذ خيرات بلادهم الى اوربا فقط فقط . ويضعف المسلمين اقتصاديا فحسب وانما يريد ان ينال من دينهم ويسخر من عقيدتهم ويقول لهم بأن دينهم هو الذي يعوقهم عن التقدم والازدهار . ولذا تجد الطريقة التي اختارها السيد سياسية اكثر من ان تكون دينية الا انها مبنية على تعاليم الاسلام .. تعاليم القران لذ فانها وان كانت سياسة في مظهرها الا انها دينية في جوهرها . والاعتبار للهدف والرسا اما المظروف. الطرق دينية كانت او ادبية كانت او سياسية كانت او جميعا مزدوجة كانت .

فالخدمات الدينية التي قام بها السيد اتوه اليها اولا ثم اذكر بعضها مفصلة :

من هذه الخدمات تكوين جمعية ام القرى فى مكة المكرمة فى اول سفره (١٢٧٣هـ / ١٨٥٧م) للحج . و القاء المحاضرة الصناعية والمقالات الاخري والاصلاح التعليمى فى اول مرة فى الاستانه . والقاء الدروس فى بيته فى القاهرة على تلاميذه الخاصة وتكوين الحلقة الدراسية العامة فى مقهى البوسطة العامة بالقاهرة لمن يريد الاستفادة من اراد السيد فى السياسة والاجتماع والفلسفة والادب وغير ذلك من الموضوعات و انشاء الصحف وتكليف تلاميذه بكتابة المقالات المختلفة و تكوين الجمعية الوطنية الخيرية التى الزمت على كل فرد العمل بطلقة بالقرآن الكريم ومحاسبة نفسه والعمل لخير الجميع . والجمعية الوطنية الاخري التى كانت تنادي بالنظام الدستوري للبلاد فى مصر وقيامه بالاصلاح التعليمى فى حيدراباد دكن بالهند بعد نفيه من مصر وكتابة تفسير المفسر وشرح حال اكوريان ورسالة الرد على الدهريين (رد النيشيرية) فى الهند وانشاء جريدة العروة الوثقى من باريس . والمحاولات لانقاذ مصر والسودان من نفوذ بريطانيا وذهابه الى روسيا واتصاله بالقيصر واخذ الموافقة على طبع المصحف الشريف والكتب الدينية للمسلمين ومجيئه الى الايران والسعى لاصلاح البلاد . و القاء الدروس والمحاضرات فى مجيئه فى المرات العديدة الى الايران وخروجه الى البصرة و ارسال الرسالة الغراء الى المجتهد الاعظم (الحاج محمد حسن الايرانى) بالايران فى شاٴن مساٴلة التنباك و تذكير المجتهد الاعظم بوظيفته نحو الاسلام والمسلمين والبلاد والرسالة الثانية الى مجموعة من العلماء الكبار فى الايران بشاٴن خلع الشاه ؟ وذهابه الى لندن و كتابة المقالات فى جريدة "القانون" لصاحبها "ملكم خان" واصدار جريدة "ضياء الخافقين" باللغة العربية والانجليزية، وكتابة المقالات اللازمة فيها بشاٴن الفارس والشاه ، وذهابه الى الاستانة – تركيا على دعوة من الخليفة عبد الحميد . و القاء المحاضرات فى الموضوعات

المختلفة · والسعي للجامعة الاسلامية والقاء الكلام فى هذا الشأن ودعوة الناس وارسال الرسائل الى مختلف الاقطار والبلاده · واملاء خاطراته على تلميذه الوفى محمد باشا المخزومى · كل هذه اعمال جليلة وخدمات دينية هامة للسيد ونري انه كرس حياته لهذه الرسالة السامية وتحمل فى سبيلها ما تحمل من المصائب والالام من النفى والتشريد والاعتقال حتى انه لم يتزوج ومات وهو فى سبيل خدمة الاسلام ودفن فى ارض تركيا لا ارض الافغان التى ولد بها ولكن هكذا حال الكبار ·

ويجدربنا ان نأتى باقوال بعض المحققين والباحثين فى شأن السيد جمال الدين وتعاليمه ورسالته لنتبين مدي ما قام به السيد فى خدمة الاسلام والمسلمين خاصة والشرق والشرقيين بل الانسانية عامة ·

اقوال كبار المفكرين :

يقول مستر بلنت فى حركة السيد جمال الدينية :

« ومن اغرب ما يروي ان الفضل فى نشر هذا الاصلاح الديني الحر بين العلماء فى القاهره لا يعود الى عربى او مصري اوعثمانى ولكن الى رجل عبقري غريب يدعى السيد جمال الدين الافغانى وهو رجل لم تتجاوز تجاربه العالمية قبل حضوره الى مصر دائرة اسيا الوسطى وهو افغانى المولد ، وتلقى تربيته الدينية فى بخارا ·

وفى ذلك المكان السحيق وبغير ان يتصل بأي استاذ من الذين يعيشون فى عوالم مراكز الافكار الاسلامية الراقية، استنبط من دروسه وتفكيره الاراء التى تعزي اليه اليوم · و كانت حركات الاصلاح فى العالم الاسلامى التى قد انحصرت الى ما قبل ذلك فى التقهقر القديم ولم تسرفى طريق التطور وقد جاء فى القرنين الاخيرين كثير من الواعظين الذين لم

يزيدوا على ان علةضعف الاسلام راجعة الى كف منفذيه عن السير على منن السلف الصالح ووجد كذلك فى مصر وتركيا مصلحون نظموا الادارةعلى الاساليب الاوربية لاغراضهم السياسية ولكن هؤلاء ادخلوا اصلاحهم بالسيف وبالمنشورات التى حصلوا عليها من العلماء بالاكراه • وبغير ان يقضوا بينها وبين قواعد القران وتقاليده وكانت الاصلاحات السياسية تاتى من الطبقة العليا ولم يزل حكم الرأي العام الرشيد قاسيا عليها • اما بنوغ جمال الدين ففى اجتهاده فى حمل الممالك التى وعظ فيها على ان تعيد النظر فى الموقف الاسلامى كله وان تستبدل التمسك بالقديم بالتحرك الى الامام حركات ادبية منتجة مع العلم العصرى وقد مكنه علمه التام بالقران والسنة من اقامة الحجة على انهما لو احسن تأويلهما معا لكان الاسلام كفوا لاحداث تطور راق عظيم •(١)

ويقول ايضا :

وكان همه ان يطلق العقول من الاغلال التى قيدتها طول الاجيال الماضية ويقيم الحجة على ان الدين الاسلامى ليس شيئا ميتا ولكنه نظام يصلح للانسانية المتطورة فى جميع العصور فهو لا يأبى التطور وكل هذا يماثل ما حدث من احياء المسيحية فى اوربا فى القرنين الخامس عشر والسادس عشر على ان الغريب فى شأن الاسلام • الغريب ان يعود الفضل فى نشوء روح التقدبين اهله الى رجل تربى فى بلاد رجعية كاسيا الوسطى وتعلم فى جامعة سحيقة كجامعة بخاري •(٢)

ويقول ايضا :

---

(١) التاريخ السري لاحتلال انجلترا مصر • بلنت ص٧٧

(٢) المصدر السابق ص ٧٨

وكان الشيخ جمال الدين وتلاميذه قد حكموا بأن استبداد امراء المسلمين الاخذ في الزيادة مخالف لتعاليم الاسلام الذي هو في الحقيقة جمهورية لكل مسلم فيها حق الخطابة في مجتمعاتها كما ان سلطة الحاكم فيها لا تعتمد الاعلى حسن قيامه بتنفيذ الشريعة وبيعة الناس . (١)

ويقول الدكتور محمد البهي :

حركة جمال الدين الافغاني في مظهرها حركة سياسية وفي جوهرها حركة اسلامية يتحدث عن وحدة المسلمين مرة وعن حكومات اسلامية مستقلة يرتبط بعضها ببعض في شبه اتحاد مرة اخري ومع ذلك فالشيء الذي لم يتغير عنده هو الدعوة الى الاخذ بتعاليم الاسلام سواء في قيام الحكومة الواحدة او في ارتباط الحكومات المختلفة يتحدث عن الاخذ بما عند الغرب من حضارة ومدنية وعلم ولكن على اساس ان يكون ذلك في تلاؤم مع الاسلام اولأن الاسلام يدعوا اليه . (٢)

ويقول تشارلز ادمز :

وكان يري (السيد) ان الاسلام في جميع المسائل الجوهرية - دين عام للعالم اجمع قادر تمام القدرة بما فيه من قوة روحية على ملاءمة الظروف المتغيرة في كل جيل . (٣)

---

(١) المصدر السابق ص ٧٨

(٢) الف - الفكر الاسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي - الدكتور محمد البهي القاهره ص ٥٣

ب - كان الدكتور محمد البهي استاذي في الفلسفة الاسلامية حينما كنت طالبا بالازهر عام ١٩٦٠ ولا يزال يخدم الثقافة الاسلامية بمصر بارك الله في عمره

ويقول المستشرق الالماني الكبير كارل بروكلمان تحت عنوان (التجديد الدين جمال الدين الافغاني) " مهما يكن من امر فقد كان الاسلام ولا يزال المهيمن على الحياة الدينية في مصر وانما يرجع الفضل في ذلك في المحل الاول . الى تأثير جمال الدين الافغاني " (١)

ويقول محمد سلام مدكور :

" وقصاري القول فان الغرض الذي كان يصوب نحوه السيد جمال اعماله والمحور الذي كانت تدور عليه اماله توحيد كلمة المسلمين ولقد بث في نفوس اصدقائه ومريديه روحا منه حركت همهم واقلامهم فانتفع الشرق وسوف ينتفع باعمالهم ... وحسبه عظمة ومجدا انه في تاريخ الشرق الحديث اول داع الى الحرية واول شهيد في سبيل الحرية . (٢)

ويقول الاستاذ عبد الرحمن الرافعي" :

" ان الامم الشرقية جمعاء مدينة بنهضتها السياسية والفكرية الى الزعيم الكبير والفيلسوف الشهير السيد جمال الدين الافغاني . ظل الشرق قرونا عديدة رازحا تحت نير الجمود الفكري والتأخر العلمي والاستعباد السياسي . وبقي في سبات عميق الى ان قيض الله له الحكيم الافغاني (جمال الدين) . فنفخ فيه روح اليقظة والحياة واهاب بالنفوس ان تنهض وتتحرك وبالعقول ان تستيقظ وبالامم والجماعات ان تتطلع الى الحرية فكانت رسالته الى الشرق مبعث النهضة الحديثة . واذا اردنا ان نتبين في كلمة عامة فضل جمال الدين . ومدي الرسالة التي اداها . فلنذكر انه كان في حياته مصلحا دينيا وفيلسوفا

---

(٢) الاسلام والتجديد في مصر – ادمز . ص ١٥

(١) جمال الدين الافغاني محمد ابورية ص ١٨

حكيما وزعيما سياسيا تجمع بين الزعامات الروحية والفكرية والسياسية . واضطلع بها جميعا فأدي من الناحية الدينية مهمة الاصلاح والتجديد التي ادي مثلها مارتن لوثر للمسيحية وأهاب بالأمم الاسلامية ان تفهم الاسلام على حقيقته وترجع الى مبادئه الصحيحة وفطرته الاولى وتطهره من الاوهام والخرافات التي افضت الى تأخر المسلمين ومن الناحية الفكرية ادي المهمة التي قام بها في اوربا فلاسفة الفكر امثال (جان جاك روسو) و (مونتسكيو) و غيرهما فعمل على اثارة البصائر . وتوجيه الافكار الى البحث عن الحقائق وتحرير العقول من قيود الجمود والتقليد ومن الوجهة السياسية استنهض الهمم . واستثار في النفوس روح العزة والكرامة والتطلع الى الحرية وغرس بذور الحركات الوطنية في مختلف البلاد الشرقية وقام بمثل العمل الذي اضطلع به زعماء النهضات السياسية في الغرب كواشنطون و جاريبلدي و مازيني و كوشت وغيرهم فالذي يجمع بين هذه المهام الجليلة ويضطلع بها معا في عهد اشتد فيه ظلام الجهالة والاستبداد وتفرقت الكلمة وعز النصير وتشعبت الاهواء يجب ان يتسامى في قوة النفس والفكر والوجدان الى مراتب العبقرية ويقيننا ان الامم الشرقية لم تقدر حتى الان حكيم الشرق حق قدره . ولا ادت له حقه من الوفاء والتكريم . وسيظهر فضله على مر السنين". (١)

ويقول سعيد الافغاني :

"كان السيد يلقن دين الاسلام خاليا من الخرافات لانه متيقن بأن هذا الدين المبين يكفل الخير لعامة البشر . وان قوانين الاسلام و دساتيره لو اخذها الانسان وعمل

---

(٢) جمال الدين الافغاني باعث النهضة الفكرية في الشرق ص٢٤٤

(١) عصر اسماعيل ـ عبد الرحمن الرافعي ج ٢ ص ١٤٨ ـ ١٤٩

بها لنجح العالم والدول باسرها ولوصل الناس الى المعارج العالية والى كمال مدارج الانسانية .

وقف حياته لمصالح الناس فى ضوء تعاليم الاسلام الحقة . وكان الهدف العالى من الحياة عنده الخدمة للحق والخير». (١)

هذه هى قليل من الكثير ولو تتبعت واردت ان اجمع الاقوال التى قيلت فى هذا الشأن لطال الكلام بنا غاية الطول ولكان سردا للأقوال فقط والان نريد ان نرجع الى اثار السيد جمال الدين الافغانى نفسه لنري ما قام به السيد من الخدمات الجليلة للدين الاسلامى فى ضوء اثاره واخص منها الرد على الدهريين و العروة الوثقى و الخاطرات و بعض المقالات ان امكن ذلك والاتلا .

الرد على الدهريين :

ان الاستعمار الاروبى عامة والبريطانى خاصة يريد ان يقوم بشتى الوسائل لنفوذ سيطرته وبقائه على العالم الاسلامى مدة اطول . ولذلك كان يختار و يسلك طرقا مختلفة منها ارسال البعثات التبشيرية وفتح المدارس والمستشفيات وذلك لتشكيك المسلمين فى عقائدهم وتبعيدهم عن دائرة الاسلام وجرب الانجليز طرقا كثيرة لهذا الغرض فى بلاد الهند . ارسل البعثات التبشيرية الا انها لم تنجح . والف هؤلاء المبشرون رسائل وكتبا فى الطعن فى الدين الاسلامى الا انها باءت بالفشل ولم تلق اي اهتمام خاص من قبل المسلمين وعملت ايادي الاستعمار اساليب المشقة على المسلمين ومنعوهم عن الوظائف العامة واستولوا على

---

(١) نابغة الشرق السيد جمال الدين الافغانى ــ سعيد الافغانى ص١٢٠

اوقافهم التى كانت مخصصة للمساجد والمدارس ولكنهم فشلوا فى كل ذلك ولم يصلوا الى الغرض الذي كانوا يهدفون اليه وهو تشكيك المسلم فى عقيدته وتبعيده عن الاسلام ٠

ثم اخذ الانجليز للوصول الى هذا الغرض فى نشر الافكار الالحادية فى ثوب العلم الحديث وقد وجدوا لذلك جماعة من المسلمين فى الهند اخذوا على عاتقهم هذه المهمة وهذا العباء ارضاء لاربابهم الانجليز فى الواقع ٠ اما فى الظاهر فادعوا انهم يحبون الخير كل الخير لوطنهم ويريدون ان يتقدم المسلمون فى مجال العلم الحديث ٠ وياخذوا بنصيب وافر من المدينة الاوروبية ٠ ويحصلوا على مناصب عالية ودعوا الى نبذ كل تعليم قديم وكل ما يحول امام العلم الحديث وبذلك كانوا يريدون ان يقضوا على الثقافة الاسلامية العريقة فى الهند ٠ ويقطع العلاقة الوطيدة للمسلمين فى الهند بماضيهم الاسلامى الاعز الذي يدعوه الى القوة والعزة والمنعة والاباء وعدم الولاء للاجنبى ٠

وحينما كان السيد جمال الدين للمرة الاخيرة فى الهند بعد نفيه من مصر رأى نشاط هذه الجماعة الدهرية بعينيه ٠ وقد كتب اليه مولوي محمد واصل المدرس بمدرسة الفنون بحيدراباد دكن ـ بالهند فى ١٩ محرم سنة ١٢٩٨هـ (٢٢ ديسمبر ١٨٨٠م) خطابا الى السيد جمال الدين يطلب منه ان يشرح حقيقة النيشرية والنيشريين تفصيلا ينقع الغلة ٠ ويشفى العلة ٠ فكتب السيد هذه الرسالة بين فيها اولا ظهور هذه الطائفة و بين اغراضها مقاصدها ومضارها وطرقها واثارها وبين مزية الاديان عامة فى وجه هذه الطائفة ومزية الاسلام خاصة ٠ والان نبدأ بتفصيل ما فى هذه الرسالة (الرد على الدهريين) لنري مدي تعمق السيد جمال الدين فى العلم والفلسفة ٠ واستدلالاته وقوة براهينه و حججه ومدي صفاء عقيدته وغيرته على الدين الاسلامى ومدي ما له من سعة الافق فى دراسة

الفلسفات القديمة والحديثة ومدي دراسته لاخلاق الامم واسباب قوتها وانحطاطها على مر الامور واسباب هذه القوة وهذا الانحطاط . ومعرفة الادواء المنتشرة في المسلمين و الدواء لها . وينبغي جل الاعتماد في ذلك على نصوص السيد جمال الدين في ذلك لأن الاقوال قد ذكرناها من قبل وهى قابلة للتغير والتبدل يتعلق ذلك بفهم الكاتب وميله و نزعته وارتباطه بنظرية دون اخري .

بدأ السيد جمال الدين رسالته بعد (بسم الله الرحمن الرحيم) بهذه الاية الكريمة " فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه اولئك الذين هداهم الله واولئك هم اولو الالباب ". (١) (٢)

ثم يلتزن وازن بين الدين والنيشرية فقال :

" الدين قوام الامم وبه فلاحها وفيه سعادتها وعليه مدارها النيشرية جرثومة الفساد وارومة الاداد وخراب البلاد وبها هلاك العباد ". (٣)

ثم قال و ذكر حال النيشرية بالاجمال حيث قال :

" شاع لفظ النيشرية حتى طبق البلاد الهندية في هذه الايام واصبحت هذه الكلمة دائرة في المحافل سيارة في المجامع وللعامة والخاصة فيها مذاهب وهم طرائق وهم فالغالب منهم يخبط على بعد من حقيقتها في غفلة عن اصل وضعها .

لهذا رأيت من الحق ان اشرح مفهومها واكشف المراد منها وارفع الستار عن

---

(١) الزمر (٣٩) : ١٨

(٢) الرد على الدهريين (العربي) طبع سنة ١٣٥٤هـ ــ ١٩٣٥م ص ٢٠

(٣) ايضا ص ٢٠

حال عهد النيشريين من بداية امرهم واعرض للناظر شيئا من مفاسدهم وما الحقوه بالنوع الانسانى من المضار التى خبث اثرها وساء ذكرها مستندا فى ذلك على التاريخ الصحيح اخذا من البرهان العقلى بدليل يثبت ان هذه الطائفة على اختلاف مظاهرها لم يفشر رأيها فى امة من الامم . الا كان سببا فى اضمحلالها وانقراضها .»[1]

انقسام حكماء اليونين فى القرن الثالث والرابع قبل المسيح :

يقول السيد جمال الدين ان نقاد المؤرخين يثبتون ان حكماء اليونان فى القرن الثالث والرابع قبل المسيح انقسموا الى فئتين حيث يبين نظرية كل منهما هكذا :

« ذهب احداهما الى وجود ذات مجردة عن المادة والمدة مخالفة للمحسوسات فى لوازمها منزهة عن لواحق الجسمانية وعوارضها . واثبتت ان سلسلة الموجودات مادية ومجردة تنتهى الى موجود مجرد واحد من جميع الوجوه مبرا الذات عن التاليف والتركيب ومحال عند العقل تصور التركيب فيه وجوده عين حقيقته وحقيقته عين وجوده . وهو المصدر الاول والموجد الحقيقى والمبدع لجميع الكائنات مجردة كانت او مادية واشتهرت هذه الطائفة بالمتألهين (الخاضعين لله) ومنهم فيثاغورث وسقراط و افلاطون و ارسطو ومن اهل مذهبهم كثير .»[2]

وهذه الطائفة كما ترى طائفة صحيحة لاغبار عليها لانها قائلة بوجود خالق الكون بصفاته المذكورة فى هذه العبارة . واما الطائفة الثانية فيبنيها السيد و يقول :

---

(١) الرد على الدهريين (العربى) طبع سنة ١٣٥٤هـ ـ ١٩٣٥م ص ٢٠

(٢) المصدر السابق ص ٢١

" وذهبت اخري الطائفتين الى نفى كل موجود سوي المادة والماديات وان وصف الوجود مختص بما يدرك بالحواس الخمس لا يتناول شيئا وراءه · وعرفت هذه الطائفة بالماديين ولما سئلوا عن منشاء الاختلاف فى صور المواد وخواصها والتنوع الواقع فى اثارها نسبه الاقدمون منهم الى طبيعتها واسم الطبيعة فى اللغة الفرنسوية (ناتور) وفى الانكليزية (ينشر) ولهذا اشتهرت هذه الطائفة عند العرب بالطبيعيين وعند الفرنساويين باسم (ناتور اليسم) او (ما تيـر اليسم) الاول من حيث هى طبيعية والثانى من حيث هى مادية" (١)

وهذه الطائفة الاخيرة (الماديين) اختلفوا فيما بينهم الى اربعة فرق ·

ويبين السيد كل فرقة ونظريته حيث يقول :

١ـ " تذهب فريق منهم الى ان وجود الكائنات العلوية والسفلية ونشاءة المواليد على ما ترى · انما هو من الاتفاق واحكام الصدفة ، وعلى ذلك اتقان بنائها ، واحكام نظامها لا منشاء له الا الصدفة" (٢)

ويبطل السيد هذه النظرية حيث يقول :

" ادت بهم سخافة الفهم الى تجويز الترجيح بلا مرجح ، وقد احالته بداهة العقل" (٣)

ويقول :

" رأس القائلين بهذا القول ديمقراطيس ومن رأيه ان العالم اجمع ارضيات وسماويات مؤلف من اجزاء صغار صلبة متحركة بالطبع ومن حركتها هذه ظهرت اشكال الاجسام وهيئاتها

---

(١) المصدر السابق ص ٢١

(٢) المصدر السابق ص ٢١

(٣) المصدر السابق ص ٢١

بقضاء العناية المطلقة .[١]

٢ـ وذهب فريق اخر الى ان الاجرام السماوية والكرة الارضية كانت على هيئتها هذه من ازل الازال ولا تزال ولا ابتداء لسلسلة النباتات والحيوانات وزعموا ان فى كل بذرة نباتا مند مجانيها . وفى كل نبات بذرة كامنة ثم فى هذه البذرة الكامنة نبات وفيه بذرة الى غير النهاية وعلى هذا زعموا ان فى كل جرثومة من جراثيم الحيوانات حيوانا تام التركيب وفى كل حيوان كامن فى الجرثومة جرثومة اخري يذهب كذلك الى غير نهاية .[٢]

وابطل السيد نظريتهم هذه بانه يلزم من هذا وجود مقادير غير متناهية فى مقدار متناه وهذا من المحالات الاولية لأن غير المتناهى لا يوجد فى متناه .

٣ـ وزعم فريق ثالث ان سلسلة النباتات والحيوانات قديمة بالنوع كما ان الاجرام العلوية وهيئاتها قديمة بالشخص . ولكن لا شيء من جزئيات الجراثيم الحيوانية والبذور النباتية بقديم وانما كل جرثومة وبذرة هى بمنزلة قالب يتكون فيه ما يشاكله من جرثومة وبذرة اخري .[٣]

وابطل السيد زعمهم هذا بدليل ان كثيرا من الحيوانات الناقصة الخلقة قد يتولد عنها حيوان تام الخلقة وكذلك الحيوان التام الخلقة قد يتولد عنه ناقص الخلقة اوزائدها واذا كان زعمهم صحيحا لما جاء هذا الخلف ولذا زعمهم المذكور باطل وغير صحيح .[٤]

٣ـ ومال جماعة منهم الى الابهام فى البيان فقالوا ان انواع النباتات والحيوانات

---

(١) المصدر السابق ص ٢١

(٢) المصدر السابق ص٢٢

(٣) المصدر السابق ص٢٢

(٤) المصدر السابق ص ٢٢

تقلبت فى اطوار . وتبدلت عليها صور مختلفة بمرور الزمان وكرور الدهور حتى وصلت الى هيئاتها وصورها المشهودة لنا واول النازعين الى هذا الرأي (ابيقور) احد اتباع (ديوجينس الكلبي) ومن مزاعمه ان الانسان فى بعض اطواره كان مثل الخنزير مستور البشرة بالشعر الكثيف ثم لم يزل ينتقل من طور الى طور حتى وصل بالتدريج الى ما نراه من الصورة الحسنة والخلق القويم .(١)

ويقول السيد ان زعمهم هذا فاسد لأنه ليس لهم دليل ولا برهان على ان مرور الزمان علة لتبدل الصور وترقى الانواع .

ثم يبين السيد انه لما كشفت علوم جيولوجيا (طبقات الارض) عن بطلان القول بقدم الانواع . رجع المتأخرون من الماديين عن قولهم بالقدم الى القول بالحدوث . وبعد ذلك اختلفوا الى بحثين :

وينقل السيد ذلك هكذا :

الاول بحث تكون الجراثيم النباتية والحيوانية فقط فذهب جماعة الى ان جميع الجراثيم على اختلاف انواعها تكونت عند ما اخذ التهاب الارض فى التناقص ثم انقطع التكون بانقضاء ذلك الطور الارضى .

وذهبت اخري الى ان الجراثيم لم تزل تتكون حتى اليوم خصوصا فى خط الاستواء حيث تشتد الحرارة .(٢)

ويقول السيد ان كلاهما غير معقول لأن كل جماعة عجزت عن بيان السبب لحياة

---

(١) المصدر السابق ص ٢٣
(٢) المصدر السابق ص ٢٣

تلك الجراثيم حياة نباتية او حيوانية • خصوصا بعد ما تبين لهم ان الحياة فاعل فى بسائط الجراثيم موجب لا لتئامها • حافظ لكونها وان قوتها الغاذية هى التى تجعل غير الحى من الاجزاء حيا بالتغذية • فاذا ضعفت الحياة ضعف امساك البسائط وتجاذبها ثم صارت الى الانحلال •(١)

وظن قوم منهم ان تلك الجراثيم كانت مع الارض عند انفصالها عن كرة الشمس ويقول السيد فى ذلك ان ظنهم هذا ظن عجيب لا ينطبق على اصلهم من ان الارض عند الانفصال كانت جذوة نار ملتهبة وكيف لم تحترق تلك الجراثيم ولم تمح صورها فى تلك النيران المستعرة !(٢)

والبحث الثانى من موضع اختلافهم : صعود تلك الجراثيم من حضيض نقصها الى ذروة كما لها من حالة الخداج – النقص – الى ما نراه من الصور المتقنة • والهيئات المحكمة والبنى الكاملة •(٣)

وقد انقسموا الى قسمين يقول السيد فى كل منهما :

فمنهم قائل بأن لكل نوع جرثومة خاصة به ولكل جرثومة طبيعة تحيل بها الى حركة تناسبها فى الاطوار الحيوية • وتجتذب اليها ما يلائمها من الاجزاء الغير الحية ليصير جزءا لها بالتغذية ثم تجلوه بلباس نوعه •(٤)

وقد ابطل السيد قولهم هذا بدليل انهم قد غفلوا عما اثبته التحليل الكيماوي من

---

(١) المصدر السابق ص٢٣

(٢) المصدر السابق ص ٢٣

(٣) المصدر السابق ص ٢٣

(٤) المصدر السابق ص٢٣

عدم التفاوت بين نطفة الانسان و نطفة الثور والحمار مثلا وظهور تماثل النطف فى العناصر البسيطة فما منشاء التخالف فى طبائع الجراثيم مع تماثل عناصرها ٠ (١)

ومنهم ذاهب الى ان جراثيم الانواع كافة خصوصا الحيوانية متماثلة فى الجوهر ٠ متساوية فى الحقيقة ٠ وليس بين الانواع تخالف جوهري ولا انفصالى ذاتى ومن هذا ذهب صاحب هذا القول الى جواز انتقال الجرثومة الواحدة من صورة نوعية الى صورة نوعية اخري بمقتضى الزمان والمكان وحكم الحاجات والضرورات وقضاء سلطان القواسر الخارجية ٠ (٢)

وراٴس القائلين بهذا القول (داروين) (٣) وقد الف كتابا فى بيان ان الانسان كان قردا ثم عرض له التنقيح والتذهيب فى صورته بالتدريج على تتالى القرون المتطاولة وبتاٴثير الفواعل الطبيعية الخارجية حتى ارتقى الى برزخ (اوران اوتان) (٤) ثم ارتقى من تلك الصورة الى اول مراتب الانسان فكان صنف اليميم — نم نم — وسائر الزنوج ٠ ومن هناك هو عرج بعض افراده الى افق اعلى و ارفع من افق الزنجيين فكان الانسان القوقاسى ٠ (٥)

ويبطل السيد جمال الدين زعم داروين هذا فيقول :

وعلى زعم داروين هذا يمكن ان يصير البرغوث فيلا بمرور القرون وكر الدهور و ان ينقلب الفيل برغوثا كذلك ٠ (٦)

---

(١) المصدر السابق ص ٢٣

(٢) المصدر السابق ص ٢٣ ٠ ٢٤

(٣) هو صاحب كتاب (اصل الانواع) الذي احدث ضجة كبري فى علم التاريخ الطبيعى ١٨٥٩م ٠ واخذته من كتاب : الاعمال الكاملة لجمال الدين الافغانى محمد عمارة ص ١٣٤ —

(٤) وهو برزخ موجود بين مجموعة جزر الملايو (من المصدر السابق ص ١٣٥ —

وفي الواقع يستهزئ السيد جمال من عقلية داروين وزعمه الباطل الذي لا ينبني على الحقائق وانما زعمه كلام فقط لا غير .

ويقول السيد ايضا :

فان سئل داروين عن الاشجار القائمة في غابات الهند والنباتات المتولدة فيها من ازمان بعيدة لا يحددها التاريخ الاظنا و اصولها تقرب في بقعة واحدة وفروعها تذهب في هواء واحد وعروقها تسقى بماء واحد فما السبب في اختلاف كل منها عن الاخر في بنيته واشكال اوراقه وطوله وقصره وضخامته ورقته وزهره وثمره وطعمه ورائحته وعمره فاي فاعل خارجي اثر فيها حتى خالف بينها مع وحدة المكان والماء والهواء اظن لاسبيل الى الجواب سوي العجز عنه .(١)

وان قيل له هذه اسماك بحيرة اورال وبحر كسبين مع تشاركهما في المأكل والمشرب وتسابقها في ميدان واحد نري فيها اختلافا نوعيا وتباينا بعيدا في الالوان والاشكال والاعمال فما السبب في هذا التباين والتفاوت فلا اراه يلجأ في الجواب الا الى الحصر.(٢)

وهكذا لوعرضت عليه الحيوانات المختلفة البنى والصور والقوي والخواص وهي تعيش في منطقة واحدة ولا تسلم حياتها في سائر المناطق او الحشرات المتباينة في الخلقة

خطا ═ (٥) الرد على الدهريين ص ٢٤

(٦) الرد على الدهريين ص ٢٤

---

(١) الرد على الدهريين ص٢٤

(٢) الرد على الدهريين ص ٢٤

المتباعدة في التركيب المتولدة في بقعة واحدة ولا طاقة لها على قطع المسافات البعيدة لتجلو الى تربة تخالف تربتها . فما ذا تكون حجته في علة اختلافها كأنها تكون كسفا ولا كشفا !؟ .(١)

" بل اذا قيل له : اي هاد هدي تلك الجراثيم في نقصها وخروجها واي مرشد ارشدها الى استتمام هذه الجوارح والاعضاء الظاهرة والباطنة ووضعها على مقتضى الحكمة وايداع كل منها قوة على حسبه . ونوطها بكل قوة في عضو اداء وظيفة وايفاء عمل حيوي بما عجز الحكماء عن درك سره ووقف علماء الفسولوجيا دون الوصول الى تحديد منافعه . وكيف صارت الضرورة العمياء معلما لتلك الجراثيم وهاديا خبيرا لطرق جميع الكمالات الصورية والمعنوية لاريب انه يقبع تبوع القنفذ . وينتكس بين امواج الحيرة يدفعه ريب وتيلقاه شك الى ابد الابدين .

وكأني بهذا المسكين وما رماه في مجاهل الاوهام ومهامه الخرافات الاقرب المشابهة بين القرد والانسان وكان ما اخذه به من الشبه الواهية العية يشغل بها نفسه عن الآم الحيرة وحسرات العماية" (٢)

وقد ذكر السيد جمال الدين واهيات داروين التي تمسك بها داروين في اثبات ما يدعيه : فمن تلك الواهيات أن داروين يقول ان الخيل في سيبيريا وبلاد الروسية اغزر شعرا من الخيل المتولدة في البلاد العربية مثلا . ويقول ان علة ذلك الضرورة وعدمها . ومن واهياته ايضا ان داروين يردي ان جماعة كانوا يقطعون اذ ناب كلابهم

---

(١) الرد على الدهريين ص ٢٤ ـ ٢٥

(٢) المصدر السابق ص ٢٥

فلما واظبوا على عملهم هذا قرونا صارت الكلاب تولد بلا اذناب ٠

وقد ابطل السيد هاتين الواهتين ابطالا مقنعا وذكر في الاول ان السبب فيما ذكره هو عين السبب لكثرة النبات وقلته في بقعة واحد ة لوقتين مختلفين حسب كثرة الامكار وقلتها ووفور المياه وتدورها ٠ وفي الثانية ان العبرانيين والعرب يجرون الختان الوفا من السنين ولا يولد مولود حتى يختتن وابى الان لم يولد واحد منهم مختونا الا لاعجاز (١)

ثم يبين رأي المتأخرين من الماديين فيقول :

ولما ظهر لجماعة من متأخري الماديين فساد ما تمسك به اسلافه ٠ نبذوا اراءهم واخذوا طريقا جديدة فقالوا : ليس من الممكن ان تكون المادة العارية عن الشعور مصدرا لهذا النظام المتقن والهيئة البديعة والاشكال المعجبة والصور الانيقة وغير ذلك مما خفى سره وظهر اثره ٠ ولكن العلة في نظام الكون علوية وسفلية والموجب لاختلاف الصور والمقدر لأشكالها واطوارها وما يلزم لبقائها تتركب من ثلاثة اشياء : (ميتير) و (فورس) و (انتليجانس) اي مادة وقوة وادراك ٠

وظنوا ان المادة بما لها من القوة وما يلابسها من الادراك تجلت وتتجلى بهذه الاشكال والهيئات وعند ما تظهر بصور الاجساد الحية نباتية كانت او حيوانية تراعى بما لابسها من الشعور ما يلزم لبقاء الشخص وحفظ النوع ٠ فتنشئ لها من الاعضاء والالات ما يفي باداء الوظائف الشخصية والنوعية مع الالتفات الى الازمنة والامكنة ٠ والفصول السنوية هذا انفس ما وجدوا من حلية لمذهبهم العاطل بعد ما دخلوا الف جحر وخرجوا من الف

---

(١) المصدر السابق ص ٢٥ ٠ ٢٦

نفق . (١)

وقد ابطل السيد الافغاني ظنهم وزعمهم هذا بأن قال :

وما هو بأقرب الى العقل من سائر اوهامهم ولا هو بالمنطبق على سائر اصولهم .

فانهم يرون كسائر المتأخرين ان الاجسام مركبة من الاجزاء الديمقراطيسية ولا ينطبق

رأيهم الجديد في علة نظام الكون على رأيهم في تركيب الاجسام .

وذلك لانه يلزم على القول بشعور المادة ان يكون لكل جزء ديمقراطيس شعور خاص

كما يلزم ان تكون له قوة خاصة ينفصل بهما عن سائر الاجزاء اذ لا يمكن قيام العرض الواحد

وحدة شخصية بمحلين فلا يقوم علم واحد بجزئين ولا بأجزاء . (٢)

ويستمر السيد الافغاني في كلامه و استدلاله فيقول :

وبعد هذا - فاني سائلهم كيف اطلع كل جزء من اجزاء المادة مع انفصالها على

مقاصد سائر الاجزاء وبأية آلة افهم كل منها باقيها ما ينويه من مطلبه و اي برلمان

(مجلس الشورى) او اي سنات (مجلس الشيوخ) عقدت للتشاور في ايداع هذه المكونات

العالية التركيب . البديعة التأليف واني لهذه الاجرام ان تعلم وهي في بيضة العصفور

ضرورة ظهورها في هيئة طير يأكل الحبوب فمن الواجب ان يكون له منقار وحوصلة لحاجته

في حياته اليهما واذا كانت في بيض الشاهين والعقاب فمن اين لها العلم بأنها تقوم طيرا

يأكل اللحوم فلا بدله من منسر و مخلاب يصول بهما في الصيد لاقتناص ما يحتاج اليه من

حيوان ثم ينسر لحمه ليأكله .

---

(١) المصدر السابق ص ٢٦

(٢) المصدر السابق ص ٢٦

ومن اين لها ان تعلم وهى فى مشيمة الكلية انها ستكون على صورة انثى الجرد ثم تكبر حتى تبلغ حد الادراك ثم تكون حبلى لوقت من الاوقات وقد تلد اجراء متعددة فى زمن واحد فهى تهيئ لطبيها حلمات كثيرة على حسب حاجة اجرائها .

ومن لهذه الاجزاء المتبددة ان تدرك حاجة الحيوانات الى القلب والرئة والمخ والمخيخ وسائر الاعضاء والجوارح .(١)

ثم يقول السيد الافغانى :

لو عقلت هذه الطائفة ما رمى اليه سوء الى هذا الارتكست فى افكارها وانقلبت الى تيهور من الحيرة لا ترفع منه رأسا ولا تحير جوابا الا ان يتخبطهم شيطان الجهل فيقولون ولايحرون ان لكل جزء من هذه الاجزاء الديمقراطيسية علما بجميع ما كان وما يكون وبجميع ما فى العالم من الاجزاء علويا كان اوسفليا ولكل منها حرص على مراعاة نظام الكون واركانه فيتحرك كل منها للانضمام الى الاخر على وفق ما يريده من المصلحة حتى لا يقع الخلل فى شيئ من نظم العالم عاما كان او خاصا . وبهذا قام العالم على ناموس واحد .(٢)

ثم يستمر السيد فى ابطاله لهذا القول لو حدث منهم فيقول :

فان انتهت بهم العماية الى هذا القول قلنا اولا يلزمهم ان كل جزء ديمقراطيسى يحتوي على ابعاد غير متناهية وهو فى صغرة لا يدرك ولا بالمكر سكوب .

وبيان اللزوم ان العلم عندهم انما هو بارتسام الصور المعلومة فى ذات المعلم العالم وهو مادي فى موضوعنا . فكل صورة معلومة تأخذ منه بعدا بمقدارها والصور العلمية

---

(١) المصدر السابق ص ٢٧

(٢) المصدر السابق ص ٢٧

على هذا الزعم غير متناهية. وكلها يرتسم في مادة الجزء العالم فيكون في كل جزء وهو متناه الى غاية الصور ابعاد غير متناهية وهذا ما تبطله بداهة العقل» .(١)

ويستمر السيد فيقول :

« وثانيا : ان كانت الاجزاء الديمقراطيسية بالغة من العلم هذا المبلغ وهي من القوة على نحوه ان لا قوة الا بها —على رأيهم — فلم لم تبلغ الكائنات وهي هي — غاية ما يمكن لها من الكمال . ولم تنزل بذواتها الالام والاوصاب ثم تعاني العناء في احتمالها او التخلص منها . ولم قصر ادراك الانسان وادراك سائر الحيوانات وموعين ادراك هذه الاجزاء على هذا المذهب حط عن اكتناه حال انفسها وعجز عن حفظ حياتها» .(٢)

ثم يستمر السيد فيقول :

«واعجب من هذا ان المتأخرين من الماديين بعد ما صافحوا كل خرافة لتأييد مذهبهم حاصوا الى الحيرة في بعض الامور فلم يستطيعوا تطبيقها على اصل من اصولهم الفاسدة لا اصل الطبع ولا اصل الشعور . وذلك عند ما رأوا شيئين يختلفان في الخواص وعناصر مما تظهر عند التحليل متماثلة ولم يجدوا المحيص عن الوقفة بعد ما قدموا من الترهات الا بالحكم على الاجزاء الديمقراطيسية رجما بالغيب بأنها ذوات اشكال مختلفة وعلى حسب الاختلاف في الاشكال والاوضاع كان الاختلاف في الاثار والخواص» .(٣)

وبعد ذلك يعدد السيد الافغاني مذاهب هؤلاء المنكرين من الزاعمين ان لا

---

(١) المصدر السابق ص ٢٨

(٢) المصدر السابق ص ٢٨

(٣) المصدر السابق ص ٢٨

وجود للصانع الاقدس . وهؤلاء يعرفون بين اتباعهم اوعند المتألهين من الفلاسفة باسم الطبيعيين والماديين والدهريين وان شئت قلت ينشريين وناتور اليسميين ومايتر اليسميين وقال السيد انه سيأتي على تفصيل مذاهبهم ودحض حججها بالبينات العقلية في رسالة اوسع من هذه الرسالة وقرن قوله بان شاء الله تعالى .(١)

ثم يقول السيد الافغاني :

ولا يظن ظان انا نقصد من مقالنا هذا تشنيعا بهؤلاء (البياجوات) الهنديين (البياجوا اسم ايطاليائي اشتهر في الهند لمن يقلد الماهر في اللعب بحركات غير متسقة لاضحاك الناظرين . ويعبر عنه في العربية بالخلابيس واصله الشيئ لا نظام له والطبيعيون في الهند يمثلون احوال الدهريين في اوروبا تمثيلا مضحكا) كلا ان هؤلاء لا نصيب لهم من العلم بل ولا من الانسانية فهم بعيدون من مواقع الخطاب ساقطون عن منزلة اللوم والاعتراض .

نعم لو اريد انشاء يتاترو (ملهى) او (كطبتلى) (نوع من اللعب يشخصون فيه احوال ملوك الهند الاقدمين) لتمثل فيه احوال الامم المتمدنة مست الحاجة الى هؤلاء لاقامة هذه الالاعيب . وانما غرضنا الاصلى اعلان الحق واظهار الواقع . والان نعتمد الشروع في بيان المفاسد التي جلبها الماديون (الينشريون) على نظام المدنية والمضار التي تضعضع لها بناء الهيئة الاجتماعية وكان منشؤها نشر افكارهم .(٢)

---

(١) المصدر السابق ص ٢٨

(٢) المصدر السابق ص ٢٩

المذاهب المادية التي جعلها السيد الافغاني هدفا لنقده ورده

وهى كالاتى :

١ـ مذهب ابيقور فى الشعب الاغريقى .

٢ـ مذهب مزدك فى الشعب الفارسى

٣ـ ~~الخلط~~ مذهب الباطنية فى الجماعة الاسلامية .

٤ـ مذهب فولتير و روسو فى الشعب الفرنسى

٥ـ مذهب العصر الجديد فى تركيا . (فى العهد العثمانى)

٦ـ مذهب الاجتماعية

٧ـ مذهب العدمية (القومية)

٨ـ مذهب الاشتراكية (الشيوعية)

(٦–٨) فى اوربا و ~~بصفة~~ بخاصة فى الشعب الروسى .

٩ـ مذهب مورمان فى امريكا .

١٠ـ مذهب دهرى الشرق المقلدين تقليدا اعمى .

ويتضمن رد السيد الافغانى على الدهريين فى اي صورة كانوا وعلى مذهب كانوا ثلاثة امور :

١ـ بيان ضرورة الدين للمجتمع

٢ـ بيان خطر انتشار المذهب الطبيعى على المجتمع .

٣ـ مزية الاسلام كعقيدة ودين على الاديان .

بيان مظاهر الماديين ومقاصدهم :

يقول السيد جمال فى بيان مظاهر الماديين ومقاصدهم وهذا هو النص :

تخالفت مظاهر الماديين فى الامم والاجيال المختلفة فتخالفت اسماؤهم فكانوا تارة يسمون انفسهم بسمات الحكماء وينتحلون الحكيم لقبا لافرادهم واحيانا كانوا يتسمون بسمات دفع الظلم والجور وكثيرا ما تقدموا لمسارح الانظار تحت لباس عراف الاسرار كشفة الحقائق والرموز و الواصلين من كل ظاهر الى باطنه ومن كل بارز الى كامنه وقد كانوا يظهرون فى اوقات بدعوي السعي فى تطهير الاذهان من الخرافات و تنوير العقول بحقائق المعلومات و تارات يتمثلون فى صور محبى الفقراء و حماة الضعفاء و طلاب خير المساكين وكثيرا ما تجردوا على دعوة النبوة ولكن لا على سنن سائر المتنبئين الكذبة. كل ذلك توسلا لاجراء مقاصدهم وترويج مفاسدهم .(١)

ثم يقول السيد فى مضرتهم :

كيفما ظهر الماديون وفى اي صورة تمثلوا وبين اي قوم تجموا كانوا صدمة شديدة على بناء قومهم وصاعقة مجتاحة لثمار اممهم وصدعا متفاقما فى بنية جيلهم يميتون القلوب الحية باقوالهم وينفثون السم فى الارواح بارائهم ويزعزعون راسخ النظام بمساعيهم فما رزئت بهم امة ولا منى بشرهم جيل الا انتكث فتله . وسقط عرشه وتبددت احاد الامة وفقدت قوام وجودها .(٢)

ويفهم من كلام السيد الافغاني ان الانسان لجهله وهلعه وجزعه ، ومنعه وحرصه

(١) المصدر السابق ص٢٩

(٢) ايضا ص ٣٠

كان محتاجا الى دين انعم الله به فاخذ منه اصولا وخصالا لسعادته وقصد النيشريه هو قلع تلك الاصول وانساد تلك الخصال .[١]

بيان ما افاد الدين من العقائد والخصال :

يقول السيد فى هذا :

" اكسب الدين عقول البشر ثلاث عقائد واودع نفوسهم ثلاث خصال . كل منها ركن لوجود الامم . وعماد لبناء هيئتها الاجتماعية . واساس محكم لمدينتها . وفى كل منها سائق يحث الشعوب والقبائل على التقدم لغايات الكمال والرقى الى ذري السعادة . ومن كل واحد ةوازع قوي يباعد النفوس عن الشر ويزعجها عن مقارفة الفساد ويصدها عن مقاربة مايبيدها ويبيدها ".[٢]

وهذه العقائد الثلاث :

١- الاولى التصديق بان الانسان ملك ارضى وهوهذا اشرف المخلوقات .

٢- الثانية : يقين كل ذي دين بان امته اشرف الامم وكل مخالف له فعلى ضلال وباطل .

٣- الثالثة : جزمه بان الانسان انما ورد هذه الحياة الدنيا لاستحصال كمال يهيئه للعروج الى عالم ارفع واوسع من هذا العالم الدنيوي والانتقال من دار ضيقة الساحات كثيرة المكروهات جديرة بان تسمى بيت الاحزان وقرار الالام الى دار فسيحة الساحات . خالية من المؤلمات لاتنقضى سعادتها ولا تنتهى مدتها .[٣]

---

(١) المصدر السابق ص ٣٠

(٢) المصدر السابق ص ٣٠

(٣) المصدر السابق ص ٣٠ . ٣١

والخصال الثلاث التى اودعها الدين نفوس البشرهى :

١ـ الحياء

٢ـ الامانة

٣ـ الصدق . (١)

ويقول السيد فى فوائد هذه العقائد الثلاث :

" لا يخفى العاقل عما يتبع هذه العقائد الثلاث من الاثار الجليلة فى الاجتماع البشري والمنافع الجمة فى المدينة الصحيحة . وما يعود منها بالاصلاح على روابط الامم . وما لكل واحدة من الدخل فى بقاء النوع والميل بافراده لأن يعيش كل منهم مع الاخر بالمسالمة والموادعة . والاخذ بعموم الامم للصعود فى مراقى الكمال النفسى والعقلى ". (٢)

ثم ذكر السيد أن لكل عقيدة من هذه العقائد الثلاث لوازم وخواص لا تزايلها . وقد فصل ذلك تفصيلا واضحا وخلاصة هذا التفصيل كما يلى :

العقيدة الاولى وهى ان الانسان اشرف المخلوقات . فيلزم هذه العقيدة ان يترفع الانسان عن كل رذيلة ويتصف بكل فضيلة . فهذه العقيدة تصرف الانسان عن مشابهة الحيوانات فى طرق المعيشة . وتزجره عن التقاطع المؤدي الى الشجار ويدعوه الى استعمال القوة العقلية وتهذيب النفوس وتطهيرها من دنس الرذائل ولذا نجد الاقوام التى لا تعتقد بهذه العقيدة فى دناءة وسوء حالة .

العقيدة الثانية وهى يقين الامة بأنها اشرف الامم وجميع من يخالفها على الباطل

---

(١) المصدر السابق ص ٣٤ ، ٣٦ ، ٣٧

(٢) المصدر السابق ص ٣١

من خواصها انها تحاول ان تصل الى اعلى مراتب الكمال فى جميع ميادين الحياة والحصول على ما يكون سببا فى رقيها وعظمتها وان لا تكون متأخرة عن الامة الاخري وتري ان كل فرد من افرادها اليق واجدر بكل ما يعد شرفا .

وهذه العقيدة ترفع كل امة ان تتزين بجميع ما توصلها الى العلاء .

والامة التى لا تعتقد فى هذه العقيدة تراها فى ذل و هوان وتعتبر نفسها ادنى من سائر الامم .(١)

العقيدة الثالثة وهى الجزم بأن الانسان ما ورد هذا العالم الا لتيزود منه كما لا يعرج به الى عالم ارفع ويرتحل به الى دار اوسع وجناب امرع فمن خواصها ان يزين الانسان عقله بالعلوم الحقة والمعارف الصافية وتدعو الانسان الى العمل الدائم والكسب المشروع والابتعاد عن طرق الخيانة والكذب والحيلة والرشوة والتملق الكلبي والخدع الثعلبي والصرف فى وجوه الخير كما ينبغى وكيف ينبغى . وترشد الانسان وتهديه الى المدينة الثابتة على المعارف الحقة والاخلاق الفاضلة وهذا الاعتقاد اشد ركن لقوام الهيئة الاجتماعية . وهو انجع الذرائع لتوثيق الروابط بين الامم .

ولذا تري الجيل الذي حرم هذه العقيدة قد وقع بين افراده الشقاق والكذب والحيل والخداع والرشوة والاختلاس والحرص والشره والغدر والاغتيال وهضم الحقوق والجدال والجلاد والجفاء للعلم والعشوة عن نور المعرفة .(٢)

ثم ذكر السيد الافغانى الخصال الثلاث وفصل كل خصلة تفصيلا كاملا نأتى بخلاصته .

---

(١) المصدر السابق ص ٣١ . ٣٢

(٢) المصدر السابق ص ٣٣ . ٣٤

الحياء : وهو انفعال النفس من اتيان ما يجلب اللائمة وينحى عليها بالتوبيخ . وتاثرها من التلبس بما يعد عند الناس نقصا .

ومن الحق ان يقال ان هذه الخصلة اكثر تاثيرا فى نظام الحياة البشرية ومنع النصوص عن ارتكاب الامور القبيحة من هيئات القوانين والاف الشرط والمحتسبين لان من فاته الحياء يفعل ما يشاء لا يردعه اي شيئ بعد ذلك من ارتكاب الدنايا والقبائح . ولذا يلزم الحياء شرف النفس وعليه دائرة المعاملات وتتصل به سلسلة النظام . وهو راس مال الانسان فى جميع المكارم . وهو مدعاة للناس الى العمل الشريف وعمل كل ما من شانه ان يرفع الانسان الى العظمة فى جميع ميادين الحياة . وهو قائد المعلمين والقائمين على التربية . والدعاة الى مكارم الاخلاق وقصاري القول ان الحياء مصدر لجميع الطيبات ومرجع لكل فضيلة وسلم لكل ترق . ومن فاته الحياء تراه فى كل واديهيم من الدناءة والرذيلة وارتكاب السيئات والموبقات .(1)

الامانة :

هذه الخصلة ضرورية جدا فى جميع المعاملات وفى الواقع ان الامانة روح المعاملات والمعاوضات فى منافع الاعمال . سواء كان بين الفرد والفرد او بين الفرد والحكومة او بين الحكومة والحكومة .

وهى ضرورية فى جميع قطاعات الحكومة من القواد والامراء والوزراء والقضاة والولاة والحراس . وجباة الاموال والصراف فى وجوه مختلفة . لان الامانة اذا كانت موجودة

---

(1) المصدر السابق ص ٣٥ . ٣٦

فيهم قام كل قطاع وطبقة بعمله خير قيام والافشاع الفساد وضاعت الحقوق . وصار الدمار في كل قطاع حليف الامة .[١] ويقول السيد في ذلك :

" ومن الظاهر ان استعلاء قوم على اخرين انما يكون باتحاد احاد العاملين والتئام بعضهم ببعض حتى يكون كل منهم لبنية قومه كالعضو للبدن ولن يكون هذا الاتحاد حتى تكون الامانة قد ملكت قيادهم وعمت بالحكم افرادهم" .[٢]

الصدق :

الانسان في حياته كثير الاحتياجات والضروريات وليس عنده علم كاف بجميع ما يفيده في حياته وما يضره ولذا ولذا يحتاج الى الاستعانة بمشاعر امثاله من بني جنسه والاستهداء بمعارفهم فيما يفيده ويمنع عنه ضره . والاستهداء هذا يكون بالاستخبار ولاتتم فائدة الخبر الا ان يكون من مصدر صدق اي يكون الشخص الذي يخبر صادقا فيما يقول يحدث عن موجود ويحكي عن مشهود والاقلا فائدة .

وذلك ان الكاذب يري البعيد قريبا والقريب بعيدا ويظهر النافع في صورة الضار والضار في صوته النافع . فهو سبب المصائب كلها .

فعلى ما تقدم يعتبر الصدق ركنا ركينا للوجود الانساني وعمادا للبقاء الشخصي والنوعي وموجبا للربط بين الناس . ولا يمكن ان تتحق الالفة مدنية كانت او منزلية بدونه . والامة التي نقدت خصلة الصدق التصق بها الدمار والحزاب .[٣]

---

(١) المصدر السابق ص ٣٦ . ٣٧

(٢) المصدر السابق ص ٣٧

(٣) المصدر السابق ص ٣٧ . ٣٨

بيان غايات النيشريين :

يقول السيد الافغاني في ذلك :

" هولاء جحدة الالوهية في اي امة وباي لون ظهروا . كانوا يسعون ولايزالون يسعون لقلع اساس هذا القصر المسدس الشكل قصر السعادة الانسانية القائم بستة جدران : ثلاث عقائد وثلاث خصال . اعاصير افكارهم تدكدك هذا البناء الرفيع وتلقى بهذا النوع الضعيف الى عراء الشقاء وتهبط به من عرش المدنية الانسانية الى ارض الوحشة الحيوانية (١)

وذكر السيد الافغاني هذا وكلاما مفصلا نأخذ من كل ذلك ما يأتي :

ان النيشرية ينكرون الالوهية ويسعون لبطلان القصر المسدس : العقائد الثلاث المذكورة والخصال المذكورة سابقا ولا يعترفون بالاديان ويعتبرونها اوهاما باطلة ومجعولا وضعية من صنع الانسان ولا يعترفون بشرف امة على اخري اعتمادا على اصول دينها . و يقولون انها ليست اولى من اخري بفضيلة ولا اجدر بمزية . ويقولون ان الانسان كسائر الحيوانات وليس له افضلية على البهائم بل هو اخس منها خلقة وادنى فطرة . وذهبوا الى انه لاحياة للانسان بعد هذه الحياة اي ينكرون البعث .

وهذه الغايات كلها تسبب فتور الهمم وركودا لحركات الارادية عن قصد المعالي وتسهل على الناس ايتان القبائح وتهون عليهم اقتراف المنكرات وتمهد لهم طرق البهيمية وترفع عنهم معايب العدوان . وتطلق النفوس من قيد التأثم وتوجهها الى انواع العدوان من قتل وسلب وهتك عرض والغدر والخيانة وفعل كل خبيثة والوقوع في كل رذيلة والاعراض بالمفعة

---

(١) المصدر السابق ص ٣٩

بالعقول عن كسب الكمال البشري واعدام الرغبة فى كشف الحقائق وتعرف اسرار الطبيعة .(١)

وبما ان خلة الحياء تمنع الناس عن الوقوع فى كل هذه الدنيا فان هؤلاء النيشر بين يعمدون الى خلة الحياء ليزيلوها او يضعفوها . ويعتبرون الحياء ضعفا و نقصا ويدعون الى قلة الحياء ويعتبرونها كمال القوة وبهذه الدسيسة يخلطون بين الانسان والعمل ويوحدون بين حال الانسان وحال الدواب من اباحة كل عمل والاشتراك فى كل شهوة . ويحولون على الانسان ايتان ما تأتيه من نزوات الحيوانية .

والامانة والصدق منشأهما الحياء والايمان بيوم الجزاء ولذا يسعى النيشريون للقضاء على عقيدة الايمان بيوم الجزاء . وعلى خصلة الحياء لأن القضاء عليهما قضاء على الامانة والصدق .

ومن شناعة ما ذهبوا اليه من اصولهم الاباحة والاشتراك المطلقان . ويزعمون ان جميع المشتهيات حق شائع . والاختصاص بشيء منها يعد اغتصابا . فليس عندهم محل للخيانة . ويقول ان الاحتيال لنيل الحق لا يعد خيانة وهكذا الكذب فانه قد يكون وسيلة للوصول الى حق مغتصب فلا يعد ارتكابا للقبيح . فاراء هذه الطائفة تدعو الى جميع المفاسد .(٢)

ويقول السيد فى ذلك :

واقول انها من اشد الاعداء للنوع الانسانى كافة فان ما هاج فى رؤس انبائها من الماليخوليا يخيل لهم ان الاصلاح فيما يزعمون ويصور لهم حقيقة النجاح فى صور ما يتوهون فيبعثهم هذا الفساد لايقاد النار فى بيت هذا النوع الضعيف . ليمحوا بذلك رسمه من لوح الوجود .(٣)

---

(١) المصدر السابق ص ٣٩ — (٢) المصدر السابق ص ٤٠
(٣) المصدر السابق ص ٤١ —

ان مبادي و اراء النيشريين تدعو الى العطل فى كل شيئ لانهم لا يعترفون بالافضلية والاختصاص والامتياز والرفعة . وبذلك اذا تمكنت هذه الاراء من امة رأيتها لا تزيد عن البهائم فى شيئ . لانه لا يوجد هناك فى تعاليم ما يدفع الانسان الى عمل هام او كسب معرفة او ما يكون سببا لرفع شأنه وشأن امته .(١)

بيان مسالك النيشريين فى طلب غاياتهم :

يسلك النيشريون لبث ادهامهم الفاسدة طرقا مختلفة :

اذا كانوا فى مأمن جهروا بمقاصدهم بصريح المقال . واذا [illegible] خافوا من سطوة العدل اختاروا طريق الرمز والاشارة والكناية .

تارة يحملون على اركان القصر المسدس (العقائد والخصال) ليصدعوها بجملتها فى ان واحد هذا اذا كانوا فى مأمن دون مانع .

وعند وجود المانع يعمدون الى بعضها ويكدحون لهدمه حسب المستطاع . واحيانا يبتعدون عن الهجوم على الاركان المستقيمة باسرها ويدأبون لابطال لوازمها او ملزوماتها ليعود ذلك بابطالها .

وقد يكتفون بانكار الصانع جل شأنه . وجحد عقائد الثواب والعقاب . ويجهدون لافساد عقائد المؤمنين علما بأن فساد (الاعتقاد بالله والاعتقاد بالثواب والعقاب) لامحالة هو يفضى الى مقاصدهم .

وكثيرا ما يسكتون عن ذكر المبادئ ويحدفون الى ذات المقصد وهو الاباحة

(١) المصدر السابق ص ٤٢

والاشتراك ويزينونه ويستميلون النفوس اليه ·

وقد يتركون سبيل الدعوة ويلجأون الى الغدر والاغتيال فيريقون سيولا من الدماء الشريفة وذلك بطرق من الحيل وضروب من الختل ·[1]

بيان ضرر مذاهبا لنيشريين حتى بعقول من

لا يأخذ بها اذا خالطهم :

متى ظهر النيشريون فى امة · نفذت وساوسهم فى صدور الاشرار من تلك الامة · و ذلك لموافقة هذه الاراء الفاسدة لأهوائهم الخبيثة ويبدءوا بترويج المشرب النيشري بين العامة غير ناظرين الى ما يكون من اثره ومن الناس من لا يوافقونهم فى ارائهم الا انهم لا يسلمون من مضارها · لان الوهم يلم بأركان عقائده والفساد يسري لأخلاقه من حيث لا يشعر لأن جميع الناس ليسوا من الوعى فى درجة تحفظهم من الوقوع فى حبالهم شعوريا اولا شعوريا ·

ولذا تري الفساد قد عم · ولا يدري من اين هذا الفساد وما مصدره · وتري الشنائع والدنايا تشيع بين الناس وتجد الشخص يدعى بلسانه انه مؤمن بيوم الجزاء · ولكن عمله على خلافه · يفعل ما يفعل النيشري ولذا تري فيهم الاثرة · كل يحب نفسه ويحب منفعته ويضحى بالمنفعة العامة ولو كانت كبيرة فى سبيل منفعته الخاصة ولو كانت صغيرة ولذا تري يتمكن من افراد هذه الامة الحرص والجبن والخوف والذل واخيرا تجد هذه الامة قد تقطعت فيها روابط الالتئام او انعدمت وحدتها الجنسية وفقدت قوتها الحافظة وهوت عروش مجدها

---

(١) المصدر السابق ص ٤٢ · ٤٣

وهجرت الوجود كما هجرها . (١)

بيان الامم التى خضعت للذل وضرعت للضيم

بعد العزة والشرف بما افسد فيهم النيشريون (الـدهريـون) :

قد اخذ السيد الافغانى لهذا امثلة من التاريخ واثبت تاريخيا من حال الاقوام والشعوب التى اذا ظهرت فيهم النيشريون . وبثوا فى لهد ابنائهم افكارهم الهدامة صاروا الى الضعف بعد القوة والى المسكنة والذل بعد العزة والاباء والى العبودية والاستكانة بعد الحرية والشهامة ومن هذه الشعوب شعب (الكريك) اليونانيون ويقول السيد :

الكريك (اليونانيون) :

كانوا قوما قليلى العدد وبما الهموا او ورثوا من العقائد الثلاث خصوصا عقيدة ان امتهم اشرف الامم . وبما اودعوا من الصفات الثلاث خصوصا صفة الانفة والاباء وهما عين الحياة ثبتوا احقابا فى مقاومة الامة الفارسية وهى تلك الامة العظيمة التى كانت تمتد من نواحى كاشغر الى ضواحى استنبول . ذلك فوق ما بلغوه من الدرجات العالية فى العلوم الرفيعة وقد حملهم الخوف من الذل . ولا نفة من العبودية على الثبات فى مواقف الابطال بل رسخ بهم ذلك ولا رسوخ الجبال . حذرا من الوقوع فيما لا يليق بارباب الشرف وابناء المجد حتى ال بهم الامر ان تغلبوا على تلك الدولة العظيمة دولة فارس وهدموا اركانها . ومدوا ايديهم الى الهند وكانت صفة الامانة قد بلغت من نفوسهم الى حيث كانوا يرجحون الموت على الخيانة كما تراه فى قصة (تيمستوكليس) وهو قائد يونانى نبذه ابناء جلدته و

(١) المصدر السابق ص ٤٣ . ٤٤

طردوه وارصدوا له القتل فاضطر للفرار من ايديهم والتجاء الى (ارتكزيكسيس) ملك فارس فلما كانت حرب بين فارس واليونان امره (ارتكزيكسيس) ان يتولى قيادة جيش لحرب اليونان فأبى ان يحارب امته وان كانت طردته فلما الح عليه الملك الفارس ولم يجد محيصا تناول السم ومات انفة من خيانة بلاده. راجع تاريخ اليونان .(١)

هكذا كان الشعب في قوة وعزة وجلال حتى ظهر فيهم ريبقور الدهري و اتباعه في بلاد اليونان متسمين بسيما الحكماء . وانكروا الالوهية . وقالوا ان الانسان ليس بأشرف المخلوقات و انكروا عقيدة البعث بعد الموت وقالوا ان الانسان ادنى من بقية الحيوانات . وكل ما تعلمه من الفنون والصنائع هو بالتقليد عن الحيوانات . ولذا ينبغي له ان يمش مثل الحيوانات وان لا يفرق بين الحلال والحرام . ثم عمدوا الى خصلة الحياء التى تسد الناس عن ارتكاب الرذائل وتدعوهم الى المحاسن ليزيلوها من النفوس فقد عتكوا حجاب هذه الخصلة (الحياء) و استحلوا اموال الناس وبدءوا يقتحمون الموائد دون ان يطلبوا اليها حتى سموا بالكلاب . وبدءوا ينادون في الاسواق بأن المال مشاع بين الكل .

فلما انتشرت هذه الافكار الهدامة في اليونانيين بسعي ابيقور . غلبت عليهم جميع الصفات القبيحة وانعدمت فيهم جميع الخصال الوفيقة الرفيعة وبذلك تبدلت قوتهم بضعف وشرفهم بذل وعلمهم ومعرفتهم بالجهل وجرأتهم بالجبن . وتهدمت اركان سعادتهم المععه الستة . واخيرا وقعوا اسرى في ايدي الرومانيين مقهورين مذمومين بعد ان كانوا حكاما واسيادا ».(٢)

---

(١) المصدر السابق ص ٤٥
(٢) المصدر السابق ص ٤٥ــ ٤٧

هذه هي نتيجة افكار الدهريين • ففي عدم انتشارها في امة عزتها وقوتها • وفي انتشارها في امة ذلتها وضعفها •

الامة الفارسية :

يقول السيد جمال الدين :

بلغت فيها الاصول الستة اعلى مكانة من الكمال احقابا طويلة • فكانت لها اصول السعادة وموارد النعيم • حتى بلغ اعتقاد الفارسيين من الشرف لانفسهم الى حد انهم كانوا يزعمون ان السعداء من غيرهم انما هم الداخلون في عهدهم المستظلون بحمايتهم او المجاورون لممالكهم •

كان الصدق والامانة اول التعليم الديني عندهم ووصلوا في التحرج من الكذب الى حيث كانوا اذا بلغت الحاجة مبلغا من احدهم لا يتقدم للاقتراض خوف ان يضطره الدين الى الكذب في مواعيد وفائه • فارتفعوا بهذه الخصال الى درجة من العزة وبسطة الملك يلزم لبيانها كتاب مثل الشاهنامه •(1)

قال المؤرخ الفرنساوي فرنسيس لو نورمان ان مملكة فارس على عهد دارا الاكبر كانت احدي وعشرين ايالة •(2) واحدة منها تحتوي مصر وسواحل القلزم (البحر الاحمر) وبلوخستان والسند وكانوا اذا الم الضعف بسلطانهم في زمن من الازمان بعثتهم تلك العقائد القويمة والصفات الكريمة على تلافي امرهم فخلصوا مما الم بهم في قليل زمن

---

(١) هو من عيون الادب الفارسي للفردوسي وليس للسعدي كما قال محمد عمارة في كتابه الاعمال الكاملة للسيد جمال الدين الافغاني ص١٥٦

(٢) الايالة هي الولاية والامارة •

ورجعوا الى مكانتهم الاولى ومجدهم الاعلى ٠ (١)

في عهد قباذ (احدا كا سرة الفرس) ظهر فيهم مزدك النيشري وانتحل لنفسه لقب رافع الجور ودافع الظلم ونبزعة من نزعاته قلع اصول السعادة من ارض الفارسيين وبداء تعليمه بقوله : جميع القوانين والحدود والاداب الموضوعة بين الناس قاضية بالجور ومقررة للظلم ومبنية على الباطل ٠ وان الشريعة النيشرية المقدسة لم تنسخ حظ حتى الان ٠ و بقيت مصونة عند الحيوانات والبهائم وليس لعقل وفهم الوصول الى سر شريعة الطبيعة ومن تعاليمه ان الطبيعة جعلت المأكل والمشرب والبضاع مشاعا بين الاكلين والشاربين والباضعين بدون ادنى تخصيص ٠ وتعاليمه لاتمنع الانسان من بضاع بنته وامه واخته ولا يعترف هو بحق بالملكية الخاصة ولا يعترف بأن تدخل امراة في عقد انسان ٠ ثم يحظر على بقية الناس نيلها ويقول ان الذكر خلق للانثى ٠ والانثى للذكر ٠ ولا يعترف بملكية مال لشخص ٠

ولهذا هو يدعو الى نبذ كل ما يحول دون ذلك من الشرائع والاداب والقوانين و يدعوا الى الرجوع الى سنة الطبيعة المقدسة (كما يزعم) ويدعو الى ان يقضي الانسان شهوته ايا كان وبأي وجه كان مثل البهائم ويدعوا الى مقاومة المالكين للاموال والبضاع وازالة حق التملك ٠ (٢)

يقول السيد الافغاني :

لما ذاعت هذه النزعات الخبيثة بين الامة الفارسية تهتك الحياء وفشا الغدر والخيانة وغلبت الدناءة والنذالة واستولى حكم الصفات البهيمية على نفوسهم وفسدت

---

(١) الرد على الدهريين ص ٤٧ ٠ ٤٨

(٢) المصدر السابق ص ٤٨ ٠ ٤٩

اخلاقهم وزنت طباعهم ٠

نعم ١٠ نوشيروان قتل مزدك وجماعة من شيعته ولكنه لم يستطع محو هذه الاوهام الفاسدة بعد ما علقت بالعقول ٠ والتبست نفايتها بالافكار فكان علته فى ضعفهم حتى اذا هاجمهم العرب لم تكن الاحملة واحدة فانهزموا مع ان الروم وهم اقران الفارسيين ثبتوا فى مجالدة العرب ومقاتلتهم ازمانا طويلة ٠ (١)

الامة الاسلامية

ولأهمية هذا الموضوع اود ان اتى بأكثرها ، نصا ٠ يقول السيد الافغانى :

جاءت الشريعة المحمدية والديانة السماوية فأشربت قلوبها تلك العقائد الجليلة ومكنت فى نفوسهم تلك الصفات الفاضلة وشمل ذلك احادهم ورسخت بينهم تلك الاصول الستة بدرجة يقصر القلم دون التعبير عنها فكان شأنهم ان بسطوا سلطانهم على رؤس الام فى جبال الالب الى جدار الصين فى قرن واحد وحثوا تراب المذلة على رؤس الاكاسرة و القياصرة مع انهم لم يكونوا الاشرذمة قليلة العدد نزرة العدد ولم ينالوا هذه البسطة فى الملك ٠ والسطوة فى السلطان الا بما حازوا من العقائد الصحيحة والصفات الكريمة ٠ هذا الى ما جذبه مغناطيس فضائلهم من مائة مليون دخلوا فى دينهم فى مدة قرن واحد من امم مختلفة مع انهم كانوا يخيرونهم بين الاسلام وشيء زهيد من الجزية لا يثقل على النفوس اداؤه ٠ هكذا كان حال هذه الامة الشريفة من العزة والسلطان ٠

فلما كان القرن الرابع بعد الهجرة ظهر النيتشريون (الطبيعيون) بمصر تحت اسم

---

(١) المصدر السابق ص ٤٩

الباطنية وخزنة الاسرار الالهية .[1] وانبثت دعاتهم فى سائر البلاد الاسلامية خصوصا بلاد ايران . علم هؤلاء الدهريون ان نور الشريعة المحمدية على صاحبها افضل الصلوة واتم التسليم قد انار قلوب المسلمين كافة وان علماء الدين الحنيفى اقاموا على حراسة عقائد المسلمين واخلاقهم بكمال علم وسعة فضل ودقة نظر . فلهذا ذهب اولئك المفسدون مذاهب التدليس فى نشر ارائهم . وبنوا تعليمهم على امور .

اولا : اثارة الشك فى القلوب حتى يتفكك عقد الايمان . و

ثانيا : الاقبال على الشاك وهو فى حيرته ليمنوه بالنجاة منها وهدايته الى اليقين الثابت فاذا انقاد لهم اخذوا منه مواثيقهم ثم اوصلوه الى مرشدهم الكامل . و

ثالثا : اوعزوا الى دعاتهم ان يلبسوا لرؤساء الدين الاسلامى لباس الخدعة وجعلوا من شروط الداعى ان يكون بارعا فى التشكيك . ماهرا فى التلبيس مقتدرا على اشراب القلوب مطالبه . فاذا سقط ساقط من المغرورين فى حباله مرشدهم الكامل فاول ما يلقنه المرشد قوله :

ان الاعمال الشرعية الظاهرة ــ كالصلاة والصيام ونحوهما انما فرضت على المحجوبين دون الوصول الى الحق . والحق هو المرشد الكامل فحيث انك وصلت الى الحق . فاليك ان تلقى عن عاتقك ثقل الاعمال البدنية فاذا مضى عليه زمن فى عهدهم صرحوا له بأن جميع الاعمال الباطنة والظاهرة وكذلك سائر الحدود والاعتقادات انما الزمت فرائضها بالناقصين المصابين بأمراض من ضعف النفوس ونقص العقول اما وقد صرت كاملا . فلك الاختيار فى مجاوزة كل حد مضروب . والخروج من اكنان التكاليف الى باحات الاباحة الواسعة ما الحلال

---

(١) المقصود هنا هى الدولة الفاطمية .

وما الحرام ما الامانة وما الخيانة ما الصدق وما الكذب ما هى الفضائل وما هى الرذائل الفاظ وضعت لمعان مخيلة . وما لها من حقيقة واقعية فى زعم المرشد .

فاذا قرر المرشد اصول الاباحة فى نفوس اتباعه التمس لهم سبيلا لانكار الالوهية وتقرير مذهب النيشرية — الدهريين — فأتى اليهم من باب التنزيه فقال :

الله منزه عن مشابهة المخلوقات ولو كان موجود الاشبه الموجودات ولو كان معدوما لأشبه المعدومات . فهو لا موجود ولا معدوم (يعنى انه يقر بالاسم وينكر المسمى) مع ان شبهته هذه سفسطة بديهة البطلان . فان الله منزه عن مشاركة الممكنات فى خصائص الامكان . اما فى مطلق الوجود فلا مانع من ان يتفق اطلاق الوصف عليهما وعليه . وان كان وجوده واجبا ووجودها ممكنا .

وقد جدت طائفة الباطنية فى افساد عقائد المسلمين زمانا غير قصير اخذا بالحيلة ونفاذا بالخدعة . حتى انكشف امرهم لعلماء الدين ورؤساء المسلمين فانتصبوا لدرء مفاسدهم وتحويل الناس عن ضلالاتهم فلما رأوا كثرة معارضيهم . شحذوا شفار الحيلة ففتكوا بكثير من الصالحين . واراقوا دماء جم غفير . من علماء الامة الاسلامية وامراء الملة الحنيفية .(1)

وبعض اولئك المفسدين عند ما امكنته الفرصة . ووجد من نفسه ريح القوة . اظهر مقاصده على (الموت) — قلعة بخراسان — وجهر بارائه الخبيثة فقال :

اذا قامت القيامة حطت التكاليف عن الاعناق ورفعت الاحكام الشرعية سواء كانت متعلقة بالاعمال البدنية الظاهرة او الملكات النفسية الباطنة والقيامة عبارة عن قيام القائم

---

(1) ومنهم طائفة الاسماعيلية . ومنهم الجماعة المشهورون بالحشاشين ولهم للان بقية فى جبل الدروز (هكذا قال الامام محمد عبه فى الهامش) ص ٥٢

الحق · وانا القائم الحق فليعمل عامل ما اراد فلا حرج بعد اليوم اذ وضعت رفعت التكاليف وخلعت منها الذمم (اي لخلفك اغلقت ابواب الانسانية وفتحت ابواب البهيمية) ·

وبالجملة فهؤلاء الدهريون من اهل التأويل اي (الناتور اليسم) من الاجيال السابقة الاسلامية عملوا على تغيير الاوضاع الالهية بفنون من الحيل ودعوا كل كمال انساني نقصا وكل فضيلة رذيلة وخيلوا للناس صدق ما يزعمون · ثم تطاولوا على جانب الالوهية فحلوا عقود الايمان بها بالسفسطة التي سموها تنزيها ومحوا هذا الاعتقاد الشريف من لوح القلوب وفي محوه محو سعادة الانسان في حياته وسقوطه في هاوية اليأس والشقاء ·

فأفسدوا اخلاق الملة الاسلامية شرقا وغربا وزعزعوا اركان عقائدها · وساعدهم مد الزمان على تلويث النفوس بالاخلاق الرديئة وتجريدها من السجايا الكاملة التي كان عليها ابناء هذه الملة الشريفة حتى تبدلت شجاعتهم بالجبن · وصلابتهم بالخور وجرأتهم بالخوف وصدقهم بالكذب وامانتهم بالخيانة ووقع المسخ في محمهم فبعد ان كان مرماها مصالح الملة عامة · صارت قاصرة على المنافع الشخصية الخاصة · وعادت رغباتهم لا تخرج عن الشهوات البهيمية ·

وكان من عاقبة ذلك ان جماعة من قزم الافرنج صدعوا اطراف البلاد السورية (١) وسفكوا فيها دماء الاف من اهاليها الابرياء · وخربوا ما امكنهم ان يخربوا · وثبتوا بها نحو مائتي سنة والمسلمون في عجز عن مدافعتهم مع ان الافرنج كانوا قبل عروض الوهن لعقائد المسلمين وطروء الفساد على اخلاقهم في قلق لا يستقر لهم امن على حياتهم وهم في بلادهم خوفا من عادية المسلمين ·

---

(١) اشارة الى الحروب الصليبية واهوالها ·

وكذلك قام جماعة من اوباش التتر والمغول مع جنكيزخان واخترقوا بلاد المسلمين وهدموا كثيرا من المدن المحمدية واهدروا دماء ملايين من الناس ولم تكن للمسلمين قدرة على دفع هذا البلاء عن بلادهم . مع ان مجال خيولهم فى بدء الاسلام على قلة عددهم كان ينتهى الى اسوار الصين .

وما نزل بالمسلمين شيئ من هذه المذلات والاهانات ولارزئوا بالتخريب فى بلادهم والفناء فى ارواحهم الا بعد ما فقد كلت بصائرهم ونخلت نياتهم وما زج الدغل قلوبهم و خربت امانتهم . وفشا الغش والادهان بينهم ودار كل منهم حول نفسه لا يعرف امة ولا ينظر الى ملة فاصبحوا بقناة خوارة بعد ان كانت قناتهم لاتلين .

الا ان بقية من تلك الاخلاق المحمدية كانت لم تزل راسخة فى نفوس كثير منهم كامنة فى طى ضمائرهم فهى التى انهضتهم من كبوتهم وحملتهم على الجد فى كشف السطوة الغربية عن بلادهم فاجلوا الامم الافرنجية بعد مئين من السنين وخلصوا البلاد السورية من ايديهم . وطوقوا الجنكيزيين بطوق الاسلام . والبسوهم تيجان شرفهم . ولكنهم لم يستطيعوا حسم داء الضعف . واعادة ما كان لهم من الشوكة الى المقام الاول . فان ما كان من شوكة وقوة انما هو اثر العقائد الحقة والصفات المحمودة فلما خالط الفساد هذه تلك تعذر عود السهم الى النزعة ولهذا ذهب المؤرخون الى ان بداية الانحطاط فى سلطة المسلمين كانت من حرب الصليب . والاليق ان يقال ان ابتداء ضعف المسلمين كان من يوم ظهور الاراء الباطلة والعقائد النيشرية . (الدهرية) فى صورة الدين . وسريان هذه السموم القاتلة فى نفوس اهل الدين الاسلامى .

وليس يخاف ان فئة ظهرت فى الايام الاخيرة ببعض البلاد الشرقية واراقت دماء

غزيرة . وفتكت بأرواح عزيزة تحت اسم لا يبعد عن اسماء من تقدمها لمثل مشربها وانما التقطت شيئا من نفايات ما ترك دهريو (الموت) . وطبيعيو (كردكوه) وتعليمها نموذج تعليم اولئك الباطنيين . فعلينا ان ننتظر ما يكون من اثار بدعها فى الامة الاسلامية . (١)

هكذا كانت الامة الاسلامية عند ما كانت قائمة بالتعاليم الاسلامية الصافية وهذا ما صارت اليه من الضعف وسوء الحال بعد ما انتشرت فيها التعاليم الباطنية . وحقا اقول انه فى الوقت الحاضر توجد اثار الطائفة الباطنية فى شتى البلاد الاسلامية يمكن ان يلاحظها كل انسان .

الشعب الفرنساوي :

كان هذا الشعب اخذا بقسط وافر من العقائد والخصال الثلاث وكان فى عز من اوجه الكمال فى جميع الميادين الى القرن الثامن عشر حتى ظهر فيه (دولتير) و (روسو) يزعمان حماية العدل ومغالبة الظلم . والقيام بانارة الافكار وهداية العقول نبذا كل تكليف وغرسا بذور الاباحة والاشتراك . وقال ان الاداب والاديان خرافات ومخترعات . وانكرا الالوهية وشنعا بالانبياء . فاخذت هذه الاباطيل من نفوس الفرنسا ويين وعقولهم . فنبذوا المسيحية ودخلوا فى باب شريعة الطبيعة وفعلوا ما فعلوا .

وبسبب اباطيل (وولتير) و (روسو) حدثت الثورة الفرنساوية . وتبدد الفرنساويون ايادي سبأ . وضعفوا سياسيا فى الشرق والغرب . وحاول نابليون اعادة المسيحية مرة اخرى الى الشعب الفرنسى . ولكنه لم يتمكن من محو اثار تلك الاباطيل . واخيرا كان ذلك سببا

---

(١) الرد على الدهريين ص ٥٠ ــ ٥٤
(٢) المصدر السابق ص ٥٤ــ ٥٦

لهزيمتهم امام الالمانيين وعلى هذه الاباطل قام مذهب الكون (الاشتراكية) في الفرنسا ومفاسده اكثر ضرر اللفرنساويين من حرب الالمانيين .(١)

هذه هي نقائص ومضار افكار النيشريين في اي صورة كانوا وفي اي شعبة كانوا .

الامة العثمانية :

يقول السيد الافغاني :

انما رقت حالتها في الازمنة الاخيرة بمادب في نفوس بعض عظمائها و امرائها من وساوس الدهريين . فان القواد الذين اجترحوا اثم الخيانة في الحرب الاخيرة (الحرب الروسية التركية ١٨٧٧ ـ ١٨٧٨م) بينها و بين الروسية كانوا يذهبون مذهب النيشريين وبذلك كانوا يعدون انفسهم من ارباب الافكار الجديدة (ابناء العصر الجديد) ......

ولهذا خان اولئك الامراء ملتهم مع ما كان لهم من الرتب الجليلة ورضوا بالدينة واستناموا الى الحسد ونسفوا بيت الشرف العثماني في تلك الحرب . وجلبوا المذلة على شعوبهم بعرض من الحطام قليل .(٢)

بيان السوسيا ليست (الاجتماعيون) النهليست (العدميون) الكمونيست (الاشتراكيون) :

غايتهم جميعا رفع الامتيازات الانسانية كافة واباحة الكل للكل و اشراك الكل في الكل .. وجميعهم على اتفاق في ان جميع المشتهيات الموجودة على سطح الارض منحة من الطبيعة .. والاحياء بالتمتع بها سواء والدين والملك عقبتان عظيمتان وسدان منيعان

(١) المصدر السابق ص ٥٤ ـ ٥٦
(٢) المصدر السابق ص ٥٦ . ٥٧

يحترضان بهم بين ابناء الطبيعة ونشر شريعتها المقدسة (الاباحة والاشتراك) فاذن من الواجب على طلاب الحق الطبيعي ان ينقضوا هذين الاساسين · ويبيدوا الملوك وروءساء الاديان · ثم يحمدون الى الملاك واهل السعة في الرزق · فمان دانوا لشرع الطبيعة فلهم فخرجوا عن الاختصاص فتلك والاءخذ باءعناقهم قتلا · حتى يعتبر بهم من يكون من امثالهم فلا يلوون روءسهم كبرا على الشريعة المقدسة شريعة الطبيعة ·

وكثرت اضرابهم ونمت شيعتهم في اقطار الممالك الاوروبية خصوصا مملكة الروسيا لا جرم ان هذه الطوائف اذا استفحل امرها وقوي ساعدها على المجاهرة باءعمالها قد تكون سببا في انقراض النوع البشري · (١)

مورمون :

يقول السيد الافغاني :

هذا النبي الاخير والرسول الممتاز من قبل الناتور (الطبيعة) نشاء في انكلترا ثم هاجر منها الى اميركا واعلن ما القى اليه بالهام الطبيعة من ان النعمة العظمى (يريد الاباحة والاشتراك) انما يوءتاها من كان موءمنا بالطبيعة وليس لغيره من الكفرة بها حق التمتع بتلك النعمة واجتمع اليه عدد من ضعفة العقول فاءلف منهم جمعيتين احداهما من الموءمنين والاخري من الموءمنات وقال : لكل موءمن حق التمتع بكل موءمنة · حتى اذا سئلت احدي الموءمنات : زوجة من انت · تجيب انها زوجة جماعة الموءمنين واذا سئل احد ابنائهن ابن من انت · يجيب انه ابن الجمعية الا انه الى الان لم يصعد لهيب فسادهم من هوة

---

(١) المصدر السابق ص ٥٧ · ٥٨

(قد صدق ما قال السيد الافغاني وفشا فسادهم في اكثر البلاد وذاق مرارتها

الويل (هود جمعيتهم) ٠ [1]

دهريو الشرقيين :

يقول السيد فى شاْنهم :

اما منكروا الالوهية ٠ اعنى النيشريين ٠ الذين ظهروا فى لباس المهذبين ولونوا ظواهرهم بصبغ المحبة الوطنية ٠ وزعموا انفسهم طلاب خير الامة ٠ فصاروا بذلك شركاء اللص ورفقاء القافلة ٠ ثم تجلوا فى اعين الاغبياء حملة لاعلام العلم والمعرفة وبسطوا للخيانة بساطا جديدا وتولاهم الغرور بما حفظوا من كلمات قليلة ناقصة غير تامة الافادة مسروقة من اوهام المبطلين ٠ ونتلوا سبالهم كبرا وعلوا ٠ ولقبوا انفسهم بالهادين والادلاء وهم فى اطباق جهل وارتاق غباوة وفى اهب من دنس الرذائل ومسوك من قذر الذمائم ٠ فاولئك قوم قوي فيهم الظن باْن العقل وثمرته من المعرفة ينحصران فى تبين وجوه الغدر وتعرف طرق الاختلاس وانني لفى خجل من ذكرهم ٠ يدافعني الحياء عن رواية سيرهم ٠ وحكاية اعمالهم فان مقاصدهم من الدناءة بحيث لا تخرج عن جيوبهم ويسعون فى اقتلاع اساس امتهم لشهوة بطونهم ٠ يحددون شفارهم لتقطيع روابط الالتئام بين بني جنسهم لا يبتغون بذلك عوضا لسوي حشو معدهم ٠ وما اضيق مجال افكارهم ٠

الى الان لم يخط واحد خطوة خارج كرشه ولم يمد واحد منهم رجله لا بعد من فرشه ٠ وليس فى سع القلم ان يتحرك فى هذا المجال الضيق ٠ غير انه يمكن ان يقال انهم بهاجوا) لغيرهم من اهل الضلالة (اي سبقوا التقليد لهم) وما بقى من اوصافهم لا يخفى على

كثير من شعوب العالم تئن تحت ضغطها وتصرخ من ويلاتها) ٠

(١) المصدر السابق ص ٥٨

فهم القارئين . (١)

بيان وجوب الدين للمجتمع :

يري السيد جمال الدين ان العقيدة الدينية كعقيدة تكفل السعادة للمجتمع الانساني ويفيض في شرح ذلك ثم يبين ان المذهب الطبيعي لا يجتمع معها فضلا ان يكفل السعادة للمجتمع وفي بيانه هذا سلك طريق السبر والتقسيم .

يقول : « وليس من الممكن ان يجتمع لشخص واحد وهو الدهري وفضيلة الامانة والصدق وشرف الهمة وكمال الرجولة » (٢)

وذلك ان كل فرد من افراد النوع الانساني له شهوات غير محددة وهو يريد الوصول اليها . والطبيعة لم تحدد طريقا معينا لتحصيل هذه الشهوات ويمكن الوصول اليها باحد الطرق الاربعة الاتية :

١ـ اما بالسيف والقوة . وهذا يفضي الى سفك الدماء والتخريب .

٢ـ واما شرف النفس وشرف النفس محدود بالعرف والعادة . وليس له مقياس عام ولذلك لايمكن ان يجعل شرف النفس ميزانا للعدل .

٣ـ واما الحكومة وهي لا تعرف الا الاعتداءات الواضحة واما المفاسد المموهة الخفية فلا تعرفها على ان رجال الحكومة قد يكونون ايضا من المفسدين اعوان الفجار والسراق .

٤ـ واما الاعتقاد بمدبر الكون . وبأنه مالك الجزاء في الحياة الابدية وذلك هو المتعين

(١) المصدر السابق ص ٥٩
(٢) المصدر السابق ص ٦٠

ويعقب السيد الافغاني على ذلك فيقول :

فتبين مما قررناه ان الدين ـ وان انحطت درجته بين الاديان · وهي اساسه فهو افضل من طريقة الدهريين واس بالمدينة ونظام الجمعية الانسانية واجمل اثرا في عقد روابط المعاملات بل في كل شأن يفيد المجتمع الانساني · وفي كل ترق بشري الى ايه درجة من درجات السعادة في هذه الحياة الاولى ···· فلم تبق ريبة في ان الدين هو السبب الفرد لسعادة الانسان ·فلو قام الدين على قواعد الامر الالهي الحق لم يخالطه شيئ من اباطيل من يزعمونه ولا يحرفونه · فلا ريب ان يكون سببا في السعادة التامة والنعيم الكامل[1].

بيان ان الدين الاسلامي اعظم الاديان :

يتحدث السيد الافغاني عن الدين الاسلامي فيقول :

اذا نظرنا فيما بين ايدينا من الاديان وجدنا دين الاسلام قد اقيم على اساس من الحكمة متين · ورفع بناؤه على ركن لسعادة البشر ركين ذلك ان عروج الامم على معارج الحق الاعلى · وتدرج الشعوب في مدارج العلم الاجلى · وصعود الاجيال على مراقي الفضائل · واشراف طوائف الانسان على دقائق الحقائق وينلهم للسعادة الحقيقية في الدارين وكل ذلك مشروط بامور لا يتم الا بها ·[2] وهذه الامور لا توجد الا في الاسلام وهي من مزايا الاسلام ولذا كان الاسلام اعظم الاديان · وهذه الامور والمزايا :

اولا : صقل العقول بصقال التوحيد وتطهيرها من لوث الاوهام وذلك يحول دون المعتقد اعتقاد ان كائنا من الكائنات له تأثير نفع او ضر كما يحول دون اعتقاد ان الله يظهر بلباس

---

(١) ملخصا من صفحة ٦٠ ـ ٦٩ من كتاب الرد على الدهريين ·

(٢)

البشر او حيوان اخر ، او ان تلك الذات المقدسة نالت شديد الالم لمصلحة احد من الخلق كما توجد تلك الاوهام في ديانات «براهما» في الهند و«بوذا» في الصين و«زرادشت» في بقايا الفارسيين .

ثانيا :

ان الدين الاسلامي فتح ابواب الشرف في وجوه الانفس، وكشف لها عن غايته اثبت لكل نفس صريح الحق في اي فضيلة . وانبأ كل ذي نطق بوفرة استعداده لاي منزل من منازل الكرامة ، ومحق امتياز الاجناس وتفاضل الاصناف وقرر المزايا البشرية على قاعدة الكمال العقلي والنفسي لاغير ، فالناس انما يتفاضلون بالعقل والفضيلة وقد لا تجد من الاديان ما يجمع اطراف هذه القاعدة فلديك دين (برهما) قسم الناس الى اربعة اقسام :

« برهمن » «جهتري» «ويش» و« شودر» واليهودية فضلت شعب اسرائيل على بقية الشعوب .

ثالثا :

جعل العقيدة قائمة على الاقناع لا على التقليد واتباع ما كان عليه الاباء والدين الاسلامي كلما خاطب خاطب العقل يكاد يكون منفردا بتقريع المعتقدين بلا دليل . وتوبيخ المتبعين للظنون و تبكيت الخابطين في عشواء العماية . والقدح في سيرتهم ...

وقلما يوجد من الاديان ما يساويه او يقاربه في هذه المزية واظن غير المسلمين يعترفون لهذا الدين بهذه الخاصة الجليلة ..... ومن الاديان الظاهر ما بنى اعظم اركانه على اصل الكثرة في الواحد، اوالواحد في الكثير، وان الواحد يكون اكثر، والكثير يكون واحدا . مما تنبذه بداهة العقل .

رابعا :

نصب المعلم ليؤدي عمل التعليم واقام المؤدب الامر بالمعروف والناهى عن المنكر. وذلك لان جل المعارف البشرية والعقائد الدينية مكتسبة، فلا بد من المعلم يعلم الناس ما يفيدهم فى الدنيا والاخرة . والشهوات النفسية ليس لها حد فى ذاتها تقف عنده ولذا لابد من الامر بالمعروف والناهى عن المنكر . القائم بتقويم الاسلام وهاتان الفريضتان (نصب المعلم ليؤدي عمل التعليم واقامة المؤدب الامر بالمعروف الناهى عن المنكر) من اهم اهم الاركان الدينية فى الديانة الاسلامية . ويذكر السيد الافغاني الاية القرآنية : ولتكن منكم امة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر .[1] والاية : فلو لا نفر من كل فرقة منكم طائفة ليتفقهوا فى الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم لعلهم يحذرون .[2] [3]

ويعقب السيد الافغاني على ذلك :

فان قال قائل : ان كانت الديانة الاسلامية على ما بينت . فما بال المسلمين على ما نري من الحال السيئة والشأن المحزن . فجوابه : ان المسلمين كانوا كما كانوا . و بلغوا بدينهم ما بلغوا والعالم يشهد بفضلهم واكتفى الان من القول بهذا النص الشريف (ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم[4]) (٥)

ويختتم السيد الافغاني رسالته هذه بالعبارة التالية :

وهذا اخر ما اردت بيانه فى هذه الرسالة ينتهى به ما اجملته فى كشف سوأت

---

(١) ال عمران (٣) : ١٠٤

(٢) التوبة (٩) : ١٢٢

(٣) ملخصا من صفحة ٦٩ــ ٧٥ (من كتاب الرد على الدهريين) .

(٤) الرعد (١٣) : ١١

النيشريين (الدهريين) ومضار طريقتهم في المدنية والهيئة الاجتماعية الانسانية و توضيح الادلة على منفعة الاديان ولزومها لقيام النظام البشري خصوصا دين الاسلام . وعلى والى الله المنتهى ورضاء المبتغى والصلاة والسلام على خاتم رسله واله وصحبه وسلم .(١)

العـروة الوثقى

اصدرها السيد جمال الدين الافغاني وتلميذه الوفي الاستاذ الامام محمد عبده من باريس عاصمة فرنسا وكانت توجه عنايتها التامة الى نبذ الاستعمار الاوربي وخاصة الانجليزي والى توحيد المسلمين و تكتلهم على اساس الدين الاسلامي وذلك بعودتهم الى القران الكريم والاحاديث النبوية الشريفة واستلهامهم منهما التعاليم الصافية و نبذ الاوهام والخرافات والاباطيل التي طرأت على تعاليم الاسلام الصافية .

كما كانت مجلة العروة الوثقى مجلة سياسية ادبية تصدر كل يوم الخميس من باريس الا ان في الواقع كانت دينية . لأن سياسة السيد جمال الدين في هذه المجلة مبنية على اساس من القران الكريم والاحاديث النبوية الشريفة واما الادب فان السيد الافغاني اتخذ

= (٥) الرد على الدهريين ص ٧٦

(١) الرد على الدهريين ص ٧٦

الاسلوب الادبى ذريعة لاثارة النفوس نفوس الشرقيين عامة والمسلمين خاصة ضد الاستعمار الاوربى وذلك على اساس من الدين لان دينهم الاسلام يحتم عليهم نبذ الولاية الغير الاسلامية . وبذلك ترى حركة السيد جمال الدين هذه سياسية وادبية فى الظاهر الا انها دينية فى الجوهر . لان المقصد الاساس والهدف الاعظم هو توحيد المسلمين وتكتلهم فى ظل القران الكريم والاحاديث النبوية الشريفة . ونبذ كل ولاء اجنبى غاشم وكل ما يمس دينهم الاسلام .

وترى ان الاعداد التى كانت قد صدرت من هذه الصحيفة كانت ثمانية عشر عددا . وهذه الاعداد كانت تشتمل على المقالات والنتف والاخبار . فالمقالات كانت حوالى خمس و عشرين مقالة . سبع عشرة مقالة كانت شروحا للايات القرانية والباقية كانت شروحا للاحاديث النبوية الكريمة او فى صميم العقائد الاسلامية المبنية على الايات والاحاديث .

فمن هذا نعلم ان هذه الحركة هى حركة مبنية على مصدرين اساسين للاسلام و هما القران والاحاديث . وهى حركة دينية بحتة فى صورة سياسية وهذه الايات التى اشتملت عليها هذه المقالات هى :

ربنا عليك توكلنا واليك انبنا واليك المصير .

سنة الله فى الذين خلوا من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا .

ان فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب او القى السمع وهو شهيد .

واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا ...

اتبعوا ما انزل اليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه اولياء .

وذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين .

واطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا (الانفال (٨) : ٤٦ ٠

انه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون ٠

يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم ٠ لا يألونكم خبالا ٠ ودوا ما

عنتم قد بدت البغضاء من افواههم وما تخفى صدورهم اكبر ٠ قد بينا لكم الايات

ان كنتم تعقلون ٠

وما ظلمهم الله ولكن كانوا انفسهم يظلمون ٠

الم ٠ احسب الناس ان يتركوا ٠ ان يقولوا امنا و هم لا يفتنون ٠ ولقد فتنا الذين

من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين ٠

ومن يضلل الله فما له من هاد ٠

افلم يسيروا في الارض فتكون لهم قلوب يعقلون بها ٠ او اذان يسمعون بها ٠

فانها لا تعمى الابصار ٠ ولكن تعمى القلوب التي في الصدور ٠

ونريد ان نمن على الذين استضعفوا في الارض ونجعلهم ائمة ونجعلهم الوارثين ٠

ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات واولئك لهم عذاب

عظيم ٠

ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم ذلك بأن الله لم يك مغيرا

نعمة انعمها على قوم حتى يغيروا ما بأنفسهم ٠[1]

اينما تكونوا يدركم الموت ولو كنتم في بروج مشيدة ٠ قل ان الموت الذي تفرون

منه فانه ملاقيكم ٠

---

(١) الرعد (١٣) : ١١

والاحاديث هي :

المؤمن للمؤمن كالنبيان يشد بعضه بعضا .

اذا اراد الله بقوم خيرا جمع كلمتهم .

اللهم اكشف عن بصائرنا ستار الاوهام حتى نري الحقائق كما هي كيلا نضل ونشقى .

ومن امعن في هذه الايات والاحاديث النبوية الشريفة عرف مدي حركة السيد الافغاني ومدي رسالته ودعوته وعرف حق المعرفة ان هذه الدعوة وهذه المقاومة كانت دينية عظيمة . وعرف مدي غيرة السيد الافغاني لدينه دين الاسلام ومدي رسوخه في العلم ونظرته العميقة الى القران والاحاديث النبوية الشريفة ومداثرهما في البشرية عامة والمسلمين خاصة .

والان نذكر نوعا من التفصيل لهذه الدعوة في ضوء هذه المقالات المذكورة مع نقل بعض المقالات بالنص لنري مدي هذه الدعوة الحقة دعوة السيد جمال الدين الافغاني .

لماذا صدرت الجريدة

ربنا عليك توكلنا واليك انبنا واليك المصير .(١)

تحت هذا العنوان ذكر السيد حالة الشرق . وطمع الطامعين فيه . وظنه ان القوة الالية هي سبب الغلبة النهائية وبين ان النفوس الانسانية وان بلغت من فساد الطبع والعادة ما بلغت اذا كثر عديدها تحت جامعة معروفة لا تحتمل الضيم الا الى حد يدخل تحت الطاقة واذا تجاوز الحد التمست خلاصها ولن تعدم عند الطلب رشادا .

---

(١) المنهتة (٦٠) : ٤

ان مجاوزة الحد فى تعميم الاعتداء تنس الامم ما بينها هـ من الاختلاف فى الجنسية والمشرب . وهذ وبدء العقلاء فى جعل القوة المتفرقة قوة واحدة .

وبما ان الاجحاف بالشرقيين بلغ غايته ووصل العدوان فيهم نهايته وادرك المتغلب منهم نكايته . خصوصا فى المسلمين منهم وان الحالة السيئة التى فيها الديار المصرية لم يسهل احتمالها على نفوس المسلمين عموما لأن مصر تعتبر عندهم من الاراضى المقدسة ولها فى قلوبهم منزلة لا يحلها سواها نظر الموقعها من الممالك الاسلامية ولأنها باب الحرمين الشريفين . وفد فان كان هذا الباب امينا كانت خواطر المسلمين مطمئنة على تلك البقاع والا اضطربت افكارهم وكانوا فى ريبة من سلامة ركن عظيم من اركان الديانة الاسلامية .

وبما ان الرزايا الاخيرة التى حلت بأهم مواقع الشرق جددت الروابط وقاربت بين الاقطار المتباعدة بحدودها المتصلة بجامعة الاعتقاديين ساكنيها .

كل ذلك دعا العقلاء خاصة ان يؤلفوا جماعات وعصابات خير وبدأوا فى توحيد كلمة المسلمين وارادوا ان يختاروا لذلك طرقا ناجحة لانقاذ من يشتكون مثلهم من اعتداءات الاوربيين . وكان هذا يحتاج الى نشر افكارهم وتوصيلها الى القاصى والدانى . لذا طلب جماعة منهم من السيد جمال الدين ان تكون لهم فى هذه الايام جريدة بأشرف لسان عند هم وهو اللسان العربى فلبى السيد الافغانى رغبتهم بل رأى ذلك حقا واجبا عليه لدينه ووطنه وكلف الشيخ محمد عبده ان يكون رئيس تحريرها . هكذا صدرت هذه الجريدة .[1]

افكاره العامة من خلال العروة

وتحررت بعض هذه الافكار السامية وبعضها نقلتها بالنص للاهمية الكبري من ورائها .

---

(١) العروة الوثقى ملخصا من ص ١ ـ ٦

الجنسية والديانة الاسلامية :

يتحدث فى هذا المقال السيد جمال الدين الافغاني عن الجنسية والديانة الاسلامية ويوضح تمام الوضوح ان الجنسية ليست امرا طبيعيا فى الانسان وانما هى امر عارض ينشاء فيه من بيئته وان الجنسية والعصبية مدعاة الى الشرفى اكثر الاحيان والظروف ولذا تري المسلمين يعرضون عن اعتبار الجنسيات ويرفضون جميع انواع العصبيات ماعدا عصبيتهم الاسلامية فان المتدين بالدين الاسلامى متى رسخ فى اعتقاده يلهو عن جنسه و شعبه ويري ان الاسلام هو الدين الكامل وان الشريعة الالهية هى الفيصل بين العباد فى امورهم وشئونهم . والشريعة الالهية لا تمنع اي اهتمام للانساب والاحساب . وتحسب كل رابطة ماعدا رابطة الشريعة الحقة ممقوتة والمتعصب لها ملوم . يقول النبى صلى اللهعليه وسلم : (ليس منا من دعا الى عصبيته وليس منا من قاتل على عصبية وليس منا من مات على عصبية) [1] ولا يمتاز انسان عن انسان الا بالتقوي اي اتباع الشريعة . [2] يقول اللهتعالى ان اكرمكم عندالله اتقاكم [3] ويقول السيد الافغاني :

"هذا ما ارشدنا اليه سير المسلمين من يوم نشاءة دينهم الى الان لا يعتدون برابطة الشعوب وعصبات الاجناس وانما ينظرون الى جامعة الدين لهذا تري العربى لا ينفر من سلطة التركى والفارس يقبل سيادة العربى والهندي يذعن لرياسة الافغانى ولا اشمئزاز عند احد منهم ولا انقباض وان المسلم فى تبدل حكوماته لا ياءنف ولا يستنكر ما يعرض عليه من اشكالها وانتقالها من قبيل الى قبيل مادام صاحب الحكم حافظا لشاءن الشريعة . ذاهبا

---

(١) ابو داؤد كتاب الادب باب العصبة .
(٢) العروة الوثقى ص ٩ . ١٠
(٣) الحجرات (٤٩) . ١٣

مذاهبها . نعم اذا نبا في سيره عنها وجار في حكمه عما نصت عليه وطلب الاثرة بما ليس من حقه انصدعت منه القلوب وانحرفت عن محبته الانفس واصبح وان كان وطنيا فيهم اشنع حالا من الاجنبي عنهم . (١)

ويبين السيد الافغاني ان العظمة كل العظمة في التمسك على اصول الديانة الاسلامية والمسكنة كل المسكنة في ترك اصول هذا الدين الحنيف . وليس الدين الاسلامي دينا روحيا فقط وانما هو دين الدنيا والاخرة . ويقول السيد في تمسكهم هذا :

وان بعض ما يطرأ على الممالك الاسلامية من الانقسام والتفريق انما يكون منشاؤه قصور الوازعين وحيدانهم عن الاصول القويمة التي بنيت عليها الديانة الاسلامية . وانحرافهم عن مناهج اسلافهم الاقدمين فان منابذة الاصول الثابتة والنكوب عن المناهج المألوفة اشد ما يكون ضررها بالسلطة العليا فاذا رجع الوازعون في الاسلام الى قواعد شرعهم وساروا سيرة الاولين السابقين لم يمض قليل من الزمان الا وقد اتاهم الله بسطة في الملك والحقهم في العزة بالراشدين ائمة الدين وفقنا الله للسداد وهدانا طريق الرشاد . (٢)

ماضي الامة وحاضرها وعلاج عللها :

سنة الله في الذين خلوا من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا . (٣)

ان هذه المقالة (وهي من مقالات العروة الوثقى) للسيد جمال الدين تدور حول ان اية امة اذا كانت قوية ثم ضعفت لا يمكن عودتها الى القوة السابقة . الا بالصحف كما

---

(١) العروة الوثقى ص ١١
(٢) العروة الوثقى ص ١٢
(٣) الاحزاب (٣٣) : ٦٢

يظن البعض ولا بفتح المدارس كما يظن الاخرون . وقد رأينا ذلك فى مصر وتركيا دون جدوى

وانما يمكن ذلك بأن يعرف الداء اولا ثم الدواء ثانيا .

فداؤها هو تركها لاصول دينهم ونبذها ظهريا وحدوث بدع ليست من الدين فى شيئ وبذلك تفرقت وتبددت وصارت الى الضعف والمسكنة والذل والاستكانة والجهل و تدهور الحالة فى جميع الميادين (١) ويقول السيد فى علاجها :

" فعلاجها الناجع انما يكون برجوعها الى قواعد دينها . والاخذ بأحكامه على ما كان فى بدايته و ارشاد العامة بمواعظه الواقية بتطهير القلوب وتهذيب الاخلاق و ايقاد نيران الغيرة وجمع الكلمة وبيع الارواح لشرف الامة . لأن جرثومة الدين متأصلة فى النفوس من احقاب والقلوب مطمئنة اليه . وفى زواياها نور خفى من محبته فلا يحتاج القائم باحياء الامة الا الى نفخة واحدة فيسري نفثها فى جميع الارواح ". (٢)

ويأتى السيد الافغانى لذلك بمثال تاريخى حيث يقول :

" هل نسيت تاريخ الامة العربية وما كانت عليه قبل بعثة الدين من الهمجية و الشتات و ايتان الدنايا والمنكرات حتى اذا جاءها الدين فوحدها وقواها وهذبها ونور عقولها وقوم اخلاقها وسدد احكامها فسادت على العالم وساست من تولته بسياسة العدل والانصاف ..... ونقلوا الى ديارهم طب بقراط وجالينوس . وهندسة اقليدس وهيئة بطليموس وحكمة افلاطون وارسطو وما كانوا قبل الدين فى شيئ من هذا وكل امة سادت تحت هذا اللواء انما كانت قوتها ومدينتها فى التمسك بأصول دينها . (٣)

---

(١) العروة الوثقى ص ١٣ — ٢٢
(٢) ايضا ص ٢١
(٣) ايضا ص ٢١

النصرانية والاسلام واهلهما :

ان في ذلك لذكرى لمن كان له القلب او القى اسمع وهو شهيد .[1]

اي تحت هذا العنوان يتكلم السيد الافغاني عن الانسان . ويقول انه عالم صناعي فقط في جميع شئونهم الحيوية كانه منفصل عن الطبيعة بعيد عن اثارها وعالم صناعي في احواله النفسية . ويقول ان الاعمال البدنية انما تصدر عن الملكات والعزائم الروحية . والدين وضع الهي وله السلطة الاولى على الافكار وما يطاوعها من العزائم والارادات . ويقول ان الانسان في نشاته لوح صقيل و اول ما يخط فيه رسم الدين . ثم ينبعث الى سائر الاعمال بدعوته وارشاده ثم يبحث عن الملة المسيحية والملة الاسلامية . ويقول ان الديانة المسيحية بنيت على المسالمة والمياسرة في كل شيئ وجاءت برفع القصاص واطراح الملك والسلطة . ونبذ الدنيا وبهرجها ووعظت بالطاعة للسلطان وترك الاموال والابتعاد عن المنازعات ومن وصايا الانجيل : من ضربك على خدك الايمن فادر له الايسر .[2] ومن اخباره ان الملوك انما ولايتهم على الاجساد وهي فانية والولاية الحقيقية الباقية على الارواح وهي لله وحده[3] فمن يقف على مباني هذه الديانة ويلاحظ ما قلنا من ان الدين صاحب الشوكة العظمى على الافكار يعجب كل العجب من حالة المسيحيين حيث تقدموا في جميع الميادين العلمية الصناعية والحربية وغيرها مع ان اصول دينهم لا تشجع على ذلك .

والديانة الاسلامية وضع اساسها على طلب الغلب والشوكة والافتتاح والعزة و رفض كل قانون يخالف شريعتها . ونبذ كل سلطة لا يكون القائم بها صاحب الولاية على تنفيذ

---

(١) ق (٥٠) : ٣٧ (٢) العروة الوثقى ص ٢٥

(٣) العروة الوثقى ص ٢٥

تنفيذ احكامها ويقول السيد الافغاني : فالناظر في اصول هذه الديانة ومن يقرأ سورة من كتابها المنزل يحكم حكما لا ريب فيه بأن المعتقدين بها لابد ان يكونوا اول ملة حربية في العالم وان يسبقوا جميع الملل الى اختراع الالات القاتلة واتقان العلوم العسكرية والتبحر فيما يلزمها من الفنون كالطبيعة والكيمياء وجر الاثقال والهندسة وغيرها ومن تأمل في اية : واعدوا لهم ما استطعتم من قوة .(١) ايقن ان من صبغ بهذا الدين فقد صبغ بحب الغلبة وطلب كل وسيلة الى ما يسهل له سبيلها .(٢)

هذا هو الدين الاسلامي الا ان الانسان يستغرب حينما يري حالة المسلمين الاخذين بهذه الديانة متأخرين في كل شيئ من الامور الحربية والفنون الاخري ومن وازن بين الديانتين وقع في الحيرة الامر بالعكس تماما .

اينسب هذا الى ان كل ملة تركت ديانتها او ينسب ذلك الى اختلاف الاجناس مع ان كثيرا من ابناء الملتين يرجعون الى اصول واحدة او ينسب ذلك الى اختلاف الاقطار وكثير منهم يتشابهون في طبائع البلدان .

الم يكن المسلمون فيما سبق اقوي ملة متقدمة في جميع الفنون الحربية الم تكن لهم الات نارية كالمدافع في الحروب الصليبية نعم كانت لهم هذه الالات .

فما هو السبب لهذا التخالف .

السبب هو ان بقايا الاداب والملكات والعادات كانت باقية في الرومانيين بعد ان دانوا بالمسيحية قد ورثوها عن اديانهم السابقة . وصحف الانجيل لم تكن ميسرة للجميع وانما

---

(١) الانفال (٨) : ٦٠

(٢) العروة الوثقى ص ٢٦

كانت عند الرؤساء الروحانيين وهم الذين سنوا محاربة الصليب تحت ستار الدين وبذلك تزعزعت عقائد المسيحيين وباد و ميض ما اودعه اجدادهم فى جراثيم وجودهم ضراما فتقدموا فى الفنون العسكرية واختراع الالات الحربية وفى بقية الفنون .

ويقول السيد الافغانى فى حال المسلمين :

اما المسلمون فبعد ان نالوا فى نشأة دينهم ما نالوا واخذوا من كل كمال حربى حظا وضربوا فى كل فخار عسكري بسهم . بل تقدموا سائر الملل فى فنون المقارعة وعلوم النزال . والمكافحة ظهر فيهم اقوام بلباس الذين ابدعوا فيه وخلطوا بأصوله ما ليس منها فانتشرت بينهم قواعد الجبر وضربت فى الاذهان حتى اخترقتها وامتزجت بالنفوس حتى امسكت بعنانها عن الاعمال هذا الى ما ادخله الزنادقة فيما بين القرن الثالث والرابع وما احدثه السوفسطائية الذين انكروا مظاهر الوجود وعدوها خيالات تبدو للنظر ولا تثبتها الحقائق وما وضعه كذبة النقل من الاحاديث ينسبونها الى صاحب الشرع صلى الله عليه وسلم . ويثبتونها فى الكتب وفيها السم القاتل لروح الغيرة وان ما يلصق منها بالعقول يوجب ضعفا فى الهمم . وفتورا فى العزائم وتحقيق اصل الحق وقيامهم ببيان الصحيح والباطل عن كل ذلك لم يرفع تأثيره عن العامة خصوصا بعد حصول النقص فى التعليم لعل هذا هو العلة فى وقوفهم . بل الموجب لتقهقرهم وهو الذي تعانى منه عنائه اليوم نسأل الله السلامة منه .[1]

ويقول السيد ان هذه عوارض ولا بد أن تزول يوما ما . لأن الدين متأصل فى الانسان ويقول :

وما دام القران يتلى بين المسلمين وهو كتابهم المنزل وامامهم الحق وهو القائم

(١) العروة الوثقى ص ٢٨ . ٢٩

عليهم يأمرهم بحمايه حوزتهم والدفاع عن ولايتهم . ومقالبة المعتدين وطلب المنعة من كل سبيل لا يعين لها وجها ولا يخصص لها طريقا فاننا لا نرتاب في عود تهم الى مثل نشاء تهم ونهوضهم ... فيتقدمون على من سواهم في فنون الملاحمة .(١)

فالسبب ان المسيحية ابتعدت عنها اتباعهم وعملوا بأمور ورثوها من قبل فتقدموا واما المسلمون فأصيبوا بما ذكر السيد فتأخروا ويرجى لهم القود مرة اخري .(٢)

انحطاط المسلمين وسكونهم وسبب ذلك :

واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا (٣)

لاهمية هذا الموضوع وحاجتنا اليه في الوقت الحاضر انقله بالنص كي نري ما يذكر السيد الافغاني في هذا الميدان في الفاظه هو :

ان للمسلمين شدة في دينهم وقوة في ايمانهم وثباتا على يقينهم يباهون بها من عداهم من الملل . وان عقيدتهم اوثق الاسباب لارتباط بعضهم ببعض . ومما رسخ في نفوسهم ان في الايمان بالله وماجاء به نبيهم صلى الله عليه وسلم كفالة لسعادة الدارين . ومن حرم الايمان . فقد حرم السعادتين . ويشفقون على احدهم ان يحرق من دينه اشد مايشفقون عليه من الموت والفناء . وهذه الحالة كما هي في علمائهم متمكنة في عامتهم حتى لو سمع اي شخص منهم في اي بقعة من بقاع الارض عالما كان او جاهلا ان واحدا ممن وسم بسمة الاسلام في اي قطر ومن اي جنس صبا عن دينه رأيت من يصل اليه هذا الخبر في تحرق وتأسف يلهج بالحوقلة والاسترجاع ويعد النازلة من اعظم المصائب على من نزلت به بل وعلى جميع من يشاركه في دينه ولو ذكرت مثل هذه الحادثة في تاريخ وقرأها قارئهم بعد مئين من

---

(١) العروة و الوثقى ص ٢٩

من السنين لا يتمالك قلبه من الاضطراب ودمعه من الغليان ويستفزه الغضب ويدفعه لحكاية ما رأى كأنه يحدث عن غريب او يحكى عن عجيب .

المسلمون بحكم شريعتهم ونصوصها الصريحة مطالبون عند الله بالمحافظة على ما يدخل فى ولايتهم من البلدان وكلهم مأمور بذلك لا فرق بين قريبهم وبعيدهم . ولا بين المتحدين فى الجنس ولا المختلفين فيه وهو فرض عين على كل واحد منهم ان لم يقم قوم بالحماية عن حوزتهم كان على الجميع اعظم الاثام ومن فروضهم فى سبيل الحماية وحفظ الولاية بذل الاموال والارواح وارتكاب كل صعب واقتحام كل خطب ولا يباح لهم المسالمة مع من يغالبهم فى حال من الاحوال حتى ينالوا الولاية خاصة لهم من دون غيرهم . وبالغت الشريعة فى طلب السيادة منهم على من يخالفهم الى حد لو عجز المسلم عن التملص من سلطة غيره لوجبت عليه الهجرة من دار حربه . وهذه قواعد مثبتة فى الشريعة الاسلامية يعرفها اهل الحق ولا يغير منها تأويلات اهل الاهواء واعوان الشهوات فى كل زمان .

المسلمون يحث كل واحد منهم هاتف يهتف من بين جنبيه يذكره بما تطالبه به الشريعة وما يفرض عليه الايمان وهو هاتف الحق الذي بقى له من الهامات دينه . ومع كل هذا نري اهل هذا الدين فى هذه الايام بعضهم فى غفلة عما يلم بالبعض الاخر . ولا يألمون لما يألم له بعضهم فأهل (بلوخستان) كانوا يرون حركات الانجليز فى (افغانستان) على مواقع انظارهم . ولا يجيش لهم جأش ولم تكن لهم نعرة على اخوانهم والافغانيون كانوا

---

(٢) العروة الوثقى ملخصا من ص ٢٣ـ ٢٩

(٣) ال عمران (٣) : ١٠٣

يشهدون تداخل الانجليز فى بلاد فارس ولا يضجرون ولا يتطلملون و ان جنود الانجليز تضرب فى الاراضى المصرية ذهابا وايابا وتقتل وتفتك ولا ترى نجدة فى نفوسهم اخوانهم المشرفين على مجاري دمائهم بل السامعين لخريرها من حلاقيهم الذين احمرت احداقهم من مشاهدها بين ايديهم وتحت ارجلهم وعن شمائلهم ٠

تمسك المسلمين بتلك العقائد واحساسهم بداعية الحق فى نفوسهم مع هذه الحالة التى هم عليها مما يقضى بالعجب ويدعو الى الخيرة ٠ ويسبق الى بيان السبب فخذ مجملا منه :

ان الافكار العقلية والعقائد الدينية وسائر المعلومات والمدركات والوجدانيات النفسية وان كانت هى الباعثة على الاعمال وعن حكمها تصدر بتقدير العزيز العليم لكن الاعمال تثبتها وتقويها وتطبعها فى الانفس عليها حتى يصير ما يعبر عنه بالملكة والخلق ٠ و تترتب عليه الاثار التى تلائمها ٠

نعم ان الانسان انسان بفكره وعقائده الا ان ما ينعكس الى مرايا عقله من مشاهد نظره ومدركات حواسه يؤثر فيه اشد تأثير فكل شهود يحدث فكرا وكل فكر يكون له اثر فى داعية وعن كل داعية ينشأ عمل ثم يعود من العمل الى الفكر ولا ينقطع الفعل والانفعال بين الاعمال والافكار مادامت الارواح فى الاجساد وكل قبيل هو للاخر عماد ٠

ان للاخوة وسائر نسب القرابة صوته عند العقل ولا اثرلها فى الاعتصاب والالتئام لولا ما تبعث عليه الضرورات وتلجئ اليه الحاجات عن تعاون الانسباء والعصبة على نيل المنافع وتضافرهم على دفع المضار وبعد كرور الايام على المضافرة والمناصرة تأخذ النسبة من القلب مأخذا يصرفه فى اثارها بقية الاجل ٠ ويكون انبساط النفس لعون القرب وغضاضة

القلب لما يصيبه من ضيم او نكبة جاريا مجري الوجدانيات الطبيعية كالاحساس بالجوع و العطش والري والشبع بل اشتبه امره على بعض الناظرين فعده طبيعيا · فلو اهملت صلة النسب بعد ثبوتها والعلم بها · ولم تدع ضرورات الحياة فى وقت من الاوقات الى ما يمكن تلك الصلة ويؤكدها · او وجد صاحب النسب من يظاهره فى غير منسبة او الجأته ضرورة الى ذلك ذهب اثر تلك الرابطة النسبية ولم يبق منها الا صورة فى العقل تجري مجري المحفوظات من الروايات والمنقولات · وعلى مثال ما ذكرناه فى رابطة النسب وهى اقوي رابطة بين البشر يكون الامر فى سائر الاعتقادات التى لها اثر فى الاجتماع الانسانى من حيث ارتباط بعضه ببعض · اذا لم يصحب العقد الفكري ملجئ الضرورة او قوة الداعية الى عمل تنطبع عليه الجارحة وتمرن عليه ويعود اثر تكريره على الفكر حتى يكون هيئة للروح · وشكلا من اشكالها فلن يكون منشأ لآثاره وانما يعد فى الصورة العلمية له رسم يلوح فى الذاكرة عند الالتفات اليه كما قدمنا ·

بعد تدبر هذه الاصول البينة والنظر فيها بعين الحكمة يظهر لك السبب فى سكون المسلمين الى ما هم فيه مع شدتهم فى دينهم · والعلة فى تباطؤهم عن نصرة اخوانهم وهم اثبت الناس فى عقائدهم فانه لم يبق من جامعة بين المسلمين فى الاغلب الا العقيدة الدينية مجردة عما يتبعها من الاعمال وانقطع التعارف بينهم وهجر بعضهم بعضا هجرا غير جميل · فالعلماء وهم القائمون على حفظ العقائد وهداية الناس اليها · لا تواصل بينهم ولا تراسل فالعالم التركى فى غيبة عن حال العالم الحجازي فضلا عمن يبعد عنهم والعالم الهندي فى غفلة عن شئون العالم الافغانى وهكذا بل العلماء من اهل قطر واحد لا ارتباط بينهم ولا صلة تجمعهم الا ما يكون بين افراد العامة لداع خاص من صداقة او

قرابة بين احدهم واخر . اما في هيئتهم الكلية فلا وحدة لهم بل لا انتساب بينهم . وكل ينظر الى نفسه ولا يتجاوزها كأنه كون برأسه .

كما كانت هذه الجفوة . وذاك الهجران بين العلماء كانت كذلك بين الملوك والسلاطين من المسلمين أليس بعجيب ان لا تكون سفارة للعثمانيين في مراكش ولا لمراكش عند العثمانيين اليس بغريب ان لا تكون للدولة العثمانية صلات صحيحة مع الافغانيين وغيرهم من طوائف المسلمين .

هذا التدابر والتقاطع وارسال الحبال على الغوارب عم المسلمين حتى صح ان يقال لا علاقة بين قوم منهم وقوم ولا بلد وبلد الا طفيف من الاحساس بأن بعض الشعوب على دينهم ويعتقدون مثل اعتقادهم .

وربما يتعرفون مواقع اقطارهم بالصدفة اذا التقى بعضهم ببعض في موسم الحجيج العام وهذا النوع من الاحساس هو الداعي الى الاسف وانقباض الصدر اذا شعر المسلم بضياع حق مسلم على يد اجنبي عن ملته . لكنه لضعفه لا يبعث على النهوض لمعاضدته .

كانت الملة كجسم عظيم قوي البنية صحيح المزاج فنزل به من العوارض ما اضعف الالتئام بين اجزائه فتداعت للتناثر والانحلال وكاد كل جزء يكون على حدة وتضمحل هيئة الجسم .

بدأ هذا الانحلال والضعف في روابط الملة الاسلامية عند انفصال الرتبة العلمية عن رتبة الخلافة وقتما قنع الخلفاء العباسيون باسم الخلافة دون ان يحوزوا شرف العلم والتفقه في الدين والاجتهاد في اصوله وفروعه . كما كان الراشدون رضي الله عنهم كثرت بذلك المذاهب . وتشعب الخلاف من بداية القرن الثالث من الهجرة الى حد لم يسبق له مثيل في

دين من الاديان . ثم انثلمت وحدة الخلافة فانقسمت الى اقسام : خلافة عباسية فى بغداد وفاطمية فى مصر والمغرب واموية فى اطراف الاندلس . تفرقت بهذا كلمة الامة وانشقت عصاها وانحطت رتبة الخلافة الى وظيفة الملك . فسقطت هيبتها فى النفوس . وخرج طلاب الملك والسلطان يداءبون اليه من وسائل القوة والشوكة ولا يرعون جانب الخلافة .

وزاد الاختلاف شدة وتقطعت الوشائج بينهم بظهور جنكيزخان واولاده وتيمورلنك واحفاده . وايقاعهم بالمسلمين قتلا واذلالا حتى اذهلوهم عن انفسهم . فتفرق الشمل بالكلية . وانفصمت عري الالتئام بين الملوك والعلماء جميعا . وانفرد كل بشاءنه او انصرف الى ما يليه . فتبدد الجمع الى احاد . وافترق الناس فرقا كل فرقة تتبع داعيا اما الى ملك او مذهب فضعفت اثار العقائد التى كانت تدعو الى الوحدة . وتبعث على اشتباك الوشيجة وصار ما فى العقول منها صورا ذهنية تحويها خزائن الخيال . وتلحظها الذاكرة عند عرض ما فى خزائن النفس من المعلومات . ولم يبق من اثارها الا اءسف وحسرة ياءخذ ان مع بالقلوب عند ما تنزل المصائب ببعض المسلمين . بعد ان ينفذ القضاء ويبلغ الخبر الى المسامع على طول من الزمان وما هو الانوع من الحزن على الفائت كما يكون على الاموات من الاقارب لا يدعو الى حركة لتدارك النازلة ولا دفع الغائلة .

وكان من الواجب على العلماء قياما بحق الوراثة التى شرفوا بها على لسان الشارع ان ينهضوا لاحياء الرابطة الدينية ويتداركوا الاختلاف الذي وقع فى الملك بتمكين الاتفاق الذي يدعواليه الدين ويجعلوا معاقد هذا الاتفاق فى مساجدهم ومدارسهم حتى يكون كل مسجد وكل مدرسة مهبطا لروح حياة الوحدة ويصير كل واحد منها كحلقة فى سلسلة واحدة اذا اهتز احداءطرافها اضطرب لهزته الطرف الاخر . ويرتبط العلماء والخطباء والائمة

والوعاظ فى جميع انحاء الارض بعضهم ببعض ويجعلون لهم مراكز فى اقطار مختلفة يرجعون اليها فى شئون وحدتهم ويأخذون بأيدي العامة الى حيث يرشدهم التنزيل وصحيح الاثر ويجمعوا اطراف الوشائج الى مقعد واحد يكون مركزه فى الاقطار المقدسة واشرفها معهد بيت الله الحرام . حتى يتمكنوا بذلك من شد ازر الدين وحفظه من قوارع العدوان . والقيام بحاجات الامة اذا عرض حادث الخلل وتطرق الاجانب للتداخل فيها بما يحط من شأنها ويكون كذلك ادعى لنشر العلوم وتنوير الافهام . وصيانة الدين من البدع فان احكام الربط انما يكون بعد بتعيين الدرجات العلمية وتحديد الوظائف فلو ابدع مبدع امكن بالتواصل بين الطبقات تدارك بدعته ومحوها قبل فشوها بين العامة وليس يخاف على المستبصرين ما يتبع هذا من قوة الامة وعلو كلمتها واقتدارها على دفع ما يغشاها من النوازل .

الا انا نأسف غاية الاسف اذا لم تتوجه خواطر العلماء والعقلاء من المسلمين الى حفظ هذه الوسيلة . وهى اقرب الوسائل . وان التفتت اليها فى هذه الايام طائفة من ارباب الغيرة .[1] ورجاؤنا من ملوك المسلمين وعلمائهم من اهل الحمية والحق ان يؤيدوا هذه الفئة ولا يتوانوا فيما يوحد جمعهم ويجمع شتيتهم فقد دارستهم التجارب ببيان لامزيد عليه . وما هو بالعسير عليهم ان يبثوا الدعاة الى من يبعد عنهم . ويصافحوا بالاكف من هو على مقربة منهم . ويتعرفوا احوال بعضهم فيما يعود على دينهم وملتهم بفائدة او ما يخشى ان يمسها بضرر . ويكونون بهذا العمل الجليل قد ادوا فريضة وطلبوا سعادة والرمق باق

---

(١) الاشارة هنا الى جمعية (العروة الوثقى) السرية التى كان لها فروع فى عديد من اقطار الشرق وبلاد المسلمين والتى كانت المجلة التى تحمل اسمها اللسان المعبر عن حالها وسياستها فى ذلك الحين .

والامال متبلدة والى الله المصير .(١)

سبات من له حق ــ وحراك من لا حق له

تحت هذا العنوان يذكر السيد الافغاني انه بعد الاحتلال . اي احتلال انجلترا مصر . لحق الضرر بتجارة فرنسا و حقوقها . وهى ساكتة لا تتحرك والدولة العثمانية الكبيرة مع قوتها و جلالها لا تفعل شيئا سوي الاجتجاجات التى لا تسمع والاهالى المصريون فى الحيرة والوهم وسوء حالتهم المعيشية وصلت الى درجة تكاد تفضى الى القحط .

والسياسة الانجليزية فيها حركة و نزاع . البعض يدعون الى اعلان السيادة على مصر والبعض الى انزال العساكر لا مد محدود . وعلى كل فهم متوافقون فيما بينهم . ويبتغون الاسباب للسيطرة التامة على مصر . واعلان السيادة لانقاذ الجنرال غوردون . وجعل الحقوق الدولية وحقوق الدولة العثمانية وستة ملايين من المصريين فداء لرأس الجنرال غوردون . كما يرون ذلك ضرورية لازالة قلق اصحاب الديون المصرية من الاوروبيين ولازالة مصائب المصريين . كل هذه حجج يتمسك بها الانجليز لاعلان السيادة . وهم فى حركة دائمة مع انهم ليسوا من اهل البلاد . وهل يمكن اذا اعلنت السيادة الانجليزية على مصر سكوت المصريين . وهل يمكن ان يكون ذلك سببا لانقاذ الجنرال غوردون . كلا . وانما سيكون ذلك سببا لاثارة الوطنيين المصريين ضد الانجليز . وسببا لمساندة محمد احمد و تأييد دعوته لدي المصريين .(٢)

---

(١) العروة الوثقى ص ٣٠ــ ٣٥

(٢) العروة الوثقى ص ٣٦ــ ٣٨

التعصب

اتبعوا ما انزل اليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه اولياء .[١]

ذكر السيد الافغاني معنى التعصب واهميته وما يدعى الاوروبيون . ولمكانتها تنقل هذه المقالة بالنص . وهي :

لفظ شغل مناطق الناس خصوصا في البلاد المشرقية تلوكه الالسن وترمي به الافواه في المحافل والمجامع حتى صار تكاءة[٢] للمتكلمين يلجاء اليه العيي[٣] في تمتمته[٤] والذلقاني[٥] في تفيهقه[٦] اخذ هذا اللفظ بمواقع التعبير فقلما تكون عبارة الا وهو فاتحتها اوحشوها او خاتمتها . يعدون مسماه علة لكل بلاء ومنبعا لكل عناء ويزعمونه حجابا كثيفا . وسدا بين المتصفين به وبين الفوز والنجاح . ويجعلونه عنوانا على النقص وعلما للرذائل والمتسربلون بسرابيل الافرنج الذاهبون في تقليدهم مذاهب الخبط والخلط لا يميزون بين حق وباطل هم احرص الناس على التشدق بهذا البدع الجديد فتراهم في بيان مفاسد التعصب يهزون الرءوس . ويعبثون باللحى ويبرمون السبال واذا رموا به شخصا للحط من شأنه اردفوه للتوضيح بلفظ افرنجي (فناتيك)[٧] فان عهدوا بشخص نوعا من المخالفة لمشربهم عدوه متعصبا وهمزوا به وغمزوا ولمزوا واذا رأوه عبسوا وبسروا وشمخوا بأنوفهم كبرا

---

(١) الاعراف (٧) : ٣

(٢) التكاءة : ما يتوكا عليه .

(٣) العيي : من العي . وهو العجز عن الكلام .

(٤) التمتمة : ضرب من اللكنة .

(٥) الذلقاني : السريع الكلام .

(٦) التفيهق : التوسع والتنطع . (٧) معناه : متعصب .

وولوه دبرا وناد وا عليه بالويل والثبور . ما ذا سبق الى افهامهم من هذا اللفظ . وماذا اتصل بعقولهم من معناه حتى خالوه مبدأ لكل شناعة ومصدرا لكل نقيصة وهل لهم وقوف على شيئ من حقيقته .

التعصب قيام بالعصبية والعصبية من المصادر النسبية نسبة الى العصبة وهى قوم الرجل الذين يعززون قوته ويدفعون عنه الضيم والعداء . فالتعصب وصف للنفس الانسانية تصدر عنه نهضة لحماية من يتصل بها والذود عن حقه . ووجوه الاتصال تابعة لأحكام النفس فى معلوماتها . ومعارفها .

هذا الوصف هو الذي شكل الله به الشعوب . واقام بناء الامم . وهو عقد الربط فى كل امة . بل هو المزاج الصحيح يوحد المتفرق منها تحت اسم واحد . او ينشئها بتقدير الله خلقا واحدا . كبدن تألف من اجزاء وعناصر تدبره روح واحدة فتكون كشخص يحتاز فى اطواره اطواره وشئونه وسعادته وشقائه عن سائر الاشخاص .

وهذه الوحدة هى مبعث المباراة بين امة وأمة . وقبيل وقبيل . ومباهاة كل من الامتين المتقابلتين بما يتوفر لها من اسباب الرفاهة وهناء العيش وما تجمعه قواها من وسائل العزة والمنعة . وسمو المقام ونفاذ الكلمة . والتنافس بين الامم كالتنافس بين الاشخاص اعظم باعث على بلوغ اقصى درجات الكمال فى جميع لوازم الحياة بقدر ما تسعه الطاقة .

التعصب روح كلى مهبطه هيئة الامة وصورتها . وسائر ارواح الافراد حواسه و مشاعره فاذا ألم باحد المشاعر ما لا يلائمه من اجنبى عنه انفعل الروح الكلى وجاشت به طبيعته لدفعه . فهو لهذا مثار الحمية العامة ومسعر النعرة الجنسية هذا هو الذي يرفع نفوس احاد الامة عن مماطاة الدنايا . وارتكاب الخيانات فيما يعود على الامة بضرر او يؤول

بها الى سوء عاقبة وان استقامة الطباع ورسوخ الفضيلة فى امة تكون على حسب درجة التعصب فيها والالتئام بين احادها . يكون كل منهم بمنزلة عضو سليم من بدن حى . لا يجد الرأس بارتفاعه غنى عن القدم ولا يري القدمان فى تطرفهما انحطاطا فى رتبة الوجود وانما كل يؤدي وظائفه لحفظ البدن وبقائه .

وكلما حد ضعفت قوة الربط بين افراد الامة بضعف التعصب فيهم استرخت الاعصاب ورثت الاطناب . ورقت الاوتار وتداعى بناء الامة الى الانحلال كما يتداعى بناء البنية البدنية الى الفناء بعد هذا يموت الروح الكلي . وتبطل هيئة الامة وان بقيت احادها فما هى الا كالاجزاء المتناثرة . اما ان تتصل بأبدان اخري بحكم ضرورة الكون . واما ان تبقى فى قبضة الموت الى ان ينفخ فيها روح النشأة الاخري . (سنة الله فى خلقه) اذا ضعفت العصبية فى قوم رماهم الله بالفشل . وغفل بعضهم عن بعض واعقب الغفلة تقطع فى الروابط وتبعه تقاطع وتدابر . فيتسع للاجانب والعناصر الغريبة مجال التداخل فيهم . ولن تقوم لهم قائمة من بعد حتى يعيدهم الله كما بدأهم بافاضة روح التعصب فى نشأة ثانية .

نعم ان التعصب وصف كسائر الاوصاف له حد اعتدال وطرفا افراط و تفريط واعتداله هو الكمال الذي بينا مزاياه . والتفريط فيه هو النقص الذي اشرنا لرزاياه . والافراط فيه مذمة تبعث على الجور والاعتداء . فالمفرط فى تعصبه يدافع عن الملتحم به بحق وبغير حق . ويري عصبته منفردة باستحقاق الكرامة وينظر الى الاجنبى عنه كما ينظر الى الهمل لا يعترف به بحق . ولا يرعى له ذمة . فيخرج بذلك عن جادة العدل فتنقلب منفعة التعصب الى مضرة ويذهب بهاء الأمة . بل تتقوض مجدها . فان العدل قوام الاجتماع الانسانى وبه حياة الامم وكل قوة لا تخضع للعدل فمصيدها الى الزوال . وهذا الحد من الافراط فى

التعصب هو الممقوت على لسان الشارع صلى الله عليه وسلم فى قوله : "ليس منا من دعا الى عصبية" (١)

التعصب كما يطلق ويراد منه النعرة على الجنس ومرجعها رابطة النسب والاجتماع فى منبت واحد كذلك توسع اهل العرف فيه فاطلقوا على قيام الملتحمين بصلة الدين لمناصرة بعضهم بعضا . والمتنطعون من مقلدة الافرنج يخصون هذا النوع منه بالمقت . ويرمونه بالتعس ولا تخال مذهبهم هذا مذهب العقل . فان لحمة يصيربها المتفرقون الى وحدة تنبعث عنها قوة لدفع الغائلات وكسب الكمالات ولا يختلف شأنها اذا كان مرجعها الدين او النسب . وقد كان من تقدير العزيز الحليم وجود الرابطتين فى اقوام مختلفة من البشر . وعن كل منهما صدرت فى العالم اثار جليلة يفتخر بها الكون الانسانى وليس يوجد عند العقل ادنى فرق بين مدافعة القريب عن قريبه ومعاونته على حاجات معيشته . وبين ما يصدر من ذلك عن المتلاحمين بصلة المعتقد ورابطة المشرب .

فتعصب المشتركين فى الدين المتوافقين فى اصول العقائد بعضهم لبعض اذا وقف عند الاعتدال . ولم يدفع الى جور فى المعاملة ولا انتهاك لحرمة المخالف لهم . او نقض لذمته فهو فضيلة من اجل الفضائل الانسانية . واوفرها نفعا . واجزلها فائدة . بل هو اقدس رابطة واعلاها . اذا استحكمت صعدت بذوي المسكة فيها الى اوج السيادة وذروة المجد . خصوصا ان كانوا من قبيل قوي فيهم سلطان الدين واشتدت سطوته على الاهواء الجنسية حتى اشرف بها على الزوال كما فى اهل الديانة الاسلامية على ما اشرنا اليه فى العدد الثانى من جريدتنا .

ولا يؤخذ علينا فى القول بأنه من اقدس الروابط . فانه كما يطمس رسوم الاختلاف

(١) ابو داود - كتاب الادب - باب العصبية

بين اشخاص واحاد متعددة ويصل ما بينهم بينهم فى المقاصد والعزائم والاعمال ، وكذلك يمحو اثر المنابذة والمنافرة بين القبائل والعشائر بل الاجناس المتخالفة فى المنابت واللغات والعادات بل المتباعدة فى الصور والاشكال . ويحول اهواء ها المتضاربة الى قصد واحد . وهو تأصيل المجد وتأييد الشرف وتخليد الذكر تحت الاسم الجامع لهم هذا الاثر الجليل عهد لقوة التعصب الدينى وشهد عليه التاريخ بعد ما ارشد اليه العقل الصحيح . وما كانت رابطة الجنس لتقوى على شيئ منه .

شغف جماعة من متزندقة هذه الاوقات فى بيان مفاسد التعصب الدينى وزعموا ان حمية اهل الدين لما يؤخذ به اخوانهم من ضيم وتضافرهم لرفع ما يلم بدينهم من غاشية الوهن والضعف ه والذي يصدهم عن السير الى كمال المدينة ويحجبهم عن نور العلم والمعرفة . ويرمى بهم فى ظلمات الجهل ويحملهم على الجور والظلم والعدوان على من يخالفهم فى دينهم ومن رأي اولئك المشغفين ان لا سبيل لدرء المفاسد واستكمال المصالح الا بانحلال العصبية الدينية . ومحو اثرها وتخليص العقول من سلطة العقائد . وكثيرا ما يرجفون بأهل الدين الاسلامى . ويخوضون فى نسبة مزام التعصب اليهم .

كذب الخراصون ان الدين اول معلم وارشد استاذ واهدي قائد للانفس الى اكتساب العلوم والتوسع فى المعارف . وارحم مؤدب وابصر مروض يطبع الارواح على الاداب الحسنة . والخلائق الكريمة . ويقيمها على جادة العدل . وينبه فيها حاسة الشفقة والرحمة . خصوصا دين الاسلام فهو الذي رفع امة كانت من اعرق الامم فى التوحش والقسوة والخشونة وسما بها الى ارقى مراقى الحكمة والمدنية فى اقرب مدة . وهى الامة العربية .

قد يطرأ على التعصب الدينى من التغالي والافراط مثل ما يعرض على التعصب

الجنسى فيفض الى ظلم وجور . ربما يؤدي الى قيام اهل الدين لابادة مخالفيهم ومحق وجودهم . وكما قامت الامم الغربية واندفعت على بلاد الشرق لمحض الفتك والابادة لا للفتح ولا للدعوة الى الدين فى الحرب الهائلة المعروفة بحرب الصليب وكما فعل الاسبانيون بمسلمى الاندلس وكما وقع قبل هذا وذاك فى بدايةما حصلت الشوكة للدين المسيحى . إن صاحب السلطان من المسيحيين جمع اليهود فى القدس واحرقهم . الا ان هذا العارض لمخالفته لاصول الدين فلما تمتد له مدة . ثم يرجع ارباب الدين الى اصوله القائمة على قواعد السلم والرحمة والعدل .

اما اهل الدين الاسلامى فمنهم طوائف شطت فى تعصبها فى الاجيال الماضية الا انه لم يصل بهم الافراط الى حد يقصدون فيه الابادة واخلاء الارض من مخالفيهم فى دينهم وما عهد ذلك فى تاريخ المسلمين بعد ما تجاوزوا حدود جزيرة العرب . ولنا الدليل الاقوم على ما نقول وهو وجود الملل المختلفة فى ديارهم الى الان حافظة لعقائدها وعوائدها من يوم تسلطوا عليها . وهم فى عنفوان القوة . وهى فى وهن الضعف . نعم كان للمسلمين ولع بتوسيع الممالك وامتداد الفتوحات وكانت لهم شدة على من يعارضهم فى سلطانهم . الا انهم كانوا مع ذلك يحفظون حرمة الاديان ويرعون حق الذمة . ويعرفون لمن خضع لهم من الملل المختلفة حقه ويدفعون عنه غائلة العدوان . ومن العقائد الراسخة فى نفوسهم :

ان من رضى بذمتنا فله مالنا وعليه ما علينا ولم يعدلوا فى معاملتهم لغيرهم عن امر الله فى قوله : يا ايها الذين امنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على انفسكم او الوالدين والاقربين .(١) اللهم الا مالا تخلو عنه الطبائع البشرية .

---

(١) النساء (٤) : ١٣٥

ومن نشأة المسلمين الى اليوم لم يدفعوا احدا من مخالفيهم عن التقدم الى ما يستحقه من علو الرتبة . وارتفاع المكانة . ولقد سمانى دول المسلمين على اختلافها الى المراتب العالية كثير من ارباب الاديان المختلفة ، وكان ذلك فى شبيبتها وكمال قوتها ولم يزل الامر على ما كان وفى الظن ان الامم الغربية لم تبلغ هذه الدرجة من العدل الى اليوم (فسحقا لقوم يظنون ان المسلمين بتعصبهم يمنعون مخالفيهم من حقوقهم) .

لم يسلك المسلمون من عهد قريب مسلك الالزام بدينهم . والاجبار على قبوله ، ومع شدة بأسهم فى بدايات دولهم ، وتغلغلهم فى افتتاح الأقطار واندفاع همهم للبسطة فى الملك والسلطة وانما كانت لهم دعوة يبلغونها فان قبلت والا استبدلوا بها رسما ماليا يقوم مقام الخراج عند غيرهم مع رعاية شروط عادلة تعلم من كتب الفقه الاسلامى ، هذا على خلاف متنصرة الرومانيين واليونانيين ايام شوكتهم الاولى فانهم ماكانوا يطأون ارضا الا ويلزمون اهلها بخلع اديانهم والتطوق بدين اولئك المسلطين وهو الدين المسيحى كما فعلوا فى مصر وسورية . بل فى البلاد الافرنجية نفسها .

هذا فصل من الكلام ساق اليه البيان ، وفيه تبصرة لمن يتبصر ، وتذكرة لمن يتذكر ثم اعود بك الى سابق الحديث فيما كنا بصدده : هل لعاقل لم يصب برزئية فى عقله ان الاعتقال من التعصب الدينى نقيصة ، وهل يوجد فرق بينه وبين التعصب الجنسى الا بما يكون به التعصب الدينى اقدس واطهر واعم فائدة لانخال عاقلا يرتاب فى صحة ما قررناه فما اولئك القوم يهذرون بما لا يدرون ، اي اصل من اصول العقل يستندون اليه فى المفاخرة و المباهاة بالتعصب الجنسى فقط ، واعتقاده فضيلة من اشرف الفضائل ، ويعبرون عنه بمحبة الوطن واي قاعدة من قواعد العمران البشري فى التهاون بالتعصب الدينى المعتدل وحسبانه

نقيصة يجب الترفع عنها .

نعم ان الافرنج تأكد لديهم ان اقوي رابطة بين المسلمين انما فى الرابطة الدينية وادركوا ان قوتهم لاتكون الا بالعصبية الاعتقادية ولأولئك الافرنج مطامع فى ديار المسلمين وأوطانهم فتوجهت عنايتهم الى بث هذه الافكار الساقطة بين ارباب الديانة الاسلامية وزينوا لهم هجر هذه الصلة المقدسة وفصم حبالها ، لينقضوا بذلك بناء الملة الاسلامية ، ويمزقوها شيعا واحزابا فانهم علموا كما علمنا ، وعلم العقلاء اجمعون ان المسلمين لا يعرفون لهم جنسية الا فى دينهم واعتقادهم وتسنى للمفسدين نجاح فى بعض الاقطار الاسلامية وتبعهم بعض الغفل من المسلمين جهلا وتقليدا ، فساعدوهم على التنفير من العصبية الدينية بعد ما فقدوها ، ولم يستبدلوا بها رابطة الجنس التى يبالغون فى تعظيمها و احترامها حمقا منهم وسفاهة ، فمثلهم كمثل من هدم بيته قبل ان يهيئ لنفسه مسكنا سواه . فاضطر للاقامة بالعراء معرضا لغوائل الجو وما تصول به على حياته .

من هذا ما سلك الانجليز فى الهند لما احسوا بالعراء بخيال السلطنة يطوف على افكار المسلمين منهم لقرب عهدها بهم وفى دينهم ما يبعثهم على الحركة الى استرداد ما سلب منهم وارشدهم البحث فى طبائع الملل الى ان حياة المسلمين قائمة على الوصلة الدينية ومادام الاعتقاد المحمدي والعصبة الملية سائدة فيهم ، فلا تؤمن بعثتهم الى طلب حقوقهم فاستهووا طائفة ممن يتسمون بسمة الاسلام ، ويلبسون لباس المسلمين وفى صدورهم غل و نفاق وفى قلوبهم زيغ و زندقة ، وهم المعروفون فى البلاد الهندية بالنيجرية اي " الدهريين " فاتخذهم الانجليز اعوانا لهم على فساد عقائد المسلمين ، وتوهين علائق التعصب الدينى ليطفئوا بذلك نار حميتهم ويخمدوا ثائرة غيرتهم ، ويبددوا جمعهم . ويمزقوا شملهم ، و

ساعدوا تلك الطائفة على انشاء مدرسة كبيرة فى (عليكره) ونشر جريدة لبث هذه الاباطيل بين الهنديين • حتى يعم الضعف فى العقائد وترث اطناب الصلات بين المسلمين فيستريح الانكليز فى التسلط عليهم وتطمئن قلوبهم من جهتهم كما اطمأنت من جهة غيرهم • وغرا ولئك الغفل المتزندقين ان رجال دولة بريطانيا يظهرون لهم رعاية صورية ويدنونهم من بعض الوظائف الخسيسة تحسن من يبيع ملته بلقمة وذمته برذال العيش •

هذا اسلوب من السياسة الاوروبية اجادت الدول اختياره ، وجنت ثماره فأخذت به الشرقيين لتنال مطامعها فيهم ، فكثير من تلك الدول نصبت الحبائل فى البلاد العثمانية و المصرية وغيرها من الممالك الاسلامية ولم تعدم صيدا من الامراء والمنتسبين الى العلم والمدنية الجديدة واستعملتهم الة فى بلوغ مقاصدها من بلادهم ، وليس عجبنا من الدهريين والزنادقة ممن يتسترون بلباس الاسلام ان يميلوا مع هذه الاهواء الباطلة ولكنا نعجب من ان بعضا من سذج المسلمين مع بقائهم على عقائدهم • وثباتهم فى ايمانهم يسفكون الكلام فى ذم التعصب الدينى ويجهرون فى رمى المتعصبين بالخشونة والبعد عن محدثات المدينة الحاضرة ولايعلم اولئك المسلمون انهم بهذا يشقون عصاهم ويفسدون شأنهم • ويخربون بيوتهم بايديهم وايدي المارقين يطلبون محو التعصب المعتدل وفى محوه محو الملة ودفعها الى ايدي الاجانب يستعبدونها ما دامت الارض ارضا والسماء سماء •

والله ما عجبنا من هؤلاء وهؤلاء بأشد من العجب لاحوال الغربيين من الامم الافرنجية الذين يفرغون وسعهم لنشر هذه الافكار بين الشرقيين ولا يخجلون من تهشيم التعصب الدينى ورمى المتعصبين بالخشونة الافرنج اشد الناس فى هذا النوع من التعصب واحرصهم على القيام بدواعيه ومن القواعد الاساسية فى حكوماتهم السياسية الدفاع عن دعاة الدين

والقائمين بنشره ، ومساعدتهم على نجاح اعمالهم ، واذا عدت عادية مما لا يخلو عنه الاجتماع البشري على واحد ممن على دينهم ومذاهبهم في ناحية من نواحي الشرق ، سمعت صياحا وعويلا . وهيعات ونداءات تتلاقى امواجها في جو بلاد المدينة الغربية وينادي جميعهم : الا قد المت ملمة وحدثت حادثة مهمة ، فاجمعوا الامر ، وخذوا الاهبة لتدارك الواقعة . والاحتياط من وقوع مثلها حتى لا تتخدش الجامعة الدينية وتراهم على اختلافهم في الاجناس وتباغضهم وتحاقدهم ، وتنابذهم في السياسات وترقب كل دولة منهم لعثرة الاخري حتى توقع بها السوء . يتقاربون ويتالفون ويتحدون في توجيه قواهم الحربية والسياسية لحماية من يشاكلهم في الدين وان كان في اقصى قاصية من الارض . ولو تقطعت بينه وبينهم الانساب الجنسية .

اما لو فاض طوفان الفتن وطم وجه الارض . وغمر البسيطة من دماء المخالفين لهم في الدين والمذهب . فلا ينبض فيهم عرق ، ولا ينتبه لهم احساس . بل يتغافلون عنه ويذرونه وما يجرف حتى ياخذ مده الغاية من حده ، ويذهلون عما اودع في الفطرة البشرية من الشفقة الانسانية والمرحمة الطبيعية كانما يعدون الخارجين عن دينهم من الحيوانات السائمة والهمل الراعية ، وليس من نوع الانسان الذي يزعم الاوربيون انهم حماته وانصاره ، وليس هذا خاصا ، بالمتدنيين منهم بل الدهريون ومن لا يعتقدون بالله وكتبه ورسله يسابقون المتدينين في تعصبهم الدينى ولا يالون جهدا في تقوية عصبيتهم وليتهم يقفون عند الحق ولكن كثيرا ما تجاوزوه ، اما ان شان الافرنج في تمسكهم بالعصبية الدينية لغريب .

يبلغ الرجل منهم اعلى درجة في الحرية كجلاد ستون ثم لا تجد كلمة تصدر عنه الا وفيها نفثة من روح بطرس الراهب (1) بل لا تري روحه الا نسخة من روحه .

فياايتها الامة المرحومة هذه حياتكم فاحفظوها ، ودماؤكم فلا تهريقوها ، وارواحكم فلا تزهقوها وسعادتكم فلا تبيعوها بثمن دون الموت ، هذه هي روابطكم الدينية لاتغرنكم الوساوس . ولا تستهوينكم الترهات ، ولا تدهشكم زخارف الباطل ارفعوا غطاء الوهم عن باصرة الفهم ، واعتصموا بحبال الرابطة الدينية التي هي احكم رابطة اجتمع فيها العربي بالتركي . والفارسي بالهندي ، والمصري بالمغربي ، وقامت لهم مقام الرابطة النسبية حتى ان الرجل منهم ليألم لما يصيب اخاه من عاديات الدهر ، وان تناءت دياره ، وتقاصت اقطاره .

هذه حلقة من امتن الصلات ساقها الله اليكم ، وفيها عزتكم ومنعتكم وسلطانكم و سيادتكم ، فلا توهنوها ولكن عليكم في رعايتها ان تخضعوا لسطوة العدل فالعدل اساس الكون وبه قوامه ، ولانجاح لقوم يزدرون العدل بينهم وعليكم ان تتقوا الله ، وتلزموا اوامره ، في حفظ الذمم ومعرفة الحقوق لأربابها ، وحسن المعاملة واحكام الالفة في المنافع الوطنية بينكم وبين ابناء اوطانكم وجيرانكم من ارباب الاديان المختلفة فان مصالحهم لا تقوم الا بمصالحكم وعليكم ان لا تجعلوا عصبة الدين وسيلة للعدوان وذريعة لانتهاك الحقوق فان دينكم ينهاكم عن ذلك ويوعدكم عليه باشد العقاب ، هذا ولا تجعلوا عصبيتكم قاصرة على مجرد ميل بعضكم لبعض ، بل تضافروا بها على مباراة الامم في القوة والمنعة والشوكة والسلطان ومنافستهم في اكتساب العلوم النافعة والفضائل والكمالات الانسانية .

اجعلوا عصبيتكم سبيلا لتوحيد كلمتكم واجتماع شملكم ، واخذ كل منكم بيد اخيه ليرفعه من هوة النقص الى ذروة الكمال وتعاونوا على البر والتقوي ولا تعاونوا على الاثم والعدوان .

---

(١) هو داعية الحرب الصليبية .

هذا هو قليل من الكثير ونري ان السيد الافغاني في جميع المقالات يدور حول امرين عظمين : توحيد المسلمين وتكتلهم وذلك بعودتهم الى القران الكريم والاحاديث النبوية ونبذ ولاية الاجنبي على المسلمين على اساس من دينهم • وجل هجومه على الاستعمار البريطاني وذلك لاحتكاكه به مباشرة في افغانستان والهند ومصر •

وبقية هذه المقالات بالاختصار بالعناوين الاتية :

١ـ القضاء والقدر •

وفيها يبين السيد ان عقيدة القضاء والقدر تدعو الى العمل والجراة والاقدام لا كما يدعى الاوربيون انها سبب التاخر •

٢ـ الفضائل والرذائل وعلى راسها الاية القرانية :

وذكر فان الذكري تنفع المؤمنين •(١)

يذكر فيها السيد ان السجايا الحسنة والصفات الحميدة موجب السعادة والاتحاد والتقدم والامن والسلام • واما الصفات الذميمة فهي سبب الفساد والتفرقة وسوء الحال •

ويقول ان على العلماء ان يقوموا بوظيفة بث الصفات الكريمة في المسلمين •

٣ـ الوحدة والسيادة

وعلى راس المقال هذا الحديث الشريف :

المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا •(٢)

يتكلم السيد فيها ويبين ما يدعوا اليهما من عقائد الدين والتربية ويبين اهميتهما

---

(١) الذاريات (٥١) : ٥٥

(٢) البخاري • كتاب الصلوة •

في الدين الاسلامي · ويذكر الايات القرانية والاحاديث التي تحث عليهما ·

٤ــ الامل وطلب المجد :

وعلى رأس المقالة الاية التالية :

« انه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون » · (١)

٥ــ رجال الدولة وبطانة الملك · كيف يجب ان يكونوا ·

وعلى رأس المقالة الاية التالية :

« يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم لايألونكم خبالا · ودوا ما عنتم قد بدت البغضاء من افواههم وما تخفي صدورهم اكبر قد بينا لكم الايات ان كنتم تعقلون » · (٢)

٦ــ كم حكمة الله في حب المحمدة الحقة ·

٧ــ الشرف :

ويبين ان الشرف ليس بالالقاب · كما تمنح من الانجليز · وانما بالعمل الصالح · وهو مبين في الشرع ·

٨ــ الامة وسلطة الحاكم المستبد

وعلى رأس المقالة الاية التالية :

« وما ظلمهم الله ولكن كانوا انفسهم يظلمون » · (٣)

---

(١) يوسف (١٢) : ٨٧
(٢) ال عمران (٣) : ١١٨
(٣) النحل (١٦) : ١١٨

٩ـ دعوة الفرس الى الاتحاد مع الافغان

وعلى رأسها هذا الحديث الشريف :

اذا اراد الله بقوم خيرا جمع كلمتهم .

يبين فيها ما قام به الفرس لخدمة الدين فى القرون الماضية ويدعوه الى الاتحاد مع الافغان عقلا دفعا للخطر الغربى الغاشم الذي يتربص بهما الدوائر .

١٠ـ امتحان الله للمؤمنين

وعلى رأس المقالة الاية التالية :

الم احسب الناس ان يتركوا ان يقولوا امنا وهم لا يفتنون ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين .(١)

١١ـ من يضلل الله فما له من هاد (٢)

ذكر تحت هذا العنوان بعضا من الهنود الذين يحرفون فصول العروة الوثقى . كما يقدم الشكر للجرائد الهندية التى قامت بترجمة فصول العروة الوثقى خدمة للحق .

١٢ـ اسباب حفظ الملك

وعلى رأس المقالة الاية التالية :

افلم يسيروا فى الارض فتكون لهم قلوب يعقلون بها او لهم اذان يسمعون بها . فانها لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور .(٣)

---

(١) العنكبوت (٢٩) : ٣٠
(٢) الزمر (٣٩) : (٢٣)
(٣) الحج (٢٢) : ٤٦

١٣ـ ونريد ان نمن على الذين استضعفوا فى الارض ونجعلهم ائمة ونجعلهم الوارثين .(١)

يذكر حالة البلاد الهندية قبل الاستعمار الانجليزي وبعده . ويتوقع من الهند
بين
اليقظة وعلمهم لاسترداد البلاد .

١٤ـ ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات واولئك لهم عذاب عظيم .(٢)

يدعوالى الوحدة بين الفرس والافغان وذلك لان يكونوا فى مأمن من الخطر المحدق
بهما من القوة الاوروبية ايةقوة كانت .

١٥ـ سنن الله فى الامم وتطبيقها على المسلمين

وعلى رأس المقالة الاية القرانية التالية :

ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم . ذلك بأن الله لم يك مغيرا
نعمة انعمها على قوم حتى يغيروا ما بأنفسهم .(٣)

١٦ـ الوهم

وعلى رأس المقالة هذا الحديث الشريف :

~~وعلى رأس المقالة هذا الحديث~~
اللهم اكشف عن بصائرنا ستار الاوهام حتى نري الحقائق كما هى كيلا نضل وتشقى
يذكر السيد فى هذه المقالة ان الوهم هوالذي مهد طريق الفتح امام الانجليز

(١) القصص (٢٨) : ٥

للبلاد الاسلامية الكثيرة لأن المسلمين بسبب وهمهم حسبوا الدولة الانجليزية دولة قوية لا يمكن مقاومتها مع ان الامر على عكس ذلك فعلى المسلمين ان ينبذوا الوهم .

١٧ـ الجبن

وعلى رأس المقالة الاية القرانية التالية :

اينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم فى بروج مشيدة قل ان الموت الذي تفرون منه فانه ملاقيكم .(١)

يبين فيها السيد ان الجبن هو الذي يوهن العزم ويسبب التفرق ويسهل على النفوس احتمال الذل ، ولكن المسلم لا ينبغى له ان يخاف ويغلب عليه الجبن . لأن الاجال ~~بيدهيط~~ بيد الله ، وان الجبن والايمان لا يجتمعان فى قلب المؤمن ، وللعلماء ان يوضحوا معانى القران ويقوموا بوظيفة اسلامية حقة وبذلك ستسترجع الملة الاسلامية عظمتها من جديد .

١٨ـ زلزال الانجليز فى السودان (٢)

يذكر السيد فيها ما يتوقعه الانجليز من مهاجمة قوات محمد احمد على القوات الانجليزية : ثم يذكر ان من واجب المسلمين الدينى ~~مططبعه~~ معاكسة سير الانجليز ، و يقول ان الخائن من يبيع وطنه ، ثم يثير المصريين ضد الانجليز بما سلب الانجليز من اموالهم

---

(٢) ال عمران (٣) : ١٠٥

(٣) الرعد (١٣) : ١١

---

(١) النساء (٤) : ٧٨

(٢) العروة الوثقى ــ الخلاصة من ص ١٤٧ ــ ١٥٢

وخيرات ارضهم ويقول لهم : في امكانكم الان ان تضروا بعدوكم وليس في امكانه ان يضربكم ... ان كنتم تخافون الموت او التذليل فهل هو الان بعيد منكم اليس يؤخذ الابرياء منكم بالشبه الباطلة .... يا قوم يؤثر من كلام سلفكم : الشجاع محبب حتى لعدوه . و الجبان مبغض حتى لأبيه وامه تعلمون انه ما عز قوم بالخضوع ولا استهين شعب بالاباء ... لأي شيئ يخاطر عدوكم بما له ودمه للتغلب على ما ليس له ولأي سبب لا تقدمون بشيئ من شهامتكم في حفظ ما هولكم . ان هذا لشيئ عجاب هل نذكركم بقول شاعركم :

لايسلم الشرف الرفيع من الاذي حتى يراق على جوانبه الدم

.... لا يزال دينكم يترقب منكم حمية عليه وغيرة لدفع الغائلة عنه . ان صاحب الدين صلى الله عليه وسلم ينتظر فيما يعرض عليه من اعمالكم نهضة لاعلاء كلمة الحق وانقاذه من مخالب اعدائه وان الله في عزة جبروته لن يدعكم على ما انتم عليه حتى يعلم الصادقين منكم ويعلم الصابرين . يا ايها الذين امنوا كونوا انصار الله ،[١] ولا تتبعوا خطوات الشيطان انه لكم عدو[٢] مبين ولا تهنوا ولا تحزنوا وانتم الاعلون ان كنتم مؤمنين .[٣] [٤]

خـــاطرات

جمال الدين الافغاني الحسيني (تأليف محمد المخزومي)

يقول المخزومي :

فكنت من يوم وفد (السيد) على القسطنطينية الزم له من الظل في عزلته . سهل

---

(١) الصف (٦١) : ١٤

(٢) البقرة (٢) : ١٦٨

(٣) ال عمران (٣) : ١٣٩

(٤) الحروة الوثقى : ١٥٠ . ١٥١ . ١٥٢

ذلك على ميله رحمة الله عليه و قرب الدار والجوار (فى محلة نيشانطاش) فكاشفته بلزوم تدوين ما عمله وما تكنه سرائره من الحكمة . ونافذ النظر وثاقب الرأي لنفع النوع .

فكانت تلك الرغبة منى فى بداية الامر لا يبالى بها كثيرا ولا يتلقاها لقاء حسنا . ولكن فى الاخير رأى فى طلبى حقا ولمح منه للشرق واهله نفعا فقبل ان يؤخذ عنه واجاز بقوله : سل ما تريد يا شيخ بنى مخزوم واكتب ما تسمع واحفظ ما تراه وقبل كل شيء الفت نظرك لأمر ربما انت ملاقيه . فخذ له من الحذر عدة ومن التحمل درعا . اذا سلمت فى كتابة خاطراتى من خطر الطاغية وطواغيته - يعنى جواسيس السلطان عبد الحميد . فستصادف من اهل الجمود عنتا وتخرصا وقلبا للحقائق فلا تبال بهم . فما خلا الكون منهم يوما ليخلوزمنك ولا نجا منهم مخلص لتنجو انت ولسوف تعثر باناس ديدنهم التنقيد لاحبا بتمحيص الحقيقة و استجلائها وانما دأبهم وما يرمون اليه ان يقال : قام فقال وانتقد واعترض فمثل هؤلاء ربما يخدمون الحق وينشرون الفضيلة من حيث لا يريدون ولا يشعرون فأعرض عنهم وقل لهم سلاما انتهى قوله بالحرف .(١)

الاسلام وعدم مخالفته للحقائق العلمية :

تكلم السيد الافغاني عن الحروب ولزوم ابطالها فسئل عن امور ثلاثة :

الاية : واعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله ... الاية .(٢)

---

(١) خاطرات جمال الدين الافغاني - محمد المخزومي ط ٢ . مطابع دار الفكر بدمشق . ١٣٨٥هـ ١٩٦٥م ص ٣

(٢) الانفال (٨) : ٦٠

واية السيف التى نسخت ثلث القران تقريبا ٠

والامر الصريح فى الجهاد ٠

قال (السيد الافغانى) :

هناك فرق عظيم بين ما نراه من الحروب اليوم وبين الجهاد فى سبيل الدعوة الدينية والقصد منها ارجاع الخلق الى الحق ٠ ذلك ذلك الجهاد الذي ما عمل به الاسلام فورا واعتباطا من غير تدريج ٠

جاء محمد صلى الله عليه وسلم بالاسلام والقران بعد ان تقدمه موسى عليه السلام بالتوراة وعيسى عليه السلام بالانجيل ٠

فلم يمض على بنى اسرائيل دهر طويل بعد موسى حتى تلاعب الكهنة والكتبة و الفريسيون بأحكام التوراة ٠ وبكثير من اساسات الناموس الموسوي ٠ فجاء عيسى مصلحا ما اختل ٠ ومداويا ما اعتل ٠ ومتمما لها انقص من ذلك الناموس وادلى بالانجيل ٠ وفيه وفى التوراة الهدي وما يلزم للخلق من ارشاد ٠

ولكن لم يمض كذلك حين من الدهر ٠ حتى ظهرت الاضطرابات الدينية والفرق من صابئة ٠ ويعقوبية وغيرهما ٠ واساء الكثير من الناس فهم اقوال المسيح الروحانية العالية والتصوفية المحضة ٠

وظهر فى العرب ما هو اشد وطأة اذا استفحل بينهم امر عبادة الأوثان وطمت الضلالة والغواية وعمت الاعمال البربرية عموم القبائل العربية حتى لم يستثن منها فريق ولا قبيل ٠

تلك الاعمال التى تقشعر منها الابدان ٠ كوأد (دفن) البنات احياء وما أشبه

وباقى الضلالات من العبادات وتعدد الالهة من هبل اكبر وعزي واللات ومناة وغير ذلك .

فجاء محمد رسولا مصدقا لصحيح التوراة والانجيل داعيا الى الله وتوحيده مرشد اللخير امينا بشريعة سمحاء . تكفلت لعموم الخلق بكل سعادة مادية ومعنوية مقبحا للشرك بالاله والمشركين به مظهرا بلة بطلان مايعبدونه من دون الله بقران معجز وحجج بالغة مثل قوله : (قل افاتخذتم من دونه اولياء لا يملكون لانفسهم نفعا ولا ضرا . قل هل يستوي الاعمى والبصير ام هل تستوي الظلمات والنور ام جعلوا لله شركاء خلقوا كخلقه فتشابه الخلق عليهم . قل الله خالق كل شيء وهو الواحد القهار[1]... الاية .

ثم قال : اما ابقاالسيف فقد قلتم انها نسخت على وجه التقريب ثلث القران . وهذا الثلث انما كان كله لطف ويسر وامر بالمعروف . ودعوة الى وحدانية الله بالحكمة والموعظة الحسنة ومباهلة وتحد . وجدال بالتى هى احسن ينطوي تحت كل هذا مطلب واحد . و هو توحيد الله وعبادته وترك عبادة الاوثان . وقبول الهداية واستئصال الضلالة حتى اذا ما ذهب كل ذلك اللين واللطف والدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة عبثا فى سبيل قبول الهداية وفيه نفع شامل وبرز المخالف مصرا على الضلالة مقاوما وفى ذلك ضرر عام للمجموع عند ذلك وقف الاسلام فى وجه المشركين من الحرب وانذرهم بانه لا يقبل منهم الا الايمان بالله وحده وتحطيم : الاوثان .

وما اشد ما لاقى محمد صلى الله عليه وسلم ومن امن به من كفار قريش ومن عشيرته ومن عموم العرب . ومن انواع الاضطهاد والاستهزاء والعذاب مما يطول شرحه وما هو معلوم عند العموم .

---

(١) الرعد (١٣) : ١٦

اما اهل الكتاب (وهم الموسويون والعيسويون) فقد خيرهم الاسلام احد امرين :

اما الاشتراك باداء الجزية . وفيه صلاح الامر الدنيوي للكافة والمقصد الاعلى من هذا . صون النفوس . وعدم سفك الدماء . بقليل من مال يؤخذ فيصرف في المنافع والمصالح . وفي تعزيز قوة المجموع وكذلك يدخل به مع القوم الى ساحة مساواة حقيقية له ما لهم وعليه ما عليهم . ولا اكراه عليه في دينه بل يكون مصانا في شعائره واصول عباداته وعاداته من كل اذي

واما ان يختار الاسلام فيشارك القوم في العاجل في دنيا هم وسلطانهم . وفي كل ما حوته اخراهم من نعيم مقيم وجنات تجري من تحتها الانهار .

والغرض الاسمى في الحالتين — كما تري — هو عدم سفك الدماء ووقاية ذلك البناء الالهي من الهدم جزافا . بل تجسم فيه طلب الهداية لعبادة اله واحد . وتأسيس العدالة وتوزيع الحق بمطلق المعنى .

لذلك تري ان كل مصر . او قطرا دان بالاسلام او دخل في حوزته خيم فوق ربوعه السلام وتمتع اهله بحبوحة من العدل المطلق وسادفيه الامن والامان وحصلت المساواة على اصح وجوهها . وتمت الخيرات بينهم وفاضت البركات — باعتراف كل منصف غربي مثل اللورد (اسبنسر) و (كارليل) وغيرهما . ممن قالوا الحق ونطقوا بالصدق .

وهذا كله لا يشبه بصورة من الصور حروب اهل المدينة الغربية الحاضرة التي يشب ضرامها لتوسيع نطاق البلاد بالالحاق او بالاستعمار وبالنتيجة استعباد العباد تحت تلك الوسائل .

يتوهم الكثير ممن لا وقوف لهم على الحقائق . او من يكابر بالمحسوس ان انتشار الدين الاسلامي فيما انتشر من الامصار والاقطار انما تم بعامل القهر والسيف وسطوة الجيوش

ولكن اذا نظر الى الحقيقة بعين الانصاف رأينا من ظهور الاسلام فى مكة الى الهجرة للمدينة (يثرب) الى ان عم الاسلام جزيرة العرب بأسرها · لم يحصل بغير غزوات محدودة وسريات محدودة بطش الاسلام بها فى الكفار من قريش كوقعة بدر واحد وحنين فذلت اشد القبائل العربية · ودانت بالاسلام · وتم الفتح باقى الجزيرة وتناول اليمن بدون قتال بل بالدعوة والارشاد فقط ·

ثم اذا اخذنا ما تجمع للخليفة الاول ابى بكر · وللخليفة الثانى عمر الفاروق رضى الله عنهما · من الجيوش وما بعثوه من المجاهدين · وعلمنا ان مجموع الجيوش الاسلامية فى العهدين لم يتجاوز الاربعين الفا · وقسنا ما دخل من الممالك فى حوزة المسلمين · ومن دان بالاسلام من قطار الشام وفلسطين فحلب فالعراقين فمصر وممالك الفرس وغيرهم الى جدران الصين · تبين وتحقق لنا ان عمل الجهاد بالسيف لم يكن ليذكر فى جانب الدعوة بالحكمة والاخذ بالعدل المطلق · والمثال الحسن والقدوة الصالحة · وما فتح من البلدان والامصار صلحا اكثر بكثير مما فتح عنوة وحربا واما قوله تعالى : واعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ··· الخ الاية (١) ليس لسفك الدماء كما يظهر من صريح الاية بنهايتها حيث قال : ترهبون به عدو الله وعدوكم فالامر باعداد تلك القوة لم يكن ليقصد منها الا الارهاب فقط ليتقى بها سفك الدماء وليخشاها طلاب الحروب · ويمتنع قتل النفوس

فتوفير العدد والعدد وارصاد القوة على مطلق المعنى اذا كان القصد منه الارهاب وليس سفك الدماء كما هو الظاهر والواقع فهى افعل الوسائل لمنع الحروب ·

فمولتيكى قائد الالمان قال ما معناه (ابطال الحرب لابطال الحرب) والقران جاء بذات المعنى قبله بألف وثلثمائة عام بدليل ما امر من حصر القوة بمطلق معناها للارهاب فقط ·

فالقران وتعاليمه · ودين الاسلام ومن دان به · والسيرة المحمدية ومن عمل و

اقتدي بها من الاصحاب لو امكن للناس ان يعملوا بها لتوفرت لديهم السعادة و انواع الخير

ولخف عنهم كثير من الويل والشر ·

اقول هذا — وعزة الحق ! — وانا غير متحيز ولا منتصر للاسلام عن غير هدي · ولا

يداخلني بمعتقدي هذا ادنى عامل من عوامل التعصب ·

لذلك اقول ثم اقول : القران · القران ! واني لاسف اذ دفن المسلمون بين

دفتيه الكنوز وطفقوا في فيافي الجهل يفتشون على الفقر على المدقع ·

خالفوه في كل امر · وعملوا عكس ما قال · حتى كأنما القران امرهم بالاختلاف و

حذرهم من الائتلاف وحثهم على انتقاضهم على انفسهم وتشتت كلمتهم وان لا يعتصموا بحبل

الله جميعا بل يتفرقوا ليفشلوا وتذهب ريحهم ·

او كأنه قال الاتتدبروا معاني القرآن (الكريم) لتفهموا او تعملوا بما يؤول لخير

دنياكم · قبل اخراكم ·

وكيف لا اقول وا أسفاه ! واذا نهض احد لتفسير القران فلا أراه الايهيم بباء

بباء البسملة ويخوض ا ولا يخرج من مخرج حرف صاد الصراط حتى يهوي هو ومن يقرأ

ذلك التفسير في هو عدم الانتفاع بما اشتمل عليه القران من المنافع الدنيوية والاخروية — مع

استكماله الامرين على اتم وجوههما ·

عم الجهل — وتفشى الجمود في كثير من المتردين برداء العلماء حتى تخرصوا على

القران بأنه يخالف الحقائق العلمية الثابتة · والقران بريء مما يقولون ·

---

(١) الانفال (٨) : ٦٠

اثبت العلم كروية الارض ودورانها وثبات الشمس دائرة على محورها فهذه الحقيقة مع ما يشابهها من الحقائق العلمية لا بد ان تتوافق مع القران • والقران يجب ان يجل عن مخالفته للعلم الحقيقي خصوصا في الكليات •

فاذا لم نر في القران ما يوافق صريح العلم والكليات في اكتفينا بما جاء فيه من الاشارة ورجعنا الى التاويل اذ لا يمكن ان تاتي العلوم والمخترعات بالقران صريحة واضحة • وهي في زمن التنزيل • مجهولة من الخلق كامنة في الخفاء • لم تخرج لخير الوجود •

ولو جاء القران وصرح بالسكة الحديدية والبرق وما تفعله الكهربائية من الغرائب وغير ذلك لنفرت الناس واعرضت عنه وحسبته كذبا •

لذلك نراه قد جاء بالاشارة الى كل ما هو حادث اليوم وما هو ممكن ان يحدث في مستقبل الزمن مع مراعاة عقول الخلق وتقريب الاشياء للاذهان عن طريق قصر نظرهم وقابلية فهمهم •(١)

نري السيد جمال الدين في الخاطرات ياتي بامور و قضايا ويتكلم في الموضوعات تمت الى صميم الدين الاسلامي • ويرينا السيد ان الدين الاسلامي يدعو الى كثير من هذه الامور والاشياء سواء اكان ذلك بيانا صريحا واضحا او اشارة ورمزا •

وهذا هو السيد الافغاني يذكر لنا تحت العنوان :

في فيما اشتمل عليه القران من تدبير الممالك واصول الحكومة الشورية ووظائف الملوك

---

(١) خاطرات ص ٩٥ ـ ١٠٠

الخ والاشارات الى مقدمات العلوم والفنون الحديثة :

يقول السيد :

نعم ان تدبير الممالك وصونها من سلطان او ملك يطغى بقوته بالحكمة وحسن الرأي واصول الحكومة الشوروية والمشاورة ودعوة الامة للتداول ووظائف الملوك . ومسا ديهم وما يحدثونه اذا دخلوا بعساكرهم . للمدن والقرى من المفاسد واذ لالهم اعزة القوم . وعد وصلاحية الملوك فى اعلان الحرب بعد اخذ رأي الامة واصول مفاوضة الملوك مع دهاقين المملكة والاشكال النافعة من التجسس . ومعرفة احوال الممالك المجاورة وغيرها . كل ذلك سطور فى القران . عد فى سورة النحل باصرح عبارة وبايات وجيزة واليك البيان .

غضب سليمان عليه السلام على الهدهد اذ تفقده ولم يجده . فلما حضر قال جئتك من سبأ بنبأ يقين .[1] غير ملفق ولا مشوب بكذب كما تفعل اكثر الجواسيس مع الملوك و الحكام — انى وجدت امرأة تملكهم . واوتيت من كل شيئ[2] ولها عرش عظيم دينهم ومعتقدهم — وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله .

فلم يتسرع سليمان بقبول نبأ الهدهد هذا بل قال : (سننظر اصدقت ام كنت من الكاذبين)[3] ثم اعطاه كتابا ليوصله واوصاه ان يترقب عن بعد ما يفعلون .

فلما جاء الكتاب الى ملكة سبأ جمعت فورا مجلس الامة (قالت يا ايها الملأ افتونى فى امري ما كنت قاطعة امرا حتى تشهدون) .[4]

---

(١) النمل (٢٧) : ٢٢
(٢) النمل (٢٧) : ٢٣
(٣) النمل (٢٧) : ٢٧
(٤) النمل (٢٧) : ٣٢

وبعد ان تداول مجلس الامة ـ الوزراء اليوم مثلا ـ واستخرجوا احصاء من سجلاتهم بما عند هم من المعدات الحربية اعلنوا الملكة وانباؤها انه في امكانهم محاربة سليمان ٠ بما توفر لديهم من القوة اذا هي وافقت على اعلان الحرب ٠ (قالوا نحن اولـــى قوة واولى بأس شديد ٠ والامر اليك فانظري ماذا تأمرين) [(١)]

فقالت ما معناه : ان للحرب ويلات فلا ينبغي ان نتسرع باعلانها بل نحاول درأها بما امكن من التدابير والوسائل السلمية والتودد واللين الى غير ذلك عسى ان نتخلص ونخلص البلاد من رزايا دخول الملوك بعساكرهم ٠ ويحدثه ذلك ٠ (قالت ان الملوك اذا دخلوا قرية افسدوها وجعلوا اعزة اهلها اذلة وكذلك يفعلون ٠ واني مرسلة اليهم بهدية فناظرة بم يرجع المرسلون) [(٢)] ٠ وكأنها اسرت في نفسها قائلة : اذا قبلوا الهدية علمت ان مطمع سليمان بالمال وليس للايمان بالله وتوحيده ٠

فرد سليمان الهدية وتحفز لاخراج الملكة وقومها اذلة بالحرب واراد ان يريها ما لديه من القوى ٠ وما تسخر له من رياح يمتطيها وتجري بأمره ـ طيارات مثلا ـ وسرعة نقل الاخبار والاشياء بأسرع من البرق ـ التلغراف اللاسلكي مثلا ـ

وجدنا في ذلك القصر ان بتلك الواسطة التي توفرت لسليمان وبها نقل عرش بلقيس من سبأ الى القدس قبل ان يرتد اليه طرفه ٠ جاءت صريحة بالعمل مبهمة عن الالة العاملة اذ لم يكن بالامكان للقران ان يصرح بشكلها او باسمها لبعد ذلك عن الاذهان في ذلك الحين ٠

---

(١) النمل (٢٧) : ٣٣

(٢) النمل (٢٧) : ٣٤

وكذلك لو جاءنا القران بنقل الاخيار وشرح لنا ما فهمناه اليوم لما صدقنا ذلك لو لم نره (باللاسلكى) .

وهكذا العلم لا يحجز عن احداث ما نظنه اليوم مستحيلا وابرازه مرئيا فالبشر فى الهيكل الترابى قد تحدد له ما يستطيع عمله به وانما فى قوة روحه ويحبوحة عقله لاندري الى اين يصل واي المستحيلات اليوم لا يمكنه ان يجعلها ممكنة نراها بسيطة بعد ان كنا نحلم تخيلها .

وفى قصة الهدهد اشارة دقيقة جدا وهى : عند ما اراد سليمان استحضار عرش بلقيس استعرض ما عنده من وسائط النقل السريعة وأربابها واستبرزهم ما عندهم من ذلك (قال عفريت من الجن انا اتيك به قبل ان تقوم من مقامك)[١] فرأي السيد سليمان عليه السلام ذلك بطيئا فلم يرق له فتقدم عند ذلك غيره . و (قال الذي عنده علم من الكتاب انا اتيك به قبل ان يرتد اليك طرفك) .[٢]

فعلمنا من تلك الاشارة . او الصراحة ان واسطة نقل الاشياء بسرعة لا يتخيلها وهمنا اليوم . كانت علما مدونا بكتاب . وله ارباب وذوو رسوخ فيه وتمكن وقدرة عليه على غير طريقة الارواح التى يتم لهم بها خاصة التطور .

وها علماء عصرنا اليوم قد انتبهت الى عمل الروح واستخدامها بالتنويم المغناطيس (اسبيريتزم) و (هينبوتيزم) هذا العلم اذا لم يتوقف البحث فيه بل سار متقدما بالتجارب والتمحيص لا يبعد ان يأتينا من المدهشات والغرائب بما لم يكن بالحسبان بل ربما يحقق لنا

(١) النمل (٢٧) : ٣٩
(٢) النمل (٢٧) : ٤٠

ما سبق القران بالاشارة اليه كما ذكرنا ٠

اما كروية الارض وهى من الحقائق العلمية ٠ فقد اشار اليها القران بقوله :

(والارض بعد ذلك دحاها) [١] والدحى بلغة العرب : البيض او الشكل البيض وهو الكروي او الاقرب اليه ٠

فهذه الاشارة تكفي لتتفق الحقيقة العلمية القران او نرجع بالتاويل ليتفق القران الحقيقة العلمية لا ان يختلفا ٠

واما ثبات الشمس وانها تدور على محورها فقد اشار الى ذلك بقوله : (والشمس تجري لمستقرلها) [٢] والجري والدوران بمعنى واحد ٠ وكذلك المحور والمستقر فلا تثريب على من يستنتج ان الشمس تجري على محور لها فالقران يكون قد اشار اليها وما خالفها ٠

ووصل علماء الفلك بالبحث الى ان الارض والشمس كانتا جرما واحدا ٠ ثم انفصلت الارض كرة كما هى اليوم وكان السديم الى اخره ٠

فان تقرر هذا كحقيقة علمية فانا نري فى القران مالا يخالفها ٠ بقوله : كانتا رتقا ففتقنا هما ٠ [٣]

واذا نظرنا مثلا فى علم الثروة رأينا ان كثيرا من المتأخرين قد ادعوا وضع قواعده الكلية ونوه بذكر افرادهم لبراعتهم بفن الثروة ٠ ومن اعظم تلك القواعد وجوب جباية العشر وقت حصاده وما ينطوي تحت ذلك من اموال يؤخذ عنها رسوم عند وجودها وان من فوائد

---

(١) النازعات (٧٩) : ٣٠

(٢) يسين (٣٦) : ٣٨

(٣) الانبياء (٢١) : ٣٠

ذلك سهولة اداء الزارع ما عليه من الحق وقت الحصاد ... الخ .

فنري ان القران قد سبق اولئك العلماء فى فن الشروق وجاء بتلك القاعدة بقوله :

وهوالذي انشأ جنات معروشات وغير معروشات والنخل والزرع مختلفا اكله والزيتون والرمان متشابها وغير متشابه كلوا من ثمره اذا اثمر واتوا حقه يوم حصاده ..[١]

وهكذا تري فى القران اما اشارات الى كليات العلوم وقواعدها واما بصراحة و قد يطول الشرح فى تتبعها كلها فاجتزأنا بهذا القليل عن الكثير وتركنا لطالب المزيد التتبع .

ومما اشغل العلماء كيفية فناء العالم . والصورة التى يتم بها فتتبعثر الارض . وغاية ما وصلوا اليه ان الفناء الارض وقيامتها انما يتم باختلال النظام الشمسي . وبالزلزال .

وعلى هذا نري القران قد اشار بل صرح بذلك بقوله (يا ايها الناس اتقوا ربكم ان زلزلة الساعة شيء عظيم[٢]) وبقوله : اذا زلزلت الارض زلزالها واخرجت الارض اثقالها .[٣]

اما الاشارة الى اختلال النظام الشمسي فقد قال فى بحث الساعة وعلاماتها وتري الارض بارزة[٤] ... اي خارجة عن محورها غير راضخة للنظام الشمسي واذا ماحصل ذلك فلا شك يختلف ما عرف من الجهات اليوم فيصير الغرب شرقا والجنوب شمالا . وبذلك الخروج عن النظام الشمسي وما يحدثه من الزلزال العظيم ـ لا شك تتبعثر اجزاء الارض لبعدها عن المركز وتنسف الجبال نسفا . وتتحول براكين هائلة وبالنتيجة تخرب الكرة الارضية

---

(١) الانعام (٦) : ١٤١

(٢) الحج (٢٢) : ١

(٣) الزلزال (٩٩) : ١ . ٢

(٤) الكهف (١٨) : ٤٧

ويعمها الفناء بما فيها من حيوان وتقوم القيامة والله اعلم ٠

نري السيد جمال فى هذا وفيما سبق انه عميق التفكير واسع العلم دقيق النظر فاهما للقران الكريم فهما صحيحا واذا وجد اية حقيقة علمية بحث فى القران الكريم فاذا هى فى القران ذكرها صراحة او اشارة ٠ وبذلك يثبت السيد الافغانى ان الاسلام دين العلم ٠ ولا يخالف العلم وانما يحث على العلم ٠ ونري كيف اخذ كثيرا من الامور من قصة الهدهد ٠ التى نقراءها مرارا ولا يذهب ذهننا الى ما ذهب اليه ذهن السيد الافغانى وكيف استخرج من هذه الايات اسرار اخفية ذات معانى دقيقة ٠ وذلك فضل الله يوءتيه من يشاء ٠[1]

انكار جمال الدين على من يقول بسد باب الاجتهاد :

ان بعض الناس ينكرون الاجتهاد ٠ ويقولون ان بابه مسدود ولا يجوز لانسان فى هذا العصر ان يجتهد ويستخرج الحلول الجديدة لمسائل تتجدد كل يوم اما السيد جمال الدين الافغانى فيري ذلك تنقيصا لشان الانسانية وتنقيصا للعقل الانسانى ٠ وينكر ذلك انكارا باتا ، ونأتى بكلامه فى هذا الامر لنري الحقيقة واضحة يقول المخزومى :

عرف جمال الدين باستنكافه ، ونفوره من التقليد من غير تمحيص فكان يأخذ بالا حسن من الاقوال ، ويرد الضعيف منها ويجتهد للاستنباط للاولى ويتناول الاقرب للصواب ، وما يقبله العقل وذكروا يوما فى مجلس جمال الدين قولا للقاضى عياض ، واتخذوه حجة واشتد تمسكهم بذلك القول حتى انزلوه منزلة الوحى بأنه لا يأتيه الباطل لا من خلفه ، ولا من امامه — فقال جمال الدين :

---

(١) خاطرات ص ١٠٠ — ١٠٤

يا سبحان الله ان القاضي عياض قال ما قاله على قدر ما وسعه عقله وتناوله فهمه وناسب زمانه فهل لا يحق لغيره ان يقول ما هو اقرب للحق واوجه . واصح من قول القاضي عياض او غيره من الائمة .

وهل يجب الجمود والوقوف عند اقوال اناس هم انفسهم لم يقفوا عند حد اقوال من تقدمهم . قد اطلقوا لعقولهم سراحها فاستنبطوا وقالوا وادلوا دلوهم في الدلاء في ذلك البحر المحيط من العلم . واتوا بما ناسب زمانهم وتقارب مع عقول جيلهم . وتتبدل الاحكام بتبدل الزمان .(١)

ويقول المخزومي : فقيل : يفهم من قول الاستاذ ان القاضي عياض او من تقدمه من الائمة اذا قالوا قولا جاز لمن بعدهم ان يقول ما يتراءي له سواء اكان مخالفا او موافقا . ولا يخفى ان مثل هذا القول يحتاج الى الاجتهاد . وباب الاجتهاد عند اهل السنة مسدود لتعذر شروطه .

فتنفس جمال الدين الصعداء وقال :

ما معنى باب الاجتهاد مسدود ! وبأي نص سد باب الاجتهاد ! او اي امام قال لا ينبغي لاحد المسلمين بعدي ان يجتهد ليتفقه بالدين ! او ان يهتدي بهدي القران وصحيح الحديث ! او ان يجد ويجتهد لتوسيع مفهومه منهما والاستنتاج بالقياس على ما ينطبق على العلوم العصرية وحاجيات الزمان واحكامه ! ولا ينافي جوهر النص .

ان الله بعث محمداً رسولا بلسان قومه العربي ليفهمهم ما يريد افهامهم . و ليفهموا منه ما يقوله لهم (وما ارسلنا من رسول الابلسان قومه) (٢) وقال : انا انزلناه قرانا

---

(١) خاطرات ص ١١١
(٢) ابراهيم (١٤) : ٤ .

عربيا لعلكم تعقلون [١] وفى مكان اخر : انا جعلناه قرانا عربيا لعلكم تعقلون . [٢]

فالقران ما انزل الا ليفهم . ولكى يعمل الانسان بعقله لتدبر معانيه وفهم احكامه والمراد منها .

فمن كان عالما باللسان العربى وعاقلا غير مجنون وعارفا بسيرة السلف وما كان من طرق الاجماع . وما كان من الاحكام مطبقا على النص مباشرة او على وجه القياس . وصحيح الحديث جاز له النظر فى احكام القران . وتمعنها والتدقيق فيها واستنباط الاحكام منها ومن صحيح الحديث والقياس .

ثم قال : لا ارتاب بأنه لو فسح فى اجل ابى حنيفة ومالك . والشافعى . واحمد بن حنبل وعاشوا الى اليوم لداموا مجدين . مجتهدين يستنبطون لكل قضية حكما من القران والحديث وكلما زاد تعمقهم وتمعنهم ازدادوا فهما وتدقيقا .

نعم ان اولئك الفحول من الامة ورجال الامة اجتهدوا واحسنوا جزاهم الله عن الامة خيرا ولكن لا يصح ان نعتقد انهم احاطوا بكل اسرار القران او تمكنوا من تدوينها فى كتبهم والحقيقة انهم مامع ما وصلنا من علمهم الباهر . وتحقيقهم واجتهادهم . ان هو بالنسبة الى ما حواه القران من العلوم . والحديث الصحيح من السنن . والتوضيح الا كقطرة من بحر او ثانية من دهر والفضل بيد الله يؤتيه من يشاء من عباده وعلمهم ما لم يكونوا يعلمون .

هذا والسيد الافغانى يدعو دائما الى الالفة والاتحاد . والتكتل ونبذ التفرقة والبغضاء بين المسلمين لأنه يري عزهم فى وحدتهم واستقلالهم فى تكتلهم وراحتهم وسعادتهم

(١) يوسف (١٢) : ٢ — (٢) الزخرف (٤٣) : ٣

فى اتحادهم . ولذا لا يقول بالتفرقة بين السنى والشيعى . ويري ان الملوك هم الذين احدثوا هذه التفرقة لمطامعهم . انظر اليه يقول تحت العنوان :

نفور السيد جمال الدين من قول سنى و شيعى :

ظهر لال البيت النبوي فى اوقات و ازمنة مختلفة احزاب و شيع . فمنهم من ضل كالمؤلهة وهم يقولون بالوهية على بن ابى طالب ومنهم المفضلة و الغلاة فى محبة اهل البيت . وقد دخل الاثنان تحت حكم من قال : يهلك فينا اهل البيت اثنان : محب غال . وعدو قال .

اما المفضلة من الشيعة وهم يقلدون فى المذهب الامام جعفر الصادق وهو من اكابر فقهاء اهل البيت . فهذا الجمهور من المسلمين لمجرد تقليدهم للامام جعفر ومغالاتهم فى حب الال . وتفضيلهم للامام على . لا يجب ان نخرجهم من عداد المسلمين ونجسم امر هذه الفروق فى الفروع . ونجعلها واسطة للتفرقة وللنزاع . فللخصام فللاقتتال تلك الامور التى سهل وجودها جهل الامة وسخف الملوك الطامعين فى توسيع ممالكهم .

فالملوك من السنيين هولوا . واعظموا امر الشيعة لا ستهواء العوام باوهام غريبة وعزويات عجيبة على شيعة اهل البيت لتيكسنى لهم بذلك تحزب الاحزاب . وتجييش الجيوش ليقتل المسلمون بعضهم بعضا . بحجة الشيعة والسنية ، وجميعهم يؤمنون بالقرآن وبرسالة محمد صلى الله عليه وسلم .

اما مسألة تفضيل الامام على والانتصار له يوم قتال معاوية ، وخروجه عليه فلو سلمنا انه كان فى ذلك الزمن مفيدا ، او ينتظر من ورائه نفع لاحقاق حق/ او ازهاق باطل فاليوم نري

ان بقاء هذه النعرة . والتمسك بهذه القضية التي مضى امرها . وانقضى مع امة قد خلت . ليس فيها الامحض الضرر . وتفكيك عري الوحدة الاسلامية .

ثم قال : لو اجمع اهل السنة اليوم . ووافقوا المفضلة من الشيعة . من عرب وعجم — واقروا — وسلموا بأن علي بن ابي طالب كان اولى بتولي الخلافة قبل ابي بكر فهل ترتقي بذلك العجم ! او تتحسن حالة الشيعة ! اولو وافقت الشيعة اهل السنة بأن ابابكر تولى الخلافة قبل الامام على بحق . فهل ينهض ذلك بالمسلمين السنيين . و ينشلهم مما وقعوا فيه اليوم من الذل والهوان وعدم حفظ الكيان .

اما ان للمسلمين ان ينتبهوا من هذه الغفلة ! ومن هذا الموت قبل الموت !!

يا قوم ! وعزة الحق — ان اميرالمؤمنين علي بن ابي طالب لا يرضى عن العجم . ولا عن عموم اهل الشيعة اذا هم قاتلوا اهل السنة او افترقوا عنهم لمجرد تفضيله على ابي بكر وجميعهم لا يحسنون امر دنياهم والناس ابناء ما يحسنون .

وكذلك ابوبكر . فلا يرضيه ان تدافع اهل السنة عنه وان تقاتل الشيعة لاجل تلك الافضلية التي مزمنها . والتي تخالف روح القران ان يكونوا كالبنيان المرصوص .

اما قضية التفضيل فلو استحقت البحث بعد تلك الاجيال لكفى ان يقال لحل اشكالها ان اقصر الخلفاء الراشدين عمرا تولى الخلافة قبل اطولهم عمرا .

فلو تولى الخلافة بعد النبي صلى الله عليه وسلم علي بن ابي طالب لمات ابوبكر و عمر وعثمان ولم يتيسر لهم خدمة الاسلام والمسلمين بما استطاعوا ان يخدموه به رضوان الله عليهم اجمعين حكمة الله في خلقه (وان اكرمكم عند الله اتقاكم) (١) (٢)

---

(١) الحجرات (٤٩) : ١٣ — (٢) خاطرات ص ١١٢ - ١١٤

هكذا نري السيد يوضح الموضوع خير توضيح لا يبقى بعد ذلك اي تردد وشك لمن كان له قلب ، وحقيقتا لا داعى الى هذا الاختلاف بين السنيين والشيعة ، لان هذا الاختلاف لا يترتب عليه اي فائدة لا لهؤلاء ولا لاولاد هما وانما بالعكس يسبب لهما التفرقة التى تضر معا فى حياتهما ، وحقا ان السيد الافغانى كان على حق فيما قال ٠

الوهم و الجبن

يتكلم السيد عن الوهم والجبن فيقول :

الوهم يمثل الضعيف قويا والقريب بعيدا والمأمن والمنفذ مهلكا الوهم يذهل الواهم عن نفسه ، ويصرفه عن حقيقة حسه ، يخيل الموجود معدوما والمعدوم موجودا ٠

الوهم فى كون غير موجود ، وعالم غير مشهود ٠ يخبط فيه خبط المصروع ، لايدري ماذا ادركه ٠ وما ذا تركه ٠

الوهم روح خبيث يلابس النفس الانسانية وهى فى ظلام الجهل اذا خفيت الحقائق تحكمت الاوهام ، وتسلطت على الارادات فتقود الواهمين الى بيداء الضلالة ، فيتخبطون فى مجاهيل لا يهتدون الى سبيل ، ولا يستقيمون على طريق ٠

واذا كان الوهم مولودا فابواه الجبن ومربيه ومنشئه الجبن وهو العلة فى اخلاد الجمهور الاعظم من بنى الانسان الى دنيات المنازل ، وقصورهم عن الوصول الى معالى الامور ٠

و الجبن هوالذي يقعد بالنفوس عن العمل ، وينحدر بها فى مزالق الزلل ؛ وهو علة العلل ، ومنشأ يقرن به كل خلل الجبن هوالذي اوهى دعائم الممالك وهوالذي تفض

قطع روابط الامم ، فحل نظامها ، وهوالذي يغلق ابواب الخير فى وجوه الطالبين ويطمس معالم الهداية عن انظار السائرين ويسهل على النفوس احتمال المزلة ، ويخفف عليها مضض المسكنة ويهون عليها حمل نير العبودية الثقيل ويوطن النفس على تلقى الاهانة بالصبر والتذليل بالحلم ويوطئ الظهور لاحتمال المكاره والمصاعب اثقل مما يتوهم لو تحلى بالشجاعة والاقدام .

الجبن يلبس النفس عارا ، دون لبسه الموت الاحمر عند كل روح زكية وهمة عالية يري الجبان وعر المذلة سهلا وشظف العيش فى المسكنات نعيما .

ومن يهن يسهل الهوان عليه ما لجرح بميت ايلام

الجبان يتجرع مرارات الموت فى كل لحظة ولكنه راض بكل حال وان لم يبق له عين تبصر الاعداء وتري الاحياء ، ونفس لا يصعد الابالزفير الصعداء واحساس لا يلم الا بالم الحر واللأواء ، هذه حياته اضاع كل شيئ فى القناعة بلا شيئ .

الجبن انخذال فى النفس عن مقاومة كل عارض لايلائم حالها ، وهو مرض من الامراض الروحية يذهب بالقوة الحافظة للوجود التى جعلها ركنا من اركان الحياة الطبيعية وله اسباب كثيرة لو لوحظ جوهر كل منها لرأينا جميعها يرجع الى الخوف من الموت .

الموت مال كل ذي روح .

سبيل الموت غاية كل حى وداعية لاهل الارض داعى

وليس للموت وقت معروف ، ولا ساعة معلومة ، ولكنه بين النشأة وارذل العمر ، ينتظر فى كل آن ، ويرتقب فى كل لحظة ، ولا يعلمه الا مقدر الاجال جل شأنه .

يشتد الخوف من الموت الى حد يورث النفس هذا المرض القاتل «الجبن» فيسبب

الغفلة عن حسن المصير والذهول عما اعده الله للانسان من خيرالدنيا وسعادةالاخرة اذا صرف قواه الموهوبة فيما خلقت لاجله ٠

نعم ٠ يغفل الانسان عن نفسه فيظن ما جعله الله واقيا للحياة ، وهو الشجاعة والاقدام ٠ سببا للفناء ٠

يحسب الجاهل ان فى كل خطوة حتفا ٠ ويتوهم ان فى كل خطرة خطرا مع ان نظرة واحدة دلما بين يديه من الاثار الانسانية وما ناله طلاب المعالى من الفوز بامالهم وما ذللوا من المصاعب فى سيرهم تكشف له ان تلك المخاوف انما هى اوهام ، واصوات غيلان و وساوس شيطان غشيته فادهشته ، وعن سبيل الله صعقة صدته ومن كل خير حرمته ٠

الجبن فخ تنصبه صروف الدهر ، وغوائل الايام لتغتال به نفوس بنى الانسان و تلتهم به الامم والشعوب هو حبالة الشيطان يصيد بها عباد الله ويصدهم عن سبيله هو غاية كل رذيلة ومنشأ لكل خصلة ذميمة لاشقاء الا وهو مبدؤه ، ولا فساد الا وهو جرثومته ٠ ولا كفر الا وهو باعثه وموجبه ممزق الجماعات ومقطع روابط الصلات ، هازم الجيوش ومنكس الاعلام ومهبط السلاطين فى سماء الجلالة الى ارض المهانة ٠

ما ذا يحمل الخائنين على الخيانة فى الحروب الوطنية ، اليس هو الجبن ، ما ذا يبسط ايدي الادنياء لدينئة الارتشاء اليس هو الجبن ٠

ربما تتوهم بعد المثال فتأمل ! فان الخوف من الفقر يرجع فى الحقيقة الى الخوف من الموت وهو علة الجبن ٠

وبعد ذلك يسهل عليك ان تختبر هذا فى الكذب والنفاق وسائر انواع الامراض الروحية فى الانسان ٠

الجبن عار وشنار على كل ذي فطرة انسانية خصوصا الذين يؤمنون بالله ورسله واليوم الاخر ، ويؤملون ان ينالوا جزاء لاعمالهم اجرا حسنا ، ومقاما كريما .

ان ابناء الملة الاسلامية ينبغي ان يكونوا ، بمقتضى اصول دينهم ، ابعد الناس عن هذه الصفات المهينة الجبن فانها اشد الموانع عن اداء ما يرضى الله وانهم بما يحملونه انما يبتغون رضاه ، يعلم من القران هدايته ان الله قد جعل حب الموت علامة الايمان وامتحن الله به قلوب المعاندين ، ويقول في ذم من ليسوا بمؤمنين :

الم تر الى الذين قيل لهم كفوا ايديكم واقيموا الصلاة . واتوا الزكاة . فلما كتب عليهم القتال ، اذا فريق منهم يخشون الناس كخشية الله او اشد خشية وقالوا ربنا لم كتبت علينا القتال ، لو لا اخرتنا الى اجل قريب[1] .. " الخ الايات .

الاقدام في سبيل الحق وبذل الاموال والارواح في اعلاء كلمته اول سمة يتسم بها المؤمنون لم يكتف الكتاب الالهي بأن تقام الصلاة وتؤتى الزكاة وتكف الايدي وعد ذلك مما يشترك فيه المؤمنون والكافرون والمنافقون بل جعل الدليل الفرد هو بذل الروح في اعلاء كلمة الحق والعدل الالهي ، بل عده الركن الوحيد الذي لا يعتد بغيره اذا هو فقد .

لا يظن احد انه يمكن الجمع بين الدين الاسلامي و بين الجبن في قلب واحد كيف يمكن هذا ، وكل جزء من هذا الدين يمثل الشجاعة . ويصور الاقدام .

المؤمن من يوقن ان الاجال بيد الله يصرفها كيف يشاء ، ولا يفيده التباطؤ عن اداء الفروض زيادة في الاجل ، ولا ينقصه الاقدام دقيقة منه .

المؤمن من ينتظر بنفسه الى احدي الحسنيين : اما ان يحيى سعيدا عزيزا . واما

---

(١) النساء (٤) : ٧٧

ان يموت شجاعا شهيدا ، وتصعد روحه الى اعلى عليين ويلتحق بالكروبيين والملائكة المقربين .

من يتوهم انه يجمع بين الجبن وبين الايمان بما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم فقد خدع نفسه وغرر بعقله ، ولعب به هوسه ، وهو ليس من الايمان في شيئ فمتى طهرت ابناء الملة الاسلامية نفوسها من معرة الجبن ونضت عن اذهانها اشباح الوهم واعتصموا بحبل الله جميعا ، عادوا كما كانوا اول نشأتهم اسودا فاستردوا المفقود وحفظوا الموجود وكان لهم بين الامم ، وعند الله المقام المحمود .

كيف ربح الانجليز بالحيل والمكر ، وكيف خسر الشرقيون بالجبن والوهم ، كان الانجليز امة مجتمعة القوى مستكملة العدد ، مستعدة للفتوحات وذلك في زمان بليت به الامم الشرقيه بتفرق الكلمة واختلاف الاهواء وحجبت بالجهل عن معرفة احوال الغربيين وصنائعهم وعوائدهم ، فكان الشرقيون يعدون كل غريبة معجزة ، وكل بديع من الاختراع سحرا وكرامة ، فانتهز الانكليز تلك الفرصة واندفعوا الى الشرق ، وبسطوا سلطتهم على غالب ارجائه وما دهموا سكانه الا ببعض غرائب الصنعة الاوروبية ، التي اثارت فيهم خواطر الاوهام ثم زاد الوهم قوة ما نصبوه من حبائل الحيلة والختل ، حتى خلبوا قلوب المساكين واذهلوهم عما في ايديهم ، بل اخذوهم عن عقولهم ، وخطرات قلوبهم ، فسلبوا اموالهم ، وانتزعوا منهم اراضيهم ، واجلوهم عن املاكهم ، فاستغنت الامة الانجليزية بما سلبت واثرت بما نهبت وترفت بما ملكت .(١)

---

(١) خاطرات ص ١٧٦ ــ ١٨٠

واستمر السيد فى الكلام واتى بامثلة تاريخية من غلبة الانكليز على مصر وبلاد الهند ، وغيرها من الدول ، واثبت فى كل ذلك ان سبب غلبة الانجليز على هذه الامم كان انتشار الوهم والجبن فى هؤلاء الشرقيين ، وتخيلهم ان دولة بريطانيا دولة قوية لا يمكن ان تقاوم . كما فعلهم انهم تفرقوا وصاروا بذلك لقمة سائغة لهولاء المستعمرين الانجليز .

ثم اهاب السيد الافغانى بالهنديين وذكر لهم كثرة عددهم وقلة عدد جيش الانجليز ، ونبههم الى انهم لا يحتاجون فى طرد الانجليز الا الى الاتحاد فقط ونبذ الوهم والجبن عن نفوسهم .

كما ذكر المصريين بما كان لهم من شأن عظيم وقدم راسخة فى معارك كثيرة ضد الطغاة والاجانب ، فما لهم الان قعدوا ورضوا بما هم فيه من الذل وسوء الحال ، والفقر والجوع . والجهل والمرض ، ليس لهم فى نبذ الولاية الاجنبية الا ان يبعدوا الجبن والوهم كما يقتضى منهم دينهم ويتحدوا فيما بينهم ، وبذلك سوف يطردون ذلك الاجنبى الغاشم الذي يسومهم سوء العذاب ، ويذهب بخيرات ارضهم الى بلاده ، ولا يرحمهم وانما يخذلهم ويصب عليهم سوط عذاب . (١)

---

(١) خاطرات ملخصا من ص ١٨٠ ـ ١٨٧

المقصد العاشر

خدمات السيد الادبية

اقوال كبار الادباء المفكرين

نماذج من خدمات السيد الأدبية

خدمات السيد الادبية :

كما قلت من قبل ان دعوة السيد جمال الدين الافغاني كانت دعوة دينية في جوهرها . وقد اتخذت اشكالا وصورا مختلفة . مرة كانت تبدولك في صورة الدعوة الدينية البحتة . ومرة كانت تظهر في صورة الدعوة السياسية الخالصة ومرة كانت تتراءي لك في صورة الدعوة الاجتماعية ومرة كانت تبرز في صورة الدعوة الادبية الرائعة .

وذلك ان كل دعوة اية كانت لها من الانصار ومن الاعداء فئة تدعولها وتدافع عنها وفئة تقف في وجهها وتتربص فرصة للنيل منها وتحتاج الى السنة فصيحة واقلام بارعة ولا بد للداعي الى دعوته ان يكون فعالا في دعوته باحثا عن جميع الطرق التي تؤدي بها الى النجاح وقد كان السيد الافغاني هكذا .

نعم كانت دعوة السيد الافغاني دينية في حقيقتها الا انها قد انبعثت منها دعوات اخري ومنها الدعوة الادبية وفي الواقع النهضة الادبية الرائعة وذلك ان الدعوة الدينية لا بدأن تقدم في اسلوب رائع اخاذ مؤثر في النفوس تأثيرا ينقاد له من يسمعه او يقرءه .

وبما ان السيد الافغاني كان يقوم بالقاء الدروس في علوم مختلفة على مريديه واتباعه مرة في بيته واخري في حلقات في بعض الاماكن العامة . من مثل المقاهي وغير ذلك . فقد بدأ الناس يلتفون حوله وكل كان يأخذ حسب استعداده الفطري عن هذا الينبوع العذب .. ينبوع العلم والادب والسياسة والفلسفة وحقا كان حقيقة كلية . كما قال محمد عبده . يتراءي لكل شخص في مراة نفسه ويأخذ منه كل مما يتراءي له منه .

وفي هذه الحلقات تخرج عليه عليه كثيرون في مجال العلم والادب في مجال الدين

والسياسه . فى مجال الحكمة والمعرفة . فى مجال الاصلاح والتنوير . وبما ان السيد الافغانى كان كاتبا بارعا . وخطيبا مصقعا . بالاضافة الى كونه مصلحا دينيا وسياسيا فذا وفيلسوفا واقعيا . فقد خرج كثيرا من الخطباء والكتاب من مدرسته هذه . مدرسة الحلقات العلمية والادبية والسياسية . من امثال محمد عبده وعبدالله نديم وسعد زغلول و ابراهيم اللقانى . واديب اسحق و ابراهيم المويلحى . ومحمود سامى البارودي وغيرهم كثيرون .

هذا وقد وجه السيد الافغانى الادب وجهة اخري غير الوجهة التي كان عليها الادب قبل جمال الدين لأن الادب وخاصة الادب العربى . قبل السيد لم يكن له شأن يذكر لأن الادب العربى لم يخرج من القصور بل من القشور كان الادب منحصرا فى مدح الامراء ان كان شعرا اوفى ترفيه النفس . وذلك فى اسلوب ركيك اوفى توصيل بعض الاخبار الى الجهات المختصة من ارباب الحكومة . ان كان نثرا صحفيا . اوفى انشاء الرسائل المسجوعة المتكلفة ان كان رسائل اخوانية اوغيرها اوفى خطبات مجهزة متكلفة لا تغنى عن شيئ .

ولكن السيد وجهه الى وجهة اخري جعل الادب لأجل الحياة . بعد ان كان الادب لاجل الادب . لأن السيد كان يري ان الادب هوالذي يخدم المجتمع الانسانى و يرفعه من الخمول ويوقظه من النوم ويزينه بكل كمال ويحدث فيه الهمة وينفخ فيه روح القوة روح العمل روح العدل روح المساواة روح البذل والسخاء روح الاخوة والمودة روح الغيرة والدين روحا لا يرضى بالذل والمهانة روحا فى اعلى مراتب العزة والانسانية . وبذلك خرج السيد الافغانى خطباء وكتابا فى الادب العربى يفتخر بهم الادب

العربى وسوف يفتخر بهم الى الابد .

واذا قلت ان السيد الافغانى كان ابا للنهضة الادبية العربية فى البلاد العربية عامة ، ومصر خاصة لما كنت مبالغا ، لأن النهضة الادبية الحديثة فى مصر قد بدأت من قدوم جمال الدين الى مصر ، ويعترف بذلك العرب انفسهم ، وجميع الادباء الذين كانوا فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر وفى النصف الاول من القرن العشرين فى الديار المصرية وما جاورها قد كانوا من تلاميذ السيد الافغانى او تلاميذ لتلاميذه .

وكان السيد الافغانى يكلف تلاميذه ان يكتبوا مقالات ادبية وذات يوم استكتب السيد جمال تلاميذه موضوعا عن الحرية . فكان سعد (زغلول) اكثر اخوانه اجادة فقال السيد : "هذا بغيتى" وقال : "مما يدل على ان الحرية ناشئة فى مصر ان يجيد فى الكتابة عنها مثل هذا الناشئ".(١)

وبجانب هذا شجع السيد جمال الدين بحمر مريديه وتلاميذه على انشاء الصحف لأنه كان يري الصحف ضرورية لبث الافكار والاراء ، وقد حصل على الاذن لانشاء بعض الجرائد الحرة — لأن قبل السيد الصحف لم تكن عبارة الاعن توصيل الاخبار الى موظفى الحكومة والاوربيين ، ومن هذه الجرائد التى كان السيد الافغانى سببا فى انشائها :

" مصر " و" المحروسة " و" مرآة الشرق " وكان السيد يكتب فيها ويكلف الاخرين ان يكتبوا فيها ، وكان يكتب احيانا باسمه واحيانا باسم : "مظهر بن وضاح" ، ومنها جريدة "التجارة" لصاحبها اديب اسحق ومنها جريدة "ابو نظاره" وغيرها من الجرائد ، وكانت المقالات والكلمات التى تكتب فى هذه الجرائد فى الحرية وبقية الامور التى تتعلق بحياة

---

(١) جمال الدين الافغانى باعث النهضة الفكرية فى الشرق — محمد سلام مدكور ص ٩٣

الشعب وحقوقه ، وبذلك سري روح الحرية واليقظة فى الشعب ، وكان باسلوب طلق حر خال من التكلف والسجع الغير المقبول ، وبذلك حدثت نهضة ادبية لم تكن موجودة من قبل منذ مدة طويلة طويلة ، وكل هذا بفضل السيد جمال الدين .[1]

وبالاضافة الى حلقات التدريس وكتابة المقالات فى الجرائد كان السيد يلقى محاضرات فى مناسبات عامة ، ويخطب خطبات فصيحة بليغة فى مجتمعات كبيرة ، ويكتب مكتوبات وينشئ رسائل فى مصر وخارج مصر الى اصدقائهم وتلاميذهم والعلماء وكلها كانت خير نموذج للادب الرفيع .

وما عدا هذا وذاك فان هناك اثارا ادبية خالدة للسيد الافغانى تدل على مقام السيد الادبى الرفيع ، وهذه الاثار هى مجلة العروة الوثقى ، وضياء الخافقين ، وخاطرات السيد التى جمعها محمد المخزومى ونشرها فى صورة كتاب ، وقبل ان انتقل الى تقديم النماذج الادبية الرائعة من اثار السيد الادبية اود ان اثبت اقوال بعض الناس فى نهضة السيد الادبية :

اقوال كبار الادباء والمفكرين :

يقول محمد سلام مدكور :

وهكذا اخذ السيد جمال الدين يواصل تعاليمه ، ويبذر بذور العرفان على تلاميذه فى مختلف العلوم والفنون حتى انه لما شعر بضعف النهضة الادبية ، ولم يكن من الكتاب فى مصر وقتئذ الا عبدالله باشا فكري وخيري باشا و محمد باشا و سيد احمد على ضعف فيه

(١) مضامين جمال الدين الافغانى (اردو) مولانا عبدالقدوس ص ٢٢ ـ ٢٤

ومصطفى وهبى على اختصاص فيه ومن عدا هؤلاء اما ساجعون فى المراسلات الخاصة . و اما مصنفون فى بعض العلوم العربية او الفقهية وما شاكلها ، فدفعت جمال الدين الرغبة الشديدة الى تشجيع تلاميذه على القراءة فى كتب الادب ليستقيم اسلوبهم ، وتقرب عباراتهم الى الفصاحة والبيان ، ليستطيعوا بعد ذلك ان يكتبوا فى الصحف ما يعن لهم من الاغراض لصالح الامة وخير الوطن ، وبهذا تم لجمال الدين ما كان يرجوه من وجود كتاب لا يشق لهم غبار ، وعلماء يشار اليهم بالبنان كان فى طليعتهم :

الشيخ محمد عبده ، الشيخ عبد الكريم سلمان ، و براهيم بك اللقانى ، السيد وفا القونى سعد باشا زغلول ، وعبد الله نديم ، قاسم امين بك ، ابراهيم المويلحى بك ، محمد المويلحى بك ، حفنى ناصف بك ، الشيخ بخيت ، الشيخ عبد الرحمن قراعة ، الهلباوي بك ، ابراهيم العجمى الصحفى المعروف ، والحاج احمد باشا شفيق ، وثلة من ادباء الشام النازلين بمصر ، مثل : اديب اسحق ، سليم النقاش ، سعيد البستانى ، سليم العنجوري ، وخليل اليازجى وغيرهم الكثير لا يتسع المقام لذكرهم ". (١)

ويقول جرجى زيدان :

ثم وجه عنايته لتمزيق حجب الاوهام عن انوار العقول ، فنشطت لذلك الباب ، و استضاءت بصائر ، وحمل تلامذته على العمل فى الكتابة ، وانشاء الفصول الادبية ، والحكمية ، والدينية ، فاشتغلوا على نظره ، وبرعوا ، و تقدم فن الكتابة فى مصر بسعيه ، وكان القادرون على الاجادة فى المواضيع المختلفة قليلين ، فنبغ من تلامذته فى القطر المصري كتبة لا يشق غبارهم ، ولا يوطأ مضمارهم ، واغلبهم احداث فى السن ، شيوخ فى الصناعة ، وما منهم الا من اخذ عنه

(١) جمال الدين الافغانى باعث نهضة الفكرية فى الشرق ص ٥٣ . ٥٤

اوعن احد تلامذته او قلد المتصلين به". (١)

ويقول ~~~~ تشارلز ادمز :

"ثم وجه عنايته الى اعداد جيل من الكتاب الناشئين ليذيعوا فى الناس اراءه الجديدة فحمل تلامذته المبرزين على العمل فى الكتابة وانشاء الفصول فى الصحف". (٢)

ويقول الاستاذ عمر الدسوقى :

" ولا نستطيع ونحن نتكلم عن الحياة العقلية فى عصر البارودي، ان نغفل شخصية علمية كان لها اكبر الاثر فى حياة شاعرنا، الا وهى شخصية السيد جمال الدين الافغانى فعلى الرغم من ان شخصيته السياسية طغت على شخصيته العلمية الا ان اثره فى الادب العربى الحديث اجل من ان يهمل ..... ويحسب جمال الدين اثرا فى الادب انه وجهه الى الاهتمام بالشعوب ومشكلاتها، بعد ان كان كله يدور حول الامير وحاشيته، فصرنا نسمع الكتاب والشعراء يدافعون عن الشعوب المظلومة التى تئن تحت نير العبودية والعسف، لا تعرف كيف تراجع الحاكم فى حكم ابرمه ولو كان ظالما ، ولا كيف تثور وتئن وتتوجع وتسمع مشكلاتها للعالم ..... وصرنا نسمع الكتاب والشعراء فى ذلك العصر يدعون الى الاخذ بنظام الشوري فى الحكم . (٣)

<u>نماذج من خدمات السيد الادبية :</u>

- الوحدة والسيادة - (٤)

---

(١) مشاهير الشرق فى القرن التاسع عشر . جرجى زيدان ج ٢ ص ٦٠

(٢) الاسلام والتجديد فى مصر . ادمز . ص ٩

(٣) محمود سامى البارودي (سلسلة نوابغ الفكر العربى ٤) عمر الدسوقى مصر ص ١٦ .

" المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا ". (١)

امران خطيران تحمل عليهما الضرورة تارة، ويهدي اليهما الدين تارة اخرى، وقد تفيدهما التربية وممارسة الاداب ، وكل منهما يطلب الاخر، ويستصحبه، بل يستلزمه [illegible] وبهما غو الامم، وعظمها، ورفعتها، واعتلاؤها ، وهما الميل الى وحدة تجتمع والكلف بسيادة لا توضع واذا اراد الله بشعب ان يوجد ويلقى بوانيه (يثبت ويقيم) الى اجل مسمى ، اودع في ضئا ضئه ([illegible]) (اصوله) هذين الوصفين الجليلين ، ثم استبقى له حياته بقدر ما مكن فيه من الصفتين الى منتهى اجله .

كل امة لا تمد ساعدها لمغالبة سواها لتنال منها بالغلب ما تنمو به بنيتها، و يشتد به بناؤها، فلا بد يوما ان تنقض، وتنهضم، وتضمحل، ويمحى اثرها من بسيط الارض، ان التغلب في الامم كالتغذي في الحياة الشخصية، فاذا اهمل البدن من الغذاء وقفت حركة النمو، ثم ارتدت الى الذبول والنحول، ثم افضت الى الموت والهلاك، وليس من الممكن لامة ان تحفظ قوامها، وتصول على من يليها لتختزل منه ما يكون مادة لنمائها، الا ان تكون متفقة في تحصيل ما تحتاج اليه هيئتها ، اذا احست من امة ميلا الى الوحدة فبشرها بما اعد الله لها من مكنون غيبه من السيادة العليا، والسلطة على متفرقة الامم ، اذا تصفحنا تاريخ كل جنس واستقرينا احوال الشعوب في وجودها وفنائها وجدنا سنة الله في الجمعيات البشرية، حظها من الموجود على مقدار حظها من الوحدة، ومبلغها من العظمة على حسب تطاولها في الغلب ، وما انحرف شأن قوم ، وما هبطوا عن مكانتهم الا عند لهوهم بما في ايديهم

(٤) العروة الوثقى ص [illegible] ٧٤ ــ ٧٩

(١) البخاري . كتاب الصلاة .

وقناعتهم بما تسنى لهم ، ووقوفهم على ابواب ديارهم ، ينظرون طارقهم بالسوء وما اهلك الله قبيلا الا بعد ما رزئوا بالافتراق وابتلوا بالشقاق فاورثهم ذلا طويلا وعذابا وبيلا . ثم فناء سرمديا .

الوفاق تواصل وتقارب يحدثه احساس كل فرد من افراد الامة بمنافعها ومضارها وشعور جميع الاحاد فى جميع الطبقات بما تكسبه من مجد و سلطان ، فلذلك فيلذ لهم كما يلذ اشهى مرغوب لديهم ، وبما تفقده من ذلك ، فيألمون له كما يألمون الاعظم رزء يصابون به وهذا الاحساس هو ما يبعث كل واحد على الفكر فى احوال امته ، فيجعل جزءا من زمنه للبحث فيما يرجع اليها بالشرف والسؤدد ، وما يدفع عنها طوارق الشر والخيلة ولا يكون همه بالفكر فى هذا اقل من همه بالنظر الى احواله الخاصة ثم لا يكون نظرا عقيما حائرا بين جدران المخيلة دائرا على اطراف الالسنة بل يكون استبصارا تتبعه عزيمة يصدر عنها عمل يثابر على استكماله بما يمكن من السعة وما تحتمله القدر على نحو ما يكون فى استحصال مواد المعيشة بلا فرق بل تجد الانفس ان شأن الامة فى المكان الاول من النظر ، والدرجة الاولى من الاعتبار ، والشئون الخاصة فى المنزلة الثانية منهما ، ولا تقف فيما تجد عند جلب المصالح ودرء المفاسد لأوقاتها الحاضرة ، بل يأخذ العقلاء منها سبلا من التفكير ، ويخترطون سيوفا من الهمة ليصيبوا من سعيهم شوادر من القوة ونوادر من المكنة ، ويستخرجوا دفائن من الثروة ، ويجمعوا ذلك للأمة لصيانة حياتها الى حد العمر اللائق بها ، كما يسعى الحازم جهده لتوفير ما يلزم لمعيشته وما يطمئن به قلبه فى دفع حاجته مدة العمر الغالب بل يزيد عليه ما فيه الكفاية لأبنائه من بعده ، وان الدور الاول من اعمار الأمم لا ينقص عن خمسة قرون ، ثم تتلوه سائر الادوار واولها اقصرها وهو سن الطفولية ، وبدء الكمال فيما

يليه • فما ارفع همم العقلاء فى الامم المستبصرة •

اذا بلغ الاحساس من مشاعر افراد الامة الى هذا الحد الذي بيناه ، رأيت فى الدهماء منهم والخاصة هما تعلو وشيما تسمو واقداما يقود وعزما يسوق، كل يطلب السيادة والغلب فتتلاقى هممهم ،وتتلاحق عزائمهم فى سبيل الطلب فيندفعون للتغلب على الذين يلونهم كما تندفع السيول على الوهاد ، ولا تقف حركتهم دون الغاية مما نهضوا اليه ، و يكون نزوهم على الاثم بعد الغلب الاول تدفقا من الطبع لا يحتاج الى فكر وروية الا فى اعداد وسائل الفوز والظفر •

هذان الامران : الوفاق والغلب عمادان قويان وركنان شديدان من اركان الديانة الاسلامية ، وفرضان محتومان على من يستمسك بها ، ومن خالف امرالله فيما فرض منهما عوقب من مقته بالخزي فى الدنيا ، والعذاب فى الاخرة ، جاء فى قول صاحب الشرع "ان المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا"[١] وان المؤمن ينزل من المؤمن منزلة احد اعضائه ، اذا مس احدها الم تأثرله الاخر ، وجاء فى نهيه : "لا تقاطعوا ولا تدابروا ، ولا تحاسدوا وكونوا عباد الله اخوانا"[٢] وانذر من شذ عن الجماعة بالخسران والهلكة وضرب له مثل الشاة القاصية تكون فريسة للذئاب •

هذا كله بعد ما امرالله عباده بالاعتصام بحبله ، ونهاهم عن التفرق والتغابن • وامتن عليهم بنعمة الاخوة بعد ان كانوا اعداء ونطق الكتاب الالهى "انما المؤمنون اخوة"[٣] وطلب من المخاطبين باياته ان يبادروا باصلاح خلل ذات البين عند التخالف •

---

(١) البخاري • كتاب الصلوة •
(٢) مسلم • كتاب البر •
(٣) الحجرات (٤٩) • ١٠

ثم شدد على وجوب الاصلاح وان ادي الى مقاتلة الباغي، فقال« وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فاصلحوا بينهما . فان بغت احداهما على الاخري فقاتلوا التى تبغى حتى تفيء الى امرالله »[١] وانما امرالله الدخول فيما اتفق عليه المؤمنون وتوحيد الكلمة الجامعة« ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات»[٢] وتوعد الكتاب الاقدس كل من انحرف عن سبيل المؤمنين يوله الله ما تولى ويصله جهنم وساءت مصيرا ، وامره الصريح ايجاب التعاون على البر والتقوي ولا بر احق بالتعاون عليه من تعزيز كلمة الحق . واعلاء منار الامة واخبر الصادق صلى الله عليه وسلم « ان يدالله مع الجماعة»[٣] وكفى بالقدرة الالهية عونا اذا صح الاجتماع وصدقت الالفة وقد بلغت مكانة الاتفاق فى الشريعة الاسلامية اسمى درجة فى الرعاية الدينية حتى جعل اجماع الامة واتفاقها على امر من الامور كاشفا عن حكم الله وما فى علمه واوجب الشرع الاخذ به على عموم المسلمين وعد جحوده مروقا من الدين وانسلاخا عن الايمان ، ومن عناية الشارع بأمر الاتفاق قوله صلى الله عليه وسلم « لو دعيت الى حلف الفضول لفعلت»(حلف الفضول ما كان من هاشم وزهرة وتيم حيث وفدوا على عبد الله بن جدعان وتحالفوا على ان يدفعوا الظلم ويأخذوا الحق من الظالم وسمى حلف الفضول لانهم تحالفوا على ان لا يدعوا عند احد فضلا يزيد عن حقه ويكون نواله بالظلم الا اخذوه منه وردوه لمستحقه) فهو من حلف الجاهلية وقد صرح الشارع بقبوله لو دعى اليه ، هذا اجمال الادلة على وجوب الاتفاق ، وحظر المنابذة والمخابنة بين المسلمين بل وبينهم

---

(١) الحجرات (٤٩) : ٩

(٢) ال عمران (٣) : ١٠٥

(٣) نسائى . باب التحريم

وبين غيرهم ممن رضى بذمتهم وقبل جوارهم بالمعروف فى شرعهم • فان سبيل المسلمين يسعه ولا يضيق عنه •

واما السعى لاعلاء كلمة الحق وبسطة الملك • وعموم السيادة فلا تجد أية من ايات القران الشريف الاوهى داعية اليه • جاهرة بمطالبة المسلمين بالجد فيه حاظرة عليهم ان يتوانوا فى اداء المفروض منه ومن الاوامر الشرعية ان لا يدع المسلمون تنحية ملتهم حتى لا تكون فتنة • ويكون الدين كله لله وفى السنة المحمدية والسيرة النبوية مما يضافر ايات القران ما جمعه العلماء فى مجلدات يطول عدها • هذا حكم ديننا لا يرتاب فيه احد من المؤمنين به والمستمسكين بعروته •

هل يمكن لنا ونحن على ما نري من الاختلاف والركون الى التصم ان ندعى القيام بفروض ديننا • كيف ومعظم الاحكام الدينية موقوف اجراؤه على قوة الولاية الشرعية • فان لم يكن الوفاق والميل الى الغلب فرضين لذاتهما افلا يكونان مما لا يتم الواجب الا به • فكيف بهما وهماركنان قامت عليهما الشريعة كما قدمنا هل لنا عذر نقيمه عند الله يوم العرض و الحساب يوم لا ينفع خلة ولا شفاعة بعد هدم هذين الركنين وايسر شفاعة بعد هدم هذين الركنين وايسر شفاعة الينا اقامتها وعديدنا اربعمائه مليون اويزيد • هل يتيسر لنا اذا خلونا بانفسنا وجادلتنا ضمائرنا ان نقنعها ونرضيها بما نحن عليه الان •

كل هذه الرزايا التى حطت باقطارنا • ووضعت من اقدارنا ثم ما كان قاذفنا بيلا ورامينا بسهامها الا افتراقنا وتدابرنا التقاطع الذي نهانا الله ونبيه عنه • لو ادينا حقوقا تطالبنا بها تلك الكلمة التى تهل به السنتنا وتطمئن قلوبنا بذكرها • وهى كلمة الله العليا هل كان يمكن للاغراب ان يمزقوا مما لكنا كل ممزق • وهل كان يلمع سيوف العدوان فى وجوهنا

وجوهنا وهل كنا نشيم نيران الاعداء الا واقدامنا فى صياصيهم وايدينا على نواصيهم ، ان لابناء الملة الاسلامية يقينا بما جاء به شرعهم ,لكن اليسرعلى صاحب اليقين بدين ان يقوم بما فرض الله عليه فى ذلك الدين ، "احسب الناس ان يتركوا ان يقولوا امنا وهم لا يفتنون ولقد فتنا الذين من قبلهم ، فليعلمن الله الذين صدقوا ، وليعلمن الكاذبين". (١) ولاريبة فى ان المؤمن يسره ان يعلمه الله صادقا لاكاذبا , واي صدق تظهره الفتنة ، ويمتاز به الصادق من الكاذب ، الاالصدق فى العمل ، هل يود المسلم لو يعمر الف سنة فى الذل والهوان ، وهو يعلم ان الازدراء بالحياة هو دليل الايمان ، انرضى ونحن المؤمنون ، وقد كانت لنا الكلمة العليا ان تضرب علينا الذلة والمسكنة وان يستبد فى ديارنا باموالنا من لا يذهب مذهبنا ،ولا يرد مشربنا ، ولا يحترم شريعتنا ، ولا يرقب فينا الا ولا ذمة ، بل اكرهه ان يسوق علينا جيوش الفناء حتى يخلى منا اوطاننا ويستخلف فيها بعدنا اتباع جلدته ، والجالية من امته .

لا . لا . ان المخلصين فى ايمانهم ،الواثقين، بوعد الله فى نصر من ينصر الله الثابت فى قوله :"ان تنصروا الله ينصركم ، ويثبت اقدامكم"، (٢) لا يتخلفون عن بذل اموالهم وبيع ارواحهم ، والحق داع ، والله حاكم ، والضرورة قاضية ، فاين المفر، المبصر بنور الله يعلم انه لا سبيل لنصرة الله وتعزيز دينه الا بالوفاق وتعاون المخلصين من المؤمنين ، هل يسوغ لنا ان نرى اعلامنا منكسة ،واملاكنا ممزقة ،والقرعة تضرب بين الغرباء على

---

(١) العنكبوت (٢٩) : ٢

(٢) محمد (٤٧) : ٧

ما بقي في ايدينا ثم لا نبدي حركة ، ولا نجتمع على كلمة ، وندعي مع هذا اننا مؤمنون بالله وبما جاء به محمد ، واخجلتاه لو خطر هذا ببالنا ولا اظنه يخطر ببال مسلم يجري على لسانه شاهد الاسلام .

ان الميل للوحدة والتطلع للسيادة وصدق الرغبة في حفظ حوزة الاسلام ، كل هذه صفات كامنة في نفوس المسلمين قاطبة ولكن دهاهم بعض ما اشرنا اليه في اعداد ماضية فالهاهم عما يوحي به الدين في قلوبهم واذهانهم عن سماع صوت الحق يناديهم من بين جوانحهم ، فسهوا وما غووا ، وزلوا وما ضلوا ، ولكنهم دهشوا وتاهوا ، فمثلهم مثل جواب المجاهيل من الارض في الليالي المظلمة كل يطلب عونا وهو معه ، ولكن لا يهتدي اليه واري

لايصال اصوات بعض المسلمين الى مسامع بعض، لا يمكنهم ان يجمعوا بين اهوائهم

ان العلماء العاملين لو وجهوا فكرتهم في اقرب وقت ، وليس بعسير عليهم ذلك بعد ما اختص الله من بقاع الارض بيته الحرام بالاحترام ، وفرض على كل مسلم ان يحجه ما استطاع ، وفي تلك البقعة يحشر الله من جميع رجال المسلمين ، وعشائرهم ، واجناسهم فما هي الا كلمة تقال بينهم من ذي مكانة في نفوسهم تهتز لها ارجاء الارض ، وتضطرب لها سواكن القلوب ، هذا ما اعدتهم له العقائد الدينية فان اضفت اليه ما اذاب قلوبهم من تعديات الاجانب عليهم ، وما ضاقت به صدورهم من غارات الاغراب على بلادهم ، حتى بلغت ارواحهم التراقي ذهبت الى ان الاستعداد بلغ من نفوس المسلمين حدا يوشك ان يكون فعلا ، وهو مما يؤيد الساعين في هذا المقصد ، ويهيئ لهم فوزا ونجاحا بعون الله الذي ما خاب قصده وهو ربي ، اليه ادعو واليه انيب .

الامل وطلب المجد : (١)

" انه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون " (٢)

" ومن يقنط من رحمة ربه الا الضالون ". (٣)

تلك ايات الكتاب الحكيم ، تنبئ عن سر عظيم ، اختص الله به الانسان ورفعه به على سائر الاكوان ، ليبلغ به المقام المحمود ، ويحوز ما اعدته له العناية الالهية من الكمال اللائق به ، راجع نفسك ، واصغ لمناجاة سرك ، تجد في وجدانك ميلا قويا ، وحرصا شديدا ، يدفعك الى طلب المجد ، وعلو المنزلة في قلوب ابناء جنسك ، ثم ارفع بصرك الى سواد الامة بتمامها ، تجد مثل ذلك في كليتها ، كما هو في احادها ، تبتغي رفعة المكانة في نفوس الامم سواها ، ذلك امر فطري جبل الله عليه طبيعة هذا النوع منفردا و مجتمعا ، ليس من السهل على طالب المجد ، وعلو المكانة ان يصل الى ما يطلب ، ولكنه يلاقي في الوصول اليه وعرا في السبل ، وعقبات تصد عن المسير ، ومع هذا فلا يضعف حرصه ، ولا ينقص ميله يقطع شعابه ، ويعاني صعابه ، حتى يرقى فوق ذروة المجد ، ويتسنم شاهق العزة ، ولو قام في وجهه مانع عن الاسترسال في سيره ، والتجاء للسكون ، رايته يتململ ويتضجر كانما ينقلب على الرمضاء ، ولو سبر الحكيم الخبير اعمال البشر ، ونسب كل عمل الى غاية العامل منه ، راي ان معظمها في طلب الكرامة وعلو المقام ، كل على حسبه ، وما يتعلق منها بتقويم المعيشة ليس شيئا مذكورا بالنسبة لما يتعلق بشئون

---

(١) العروة الوثقى ص ٨٠ ــ ٨٧

(٢) يوسف (١٢) : ٨٧

(٣) الحجر (١٥) : ٥٦

الشرف ، هذه خلة ثابتة فى الكافة من كل شعب على اختلاف الطبقات من ارباب المهن ، الى اصحاب الامر والنهى ، كل ينافس اهل طبقته فى اسباب الكرامة بينهم ، ويأنف من ضعته ، ويحرص على ما يحله من قلوبهم محل الاعتبار ، حتى اذا بلغ الغاية مما به الرفعة عندهم ، تخطى حدود تلك الطبقة ، ودخل فى طبقة اخرى ، ونافس اهلها فى الجاه ، ولا يزال يتبع سيره ما دام حيا يخطر فى بسيط الارض ، ذلك لأن الكمال الانسانى ليس له حد ، ولا تحده نهاية ، وليس فى استطاعة احد من الناس ان يقنع نفسه ، ويعتقد انه بلغ من الكمال حد اليست بعده غاية .

سبحان الله ، ماذا اخذت محبة الشرف من قلب الانسان ، وماذا ملكت من اهوائه ، بعده ثمرة حياته وغاية وجوده ، حتى انه يحتقر الحياة عند فقده ، والعجز عن دركه ، او عند مسه والخوف من سلبه ، ارأيت ان فقيرا ذا أسمال لا يؤبه له اذا اعتدى عليه من تطول يده اليه بفعلة تهينه ، او قذفة تشينه ، يغلبه الغضب للدفاع عن المنزلة التى هو فيها ، فيرتكب مخاطرة ربما تفضى به الى الموت ، وان القذف او الاهانة ما نقصت شيئا من طعامه ، ولا شرابه ، ولا خشنت مضجعه فى مبيته ، آلاف مؤلفة من الناس فى الاجيال المختلفة والاجناس المتنوعة القوا بأنفسهم الى المهالك ، وماتوا دفاعا عن الشرف ، او طلبا للكرامة والمجد ، جل شأن الله لا يهناء للانسان طعام ولا شراب ، ولا يلين له مضجع الا ان يلحظ فيه ان ما نال منه اعلى مما نال سواه ، مع وقوف بعض من الناس على ذلك ليعترفوا له بالأعلوية فيه ، كأن لذة التغذية والتوليد ، انما وضعت لتكون وسيلة للذة المباهاة والمفاخرة ، فما ظنك بسائر اللذائذ ، كم يعانى الانسان من التعب البدنى ، وكم يقاسى من مشاق الاسفار ، وكم يخاطر بروحه فى اقتحام الحروب والمكافحات ، وكم يتحمل فى الانقطاع عن اللذات مع التمكن منها

كل ذلك لينال شهرة او ليكسب فخارا او ليحفظ ما اتاه الله منه ما اجل عناية الله بالانسان لا يعيش الا ليشرف فيشرف به العالم ، وكل لذة دون الشرف فهي وسيلة اليه بل الحياة الدنيا هي السبيل الوعر يسلكها الحي الى ما يستطيع من المجد وفي نهاية الاجل يفارقها قرير العين بما قارب منه اسف الفواد على ما قصر منه ٠

ما هو المجد الذي يسعى اليه الانسان بالالهام الالهي ويخوض الاخطار في طلبه ويقارع الخطوب في تحصيله هو شأن تعترف النفوس لصاحبه بالسودد ، وتذعن له بالاعتلاء وتلقي اليه قياد الطاعة ، يكون هذا له ولكل من يدخل في نسبته اليه من ذوي قرابته وعشيرته وسائر امته ٠ فتنفذ كلمته اليه وكلمة المتصلين به ، والملتحمين معه في شئون من سواهم ، وهو اعظم مكافأة من العزيز الحكيم على معاناة الاوصاب لتحصيل ذلك الشأن في هذه الحياة الاولى ، فما كان يحسبه طالب المجد عائدا الى نفسه بالمنفعة يبارك فيه مدبرا لكون ٠ فيفيض خيره على بني جلدته اجمعين ، واها ! تلك حكمة بالغة : اذا نال الواحد من الامة مطلبه من المجد نالت الامة حظها من السودد ، نعم وهل نال ما نال الا بمعونة سائر الاحاد منها «ذلك تقدير العزيز العليم» [١] ، ماذا يستطيع المجاهد وحده ، و ماذا يكسبه من سعيه ان لم يكن له اعضاد من بني قبيله ، فمن كان همه ان يصعد الى عرش العزة ويرقى الى ذروة السيادة ، فعليه ان يهيئ نفسه والمنتمين اليه لتحصيل كل ما يعد في العالم الانساني فضيلة وكمالا ، ما اصعب القيام بخدمة هذا الميل الفطري والالهام الالهي ، وما اشد ما تحمل النفوس في قضاء بعض الوطر مما يتصل به ، وما اعظم الحامل للانفس على تجشم المصاعب لتنيل ما تميل اليه من هذا الامر الرفيع ٠ ما هذا الباعث الشريف

---

(١) يسين (٣٦) ٠ ٣٨

الذي يسهل على الارواح كل صعب ويقرب كل بعيد ويصغر كل عظيم ، ويلين كل خشن ، ويسليها عن جميع الالام ، ويرضيها بالتعرض للتهلكة ومفارقة الحياة فضلا عن بذل كل نفيس . والسماح بكل عزيز ، هذا الباعث الجليل ، وهذا الموجب الفعال هو الامل .

الامل ضياء ساطع في ظلام الخطوب ، ومرشد حاذق في يهماء الكروب ، وعلم هاد في مجاهيل المشكلات ، وحاكم قاهر للعزائم اذا عرتها فترة ، ومستفز للهمم ان عرض لها سكون ليس الامل هو الامنية والتشهي اللذين يلمحهما الذهن تارة بعد اخرى ، ويعبر عنهما بليت لي كذا من المال ، وكذا من الفضل ، مع الركون الى الراحة والاستلقاء على الفراش واللهو بما يبعد عن المرغوب ، كأن صاحبهما يروم ان يبدل الله سنته في سير الانسان عناية بنفسه الشريفة او الخسيسة ، فيسوق اليه ما يهجس بخاطره دون ان يصيب تعبا او يتلاقى مشقة انما الامل رجاء يتبعه عمل ، ويصحبه حمل النفس على المكاره ، وعراك لها في المشاق والمتاعب ، وتوطينها لملاقاة البلاء بالصبر والشدائد بالجلد ، وتهوين كل ملم يعرض لها في سبيل الغرض من الحياة ، حتى يرسخ في مداركها ان الحياة لغو اذا لم تغذ بنيل الارب ، فيكون بذل الروح اول خطوة يخطوها القاصد فضلا عن المال الذي لا يقصد منه الاوقاية بناء الحياة من صدمات حوادث الكون .

وكما كان الميل للرفعة امرا فطريا ، كذلك كان الامل وثقة النفس بالوصول الى غاية سعيها من ودائع الفطرة ، غير ان ثبوتهما في فطرة عموم البشر كان عند داعيا للمزاحمات والمجاذبات ، فان كل واحد بما اودع في جبلته يطلب الكرامة والتمكن في قلب الاخر ، فكل طالب ومطلوب ، ولم تبلغ سعة العقل الانساني الى درجة تعين لكل فرد من الافراد عملا تكون له به المنزلة العليا في جميع النفوس غير ما يكون به للاخر مثل تلك المنزلة حتى يكون

لكم
جميعهم امجادا شرفاء بما يأتون من اعمالهم ، ولكنهم تزاحموا في الامال والاهواء ومسا ضيقة ومشاربهم ضنكة فنشأت تلك المقاومات والمصادمات بين النوع البشري حكمة من الله ليعلم الذين جاهدوا ويعلم الصابرين ، فاذا توالى الصدام ، عم على شخص او قوم حدث في الهم ضعف واصابها انحطاط وحصل الفساد في هاتين الخلتين الشريفتين " الرجاء و الطلب "كما يحصل الفساد في سائر الاخلاق الفاضلة بسوء التربية وربما يؤول الضعف الى علة اليأس والقنوط . نعوذ بالله منهما .

ما ذا يكون حال القانطين المنقطعة آمالهم ، يحكمون على انفسهم بالحطة و يسجلون عليها العجز عن كل رفعة فيأتون الدنايا ويتعاطون الرذائل ، ولا ينفرون من الاهانة والتحقير ، بل يوطنون انفسهم على قبول ما يوجه اليهم من ذلك ايا كان ، فتسلب منهم جميع الاحساسات والوجدانات الانسانية التي يمتاز بها الانسان عن الانعام ، فيرضون بما ترضى به البهائم ، فلا يهتمون الا بحاجات تبقيهم و تبيدهم ، ثم يا ليتهم يكونون هملا وسوائب يرعون النبات ، ويتبعون مواقع الغيث ، ولكنهم وان تركوا العمل لانفسهم ، فالله تعالى يسلط عليهم من يكلفهم بالعمل لغيرهم ، فيكونون كالنمال الحاملة لا تستفيد مما تحمل شيئا ، وظيفتها ان تسعى وتشقى ليسعد غيرها ، ويستريح فيعالجون العمل في الفلاحة و الصناعة وغيرهما من الاعمال الشاقة ، ويدأبون باشد مما يدأب العامل لنفسه ، ثم لا ينالون مما يعملون شيئا ، ثمرات كسبهم بأسرها محولة الى الذين سادوا عليهم بهممهم ، هذا الذي يتجشمه الذليل في ذلة من مشاق الاعمال ومعاناة المكاره ، لو تحمل بعضا منها في طلب العزة لاصاب حظه منها ، بل تصير درجة القانطين عند من سادوا عليهم ادنى من درجة الحيوانات العاملة ، فان السائدين يشعرون بحكم البداهة ، ان هؤلاء اسقطوا

انفسهم عن منزلة كانوا يستحقونها بمقتضى الفطرة الانسانية ورضوا لها بما دون حقها ، بل بما لا يصح ان يكون من شأنها وكفروا نعمة الله في تكوينهم على الشكل الانساني وابداع ما اودع في افراد الانسان فيما ملهم اولئك السادات بما لا يعاملون به ما يقتنون من الحيوانات ولنا على ذلك شاهد العيان في الامم التي ادركها اليأس وسقطت في ايدي الاجانب .

ونظن انه يوجد اقوام اخرون سامهم ساداتهم في الزمن السابق ويسومونهم الان ما لا تسام به السوائم الراعية وهم على القرب منا وليسوا ببعيد عنا .

عجبا كيف تتبدل احكام الجبلة وكيف يمحى اثر الفطرة كيف تسفل النفس حتى لا تطلب رفعة ، وكيف تقنط حتى لا يكون لها أمل ، والامل وحب الكرامة طبيعيان في الانسان بعد امعان النظر نجد السبب في ذلك ظن الانسان ان جميع اعماله انما تصدر عن قدرته و ارادته بالاستقلال ، وان قوته هي سلطان اعماله ، وليس فوق يده يد تمده بالمعونة او تصده بالقهر ، فاذا صادفته الموانع مدة بعد اخرى ، وقطعت عليه سبيل الوصول لمطلبه رجع الى قدرته فوجدها فانية ، وقوته فراها واهنة ، فيعترف بوهنه ، ويسكن الى عجزه ، فييأس ويقنط ، ويذل و يسفل اعتقادا منه بأنه لا دافع لتلك الموانع التي تعاصت على قدرته ، ومتى كانت قوة المانع اعظم من قوته ، فلا سبيل الى العمل لاستحالة قهر المانع ، فينقطع الامل ، فيقع في الشقاء الأبدي ، اما لو ايقن ان لهذا الكون مدبرا عظيم القدرة تخضع كل قوة لعظمته وتدين الكل سطوة لجبروته الاعلى ، وان ذلك القادر العظيم بيده مقاليد ملكه ، يصرف عباده كيف يشاء ، لما امكن مع هذا اليقين ان يتحكم فيه اليأس ، وتغتال امانيه غائلة القنوط ، فان صاحب اليقين لو نظر الى ضعف قدرته لا يفوته النظر الى قوة الله التي هي اعلى من كل قوة ، فيركن اليها في اعماله ولا يجد اليأس الى نفسه طريقا ، فكلما تعاظمت عليه

الشدائد زادت همته انبعاثا فى مدافعتها معتمدا على ان قدرة الله اعظم منها، وكلما اغلق فى وجهه باب فتحت له من الركون الى الله ابواب ، فلا يمل ولا يكل، ولا تدركه السامة؛ لاعتقاده ان فى قدرة مدبر الكون ان يقهر الاعزاء ، ويلقى قيادهم الى الاذلاء ، وان يدك الجبال ويشق البحار، ويمكن الضعفاء من نواصى الاقوياء وكم كانت لقدرة الله من هذه الاثار فتشتد عزيمته، ويداءب فيما كلفه الله من السعى لنيل الكمال والفوز بما اعده الله له من السعادة فى الاولى والاخرة، وما كان لموقن بالله وبقدرته وعزته وجبروته ان يقنط وييأس، ولهذا اخبر الله تعالى عن الواقع والحقيقة التى لاريبة فيها بما قال، وهو اصدق القائلين «انه لاييأس من روح الله الا القوم الكافرون» (١) وبما حكى من قول نبيه ابراهيم : (ومن يقنط من رحمة ربه الا الضالون) فقد جعل الله اليأس والقنوط دليلا على الكفر، ومن اين يطرق اليأس قلبا عقد على الايمان بالله وقدرته الكاملة .

لهذا نقول ان المسلمين لا يسمح لهم يقينهم بالله وبما جاء به محمد عليه الصلاة والسلام ان يقنطوا من رحمة ربهم فى اعادة مجدهم مع كثرة عددهم، ولا يسوغ لهم ايمانهم ان يرضخوا للذل ، ويرضوا للضيم ، ويتقاعدوا عن اعلاء كلمتهم ، وهم الى الان محفوظون مما ابتلى به كثير من الامم ، فان لهم ملوكا عظاما ، ولا يزال فى ايديهم ملك عظيم على بسيط الارض، وان من الحق ان نقول : ان ابواب رحمة الله مفتحة لديهم ، وما عليهم سوي ان يلجوها ، وان روح الله نافحة عليهم وما يلزمهم سوي ان يستنشقوها ، والفرص دائما تمد ايديها اليهم تطلب انهاضهم وتنبه غافلهم ، وتوقظ نائمهم ، وليس عليهم فى استرجاع مكانتهم الاولى والصعود الى مقامهم الاول الا ان يجمعوا كلمتهم ، ويتعاونوا على ما يقصدون من اعزاز ملتهم

---

(١) يوسف (١٢) : ٨٧

وذلك أيسر ما يكون عليهم بعد تمكن الجامعة الدينية بينهم فأي موجب لليأس وأي داع للقنوط وبين ايديهم كتاب الله الناطق بأن اليأس من اوصاف الضالين ، وهل توجد واسطة بين الرشد والغي (فما ذا بعد الحق الا الضلال) هل يكون للقانطين فيهم عذر ، أيرضون بالعبودية للاجانب بعد تلك السيادة العليا ماذا يبتغون من الحياة ان كانت في ذل و اهانة وفقر وفاقة و شقاء دائم بيد عدو غاشم ، أيطمئنون وهم بين اجنبي حاكم ، وبغيض شامت ومقبح غبي ومشنع دني ومعير خسيس يرمونهم بضعف العقول ونقص الاستعداد ، ويحكمون بأن محالا عليهم ان يصيروا امة في عداد الامم ، الم ينسلخ الانسان عن كل خاصة انسانية كيف يرضى بحياة مكتنفة بكل هذه التعاسات والمكدرات ، أينسون انهم كانوا في الارض ، وما طال على ذلك الزمان ولا محيت التواريخ ولا عفت الاثار ولا اضمحلت بالكلية شوكة المسلمين من وجه الارض .

ان كان للعامة عذر في الغفلة عما اوجب الله عليهم ، فأي عذر يكون للعلماء وهم حفظة الشرع والراسخون في علومه ، لم لا يسعون في توحيد متفرق المسلمين لم لا يبذلون الجهد في جمع شملهم ، لم لا يفرغون الوسع لاصلاح ما فسد من ذات بينهم ، لم لا يأتون على مافي الطاقة لتقوية امال المسلمين ، وتذكيرهم بوعود الله التي لا تخلف لمن صدق في طاعته واليقين به ، وتبشيرهم بهبوب روح الله على ارواحهم .

بلى ان قوما شرح الله صدورهم للايمان ، قاموا بهذا الامر في مواقع مختلفة من الارض يجمع التواصل بينها عقد واحد الا ان املنا في بقية المسلمين ان يتفقوا معهم ويقوموا بتعضيدهم ، ليتمكن الجميع من نصر الله (ان تنصروا الله ينصركم ويثبت اقدامكم) (١) .

---

(١) محمد (٤٧) : ٧

سنن الله في الامم ـ وتطبيقها على المسلمين : (١)

« ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم . ذلك بان الله لم يك مغيرا نعمة انعمها على قوم حتى يغيروا ما بأنفسهم » . (٢)

تلك ايات الكتاب الحكيم تهدي الى الحق والى صراط مستقيم ، ولا يرتاب فيها الا القوم الضالون ، هل يخلف الله وعده ووعيده وهو اصدق من وعد ، واقدر من اوعد ، هل كذب الله رسله ، هل ودع انبياءه وقلاهم ، هل غش خلقه ، وسلك بهم طريق الضلال ، نعوذ بالله !! هل انزل الايات المبينات لغوا وعبثا ، هل افترت عليه رسله كذبا ، هل اختلقوا عليه افكا ؟ هل خاطب الله عبيده برموز لا يفهمونها ، واشارات لا يدركونها ، هل دعاهم اليه بما لا يعقلون ؟ نستغفر الله ! اليس قد انزل القران عربيا غير ذي عوج وفصل فيه كل امر واودعه تبيانا لكل شيئ ، تقدست صفاته وتعالى عما يقول الظالمون علوا كبيرا ، هو الصادق في وعده ووعيده ، ما اتخذ رسولا كذابا ولا اتى شيئا عبثا ، وما هدانا الا سبيل الرشاد ولا تبديل لاياته تزول السموات والارض ولا يزول حكم من احكام كتابه الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه .

يقول الله ((ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر ان الارض يرثها عبادي الصالحون)) (٣) ويقول : « ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين » (٤) وقال : « كان حقا علينا

---

(١) العروة الوثقى ص ١٢٨ ـ ١٣٤

(٢) الرعد (١٣) : ١١

(٣) الانبياء (٢١) : ١٠٥

(٤) المنافقون (٦٣) : ٨ .

نصر المؤمنين». (١) وقال «ليظهره على الدين كله وكفى بالله شهيدا». (٢) هذا ما وعد الله في محكم الآيات مما لا يقبل تأويلا، ولا ينال هذه الآيات بالتأويل الا من ضل عن السبيل ورام تحريف الكلم عن مواضعه، هذا عهده الى تلك الامة المرحومة، ولن يخلف الله عهده وعدها بالنصر والعزة وعلو وعلو الكلمة، ومهد لها سبيل ما وعدها الى يوم القيامة وما جعل لمجدها امدا، ولا لعزتها حدا .

هذه امة انشأها الله عن قلة، ورفع شأنها الى ذروة العلا، حتى ثبتت اقدامها على قنن الشامخات، ودكت لعظمتها عوالى الراسيات وانشقت لهيبتها مرائر الضاريات، وذابت للرعب منها عقد اعشار القلوب، هال ظهورها الهائل كل نفس، وتحير في سببه كل عقل، واهتدي الى السبب اهل الحق فقالوا : قوم كانوا مع الله فكان الله معهم جماعة قاموا بنصر الله . واسترشدوا بسنته فأمدهم بنصر من عنده، هذه امة كانت في نشأتها فاقدة الذخائر . معوزة من الاسلحة وعدد القتال فاخترقت صفوف الامم، واختطت ديارها، ولا دفعتها ابراج المجوس وخنادقهم ولا صدتها قلاع الرومان ومعاقلهم، ولا عاقها صعوبة المسالك، ولا اثر في همتها اختلاف الاهوية، ولا فعل في نفوسها غزارة الثروة عند من سودها ولا راعها جلالة ملوكهم، وقدم بيوتهم، ولا تنوع صنائعهم، ولا سعة دائرة فنونهم ولا عاق سيرها احكام القوانين، ولا تنظيم الشرائع، ولا تقلب غيرها من الامم في فنون السياسة، كانت تطرق ديار القوم فيحقرون امرها، ويستهينون بها، وما كان يخطر ببال احد ان هذه الشرذمة القليلة تزعزع اركان تلك الدول العظيمة، وتمحو اسماءها من لوح

---

(١) الروم (٣٠) : ٤٧

(٢) التوبة (٩) : ٣٣

المجد وما كان يختلج بصدر ان هذه العصابة الصغيرة تقهر تلك الامم الكبيرة، وتمكن من نفوسها عقائد دينها، وتخضعها لاوامرها وعاداتها وشرائعها ولكن كان كل ذلك ونالت تلك الامة المرحومة على ضعفها، مالم تنله امدسواها، نعم قوم صدقوا ما عاهدوا الله عليه فوفاهم اجورهم مجدا في الدنيا وسعادة في الاخرة .

هذه الامة يبلغ عددها اليوم زهاء اربعمائه مليون من النفوس وارا ضيها آخذة من المحيط الاطلسي الى احشاء بلاد الصين، تربة طيبة، ومنابت خصبة وديار رحبة، ومع ذلك نري بلادها منهوبة، واموالها مسلوبة، تتغلب الاجانب على شعوب هذه الامة شعبا شعبا، ويتقاسمون اراضيها قطعة بعد قطعة، ولم يبق لها كلمة تسمع ولا امر يطاع حتى ان الباقين من ملوكها يصبحون كل يوم في ملمة، ويمسون في كربة مدلهمة ضاقت اوقاتهم عن سعة الكوارث التي تلم بهم، وصار الخوف عليهم اشد من الرجاء لهم .

هذه هي الامة التي كانت الدول العظام يؤدين لها الجزية عن يدوهن صاغرات استبقاء لحياتهن، وملوكها في هذه الايام يرون بقاءهم في التزلف الى تلك الدول الاجنبية ويا للمصيبة ويا للرزية .

اليس هذا يخطب جلل، اليس هذا ببلاء نزل، ما سبب هذا الهبوط، وما علة هذا الانحطاط، هل نسيئ الظن بالوعود الالهية معاذ الله هل نستيئس من رحمة الله ونظن ان قد كذب علينا ونعوذ بالله، هل نرتاب في وعده بنصرنا بعد ان اكد لنا حاشاه سبحانه! لا كان شيئ من ذلك، ولن يكون، فعلينا ان ننظر لانفسنا ولا لوم لنا الاعليها ان الله تعالى برحمته قد وضع لسيرا الامم سننا متبعة ثم قال : (ولن تجد لسنة الله تبديلا)(١)

---

(١) الاحزاب (٣٣) : ٦٢

ارشدنا سبحانه في محكم اياته الى ان الامم ما سقطت من عرش عزها ولا باءت و محى اسمها من لوح الوجود الا بعد نكوبها عن تلك السنن ، التى سنها الله على اساس الحكمة البالغة ان الله لا يغير ما بقوم من عزة وسلطان ورفاهة وخفض عيش وامن وراحة حتى يغير اولئك القوم ما بأنفسهم من نور العقل وصحة الفكر واشراق البصيرة والاعتبار بأفعال الله في الامم السابقة والتدبر في احوال الذين جاروا عن صراط الله فهلكوا وحل بهم الدمار ، ثم لعدولهم عن سنة العدل وخروجهم عن طريق البصيرة والحكمة حادوا عن الاستقامة في الرأي ، والصدق في القول ، والسلامة في الصدر والعفة عن الشهوات ، و الحمية على الحق والقيام بنصره والتعاون على حمايته خذلوا العدل ولم يجمعوا هممهم على اعلاء كلمته واتبعوا الاهواء الباطلة وانكبوا على الشهوات الفانية وأتوا عظائم المنكرات . خارت عزائمهم فشحوا ببذل مهجهم في حفظ السنن العادلة واختاروا الحياة في الباطل على الموت في نصرة الحق . فأخذهم الله بذنوبهم وجعلهم عبرة للمعتبرين .

هكذا جعل الله بقاء الأمم ونماءها في التحلي بالفضائل التى اشرنا اليها وجعل هلاكها ودمارها في التخلي عنها سنة ثابتة لا تختلف باختلاف الامم . ولا تتبدل بتبدل الأجيال ، كسنته تعالى في الخلق والايجاد وتقدير الأرزاق وتحديد الاجال علينا ان نرجع الى قلوبنا ونمتحن مداركنا ونسبر اخلاقنا ونلاحظ مسالك سيرنا لنعلم هل نحن على سيرة الذين سبقونا بالايمان ، هل نحن نقتفى اثر السلف الصالح هل غير الله ما بنا قبل ان نغير ما بأنفسنا وخالف فينا حكمه وبدل في امرنا سنته حاشاه وتعالى عما يصفون . بل صدقنا الله وعده حتى اذا فشلنا وتنازعنا في الامر وعصيناه من بعد ما ارى أسلافنا ما يحبون واعجبتنا كثرتنا فلم تغن عنا شيئا ، فبدل عزنا بالذل وسمونا بالانحطاط وغنانا بالفقر

وسيادتنا بالعبودية نبذنا اوامرالله ظهريا وتخاذلنا عن نصره ، فجازانا بسوء اعمالنا ولم يبق لنا سبيل الى النجاة سوى التوبة والانابة اليه كيف لا نلوم انفسنا ونحن نري الاجانب عنا يغتصبون ديارنا ويستذلون اهلها . ويسفكون دماء الابرياء من اخواننا ولا نري من احد منا حراكا .

هذا العدد الوافر والسواد الاعظم من هذه الملة لا يبذلون فى الدفاع عن اوطانهم وانفسهم شيئا من فضول اموالهم يستحبون الحياة الدنيا على الاخرة كل واحد منهم يود لو يعيش الف سنة ، وان كان غذاؤه الذلة وكساؤه المسكنة وسكنه الهوان تفرقت كلمتنا شرقا وغربا وكاد عقد ينقطع ما بيننا ، لا يحن اخ لاخيه ولا يهتم جار بشأن جاره ولا يرقب احدنا فى الاخر الا ولا ذمة ولا نحترم شعائر ديننا ولا ندافع عن حوزته ولا نعززه بما نبذل من اموالنا وارواحنا حسبما امرنا .

ايحسب اللابسون لباس المؤمنين ان الله يرضى منهم بما يظهر على الالسنة . ولا يمس سواد القلب . هل يرضى عنهم بأن يعبدوه على حرف ، فان اصابهم خيرا طمانوا به على وان اصابتهم فتنة انقلبوا على وجوههم ، خسروا الدنيا والاخرة ، هل ظنوا ان لا يبتلى الله ما فى صدورهم ولا يمحص ما فى قلوبهم ، الا يعلمون ان الله لا يذر المؤمنين على ما هم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب . هل نسوا أن الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم للقيام بنصره ، واعلاء كلمته ، لا يبخلون فى سبيله بمال ، ولا يشحون بنفس فهل لمؤمن بعد هذا ان يزعم نفسه مؤمنا وهو لم يخط خطوة فى سبيل الايمان ، لا بماله ولا بروحه .

انما المؤمنون هم الذين اذا قال لهم الناس ، ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم لا يزيدهم ذلك الا ايمانا وثباتا ويقولون فى اقدامهم حسبنا الله ونعم الوكيل كيف نعد

يخشى الموت مؤمن وهو يعلم ان المقتول فى سبيل الله حى يرزق عند ربه ، متمتع بالسعادة الابدية فى نعمة من الله ورضوان كيف يخاف مؤمن من غير الله ، والله يقول : "فلا تخافوهم وخافون ان كنتم مؤمنين". (١)

فلينظر كل الى نفسه ولا يتبع وساوس الشيطان وليمتحن كل واحد قلبه قبل ان يأتى يوم لا تنفع فيه خلة ولا شفاعة وليطبق بين صفاته وبين ما وصف الله به المؤمنين وما جعله الله من خصائص الايمان فلو فعل كل منا ذلك لرأينا عدل الله فينا واهتدينا يا سبحان الله ! ان هذه امتنا امة واحدة ، والعمل فى صيانتها من الاعدا اهم فرض من فروض الدين عند حصول الاعتداء . يثبت ذلك نص الكتاب العزيز ، واجماع الامة سلفا وخلفا ، فما لنا نري الاجانب يصولون على البلاد الاسلامية صولة بعد صولة ويستولون عليها دولة بعد دولة والمقسمون بسمة الايمان آهلون لكل ارض متمكنون بكل قطر ، ولا تأخذهم على الدين نعرة ولا تستفزهم للدفاع حمية . الا يا اهل القران لستم على شيء حتى تقيموا القران وتعملوا بما فيه من الاوامر والنواهى ، وتتخذوه اماما لكم فى جميع اعمالكم مع مراعاة الحكمة فى العمل كما كان سلفكم الصالح الا يا اهل القران هذا كتابكم فاقرءوا منه "فاذا انزلت سورة محكمة وذكر فيها القتال رأيت الذين فى قلوبهم مرض ينظرون اليك نظر المغشى عليه من الموت"(٢) الا تعلمون فيمن نزلت هذه الاية نزلت فى وصف من لا ايمان لهم هل يسر مؤمنا ان يتناوله هذا الوصف المشار اليه بالاية الكريمة ، اوغر كثيرين من المدعين للايمان ما زين لهم من سوء اعمالهم وما حسنته لديهم اهواؤهم" افلا يتدبرون القران ام على قلوب اقفالها". (٣)

---

(١) ال عمران (٣) : ١٧٥

(٢) محمد (٤٧) : ٢٠

(٣) محمد (٤٧) : ٢٤

اقول ولا اخشى نكيرا لا يمس الايمان قلب شخص الا ويكون اول اعماله تقديم ماله وروحه في سبيل اعلاء الايمان ، لا يراعى في ذلك عذرا ولا تعلة وكل اعتذار في القعود عن نصرة الله فهو اية النفاق وعلامة البعد عن الله .

مع هذا كله نقول ان الخير في هذه الامة الى يوم القيامة كما جاءنا به حفظ نبأ النبوة وهذا الانحراف الذي نراه اليوم نرجو ان يكون عارضا يزول ، ولو قام العلماء الاتقياء وادوا ما عليهم من النصيحة لله ولرسوله وللمؤمنين ، واحيوا روح القران وذكروا المؤمنين بمعانيه الشريفة واستلفتوهم الى عهد الله الذي لا يخلف ، لرأيت الحق يسمو ، والباطل يسفل ، ولرأيت نورا يبهر الابصار واعمالا تحار فيها الافكار ، وان الحركة التي نحسها من نفوس المسلمين في اغلب الاقطار هذه الايام تبشرنا بأن الله قد اعد النفوس لصيحة حق يجمع بها كلمة المسلمين ، ويوحد بها بين جميع الموحدين ونرجو ان يكون العمل قريبا ، فان فعل المسلمون واجمعوا امرهم للقيام بما اوجب الله عليهم صحت لهم الاوبة ولصحت منهم التوبة وعفا الله عنهم ، والله ذو فضل على المؤمنين فعلى العلماء ان يسارعوا الى هذا الخير ، وهو الخير كله : جمع كلمة المسلمين والفضل كل الفضل لمن يبدأ منهم بالعمل (ومن يهد الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا) .(١)

ردّه على من زعم ان حكمته بلسانه اكثر مما هي من قلبه :

قال :

لا ينفع في الشرق لسان ولا قلب ، طالما خلق المالك والمملوك ، الامير والصعلوك

---

(١) الكهف (١٨) : ٣

العالم والجاهل ، سواء فى العالم الصوري .

يرون فى الحقيقة مرارة وفى الوهم حلاوة وفى الذل الهناء ، وفى طلب العلا و العز الشقاء والعناء .

كل مسلم مريض ، ودواؤه القرآن ، وما على طالب الحكمة الا ان يتدبر معانيه ويعمل بأحكامه .

فهل المسلمون اليوم عاملون بما جاءهم به محمد صلى الله عليه وسلم او مقتدون به كما اقتدى به الاصحاب او التابعون .

ام تقولون ان محمدا لم يكن حكيما حكمته من قلبه ، تلك الحجة الواهية لمرضاء القلوب ، وساقطى الهمم ، ومتكاء اهل الذل .

يا قوم ان محمدا جاء نبيا مرسلا وقبل النبوة كان امينا صادقا ، لم يقنع بأسوة بيته ، مثل عمه حمزة ، وابن عمه على بن ابى طالب ، وأبطال قريش والانصار ، ان يخوضوا وحدهم غمرات الموت فى الحروب لمن تحداهم وناهضهم من كفار قريش ، بل هو بذاته الكريمة وقد أفرغ عليه الدروع وتقلد الصارم البتار ، واقتحم الوغى فتكسرت ثناياه وتخضب وجهه بالدم انتصارا للحق ومقاومة للباطل ، علمكم بنفسه وأرشدكم بقوله وفعله .

اين المسلمون اليوم ، من شيئ من هذا الاقدام وتلك الهمم ، واه اسفاه !!

بئس الخلف نحن ، ونعم السلف من قد سلف ، ترتعد فرائصكم اذا سمعتم ذكر ما انتم فيه من غريب الذل ، خوفا من ان تدعوا لنزع نيره عنكم ، فترجعون الى بارد القول ، وسفيه الرأي فعطف فتطالبون حكمة من قلب لا حكمة من لسان ، قتل من كان على هذه الشاكلة . (١)

---

(١) خاطرات — المخزومى ص ٥١

قول السيد في تأثير اداب اللسان :

قال : اما انتشار اللسان العربي فيماعدا بلادهم فليس للفاتحين ادنى دخل فيه ولا اتخذوا له اسبابا و وسائل ، بل ان ما وجد في اللسان العربي من الاداب الباهرة ، والحكم والامثال والمواعظ ، ذلك هوالذي احله من الانتشار هذا المحل .

حتى ان العرب قبل الاسلام وهم في تلك الحالة الجاهلية والبداوة المحضة وبعدهم عن كل حضارة ، كانوا يحلون باداب لسانهم من اعظم الملوك مثل كسري انوشيروان ، محلا رفيعا ، ويأخذون الجوائز ويفخرون بتجارتهم مع الاعاجم باداب لسانهم وما يجري على السنتهم من الحكمة التي تأخذ بمجامع القلوب .

هكذا كان الذكاء العربي الفطري المتوقد ، يناسبه سلاسة اللسان وادبه ، فكان اذا ظهر بين العرب حكيم طبيب مثل الحارث بن كلدة مثلا استطاع باداب اللسان و فرط الذكاء ، ان يقارع ويضارع اكبر حكيم من الفرس مع حضارته ومدنيته ، وكذلك الشاعر في قبيلته اذا نبغ ولوكان وضيع النسب اجلته القبيلة واعتبرته حامي ذمارها بأدبه و شعره واغنته بالمال والماشية .

واما في الحضارة الاسلامية وفي دولها فكثير ممن بدع بالادب فأوصله الى مرتبة الوزارة فالامارة وأما من اثري بأخذ جوائز الخلفاء والملوك من الادباء فلا يعدون كثرة .

هذا بعض ما لاداب اللسان من التاثير المادي وأما التأثير المعنوي فيكفي انه من اكبر الجوامع التي تجمع شتات ، وتنزل من الامة منزلة اكبر المفاخر فكم رأينا من دول اغتصب ملكها الغير ، فحافظت على لسانها محكومة ، وترقبت الفرص ونهضت بعد دهر فردت ملكها وجمعت من ينطق بلسانها اليها ، والعامل في ذلك هواللسان قبل كل ما سواه ، ولو فقدوا

لسانهم لفقدوا تاريخهم ، ونسوا مجدهم وظلموا فى الاستعباد ما شاء الله .[1]

دعوة السيد الافغانيين والايرانيين الى الاتحاد :

يقول السيد :

" ان للافغانيين ان يرفعوا ابصارهم ويستقبلوا باليقظة حظهم بفكر ثاقب ، وعقل رشيد ، ويتقدموا للاتفاق مع اخوانهم الايرانيين فليس بينهم ما يصح عليه الاختلاف فى المصالح العمومية ، فالجميع من اصل واحد وتجمعهم رابطة واحدة وهى اشرف الروابط رابطة الدين الاسلامى وليعلموا ان استمرارهم على التخالف جلب ويجلب الضرر عليهم وعلى اخوانهم الفارسيين وعلى اخوانهم المسلمين فى الهند وعموم سكنتها .

وعلى الفارسيين والافغانيين ان يراعوا الكلمة الجامعة والصلة الجنسية ولايجعلوا الاختلاف الفرعى فى المذهب سببا فى خفر الكلمة الاسلامية ، وقطع الصلة الحقيقية فليس من العقل والحزم ان يقام من خلاف جزئى علة لاضمحلال الكل .

قد علم كل من القبيلين ان الاختلاف بينهما هوالذي جلب على كل منهما ماجلب فعلى الافغانيين ان يجوزوا عن هذا الاختلاف الفرعى الى الوحدة الاسلامية ويمدوا سواعدهم لمحالفة اخوانهم ويجعلوا تلك الوحدة سياجا لاوطانهم وعدة لمكافحة اعدائهم ومنبعا فياضا لخير بلادهم وملاذا لجيرانهم ومثالا تنسج على منواله عموم المسلمين فى مشارق الارض ومغاربها فينالوا شرفاء فيعا ، ويورثوا اعقابهم مجدا مخلدا .

وليس ببعيد على هم الايرانيين وعلو افكارهم ان يكونوا اول القائمين بتجديد تلك الوحدة الاسلامية وتقوية الصلات الدينية كما قاموا فى بداية الاسلام بنشر علومه وحفظ

---

(1) خاطرات ص ٦١

احكامه . وكشف اسراره فلقد عملوا وما قصروا بل صرفوا قصاري الجهد فى خدمة الشرع الشريف وتوسلوا لذلك بأجل الوسائل .

نعم !! البخاري . ومسلم والنيسابوري والترمذي وابن ماجه وابوداود و البغوي وابوجعفر البلخى والكلينى وغيرهم ممن انبتهم اراضى ايران .

ابوبكر الرازي الطبيب الشهير والامام فخر الدين الرازي ممن نشئوا فى طهران ابوحامد الغزالى حجةالاسلام وابواسحاق الاسفراينى والبيضاوي وخواجه نصيرالدين الطوسى والابهري . وعضد الملة والدين وغيرهم من علماء الكلام والاصول ممن تفتخر بهم بلاد فارس . وهم فخر المسلمين .

ابوعلى ابن سينا الفيلسوف الشهير وشهاب الدين المقتول ومن كان على شاكلتهم ممن جبلوا من تراب فارس .

ان اهل فارس كانوا من اول القائمين بخدمة اللسان العربى وضبط اصوله وتأسيس فنونه منهم سيبويه . وابوعلى الفارسى والرضى ومنهم عبدالقاهر الجرجانى مؤسس علوم البلاغة لبيان اعجاز القران وفهم دقائقه على قدر الطاقة البشرية .

وصاحب الصحاح الجوهري من احدي قراهم ومجدالدين الفيروزابادي من احدي بلدانهم الزمخشري جارالله والسكاكى وابوالفرج الاصفهانى وبديع الزمان الهمدانى و غيرهم ممن بينوا دقائق القران وشيدوا الدين كلهم من ارض فارس .

الطبري اول المؤرخين والاصطخري والقزوينى اول الجغرافيين كانوا من بلادفارس

الشبلى كان من نهاوند وابوزيد البسطامى من بسطام والاستاذ الهروي وهو الاستاذ الحقيقى لشيخ الاكبر محى الدين بن العربى كان من هراة وكلها بلاد فارس .

هل ينس صدر الشريعة وفخر الاسلام البزدوي والامدي والميرغناني والسرخس وال
والسعد التفتازاني والسيد الشريف والابيوردي وكلهم من ابناء فارس .

القطب الشيرازي والصدر الشيرازي ورأس الحكمة في المتأخرين مير باقر الداماد
ولد امير فندركسي وغيرهم كانوا من بلاد فارس .

اي فضل كان ، ولم يكن لهم فيه اليد الطولى اي مزية من الله بها على الاسلام ولم
يكونوا من السابقين لا قتنائها ، نعم ، وفيهم جاء قول المصطفى صلى الله عليه وسلم لو
كان العلم لثريا لناله رجال من فارس .(١)

فالفارسيون اذا تذكروا اياديهم في العلم ونظروا الى اثارهم في الاسلام نهضوا
ليكونوا للوحدة الدينية دعامة كما كانوا للنشأة الاسلامية وقاية ، فهم بما سبق لهم احق
الناس بالسعي في استرجاع ما كان لهم في فتوة الاسلام وهم اجدر المسلمين بوضع اساس
للوحدة الاسلامية وما ذلك ببعيد على طيب عناصرهم وقوة عزائمهم .

الا ان حان وقت ندائهم بالوحدة مع الافغانيين والتحالف معهم على مقاومة العادين
ليكونوا بالاتحاد معهم حصنا حصينا وحرزا منيعا تقف دونه اقدام الطامعين .

الظنهم لم ينسوا ان استيلاء الانكليز على الممالك الهندية انما بوقوع الخلاف بينهم
وبين الافغانيين ، هل يخفى عليهم ان كل مسلم في الهند شاخص ببصره الى طرف بنجاب يعد
ينتظر قدومهم اذا اتحدوا مع اخوانهم الافغانيين .

حصلت لهم تجارب كثيرة وشهدوا من مظاهر الحوادث ما فيه اكبر عبرة فهل يصح

---

(١) مسند امام حنبل ج ٢ ص ٢٦٧ ، ٤٢٠ ، ٤٢٢ ، ٤٤٩

بعد هذا ان يستمروا على التجافى والتباعد مع علمهم ان الوحدة منبع الشوكة ·

هذا آن التاخى والتوافق هذه اوقات التحالف والتوافق احاط الاعداء ببلادهم شرقا وغربا وكل يشحذ سيفه ويسدد سهمه حتى يمكنه الفرصة من الغارة على اطراف بلادهم فلا يضيعوا الفرص وليعلموا ان باتفاق سلطنة الشاه مع امارة الافغان توجد قوة اسلامية جديدة فى الشرق ، تسرع للانضمام اليها والاتحاد معها سائر الطوائف الاسلامية مع امرائها وحكامها ، وينبعث فيهم وفى سائر المسلمين حياة جديدة وتجدد لهم امال جليلة وتنحشر بذلك ارواح المؤمنين وما اجلها نعمة واهيبها سطوة ، وامنعها قوة اذا توسط عقد تلك الوحدة الاسلامية صاحب الخلافة العظمى والامامة الكبرى جلالة السلطان فيسترد المغصوب من ملكهم ويسترجعوا المنهوب من اموالهم ويستعيدوا مجدهم وما بان من عزمهم ويرجعوا الملك الاسلامى كما كان مسيطرا ما بين نقطة الغرب الاقصى الى احشاء الصين فى عرض ما بين "قازان" من جهة الشمال وبين "سرنديب" تحت خط الاستواء وتعاد السيرة الاولى التى كانت لملوك الاسلام العظام الذين اداروا بشوكتهم اكثر المعمور من الكرة الارضية اولئك الذين ما كان يهزم لهم جيش ولا ينكس لهم علم ولا يرد قول على قائلهم · كان الخليفة العباسى اذا نطق بالكلمة خضع لها "فغفور الصين" وارتعدت منها فرائص اعظم الملوك فى اوروبا وكم نبغ فى القرون الوسطى من اقيال الملوك والسلاطين ، مثل محمود الغزنوى وملكشاه السلجوقى ، وصلاح الدين الايوبى ، وفى المشرق مثل تيمور الكركان وفى الغرب مثل السلطان محمد الفاتح والسلطان سليم والسلطان سليمان ·

كانت لاساطيل المسلمين سيادة لاتبارى فى البحار : الابيض والاحمر والمحيط الهندي ولها الكلمة العليا فيها الى زمن غير بعيد كان مخالفوهم يدينون لملكوت فضلهم

كما يذلون لسلطان غلبهم والمسلمون هم هم يملاؤن اليوم تلك الاقطار والامصار لا يعوزهم للعود الى ذلك المجد البارح والعز الشامخ الا وحدة تتم باذن الله . وفضل يعم بحول الله وما على الله امرعسير وهو جل جلاله على كل شيئ قدير نعم المولى ونعم النصير .(١)

استخراب السيد الافغانى من تطويل الشرقيين فى المقال والمماطلة بالافعال فى العصر الحاضر على عكس ما كان عليه السلف :

يقول السيد الافغانى :

وما زال معين الحكمة وحسن البيان مع الاعجاز فى الايجاز يجريان مع الدولة صعودا وارتقاء وانبساطا حتى اذا اتى دور التقهقر والانحطاط اخذ اللسان وحسن البيان وتلك البلاغة والفصاحة فى السقوط والسخافة وفساد التركيب وسقم المعانى وسوء اختيار الالفاظ لدرجة يتعذر على الغالب معها فهم المراد . ولا ارى حاجة للاتيان بامثلة . لاننا من المعاصرين لابتلاء اللسان بهذا الداء قال : خرجت من صلاة الجمعة فى المسجد الجامع فى البصرة وفى نفسى حسرة ان اسمع الخطيب اعرب ولو كلمة واحدة فى خطبة مكتوبة فى يده . فترحمت على سيبويه وعلمت ان كتابه البحر هو الذى اغرق البصريين و الكوفيين فنادى الاعراب معهم الى القعر هذا من حيث الاعراب واما من حيث المعنى فالى الله المشتكى .

منبر الخطابة فى المساجد الجامعة شيده المصطفى صلى الله عليه وسلم ليرتفع منه

---

(١) خاطرات ص ١٨٨ـ ١٩٠

صوت التعليم للمسلمين . والايقاظ وتحريك الهمة والحث على جمع الكلمة وما فيه سعادة الدارين يصير الى ما صار اليه اليوم وعلى منابر البصرة والكوفة ارتقى مثل اميرالمؤمنين علي بن ابي طالب وغير من اكابر الصحابة والتابعين بحور البلاغة وفحول الفصاحة وحسن البيان يرتقي ذلك المنبر اليوم اجهل الاعراب والعجم ويخطب الناس وقد ركبوا بعضهم احتشادا وغص بهم فناء الجامع على رحبه ولا تكون الخطبة الا « ان الورد اللطيف فتح من عرقه الشريف » وهكذا اكثر خطباء المنابر في الامصار فلا حول ولا قوة الا بالله .(١)

رأيه في المستعمرات والمستعمرين :

يحصل للضعيف من صدمة القوي دهشة ورجفة ويحدث من اثار العلم على الجاهل خشية فيقف بين هاتين القوتين مندهلا حائرا ، ذليلا صاغرا كما هوالحال مع اهل الاستعمار والمستعمرين اذ يمر الدور الاول بين تجبر وتكبر وعسف وجور واهل المستعمرات قد ادهشتهم المفاجأة واذهلتهم الصدمة فيقابلون كل قول بالسمع والطاعة ويفعلون ما يؤمرون بكمال الخضوع فيصادرون بمعنوياتهم من حرية شخصية وعزة نفسية وحرمة ملية او جامعة قومية ثم يأتي دور القضاء على ما ديانهم فيحرمون من خيرات بلادهم ومن كسب تجارتهم واستثمار مناجمهم وبالاجمال الحرمان المطلق من كل خير ، وانزال كل شر وضير ، فيرزحون اخر الامر تحت اثقال الضرائب وتتحمل اجسامهم مالا تطيق ، فعند الوصول الى هذا الحد من ارهاق الحد تظهر على الامة عندئذ بعض اثار الحياة وهو ما يشبه « الاختلاج » فاذا التقوا افرادا اخذ كل منهم ينظر الى الاخر فيهزون رؤوسهم هزا خفيفا ويفركون ايديهم

---

(١) خاطرات ص ١٦٤

فركا غير منتظم ويحكون رقابهم وأرباب اللحى منهم يسبلون لحاهم وينتفون عثنونهم هذه هي اول مظاهر الشعور ثم تجول الافكار ، وبعده يبدأ الهمس ثم الهذرمة ثم وثم . الى ان يعلو الصوت ويرتفع السوط ويحكم السيف ويأتي من بعده حكم العادل وهو سبحانه ولي المظلومين .(١)

رأي السيد الافغاني في تربية الطفل :

قال : اما الاطفال والصبيان فاحسنوا للاول تربية المراة واما الثاني (وهم الصبيان) فاغلقوا في وجوههم مدارس الحكومة وافتحوا لهم ابواب المكاتب الاهلية .

لانه لوسلم برنامج دروس مدارس الحكومة من سموم تدس في الدسم للوطن لا تسلم من ضرر ما تشحنه فيها من علوم قد لا يحتاجها المتعلم في عمله ، وفنون لا فائدة متحققة لمن تلقاها ، ولكنها بلاريب تترك التلميذ عليل الجسم فيخرج عليل العقل اليفا للنظر في الكتب خياليا وهاما نفورا من العمل جامدا فيما تعلم بليدا في كل ما يحاوله من العمل .

اما الوطنية او حب الوطن فهو الداء الذي تخشاه المدارس الاميرية او من كان تحت سلطة الاوصياء الاجانب منها فتحرم ذكر ما يؤول للوطن كيلا تصاب الطلبة بالعدوى منه وتعم بالنتيجة البلوى عليهم .

اما الطفل فيجب ان تتعهده الام رضيعا ، فطفلا بكمال الاعتناء الصحي ، ليكون صحيح الجسم صحيح العقل ، ثم ترضعه حب الوطن مع تدريجه بالعلوم اللازمة وعدم اطفاء نوره الفطري ، بتعليمه الكذب ~~وتجيبه~~ و تحبيب العمل اليه وتمرينه عليه مع رعاية سنه .

وبالاختصار تجعلون المدارس الاهلية الوطنية دور علم وعمل ، ولتكن تلك المدارس

(١) خاطرات ص ٣٠٠

بعيدة من مزدحم الخلق وفاسد الهواء · فسيحة الارجاء · متنسقة تقسيم البناء فكما يكون فيها عرف لتلقين العلوم هكذا يكون فيها اماكن لمزاولة العمل · · · · · · ·

كيفما ساروا واينما حلوا فلا يرون الاوحدة من سماء وارض وماء وحب لوطن واحد لا تبلبل السنتهم مختلف اللغات ولا تشتت كلمتهم تباين النزعات ولا تفعل فيهم اهواء اولى الغايات من ارباب تلك المدارس والمعاهد او ان شئت قل تلك المصايد وان كان منها بعض النفع · (١)

الحكم والامثال الادبية في كلام السيد الافغاني :

الحقائق لا تزول بالاوهام ·

الجبن لا يغني والشجاعة لا تغر ·

من دواعي الذل المسكنة · والسئود د مع عزة النفس ·

الامة ارضها الامل · وبنيانها العمل ·

ساقط الهمة من عد علم موقع الفضيلة وصدق الدعوة ولم يبادر اليها بل ينتظر ان يكون تابعا ومقلدا لغيره فيها ·

من سفه الراي ان يعتقد الرجل افضليته على الغير بالعمر والمشيب فقط ·

ربما افادت السنون تجاربا ·

الاقدمية لا تجدي الافضلية غالبا ·

الفخر بالقول المجرد يبطله المجد بالفعل ·

اثقل الاعباء محاولة الحسود ستر فضل المحسود ·

---

(١) خاطرات ص ٨٨

اثم شيئ على الانسان فضيلته ورذيلته .

من توهم الكمال تخونه الاعمال .

العاقل من اعتقد بعجزه ثم سعى للعمل .

الاعتماد على النفس والتوكل من اقوى عوامل الظفر .

ليس في الانسان عضو يتحرك لغير قصد وغاية فكل حركة يفعلها الانسان لا يعلم غايتها يحكم عليه الجهل .

قضايا الجهل في الانسان اكثر من قضايا علمه .

وعمر الانسان اقصر من ان ينيله ما يجب ان يعلمه .

النظام ما انتظم به شمل عالم متفرق يصرفه لوجهة نافعة .

لو لم يتنازع الخلق على الحق لما كان ثمة باطل .

القوة صنم مرهوب والضعف شيئ مربوب .

لا يؤمن بربوبية القوة الاشبح الضعف .(1)

احقر الناس من يطلب موت الناس ليحيا واعظمهم من يستميت ليحيي ولو واحدا من الناس .

عظمة الملك لا تكون بالتيجان و وقار العلم لا يكون بالطيلسان .

التسفل ايسر من الترفع .

ميسور للانسان فعل الاسود وممتنع على الاسود فعل الانسان .

الذل وصحيح العلم ضدان لا يجتمعان .

الاكفاء في العصر لا يكونون على الغالب اصدقاء .

---

(1) خاطرات ص ٢٧٣ . ٢٧٤

الفقر عدو الفضيلة . والثراء نصير الفضيلة .

لا خير في حق لا تدعمه قوة .

بئس الباطل المنصور .

تطويل المقدمات دليل على سقم النتائج .

حقيقة الانفة وعزة النفس عدم الاتكال على الناس .

الحجر خير من بشر يتعبد لغير علة . ويحابي بشرا مثله .

من رهب الملوك لغير جريرة فهو الصعلوك .

لا تطيب نفس الانسان بالتواضع الا اذا علم بعض العلم .

علماء العصر يظهرهم العصر وقادة الافكار تبرزهم الاخطار .

الافراط في التواضع دليل على الادعاء .

قلة الكلام لا تكون في الغالب دليلا على الكمال .

ليس في كل اختصار بلاغة .

صاحب الحق قوي ولو كان ضعيفا .

والمبطل ضعيف ولو كان قويا .

صاحب القلم لا يحتاج الى عصا .

الصامت عن حقه محروم .

من فتح له الباب ولم يدخل اولى بالطرد .(1)

صاحب الحاجة اذا لم ينطق بحاجته اولى بالخرس.

(1) خاطرات ص ٢٧٤ . ٢٧٥

قلما يلقيه يأتي الحق بدون عناء .

لذة استرداد الحق لا تضارعها هيبة والتهيب .

الانسان من وقر نفسه لا وعرف حق غيره من جنسه .

لا خير في انسان يفضله حيوان .

بعض الخلق يرضون بالموت خوف الموت ويلبسون لباس الذل خوف الذل .

الامة بأفرادها والشم بالتجرد عن النفع الذاتي وطلبه في النفع العام .

ما مات احد في حب امة الا احبته .

من احب حياة فليمت في سبيل حياة امته .

لا امة بدون اخلاق ولا اخلاق بغير عقيدة ولا عقيدة بغير فهم .

خير موازين الامم اخلاقها .

سؤدد الامة معقود بقادتها .

خير الاخلاق انكار الذات .

اعظم دلائل الانكار على الذات الاعمال .

الف قول لا يساوي في الميزان عملا واحدا .

طلاب الحكمة كثيرون ولكن ما اقل العاملين .

تقل العلماء متى كثر المتطفلون والمدعون .

اعظم دليل على اكبر المقدمة اهرة المرء بمخالفته المألوف اذا تحقق بطلانه ، العلماء و

العقلاء لا يصح ان يكونوا الكثرية في محيطهم .

حكيمان عاقلان في امة مجموعها مليون خير من الف متعاقل ومدعى حكمة فيها .[1]

ما استحكم الجهل الا وتفرقت الكلمة ولا كثر الادعاء المجرد بالصلاح والاصلاح الاوعم الفساد وشمل .

وضيع الحسب يستطيل بالقليل من المال على غيره .

الاصل عون والعرق جساس .

العلم الصحيح نسب صحيح بل وراثة للنبوة .

الراحة بالرضى والنصب بالطموح .

اسراف الانسان بصحته اضر من اسرافه بثروته .

اذا لم تساو الطبيعة بين الرجل والمراة بالتكوين فعبثا نحاول مساواتهما بالاقاويل .

لا مانع من السفور اذا لم يتخذ مطية للفجور .

قوة المراة بضعفها .

وباء الغرور افتك من وباء المرض .

خير ما يحتاجه الشرق من الملوك القوي العادل ولا خير في العادل الضعيف كما انه لا خير في القوي الظالم .

شر ادواء الشرقيين اختلافهم على الاتحاد واتحادهم على الاختلاف فقد اتفقوا على ان لا يتفقوا .

الاستقلال امل يتبعه عمل وحمل النفس على المكاره . واقتحام المهالك والمصاعب .

---

(1) خاطرات ص ٢٧٥ ، ٢٧٦

خير لون لراية الاستقلال دماء المجاهدين الابطال .

ترك ما كان سببا للصعود يؤدي الى الهبوط والسقوط .

اذا سادت الجهال ساءت الحال .

اذا خلا الميدان من العقلاء تسابقت الجهلاء .

العالم الفقير غني بعلمه والغني الجاهل فقير بجهله .

الأسد لا يعدم فريسة حيثما ذهب .

تبلغ المرأة بضعفها ما لا يبلغه الرجل بقوته .

الحرية تؤخذ ولا تعطى والاستقلال لا ينال بالأقوال .(١)

طالب الموت في سبيل حياة الوطن اما ان يموت بطلا شهيدا واما ان يعيش سيدا عزيزا .

من اعتقد ان لا حياة الا هذه الثانية فقد خسر الاولى والثانية .

اذا كانت حاجة اللون للرجل مرة فحاجته الى المرأة كرة .

عمل واحد تختص وتقوم به النساء تعجز عنه رجال الخبراء .

التكلف للسجع ينفر منه الطبع ويحسن وقعه اذا جاء عفوا .

اشد وطأة على الانسان من غربة اليد والوجه واللسان ان يصبح كحرف الحاء والدهر افرنجي .

عدم التشاكل من اعقد المشاكل .

لا يتم عمل والتآلف مفقود ولا يكون فشل والاتحاد موجود .

يأس الانسان من ان يجد له صديقا في الحياة كيأس الغريق من النجاة .

من شابر وكابر على تجربة الغدار اولى ان يتخذ عبرة .

---

(١) خاطرات ... ص ٧٦ ، ٧٧

بالضغط والتضييق تلتحم الاجزاء المبعثرة .

الازمة تلد الهمة .

انهزام العاقل من امام الجهلاء اولى من الظفر بهم .

بائع الدرر وبائع الفحم يتساويان بالاسم ويختلفان بقدر المباع .

الجاهل الحي ميت والعالم الميت حي .

كيف لا يفضل اضعف حيوان ناهق يذكر الله انسانا ناطقا ينكر وجود الله .

كيف يجرأ على انكار المعبود واجب الوجود من يأكله الدود .

اذا لم يتعظ الانسان بما فوقه من اجرام فليتعظ بما تحته من رفات الاجسام .

عد الناس معطي الذهب . وهو من التراب . ثوابا اسراف في الثواب .

التقي والورع والصالح من يعبد الله لا خوفا من جحيمه ولا طمعا في جنته بل لكونه الها يستحق العبادة والتقديس .

مهد جبروتية فرعونية تساق بسياسة بقروتية .

احقر صناعة لنداءات انفع من تقعر الجهال .

كان مقر الفقه في الرأس والصدر ثم انحدر ابى الجبة والسطر .[1]

القبة الجوفاء لا ترجع الا الصدي .

عمامة كالبرج وجبة كالخرج .

جمود بعض المتعممين اضربا لاسلام والمسلمين .

كان المقصود من النحو ان يكون الة فصيره جمود النحاة غاية .

---

(١) خاطرات ص ٢٧٧ . ٢٧٨

ولم يستعمل المتأخرون فى اغلب ما يكتبون بسوى احرف العلة والاجوف والمهوز وفاتهم الجزالة والسلالة .

من عجز عن اصلاح نفسه كيف يكون مصلحا لغيره .

العصامى قد يكون لمن يخلفه عظاميا والعظامى فقط يبقى وارثا للعظام .

اعتماد المظلوم على وعود الظالم بالكلام اقتل من المدفع الحسام .

امة ثبتت فى جهادها لاخذ الحق ساعة خير لها من الحياة فى الذل الى قيام الساعة .

اذا لم تتذمر الامة بشكواها من ظالميها بغير الكلام . فاحكم عليها بانها اضل من الانعام

امة تطعن حاكمها سرا . وتعبده جهرا لا تستحق الحياة .

الايمان واليقين ليس معناهما عبادة رؤساء الدين .

مقبرة العلوم خزانات الكتب .

العلم الحق فى الصدر الحى .

شر الازمنة ان يتبجح الجاهل ويسكت العاقل .

كم من منتصر لمظلوم وقع فى شرك الظالم .

المظلوم حى ولومات . والظالم ميت ولو عاش .

من تولى زمام امور الجمهور لاغنى له عن مرآة وكتاب تاريخ صحيح ، فكان المرآة تريه شخصه على علاته . هكذا التاريخ ينقل اعماله فى حياته .

كثير من الاباء يستميتون ليحيوا ابناءهم وقليل من الابناء من لا يستثقلون طول حياتهم و يستعجلون موتهم .(1)

(1) خاطرات ص ٢٧٨ . ٢٧٩

مهابة تصدر عن كرسى الحاكم لا عن عدله وفضائله اقرب للسخرية منها للاحترام .

اكثر امراء الشرق اذا القى احدهم فى اضيق جب من الاستعباد وحفظت له القابه الضخمة مجردة حسبه جنة عرضها السموات والارض .

المراة اذا اتخذت لفضلها شريكة للحياة نعمت الشركة واذا اتخذت لمحض الشهوات كانت شركا للمات .

حمال الحطب للاتجار انفع من حمال الذهب للادخار .

عيب الكبير كبير والجبن اقبح عيوب الملوك .

يحتاج الملك الجبان للصعلوك الشجاع .

تحتجب الحقائق عن الملوك بقدر تحجبهم .

العاقل من مثل فى نفسه مثال ما استحسن من غيره .

اقرب موارد العدل القياس على النفس .

الدين رادع عن رضى فى السر .

والسلطان وازع فى الجهر بالقهر .

من خبثت نفسه لان ملمسه وكثر ختله وخداعه .

الشباب جسر من جنون لا غنى للعقلاء من المرور عليه .

اعظم دليل على وجود قوة قاهرة فوق ارادة البشر تقوض عروش الملوك قهرا وموت نطس الاطباء رغما . وعجز الحكماء فعلا .

النعيم والجحيم يتجليان للانسان فى صور اعماله فيتنعم بالحسن منها ويتالم من القبيح .

كم من غنى محسود بمظهره فقير مقهور فى حقيقة امره .

السعادة فى الدنيا ضالة البشـر واذا وجدها احد قلما يدل عليها ولا اظنها من موجودات هذا العالم الفانى .

ربما تكون القناعة احدي اسباب السعادة ولكن ليس لها حد معروف . ولا شكل موصوف فالانسان مسرق فى كل شيئ . لذلك كثر بين الناس المفرطون وقل المعتدلون .(١)

يكفر الانسان فى كل شيئ يرضاه ويحبد كل شيئ يهواه .

من اعظم مجالي الحكمة المحافظة على الهيئة المتوسطة والفضائل بلاشك هيئات متوسطة بين خلقين ناقصتين .

الاحزاب السياسية نعم الدواء . ولكنها فى الشرق تنقلب غالبا الى شرالداء .

يتاءلف الحزب فى الشرق . يحمل على الامة غايات ومطالب شريفة فيناصرونه . ويكون الكل له اصدقاء فى البداية ثم تظهر الاثرة والانانية وحب الذات فينفرط عقد الحزب ويصير الكل له اعداء فى النهاية .

قاض فى الجنة وقاضيان فى النار .

اذا لم تنصف الحكومة القضاة احري بها ان تجعل الذئاب رعاة .

اذا كان القاضي يتظلم فكيف بالمظلوم لا يتاءلم .

انصاف القاضي قبل انصاف المتقاضي .

قرقعة السيوف بغير فتك والبخترة بلامة الحرب ابان السلم من الادلة على الجبن فى مواطن القتال .

قبول الدخلاء والمتطوعة فى الجيش مفسدة للنظام ، ومن عوامل الانهزام .

---

(١) خاطرات ص ٢٧٩ . ٢٨٠

قلما ينهزم جيش يتحلى قائده بالصبر والثبات واقتحام الموت قبل الجند .

القائد من قاد بأفعاله لا بأوامره . واقواله .

الامير بأفعاله خير من الأمير بامواله .

الاديب في الشرق يموت حيا ويحيا ميتا .

بينما الادباء في حياتهم افقر الفقراء فاذا هم بعد الموت يصيرون بالرثاء وحفلات التأبين اغنى الاغنياء .

نهض الغرب بالعلم والعمل وانحط الشرق بالجهل والكسل .[1]

التقيد [2] بنافع ثبتت منفعته اولى من التقيد بمألوف ثبتت مضرته .

ثمرة العقول لا تجتنى الا باطلاقها من قيود الاوهام .

من قال ان الدين يأمر بالعسر دون اليسر وبالضار دون النافع لمجرد التقليد والمألوف فهو كذاب .

عماء البصيرة اضر من عماء البصر .

كم من اعمى نبغ يحسده ويحسده المبصرون .

وكم من ابكم باشاراته افصح من عي بكلماته .

الهيئات في الاجتماع حكومية كانت او غير حكومية انما هي خليط من افراد يجب مراعاة التشاكل فيها والتجانس والا فسد الخليط .

ولا يجتنى الشهد من الحنظل .

---

(١) خاطرات ص ٢٨٠ ، ٢٨١

(٢) في الاصل : التقليد . (خاطرات) ص ٢٨١

المعوج الظاهر من الناس اقل ضررا من المتلبس بالاستقامة .

من ظن انه خدع الناس بالباطل يكون اول مخدوع .

الاعمى من يظن ان جميع الناس بدون ابصار .

لو لا الزرع ولو لا الضرع لما كان سرف الاغنياء ولا ترف الامراء .

موقف الزراع والصناع من الحضارة انفع من موقف الامارة .

را'ينا شعبا يعيش بدون ملك . ولكن ما را'ينا ملكا يعيش بدون شعب .

~~[illegible]~~ حاجة الملك الى الامة اشد من حاجة الامة الى ملك .

للعلم قشور ولباب فالواقف على القشور يغرق فى بحر الغرور .

المغرور من لا يرضى الا عن نفسه . وعما يصدر عنه قولا كان او عملا .

المبتدي فى اوليات العلوم يظن انه تبحر فيها و انتهى . والراسخ المحقق فيعتقد انه ما زال فى الابتداء .

محدث النعمة بالمال يستعرضه فى كل مكان ومحدث النعمة بالعلم يقيه يلقيه على كل انسان .[1]

اظهر الاداب واليقها بالعلماء والمعلمين عدم قطع الكلام الحديث على المتكلم وتركه يتم ما يريد ان يرويه من غير ان يسبقه اليه ولو كان من منسياته .

لو حاسب الانسان نفسه كما يحاسب غيره لقل خطؤه وقرب من الكمال .

من الغرائب فى طبائع الانسان انه اذا رضى استحسن القبيح واستهل الصعب واذا غضب عكس الامر . فيستقبح الحسن . ويستصعب السهل . فلو مزج الانسان ساعة رضاه فى ساعة

---

(١) خاطرات من الغد ٢٨١ ، ٢٨٢

غضبه لوقع على الهيئة المتوسطة وفاز بالفضيلة . قيد الاغلال اهون من قيد العقول بالاهوا.

العقل اشرف مخلوق فهو عالم الصنع والابداع ولا معطل له الا الوهم ولا يقعده عن عمله الا الجبن وهو الذي يخيل المفقود موجودا . والقريب بعيدا .

كل عناصر الوجود فى هذا العالم الفانى خاضعة للعقل المطلق الانسانى .

فكل مستحيل اليوم فى الطب والصناعة سوف يكون غدا ممكنا .

الشركة شرك فاذا لم يصطلو الشركاء به غيرهم اصطادوا بعضهم .

الحقيقه ما ثبتت رتقابت على الاوهام .

المصلح الزعيم من لا يفر ولا يتضعضع من اذية اللئام .

سجن الظالمين للمصلح رياضة ونفيهم له سياحة وقتلهم له الشهادة وهى اسمى المراتب

الفصل فى نزاع نساء البيت ينغص الحياة .

اعدل قضاة فى الدنيا يعجز عن ارضاء متخاصمتين من النساء على رجل او شيئ .

اعقل الاباء من لا يساكن اولاده بعد الزواج ويستعيض بالتزاور عن التجاور .

الام تسعى وتتصور من وراء زواج ولدها النعيم . فان زوجته ترى نفسها فى الجحيم . (١)

قل من رأيت من الرجال من يعرف الهناء بغير النساء وندرتهم من لا ينسب شقاءه اليهن والاقرب الصواب ان يقال فيهن ما قيل فى الاولاد . وجودهم بلاء وبلاهم بلاء .

القوى من الشجر لا يعجل بالثمر .

ينعوج الشرقى بانعواج حاكمه ويستقيم اذا هو استقام .

---

(١) خاطرات ص ٢٨٢ . ٢٨٣

لا ينطبق على الشرقيين قول « مثلما تكونوا يولى عليكم » بل حق عليهم قول « مثلما يولى عليكم تكونوا » .

الاجرب يعدي السليم . والمرتكب يعدي المستقيم .

من الصعب وضع حد للعفة وحصرها بداية انتهاء . فالعفيف في الماديات مثلا اذا عف عن اخذ الف دينار كيف يكون موقفه عند المليون اذا عرض عليه .

اول صفة رافقت الانسان الاول الطمع وفيه العناء وليس له حد والقناعة وفيها الهناء وحدها وان كان كما قالوا : الاكتفاء بالموجود وترك التشوق للمفقود ولكن لا يحصل لها احد العربية وسعها البدو في البراري والقفار وضيقها الحضر في المدن والامصار .

خذ القياس ودع النادر .

لا يحق للسماعي والقياس ان يمنع احدهما الاخر .

اذا جاز بالسماعي ان ينحرف لم لا يجوز بالقياسي ان ينحرف .

العلم قد يكون في الاحداث ولكن التجارب لا تكون الا في الشيوخ .

بالعدل والمساواة الوفاق والوئام وبالاثرة والانانية التفرق والخصام .

ما اقل المجتهدين في السلف وما اكثرهم في الخلف .

عفى من الادواء والامراض ما هي عند اكثر الناس نعمة تفوق نعمة العافية . (١)

---

(١) خاطرات ص ٢٨٣ . ٢٨٤

رسالة

من السيد جمال الدين الافغاني الى عبد الله فكري باشا

مولاي ان نسبتك الى هوادة فى الحق ، وانت تقدست جبلتك فطرت عليه و تخوض الغمرات اليه . فقد بعت يقيني بالشك ، وان توهمت فيك حيدانا من الرشد ، و جورا عن القصد ، وانا موقن انك لازلت على السداد غير مفرط فقد استبدلت علمي بالجهل ولو قلت انك من الذين تأخذهم فى الحق لومة لائم ، وتصدهم عن الصدق خشية ظالم و انت تصدع به غير وان ولا ضجر ولو ألب الباطل الكوارث المردية واضري عليك الخطوب الموبقة ، لكذبت نفسي وكذبني من يسمع مقالتي لأن العالم والجاهل والفطن والغبي كلهم قد اجمعوا على طهارة سجيتك ونقاوة سريرتك واتفقوا على ان الفضائل حيث انت . والحق معك اينما كنت ، لا تفارق المكارم ولو اضطررت وانت مجبول على الخير لا يحوم حولك شر ابدا . ولا تصدر عنك نقيصة قصدا ، ولا تهن فى قضاء حق ولا تنى عن شهادة صدق ومع هذا وهذا وذاك انك مع علمك بواقع امري وعرفانك بسريرتي وسري اراك ماذدت عن حق كان واجبا عليك حمايته ولا صنت عهدا كانت عليك رعايته وكتمت الشهادة وانت تعلم انى ما اضمرت للخديو ولا للمصريين شرا ولا اسررت لأحد فى خفيات ضميري ضرا ، وتركتني و اينات النذل اللئيم عثمان باشا الضابط حتى تهشني نهش السبع الهرم ضغينة منه على السيد ابراهيم اللقاني و اغراء من اعدائي احزاب عبد الحليم باشا وما هكذا الظن بك ولا المعروف من رشدك وسدادك ولا يطاوعني لساني وان كان قلبي مذعنا بعظم منزلتك فى الفضائل ، مقرا بشرف مقامك فى الكمالات ان اقول عفا الله عما سلف الا ان تصدع بالحق ،

وتقيم الصدق وتظهر الشهادة ، ازاحة للشبهة وادحاضا للباطل واخزاء للشر واهله . واظنك قد فعلت اداء لفريضة الحق والعدل ثم اني يا مولاي اذهب الان الى لندن و منها الى باريس مسلما عليكم وداعيا لكم وارسلت العارف [1] الى صاحب الدولة رياض باشا لقبض اموالي وكتبي التي بقيت في مصر وارسلت الى جنابه مكتوبا اظهرت فيه تفصيل ما جرى علي في مصر ، وما ابتليت به في البلاد الهندية ، وارجو من عميم فضلك وواسع كرمك ان تنظر الى (العارف) بنظر العناية وان تساعده في الامر الذي ارسل لاجله . والسلام عليكم وعلى اخي الفاضل البار امين بك . [2]

١٨ الصفر سنة ١٣٠٠هـ (سنة ١٨٨٣م)   جمال الدين الافغاني

---

(١) هو العارف ابو تراب تابع الافغاني ومريده .

(٢) الاعمال الكاملة لجمال الدين الافغاني . محمد عمارة ص ٤٨١ ، ٥٤٠

(صورة فوتغرافية)

المقصد الحادي عشر

السيد بين مادحيه وناقديه

السيد جمال الدين بين مادحيه وناقديه :

قال الاستاذ ا ٠ ج ٠ براون ٠

"كانت فصاحته لا تجاري — خطيبا كان ام كاتبا — وكان لطلعته هيبة في النفس وعظمة وجلال ، كان فيلسوفا وكاتبا وخطيبا وصحفيا".(١)

وقال اللغوي الكبير ابراهيم اليازجي في مجلة البيان :

"هو خطيب الشرق الذي رنّ في الخافقين صدى خطابه ، واماه الذي ابنثقت انوار الهدى اليقين من سماء محرابه ، واستاذ علومه الذي ما فتئت الحكمة تتدفق بين فؤاده ولسانه ، وتطلع شموس البلاغة من بين خاطره و بيانه ، وتجري مناهل العرفان بين اقلامه وبنانه".(٢)

وقال اديب اسحق :

"ومن عجائب ذكائه تعلم الفرنسية في اقل من ثلاثة اشهر بلا استاذ الامن علمه حروف هجائها في يومين ، وكان يتتبع حركة المعارف الاوروبية والمكتشفات العصرية ويلم بما وضع اهل العلم وما اخترعوه جديدا حتى كأنه قرأ العلم في بعض مدارس اوربا العالية".(٣)

وقال الامام محمد عبده :

"وكفاك شاهدا على علمه انه ما خاصم احدا الاخصمه ولا جادله عالم الا ألزمه وقد اعترف له الاوروبيون بذلك بعد ما اقر له الشرقيون وبالجملة فاني لو قلت : ان ما اتاه الله من

(١) الف — الثورة الفارسية :( ) ص ١٣٠

ب — جمال الدين الافغاني محمد ابورية ص ٢٣٣

(٢) المصدر السابق ص ٢٢٣

(١)
من قوة الذهن وسعة العقل ونفوذ البصيرة هو اقصى ما قدر لغير الانبياء لكنت غير مبالغ»

قال الفيلسوف الفرنسي رينان

« انه خير دليل يمكن ان نسوقه على تلك النظرية القائلة بأن قيمة الاديان بقيمة الاجناس التي تعتنقها » (٢)

قال الكاتب الفرنسي الشهير هنري رشفور :

«السيد جمال الدين الافغاني من سلالة النبي ويكاد هو نفسه يكون نبيا ، وقد عرفت هذا الرجل ، فاهتزت له جوانبي طربا وخفق له قلبي حبا كما يخفق بالحب لكل داع الى ثورة او مناهض لسلطة» (٣)

قال الكاتب الكندي الكبير وليام مكلوري :

«كانت اقوى مشاعل حركة التنوير القومي والفكري والاديني في الشرق هي التي حملها جمال الدين الافغاني ، الذي تخرج على يديه في مجالسه الكثيرون من ابناء مصر ، والبلاد العربية» (٤)

قال لوثروب ستودارد الامريكي :

---

(٣) جمال الدين الافغاني . باعث النهضة الفكرية في الشرق ص ٢٣١ .

---

(١) الف ـ المصدر السابق ص ٢٣١

ب ـ جمال الدين الافغاني محمد ابوريه ص ١٥

(٢) جمال الدين الافغاني ـ محمد ابوريه ص ١٥

(٣) ايضـــــا ص ١٨

(٤) ايضـــــا ص ١٨

كان جمال الدين سيد النابغين الحكماء ، وأمير الخطباء البلغاء وداهية من اعظم الدهاة دامغ الحجة ، قاطع البرهان ، ثبت الجنان متوقد العزم شديد المهابة كأن في ناسوته اسرار الفنطيسية». (١)

قال المستشرق الانجليزي جب في التعليق على قول الدكتور اقبال :

« اقبال يري ان جمال الدين كان انسانا ، له نظرة عميقة في تاريخ الفكر الاسلامي والحياة الاسلامية ، لذلك كان يعتقد ان جمال الدين لوركز قوته الذهنية في خدمة الاسلام كنظام للتوجيه الانساني ، والحياة الاعتقادية للانسان لوجد العالم الاسلامي اليوم على اساس اقوي بكثير»

ان العمل الوحيد الذي نشر لجمال الدين هو كتاب الرد على الدهريين، وهو عمل لايوحي مطلقا بأن جمال الدين انسان ، له هذه الاستطاعة العقلية على نحو ما تنبأ اقبال ». (٢)

قال الخليفة عبد الحميد :

وقعت في يدي خطة اعدها في وزارة الخارجية الانجليزية كل من مهرج اسمه جمال الدين الافغاني ، وانجليزي يدعى بلنت ، قالا فيها بانتهاء الخلافة عن الاتراك ، واقترحا على الانجليز اعلان الشريف حسين امير مكة خليفة على المسلمين». (٣)

---

(١) حاضر العالم الاسلامي ـ (ترجمة عجاج نويهض) ج ١ ص ١٣٥

(٢) الف ـ (The Modern Trends in Islam.) (الاتجاهات الحديثة في الاسلام) ص ٢٨ ـ ٢٩ .

ب ـ الفكر الاسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي . البهي ص ٧٧

(٣) مذكرات السلطان عبد الحميد ـ محمد حرب ص ٦٧

ولا غرو من كلام "جب" وكلام السلطان عبد الحميد، فالأول كان انجليزيا، وكان السيد بالاستمرار يهاجم الانجليز، ويكره الاستعمار البريطاني، ويدعو المسلمين الى الاتحاد والغلبة ونبذ الاستعمار البريطاني من العالم الاسلامي، وكان يصف الانجليز بالختل والخداع والمكر والكذب والظلم ولذا قال "جب" ما قال، واما الثاني وهو السلطان عبد الحميد فكلامه هو يناقض ما يقول في شأن السيد جمال الدين الافغاني، لأنه وصف السيد الافغاني بأنه مهرج، اي مشاغب، ويذكر انه عثر على خطة لاسقاط الخلافة عن الاتراك، اي عن السلطان عبد الحميد، لأنه كان خليفة اذ ذاك، ويقول ان جمال الدين كان له يد في ذلك، فلهذا وصفه بالمهرج، لا لشيئ اخر وانما الاغراض ذاتية في نفس السلطان عبد الحميد، ولا عجب فان السلطان عبد الحميد كان اذنا، يسمع ريبة فيعتبرها حقيقة، ويخاف من كل ظل .

وحقا كان السيد الافغاني رجلا كبيرا عميقا في علمه وادبه وفلسفته وكان في الواقع مصلحا دينيا كبيرا، وكان صاحب دعوة شاملة لتوحيد المسلمين واسترداد قوتهم وشوكتهم، وتنويرهم بنور العلم والمعرفة ونبذ الاوهام والخرافات عن تعاليم الاسلام الصافية .

المقصـــد الثاني عشـــــر

اثر السيد الاصلاحي والاجتماعي

ان دعوة السيد كانت دعوة دينية بمعناها الاوسع، لانها كانت دعوة الاسلام ، والاسلام دين يراعي جميع الشئون الانسانية ، في جميع مرافق الحياة ، دينية كانت او سياسية ، علمية كانت او ادبية اقتصادية او اجتماعية .

فالسيد كما خدم في المجالات السياسية والدينية والادبية خدم في المجال الاجتماعي ايضا ولا يمكن لانسان ان يفرق بين هذا وذلك او ان يفصل هذا عن ذلك ، و انما كل هذا وذاك وحدة واحدة متكاملة متعددة الاطراف والجهات متحدة المعنى و المغزي .

وعلى كل فبعض مما قام به السيد في المجال الاصلاحي والاجتماعي للاسلام والمسلمين خاصة والانسانية عامة هو اصلاحاته المتعددة التي قام بها في افغانستان ، وتكوين جمعية ام القري في مكة المكرمة/ والجمعية الوطنية الخيرية المذكور سابقا تفصيل ما قام به هذه والجمعية من الخدمات الاجتماعية وحلقات الدروس في مصر و ايران والاستانه ، وانشاء الصحف والكتابة فيها، وايقاظ الناس من نوم الغفلة والقاء المحاضرات في الموضوعات العلمية والاجتماعية ومكافحة الخرافات والامراض الاجتماعية المنتشرة في المجتمع الاسلامي من اليأس والقنوط والخمول والكسل والغدر والخيانة والنفاق والكذب والمكر والخداع والارتشاء والاثرة والوجل والتدليس ودعوة الناس الى التعاليم الاسلامية الصافية والاخلاق الفاضلة ، والمحاولات المتواصلة لبث الحلول في الشرقيين عامة والمسلمين خاصة واعداد الشخصيات والتلاميذ لخدمة العلم والانسانية عامة والاسلام والمسلمين خاصة والعمل المستمر لتكوين المجتمع الاسلامي القوي القائم على العدل والمساواة.

ويكفيه فخرا ان ايقظ المجتمع الاسلامي والشرقي من نوم الغفلة ونبهه الى ما فيه

خيره وخير الانسانية جمعاء .

وعلى كل فقد مات السيد الافغانى فى الاستانه، وانتقل الى جوار ربه ، ولكن دعوته وحركته لم تمت ، وهى دعوة الحق .. دعوة الاسلام وسوف تبقى الى الابد، وسوف يخلد اسم السيد الافغانى ، وظهر اثر السيد فى الحركات والدعوات الآتية :

١) حركة الاستاذ الامام محمد عبده فى مصر ، وهى حركة الاصلاح الدينى والدعوة الى تحديد المفاهيم فى الاسلام .

٢) فى جمعية علماء الجزائر (لموسسها المرحوم عبد الحميد بن باديس المتوفى ١٩٤٠م)

٣) فى حركة تجديد " المنار " فى اندونيسيا .

٤) فى ندوة العلماء (لكهنو لموسسها محمد شبلى النعمانى المتوفى ١٩٤١م)

٥) فى دار العلوم ديوبند .

٦) فى حركة الدكتور محمد اقبال فى شبه القارة الهندية والتى تعرف بحركة اصلاح الفكر الدينى بتجديد الفكر الدين فى الاسلام .

٧) فى حركة الاخوان المسلمين فى مصر .

٨) فى حركة جماعة اسلامية فى باكستان (لموسسها "مولانا ابو الاعلى المودودي" المرحوم) .

واري ان السيد مولانا ابا الاعلى المودودي رحمه الله تعالى كان قد تاثر من اراء السيد جمال الدين الافغانى ، وذلك لما اجد من التقارب والتشابه فى الاسلوب والتعبير والغيرة على الدين الاسلامى .

٩) الحركة الاسلامية (لمؤسسها العلامة الخميني وقائد الثورة الاسلامية الحاضرة) وجميع الحركات المذكورة هي تهدف الى هدف واحد وهو دعوة المسلمين الى الوحدة والشوكة والغلبة في جميع ميادين الحياة ، ونبذ الاستعمار ومقاومة الاتجاهات الفكرية اللادينية الهدامة المفسدة للاخلاق والمبيدة للمجتمع الانساني الفاضل .(١)

---

(١) الفكر الاسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي البهي ص ٨٠

خـــاتمـــة

خاتمـــة :

هذا ما وسعني ان اكتب عن السيد جمال الدين الافغاني ، عن مولده وجنسيته ونشأته ، وتعليمه ، وجولاته في البلدان المختلفة واعماله الجليلة التي قام بها في سبيل خدمة الانسانية عامة والشرقيين والمسلمين خاصة والتي تحمل في سبيلها ما تحمل من المشاق والمنفى والنفي والتشريد .

فقد بينت جنسيته بالتفصيل وأتيت فيها بالادلة والبراهين الساطعة و اوضحت الامر كمال الوضوح حسب استطاعتي ، وبينت جوانب حياته الاخري ، وتحدثت عن رسالته العظمى الاوهي رسالة توحيد المسلمين ودعوتهم الى التكتل والعودة الى القران الكريم ، ونبذ الاستعمار البريطاني الغاشم ، وحاولت حسب استطاعتي ان اتكلم عن عظمة هذا الشخص في جميع نواحي حياته الفكرية والدينية والسياسية والاجتماعية الا ان الاحتواء على كل هذا وكلما يتعلق بحياة وعظمة واعمال السيد جمال الدين لم يكن ممكنا لشخص مثلي ، ولذا القيت الضوء على خدمات السيد الدينية والادبية لأن الخدمات الدينية كانت محور دعوة السيد ، و بالاحري كانت روح دعوته ومغزاها او ان حركته ودعوته كانت في جوهرها دينية صافية واما الخدمات الادبية فهي كانت حلية ، واداة و زينة للخدمات الدينية لأن الاسلوب الادبي هو الذي يكسو الموضوع لباس الزينة والقبول ، لباس التأثير والاثارة كما ان الخدمات الادبية التي اداها السيد كانت نواة للنهضة الادبية في البلاد العربية قاطبة ، لأن الادب قبل السيد لم يكن لخدمة الشعوب وانما كان الادب لاجل الادب ، او لأجل الامراء والسلاطين في القصور ، اما الادب العربي خاصة فقد وجهه السيد لخدمة

الشعب وخدمة الوطن وخدمة الدين فحقا كان السيد جمال الدين ابا جميع النهضات الفكرية والدينية والادبية في مصر، وبقية البلاد العربية والاسلامية .

وهذه الخدمات الدينية والادبية لها اثار خالدة الى الان وتظهر اثارها من وقت لاخر في اشكال مختلفة وصور متعددة في انشاء المدارس حينا وتكوين الجمعيات والاحزاب حينا اخر، وحدوث الثورات والاصلاحات .

ومهما حاول الانسان ان يكتب عن السيد جمال الدين الافغاني، لكنه لا يمكن له ذلك، لأن السيد كان كما قال الاستاذ محمد عبده حقيقة كلية، كان كاتبا خطيبا مصلحا دينيا مفكرا عظيما سياسيا كبيرا، عالما جليلا، صاحب رسالة عظيمة شاملة سياسية دينية فكرية ادبية وعلى كل فالانسان عليه ان يبذل مجهوده ويؤدي ما عليه من الواجب نحو السيد الافغاني نحو الدين والادب نحو العلم والمجتمع وهذا ما قمت عليه بنية خالصة وهمة راسخة وعزم اكيد مستعينا بالله العظيم، راجيا المولى القدير ان يوفقنا لما يحب ويرضى، والصلاة على نبيه المصطفى، آمين .

المراجع والمصادر المستفاد منها

الرقم	اسم الكتاب	المؤلف	مكان الطبع
	العربية :		
	(ا)		
١)	الاسلام فى القرن العشرين	عباس محمود العقاد	بيروت
٢)	الاسلام والتجديد فى مصر	الدكتور ادمز (تعريب العقاد)	مصر
٣)	اشهر مشاهير ادباء الشرق	شكيب ارسلان	مصر
٤)	اشهر مشاهير ادباء الشرق ج ٢	محمد محمد عبد الفتاح	مصر
٥)	اعلام الاسلام	عبد الوهاب سكر	حلب
٦)	الاعمال الكاملة للسيد جمال الدين الافغانى	محمد عمارة (١٩٦٨م)	مصر
	(ب)		
٧)	البينات ج ١	عبد القادر المغربى	مصر
	(ت)		
٨)	تاريخ الامام ج ١	رشيد رضا	مصر
٩)	التاريخ السري لاحتلال انجلترا مصر	بلنت (الترجمة العربية) ١٩٢٩م	مصر

١٠)	تاريخ العرب ج ٣	الدكتور ادوارد جرجى وغيره	بيروت

(ث)

١١)	الثائر الاسلامى جمال الدين الافغانى (سلسلة شبان المسلمين)		مصر

(ج)

١٢)	جمال الدين الافغانى	محمد ابوريه (١٩٦١م)	مصر
١٣)	جمال الدين الافغانى باعث نهضة الشرق	عبدالرحمن الرافعى	مصر
١٤)	جمال الدين الافغانى	عبدالقادر المغربى	مصر
١٥)	جمال الدين الافغانى باعث النهضة الفكرية فى الشرق	محمد سلام مدكور	مصر

(ح)

١٦)	حاضر العالم الاسلامى	لوثروب ستوارد (تعريب عجاج نويهض)	مصر
١٧)	الحركات الحديثة	ولسن (الترجمة العربية)	مصر
١٨)	الحكيم الثائر جمال الدين الافغانى	محمد سلام مدكور (١٩٦٢م)	مصر

(خ)

١٩)	خاطرات جمال الدين الافغانى	عبدالعزيز سيد الاهل (١٩٦٩م)	مصر
٢٠)	خاطرات جمال الدين	محمد المخزومى باشا	بيروت

(د)

٢١) دائرة المعارف الاسلامية — طهران

٢٢) دائرة المعارف ـ القرن العشرين ج ٣ — محمد فريد وجدي (١٩٦٧م) — مصر

٢٣) الدرر — اديب اسحاق — مصر

٢٤) درس اللغة والاداب — محمد مهدي — ايران

(ر)

٢٥) الرد على الدكتور الوردي — غلام حسين الموسوي الافغاني بغداد (١٩٧٢م)

٢٦) رواد الوعي الانساني — عثمان امين — مصر

(ز)

٢٧) زعماء التحرير فى الاسلام — عمر ابو النصر (١٩٦٨م) — بيروت

(ص)

٢٨) صيحة جمال الدين الافغاني — محمد ابوريه — مصر

(ع)

٢٩) العروة الوثقى — البستاني (١٩٥٧م) — مصر

٣٠) عصر اسمعيل ج ٢ — عبد الرحمن الرافعي — مصر

(ف)

٣١) الفكر الاسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي — الدكتور محمد البهي — مصر

٣٢)	فى جنة الفردوس مع سبعة من زعماء الشرق	محمد رضوان احمد	مصر
٣٣)	فيض الخاطر	احمد امين (١٩٥٦م)	مصر
	(ل)		
٣٤)	ليالي سطيح	حافظ ابراهيم	مصر
	(م)		
٣٥)	مجالى الاسلام	استاذ بامات (١٩٥٦م)	مصر
٣٦)	محمد عبده	عباس محمود العقاد	مصر
٣٧)	مذكرات السلطان عبد الحميد	محمد حرب عبد الحميد	مصر
٣٨)	مشاهير الشرق ج ١ ، ٢	جرجي زيدان (١٩١١م)	مصر
٣٩)	مصر الحديثة قبل الاحتلال البريطانى وبعده .	عبد العزيز بدر (١٩٢٣م)	مصر
٤٠)	مقدمة الرد على الدهريين	محمد عبده (١٩٣٥م)	مصر
٤١)	المكافحون	عبد الرحمن الخميسى	مصر
	(ن)		
٤٢)	نابغة الشرق السيد جمال الدين الافغانى .	محمد سعيد عبد المجيد الافغانى (١٩٦٧م)	مصر
٤٣)	نصوص مختارة من الفلسفة الاسلامية .	محمود قاسم	مصر
٤٤)	نفحات عن حياة السيد جمال الدين الافغانى (مخطوطة)	محمد امان خان صافى	مصر

٤٥) نوابغ الفكر العربي ــ جمال الدين الافغاني | محمد ابو ريه (١٩٦١م) | مصر

٤٦) نوابغ الفكر العربي ــ محمود سامي البارودي . | عمر الدسوقي (١٩٥٣م) | مصر

الفارسية :

(ت)

٤٧) تاريخ بيداري ايرانيان | ناظم الاسلام كرماني (١٣٤٦هـ) | ايران

(پ)

٤٨) پيشررو نهضتها جمال الدين افغاني | نجف ــ ايران

(ح)

٤٩) حياة سيد جمال الدين افغاني | محمد امين خوكياني | كابل

(د)

٥٠) داستانهائي از بزرگان اسلام | محمد على | ايران

(ر)

٥١) رهبران مشروطه | ابراهيم صفائى | ايران

(ش)

٥٢) شرح حال واثار سيد جمال الدين اسدابادي . | مرزا لطف الله خان (١٩٢٦م) | برلين

(ف)

٥٣) فرهنگ جيلاني — السيد مرتضى — طهران · ايران

(ك)

٥٤) الكنى والالقاب — الشيخ عباس القمي — ايران

(گ)

٥٥) گفتار خوش يار قلى — محمد محلاتي غروي (١٣٤٠هـ) — النجف

(م)

٥٦) مجلة خواندنيها لسنة ٢٥ ــ عدد ٥ — ايران

٥٧) مجلة يادكار الايرانية لسنة ٣ العدد ٤ — محمد القزويني ـ — طهران ـ ايران

٥٨) مجموعة (اسناد ومدارك) — اصغر مهدوي (١٣٤٢هـ) — ايران

الارديـــة :

(ا)

٥٩) اثار جمال الدين — قاضي عبد الغفار (١٩٤٠م) — دلهي الهند

(ت)

٦٠) تتمة البيان في تاريخ الافغان — جمال الدين الافغاني (ترجمة مولوي محمود علي خان) — لاهور

(ح)

٦١) حياة جمال الدين افغاني — رضا همداني (١٩٦٢م) — لاهور الهند

٦٢)	حياة جمال الدين افغانى	مرزا اديب (١٩٥٩م)	لاهور

(س)

٦٣)	سيرة جمال الدين افغانى	سيد ذاكر اعجاز (١٩٧٠م)	لاهور
٦٤)	سيرة جمال الدين افغانى	مولانا عبدالصمد صارم (١٩٦١م)	لاهور

(م)

٦٥)	مشاهير افاغنه	مولوي عبدالمجيد (١٣٣٨هـ)	اكره . الهند
٦٦)	مضامين جمال الدين افغانى	حافظ محمد عبدالقدوس	لاهور
٦٧)	مقام جمال الدين افغانى	تشودهري محمد اقبال سليم كاهندري	كراتشي
٦٨)	مقدمة تاريخ افغانستان (جمال الدين الافغانى)	ترجمه مولوي محمودعلى خان (١٣٤٢هـ)	لاهور

البشتية :

(ت)

٦٩)	تذكرة السيد جمال الدين الافغانى .	قاضى عبدالحليم اثر	بشاور

(د)

٧٠)	د جمال الدين افغانى حالات او خيالات .	فضل حق شيدا (١٩٤٨م)	بشاور

(س)

٧١) سيد جمال الدين افغانى نعبر بشتو اكيديمى بشاور

الانجليزيـة :

(٧٢ THE PERSIAN REVOLUTION OF 1905-1909
By E.G. Browne.
(الثورة الفارسية ـ براون ـ كيمبردج)

مراجع وكتب اخري فيها بحث عن السيد جمال الدين الافغانى (١)

الرقم	اسم الكتاب	المؤلف	مكان الطبع

العربيـــة

(١)

١)	اثار جمال الدين الافغانى	اصمعى	مصر
٢)	احمد زكى (سلسلة الاعلام)	انور جندي	مصر
٣)	احمد لطفى	الدكتور حسين فوزي النجار	مصر
٤)	ادب اللغة (مذكرة)	النواوي وعتيبة	مصر
٥)	الادا ب الماسونية	شاهين مكاريوس	[illegible]
٦)	اسباب الثورة العرابية	محمد عبده	مصر
٧)	اسرار الماسونية	شاهين مكاريوس	•
٨)	افغانى وعبده	قدوري	لندن
٩)	اقلام ثائرة	حسن الشيخة	مصر

(١) الف ـ من مقال للدكتور سعيد الله قاضى فى مجلة بشتو العدد الخاص افغانى نمبر بشتو اكيديمى جامعة بشاور جمادي الاول ١٣٩٨ هـ ابريل ١٩٧٨م •
ب ـ تذكرة د سيد افغانى ـ عبدالحليم اثر ـ بشاور
ج ـ نابغة الشرق السيد جمال الدين الافغانى ـ سعيد الافغانى مصر

١٠)	ام القري	الكواكبي	•
١١)	الامير شكيب ارسلان (دارالمعارف)		مصر
	(ب)		
١٢)	البركان الثائر	فتحى الرملى	مصر
	(ت)		
١٣)	تاريخ الافغانى فى احوال الملوك والامراء الافغانيين •		مصر
١٤)	تاريخ الحركة القومية	عبدالرحمن الرافعى	مصر
١٥)	تاريخ الماسونية العام	جرجى زيدان	عمو
١٦)	تاريخ مصر قبل الاحتلال وبعده	تيودر روز ستين (ترجمة على احمد شكري)	•
١٧)	التجارة (الجريدة المطبوعة فى مصر ايام اقامةالسيد فى مصر)		مصر
١٨)	تحرير الامم من كلب العجم	عبدالقادر القينوي	مصر
١٩)	تحرير المرأة	قاسم امين	مصر
٢٠)	تراجم ضياء الخافقين		مصر
٢١)	تطور الامم	فتحى زغلول	مصر
٢٢)	الفيلسوف الثائر الاسلامى جمال الدين الافغانى ورسالةالرد على الدهريين	محمد عبده	مصر
٢٣)	الثورة العرابية	عبدالرحمن الرافعى بك	مصر

٢٤)	الثورة العربية الكبري	امين سعيد	مصر

(ج)

٢٥)	جمال الدين (مجموعة اقراء)	عبد القادر المغربى	مصر
٢٦)	جمال الدين اسدابادي المعروف بالافغانى	(ترجمة) صادق نشأت د عبد المنعم	مصر
٢٧)	جمال الدين الافغانى	بروكلمن (ترجمة)	مصر
٢٨)	جمال الدين الافغانى	يوسف بن اسمعيل النبهانى	بيروت
٢٩)	جمال الدين الافغانى حكيم الشرق .	قلعجى قدوري	بيروت
٣٠)	جمال الدين الافغانى حياته واراؤه .	محمد الطاهر الجبلاوي	مصر
٣١)	جمال الدين الافغانى حياته وفلسفته .	الدكتور محمود قاسم	مصر
٣٢)	الجمعيات الهدامة	عبدالله عنان	.
٣٣)	الجواهر اللؤلؤية .	ابراهيم السيد عيسى المصري	مصر

(ح)

٣٤)	حديث عيسى بن هشام	محمد المويلحى	مصر
٣٥)	الحرية	تعريب السباعى	مصر
٣٦)	حرية الفكر وابطاله	سلامه موسى	مصر
٣٧)	حياة الشرق	محمد لطفى جمعه	مصر

(خ)

٣٨) خطبتان للسيد فى التعليم والتجارة (١٢٩٦هـ) مصر

(د)

٣٩) دراسة عن الافغانى الحقيقة الكلية محمد عمارة مصر

٤٠) الديبا (الجريدة الفرنسية المشهورة التى كتبت عن مباحثات السيد و رينان) .

(ر)

٤١) رسالة التوحيد محمد عبده مصر

٤٢) رشيد رضا الدكتور ابراهيم السعدوي مصر

(ز)

٤٣) زعماء الاصلاح احمد امين مصر

(س)

٤٤) سعد زغلول عباس العقاد مصر

٤٥) سفير الله جمال الدين الافغانى عبد الغنى شميس مصر

(ش)

٤٦) الشرق العربى جبر ضومط .

(ص)

٤٧) الصحافة العربية فلب دي ترازي بيروت

٤٨) الصحافة المصرية فى مائة عام عبد اللطيف حمزه مصر

(ط)

٤٩)	طبائع الاستبداد	الكواكبي	مصر

(ع)

٥٠)	عبدالله نديم خطيب الوطنية	على الحديدي	مصر
٥١)	على الاثير (كلمة عن راديو)	العقاد	مصر

(ف)

٥٢)	فلاسفة الاسلام في المشرق والمغرب .	محمدلطفي جمعه	مصر
٥٣)	فلسفة الدين واللغة	محمدعبده	مصر

(ق)

٥٤)	قادة الفكر	طه حسين	مصر
٥٥)	قاسم امين	الدكتور ماهر حسن فهمي	مصر
٥٦)	القضاء والقدر واصول العقائد الاسلامية .		مصر

(م)

٥٧)	مجلة ثقافة افغانستان		مصر
٥٨)	مجلة المنار	رشيد رضا	مصر
٥٩)	مجموعة الثلاثين من جريدة (التام)		باريس
٦٠)	مجموعة لمخطوطات السيدجمال الدين .		ايران
٦١)	محمد عبده	امين عثمان	مصر
٦٢)	مذكرات الامام محمد عبده (دارالهلال)		مصر

٦٣)	المرأة الجديدة	قاسم امين	مصر
٦٤)	مشاهير الماسونية	شاهين مكاريوس	مصر
٦٥)	مصر (الجريدة المطبوعة فى عصر اقامة السيد فى مصر) .		مصر
٦٦)	مصر الحديثة	كرومر (الترجمة)	مصر
٦٧)	مصر للمصريين	سليم نقاش	مصر
٦٨)	الصور (مجلة اغسطس ١٩٥٥م) العدد الخاص : العالم الاسلامى .		مصر
٦٩)	معالم الفكر العربى الاصلاحى السلفى .	العيلة عنان	بغداد
٧٠)	معجم المصنفين	عبد القدوس الهاشمى	الهند
٧١)	المقطم (جريدة) (عددها الصادر ١٨٩٧م)		مصر
٧٢)	المنتخب	لجنة الادباء	.
٧٣)	الموسوعة العربية الميسرة . دار القلم .		مصر

(و)

٧٤)	الوحى المحمدي	رشيد رضا	مصر

الفارسية :

(ت)

٧٥)	تاريخ ادبى ايران	على باشا صالح	تهران ــ ايران
٧٦)	ترجمه عروة الوثقى	عبد الله سمندر	كابل
٧٧)	تلاشهائى سياسى سيد جمال الدين افغانى ببا رزيرك در قرن ١٩		كابل

(ج)

٧٨) جاويدنامه — دكتور محمد اقبال — لاهور

٧٩) جمال الدين افغاني — رساله كاوه . — بر جهد لين

(د)

٨٠) دبستان الفرصة — فرصت زاده — ايران

(ر)

٨١) رسالة و مقالات در باره سيد جمال الدين افغاني . — حبيب الرحمن جدير — كابل

(س)

٨٢) سيد جمال الدين افغاني — صديق — كابل

٨٣) سيد جمال الدين افغاني و افغانستان . — سيد قاسم رشتيا — كابل

٨٤) سيد جمال الدين پيشوائي انقلاب شرق . — محمد عثمان صديق — كابل

(ش)

٨٥) شرح حال افوريان — معلم شفيق — حيدراباد دكن — الهند

٨٦) شمسية لدنية وناسوتية — باقر بواناتي — ايران

(ف)

٨٧) فلسفه نيكو — كرماني — ايران

(ك)

٨٨)	كشف تلبيس	رساله كاوه	برلين

(گ)

٨٩)	كزيده اثار جمال الدين افغاني	دكتور سيد مخدوم رهين	كابل

(ل)

٩٠)	لغت نامه	على اكبر دهخدا	تهران ــ ايران

(م)

٩١)	المائر والاثار	مرزا محمدحسن خان اعتماد السلطنة ـ ايران	
٩٢)	مختصر تاريخ ايران	مرزا محمدعلى بن ذكاء الملك	بومبائ
٩٣)	مردان نامى شرق	فرخ زاده	بيروت
٩٤)	مقالات جماليه	مرزا لطف الله اسدابادي .	تهران ـ ايران
٩٥)	مقالات محمود طرزي (سراج الاخبار)	روان فرهادي	كابل

(ن)

٩٦)	نداي سيد جمال الدين افغاني	(ترجمه)	كابل
٩٧)	نسب و زادگاه سيدجمال الدين افغاني .	عبدالحى حبيبي	كابل

الارديـــة :

(ا)

٩٨)	اسلام اور تجديد مصر مين (ترجمه)	عبدالمجيد سالك	لاهور

(پ)

٩٩) پان اسلامزم اور پاکستان — رشید احمد جالندهري ، ماهنامه
جمال الدین افغانی اور عرب رهنما ، فکرونظر — اسلام اباد

(ج)

١٠٠) جمال الدین افغانی — الله بخش یوسفی — پشاور ، کراتشی

١٠١) جمال الدین افغانی — حافظ محمد ادریس — لاهور

١٠٢) جمال الدین افغانی (مقاله) — دکتور محمد اقبال — لاهور

١٠٣) جمال الدین افغانی — سید قارغ بخاري — لاهور

١٠٤) جمال الدین افغانی — صاحبزاده حمید الله — کویته

١٠٥) جمال الدین افغانی — قاضی عبدالغفار — دلهی ، الهند

(ح)

١٠٦) حیاة جمال الدین — مولانا عبدالمجید سعدي افغانی — لاهور

(د)

١٠٧) دائرة المعارف الإسلامية — لاهور

١٠٨) رد نیچریت (مکتبه شعروادب) — لاهور

(ع)

١٠٩) عرب دنیا (ترجمه) — دکتور محمد حسین — لاهور

(م)

١١٠) الماثر والاثار — قاضی عبدالغفار — دکن ، الهند

البشتو :-

(ع)

البنغالية :

(ج)

(الانجليزية والفرنسية) References (English and French).

(A)

114 "Afghan-Indian Contacts" - Jouranal of the American Oriental Society, 1969-79 (III), by Aziz Ahmad.

115 "A Literary History of Persia" (Vol.IV) Cambridge, 1959.

116 "An Islamic Response to Imperialism", Berkely, by N.R.Keddie.

117 Arabic Thought in the Liberal Age", 1798-1939, Oxford, 1962 by A.H.Horani.

(B)

118 Beriner Tageb Latt, 23 June, 1896.

(G)

119 "Gardon at Khartoum", London, 1911-A.D. by Blunt.

(H)

120 "History of The Freedom Movement" V. I

121 "Islam in Modern History" by [illegible] II.

122 "Islamic Philosophy in Contemporary Islamic Thoughts", Al-Abbahath. 20/4 Dec. 1968. I, II by Mohsin Mahdi.

(M)

123 "al.Manach De Kabul", Pashto 1323, A.H.

124 "My Conversation with Stalin", London, 1962 by D.Jilas.

125 "My Diaries", London 1919 Vol.II, by Blunt.

(N)

126 Nasser, Egypt: London 1959, by Peter Mansfield.

(P)

127 "Plato", Oxford 1960 (Introduction IX) by Livingstone.

(R)

128 "Religion and Irreligion in Early Iranian Nationalism", Comparative Studies in Society and History 4/3 (1966)

(S)

129 "Sages of the Ages": Qissa Khani, Peshawar, 1970 by M.A.Chaudhry.

130 "Syed Ahmad Khan, Jamaluddin Afghani and Muslim India", Studia Islamica, 13(1960)

131 "Syed Jamaluddin al-Afghani's first twentyfive years" by N.R.Keddic.

132 "Studies in Islamic Culture in the Indian Environment", Oxford, 1964 by Aziz Ahmad.

(T)

133 "The Arab World", H.R.Company, 1953, by N.Izzuddin.

134 "The Darkest Period", Middle East Journal, 20/4, 1966

135 "The Future of Islam", London.

136 "The Life and Works of Nawab Siddiq Hussan Khan of Bhopal", by Dr. Saeedullah Qazi, University of Peshawar.

137 "The Memoirs", London, Full Circle, 1960.

138 "The Modern Trends in Islam".

139 "The Mohammadan Propaganda with Special reference to Pan-Islamism", Pan-Anglican Papers, by Society for Promoting Christian Knowledge, London, 1908.

140 "The Political Struggle of Jamaluddin Afghani" Kabul, A.H.Tibibi.